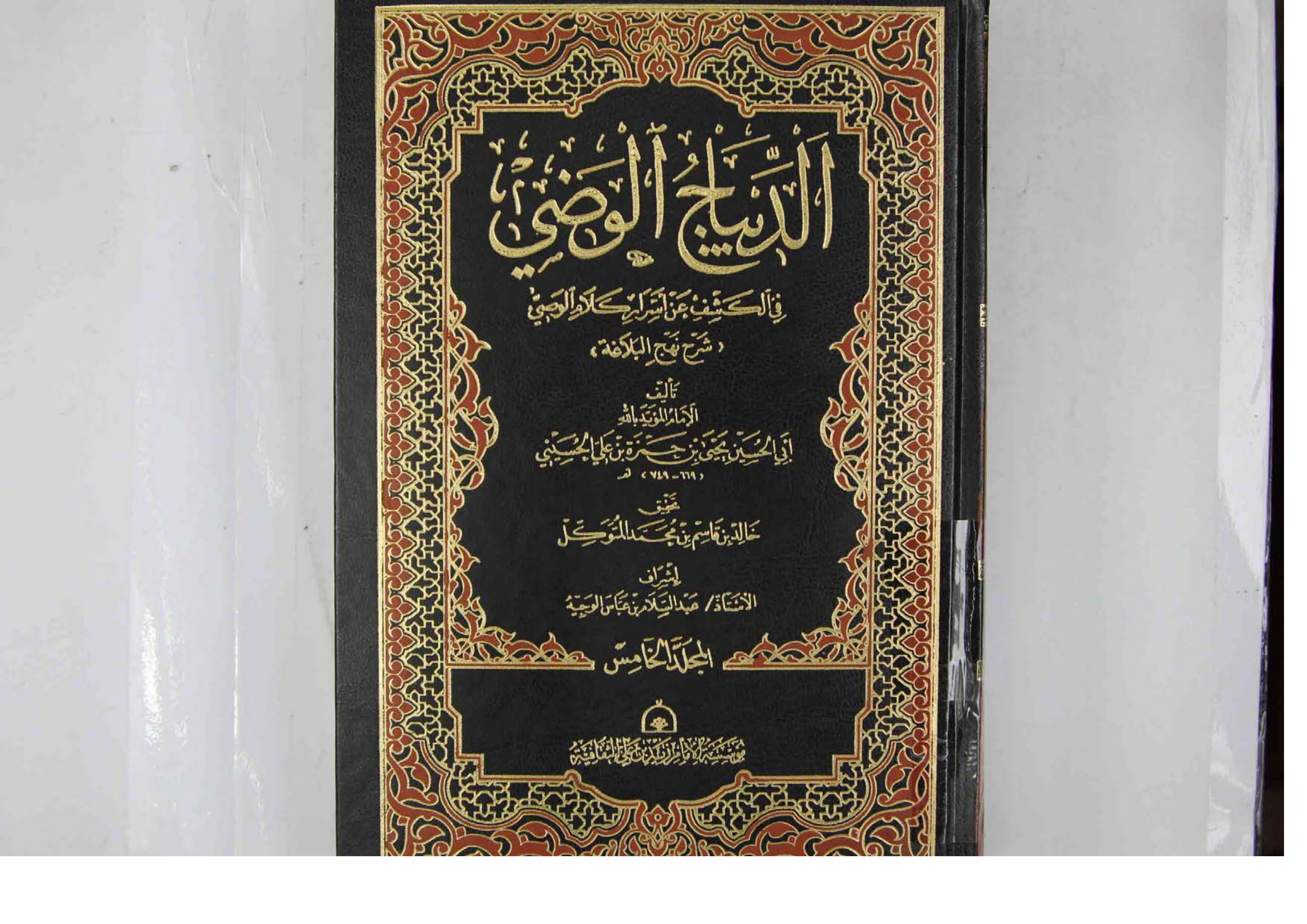

الديباج الوضي
في الكشف عن أسرار كلام الوصي
«شرح نهج البلاغة»
تأليف
الإمام المؤيد بالله
أبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني
(٦٦٩ - ٧٤٩ هـ)
تحقيق
خالد بن قاسم بن محمد المتوكل
إشراف
الأستاذ/ عبد السلام بن عباس الوجيه
المجلد الخامس
مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية




deltapress@terra.net.lb

deltapress@terra.net.lb






deltapress@terra.net.lb

deltapress@terra.net.lb





الدِّيباجُ الوَضِيّ

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

تم الصف والإخراج بمركز النهاري للطباعة – صنعاء – الدائري الغربي جوار الجامعة الجديدة

(ت:٧١١٦٠٧٣٤)

إخراج: خالد محمد عمر الزيلعي وعبد الحفيظ حسن النهاري

رقم الإيداع في دار الكتب الوطنية لعام ٢٠٠٣م
(٢٢٤)



مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧٧)

فاكس (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧١) صنعاء – الجمهورية اليمنية

Website: www.izbacf.org ; email :info@izbacf.org

الدِّيباج الوضيّ

في الكشف عن أسرار كلام الوصيّ

« شرح نهج البلاغة »

تأليف

الإمام المؤيد بالله

أبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني

« ٦٦٩ - ٧٤٩ » هـ

تحقيق

خالد بن قاسم بن محمد المتوكل

إشراف

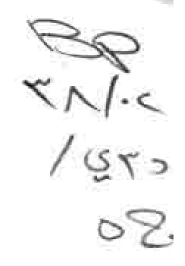
الأستاذ/ عبد السلام بن عباس الوجيه

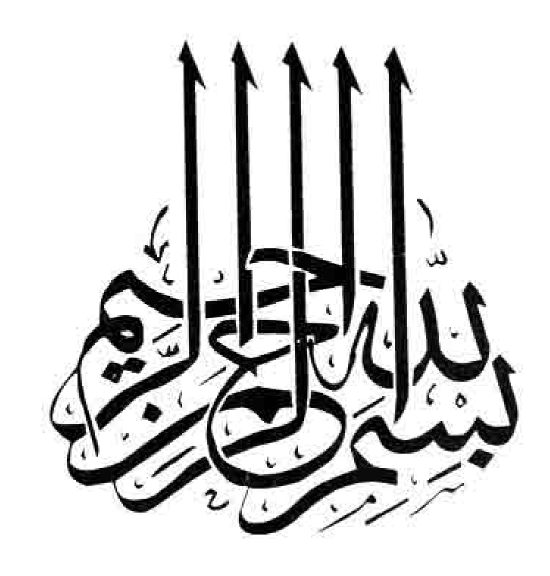


المجلد الخامس



مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية







من كلام أمير المؤمنين في الكتب والرسائل والعهود والوصايا

القطب الثاني من كلام أمير المؤمنين
في الكتب والرسائل والعهود والوصايا

ويدخل في ذلك رسائله إلى أعدائه، وأمراء بلاده، وما اختير من عهوده إلى عماله ووصاياه لأهله وأصحابه.

واعلم: أن الكتاب عبارة عن القرطاس المكتوب فيه، والكتاب: الفرض والحكم، قال الله تعالى: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[النساء:٢٤] أي فرضه، قال الشاعر:

يا ابنة عمي كتاب الله أخرجني

عنكم وهل أمنعنَّ الله ما فعلا[1]

والعهد أيضاً عبارة عن الأمان والموثق، وهو ها هنا عبارة عمَّا يوصي به أمراءه، والذين يقلدهم أمر البلاد والخراجات.

وأما الرسالة فهي: عبارة عمَّا يرسل به من موضع إلى موضع، والرسول أيضاً الرسالة، قال:

ألا أبلغ أبا عمرو رسولاً بأني عن فتاحتكم[2] غني[3]

---

(١) البيت للجعدي، لسان العرب ٢١٧/٣.

(٢) في النسخ: قبائحكم، وأصلحته من اللسان.

(٣) البيت للأسعر الجعفي، المصدر السابق ١١٦٦/١، وقوله: فتاحتكم أي حكمكم.

وأما الوصية فهي: عبارة عن الكلام الذي يعهده إلى الأمراء والعمال، والكل من هذه الأشياء معانيها متقاربة، والغرض هو التعويل على المعاني.

ونشرع الآن في شرح كتبه مستعينين بالله وهو خير معين.

(بسم الله الرحمن الرحيم)[١]

(١) ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة

(**من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة**): هكذا كانت التعريفات في الكتب والرسائل والعهود، أن يذكر اسمه واسم من يكون إليه الكتاب من غير زيادة، وعلى هذا مضى الصدر الأول من الصحابة وخلفائها وجميع خلافة بني أمية، معاوية ومن بعده منهم على هذا، وما حدثت هذه الألقاب إلا من أيام أبي الدوانيق أبي[٢] جعفر، فإنه تسمى بالمنصور بعد أخيه عبد الله بن محمد بن علي، ثم جرى ذلك بعده في أولاده المهدي بن المنصور، ثم الهادي بن المهدي، ثم الرشيد هارون بن المهدي، ثم المأمون والأمين، إلى آخر خلفاء بني العباس، ما زالت هذه الألقاب فيهم إلا أن انقرضوا واقتلع الله جرثومتهم[٣]، فبعداً لقوم لا يؤمنون، ثم هي الآن جارية، وليس ورائهاكثير فائدة، ولو كان فيها خير سبق إليها الصدر الأول.

---

(١) زيادة في (ب).

(٢) حاشية في (ب) لفظها: المشهور في غير هذا الكتاب أن أبا الدوانيق هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، تمت.

(٣) جرثومة الشيء بالضم أصله. (القاموس المحيط ص١٤٠٥).

(جبهة الأنصار): الجبهة يكنى بها عن أحسن الشيء وخياره وأعلاه؛ لأنه أوردها ها هنا مورد المدح والثناء على الأنصار، فلهذا[1] وجب حملها على ما قلناه، وأراد أنهم أعظم الناصرين له وأكثرهم جهاداً في حقه.

(وسنام العرب): والسنام أيضاً: عبارة عن خيار الشيء ووسطه، ومنه سنام الناقة والجمل لكونه وارداً مورد المدح، ولا وجه بحمل السنام والجبهة على غير ذلك لفساد معناه.

(أما بعد): وهذه كلمة فصيحة تراد للقطع للكلام الأول عمّا يأتي بعده.

(فإني أخبركم عن أمر عثمان): وما جرى فيه من الفتنة والخصومة العظيمة.

(حتى يكون سمعه كعيانه): حتى هذه متعلقة بكلام محذوف، تقديره: أخبركم خبراً عظيماً جامعاً للقول فيه واضحاً جلياً، السامع له بمنزلة المعاين.

(إن الناس طعنوا عليه): في سيرته مطاعن كثيرة، ونقموا عليه أشياء أحدثها.

(فكنت رجلاً من المهاجرين): أراد واحداً منهم، وغرضه تميزه عن المهاجرين في حقه.

(أكثر استعتابه): الاستعتاب: الاسترضاء، وأراد أنه يكثر من طلب الرضا له.

---

(١) في (ب): ولهذا.

(وأقِلُّ عتابه): والعتاب هو: ذكر الخطأ الذي أخطأه، وغرضه من هذا كله أنه يسترضيه، ولا يذكر له ما يكرهه.

(وكان طلحة والزبير): في حقه وبالإضافة إليه.

(أهون سيرهما الوجيف[1]): الوجيف: ضرب من سير الإبل والخيل كثير السرعة والعجلة، وغرضه من هذا أن سعيهما في قتل عثمان أبلغ من سعي غيرهما من أفناء الناس.

(وأرفق حدائهما العنيف): العنف: الشدة، وجعل هذا كناية عن مبالغتهما في قتله ومحبتهما لذلك وتأليب الناس عليه.

(وكان من عائشة فلتة[2] غضب فيه): يقال: كان هذا الأمر فلتة إذا لم يكن عن تدبُّر وتحقق، وكان صدوره فجأة، فكانت تسبُّه وتؤذيه، وتحرض الناس على قتله، حتى أنها قالت يوماً: اقتلوا نعثلاً لعن الله نعثلاً، بالعين المهملة والثاء المثلثة[3]، والنعثل: ذكرالضباع، وقيل: اسم رجل كان طويل اللحية، وكان عثمان إذا نيل من عرضه شبه به، وهو مراد عائشة ها هنا.

(فأتيح له قوم فقتلوه): أي قُدِّر له أقوام قليلون قتلوه من غيربصيرة في قتله.

(وبايعني الناس): بعد قتله.

(غير مُسْتَكْرَهين): لم يكن من أحد لهم إكراه ولا حمل.

---

(١) في (ب) وفي شرح النهج: أهون سيرهما فيه الوجيف.

(٢) في شرح النهج: وكان من عائشة فيه فلتة غضب.

(٣) أورده ابن الأثير في النهاية ٨١/٥، وابن منظور في لسان العرب ٦٦٨/٣.

(ولا مُجْبَرِيْن): مقهورين على البيعة، وإنما جاءوا من جهة أنفسهم بالطوع والاختيار دون الإكراه.

(بل طائعين مُخَيَّرِيْن): تأكيد ومبالغة في ذكر حال بيعته، وأن إمامته لا مغمز فيها لأحد، ولا فيها وجه من وجوه الاعتراض الحاصلة في إمامة غيره.

(واعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد بدارالهجرة الكوفة، ومعنى قلعت بهم أي أخلتهم وطردتهم، وقلعوا بها أي أخلوا عنها وأهملوها فصارت خالية بعدهم.

وثانيهما: أن يكون المراد بدار الهجرة المدينة، وهو السابق إلى الأفهام من دار الهجرة؛ لأن ما عداها من المدائن والأمصار لا يقال فيه: دار الهجرة، وأراد أنهم أخلوها وخلوا عنها، وغرضه أيام الفتنة بقتل عثمان.

(وجاشت جيش المِرْجَل): جاش القدر إذا عظم غليانه، واشتدت حركته، وَالْمِرْجَلُ: القدر.

(وقامت الفتنة على القطب): أراد استقرت رحاها على قطبها؛ لأن كل ما يدور على القطب إذا لزم القطب وقام عليه، و[1]استوسق واستقر.

(فأسرعوا): بالإقبال فيما يأمركم به وينهاكم عنه.

(إلى أميركم): من جعله الله والياً عليكم، وسلطاناً قائماً على أموركم كلها.

(وبادروا جهاد عدوكم): أن يحال بينكم وبينه بعارض من العوارض.

---

(١) الواو، زيادة في (ب).

(٢) [ومن كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة][1]

ثم كتب إليهم بعد فتحه للبصرة:

(جزاكم الله من أهل مصر): يريد أهل الكوفة لما بالغوا في النصيحة، وأخذوا في امتثال أمره، ومن هذه لابتداء الغاية.

(عن أهل[2] بيت نبيِّكم): يريد نفسه وأولاده إذ هم أهل البيت في ذلك الزمان لا شيء غيرهم.

(أحسن ما يجزي العاملين بطاعته): من الثواب العظيم ورفع الدرجات العالية.

(والشاكرين لنعمته): أي وأحسن ما يجزي الشاكرين على نعمته، كما قال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[3][آل عمران:١٤٤] إشارة إلى عظم[4] ما أعدَّ الله لهم من كرامته من جزيل ثوابه وحسن عطائه.

(فقد سمعتم): ما أقوله من المواعظ والآداب.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من شرح النهج.

(٢) قوله: أهل، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٣) الآية القرآنية الشريفة في (ب): ﴿وسنجزي الشاكرين﴾.

(٤) في (ب): عظيم.

(وأطعتم): أمري بما أمرتكم به من أمر الجهاد.

(ودعيتم): إلى الطاعة أو إلى مقاتلة العدو وجهاده.

(فأجبتم): إلى ذلك مسرعين منقادين.

(٣) ومن كتاب له [عليه السلام][1] كتبه لشريح بن الحارث[2] قاضيه

روي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً، فبلغه ذلك فاستدعاه وقال له[3]:

(بلغني أنك ابتعت داراً بثمانين ديناراً، وأشهدت شهوداً، وكتبت كتاباً)[4].

فقال شريح: قد كان ذلك ياأمير المؤمنين.

قال: فنظر إليه [(عليه السلام)][5] نظر مغضب[6] ثم قال له:

(ياشريح، أما إنه سيأتيك): يصل إليك، ويحلُّ بفنائك.

---

(١) زيادة في (ب).

(٢) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، المتوفى سنة٧٨هـ، من أشهر القضاة في صدر الإسلام، أصله من اليمن، استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة، وولي القضاء للإمام علي على الكوفة أيضاً، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: وسخط علي (عليه السلام) مرة عليه فطرده عن الكوفة ولم يعزله عن القضاء، وأمره بالمقام ببانقيا -وكانت قرية قريبة من الكوفة- فأقام بها مدة حتى رضي عنه وأعاده إلى الكوفة. انتهى. وعُمِّر عمراً طويلاً قيل: إنه عاش مائة سنة وثمانياً وستين، ، وقيل: مائة سنة، ومات بالكوفة. (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٤/٢٨-٢٩، والأعلام٣/١٦١).

(٣) له، زيادة في (ب).

(٤) في (ب): وكتبت كتاباً وأشهدت شهوداً، وفي شرح النهج: وكتبت لها كتاباً وأشهدت فيه شهوداً.

(٥) زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى.

(٦) في شرح النهج: المغضب.

(من لا ينظر في كتابك): الذي كتبته تقريراً لملكك، وخوفاً عن دعوى من يدّعيها.

(ولا يسألك عن بيتك[1]): إما عن بيتك[2] الذي جعلت هذه[3] العناية من أجله، وإما عن بينتك التي تقيمها من عندك[4] لو جحدها جاحد، فلا يزال بك:

(حتى يخرجك منها شاخصاً): شخص عن البلد إذا خرج عنها.

(ويسلمك إلى قبرك خالصاً): من قولهم: أسلمته إلى كذا أي خلّيت بينه وبينه، وأراد بقوله: خالصاً عن العلائق كلها لا شيء معك من الدنيا، وأراد بما ذكره ملك الموت، فإنه يأتي إلى[5] الإنسان، فيفعل[6] به هذه الأفاعيل كلها.

(فانظر يا شريح): تفكّر في أمرك وشأنك، وحقّق النظر فيما أنت فيه.

(لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك): أراد أن مالكها الذي أخذتها منه، لعله غصبها[7] أو أخذها على غيره وباعها منك، فانظر في هذا.

(أو نقدت الثمن من غير حلالك): وكان نقدك للثمن من غير مال

(١) في (ب) وفي شرح النهج: بينتك.
(٢) في (ب): بينتك.
(٣) في (ب): هذا.
(٤) في (ب): من غيرك.
(٥) إلى، سقط من (ب).
(٦) في (ب): فيفعلن.
(٧) في (ب): اغتصبها.

تملكه، بأن تكون قد أخذته من غير حله، فانظر فإن تطرق الشبهة يكون[1] إما في المبيع، وإما في الثمن، وكل واحد منهما يكون محرماً للبيع، ويقع الخطأ والإثم بالوقوع في أحدهما لامحالة.

(فإذاً أنت): بالوقوع في أحد هذين الشبهتين أو كلاهما.

(قد خسرت دار الدنيا): بكونك شريت ما لا يحل لك شراؤه.

(ودار الآخرة): بالوقوع في معصية الله تعالى وإثمه، والمراد بالخسران هو فوات الدارين كلاهما، وذهابهما عن يده كما قررناه.

(أما إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت): من هذه الدار بثمنها المعلوم.

(لكنت كتبت لك كتاباً)[2]: حررت فيه ألفاظاً وعظية، وقوارع شافية مرغّبة عن الدنيا.

(على هذه النسخة): التي سأذكرها بعد هذا بمعونة الله تعالى.

(فلم ترغب): عند معرفتك بها.

(في شراء هذه الدار بدرهم فما فوقه): لاشتماله على الزهد في الدنيا، والترغيب في الآخرة.

(والنسخة: هذا ما اشترى عبد ذليل): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد بذلك على جهة العموم، والغرض أن كل الخلق عباد الله ذليلون لأمره، خاضعون لجلاله.

(١) في (ب): قد يكون.
(٢) في شرح النهج: لكتبت لك كتاباً.

وثانيهما: أن يكون مراده على جهة الخصوص، وأراد بالعبد شريحاً؛ لأنه كان عبداً، ولهذا فإنه يحكى أنه نقم عليه[1] نَقْماً في بعض الأقضية التي قضاها، فقال: ائتوني بهذا العبد الأبظر[2]،والبظر بظاء منقوطة من أعلاها: لحمة ناتية[3] في الشفة العليا، وكان شريح بهذه الصفة.

(من ميت قد أزعج بالرحيل[4]): ممن يموت ويستعجل الرحيل[5] إلى الآخرة، والتولي عن الدنيا، فهذه حالة البائع والمشتري وأوصافهما.

(اشترى منه داراً من دار[6] الغرور): الدار الأولى هي المشتراة، والدار الثانية هي الدنيا، فإنها دار المكر والخديعة بأهلها.

(من جانب الفانين [وخطة الهالكين] [7]): مِمَّا يجري عليه الفناء، والخطة: ما يُخْتَطُّ للعمارة، وأراد من مكان الهالكين، وأراد بذلك ذكر هذه الأوصاف مبالغة في تخليتها وإظهار أمرها، كما يقول أهل الشروط: من خطة بني فلان، وشارع بني فلان لئلا تكون ملتبسة بغيرها تهكماً لأمرها واستركاكاً لحالها.

(وتجمع هذه الدار): بحيث لاتلتبس بغيرها على مشتريها.

---

(١) عليه، سقط من (ب).

(٢) وله شاهد أورده ابن الأثير في النهاية ١/١٣٨ فقال: وفي حديث علي (أنه قال لشريح في مسألة سألها: ما تقول فيها أيها العبد الأبظر) هو الذي في شفته العليا طول مع نتو. انتهى. وهو في لسان العرب ١/٢٣٠.

(٣) أي بارزة.

(٤) في شرح النهج: للرحيل، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٥) في (ب): بالرحيل.

(٦) في نسخة: بدار. (هامش في ب).

(٧) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(حدود أربعة): مشتملة على أقطارها، ومستولية عليها من جميع نواحيها.

(الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات): يريد أن هذه الدار لايخلو أمرها أصلاً عن طرو الآفات وعروض المتالف لها.

(والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات): وهكذا أيضاً فإن هذه الدار لا تخلو عن المصائب الجارية على الخلق، والذين هم بصددها، ولا خلاص عن ذلك.

(والحد الثالث ينتهي إلى الهوى[1] المردي): في الهلاك فإنه لا ضرر على الإنسان أضر من اتباع الهوى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾[النازعات: ٤٠].

(والحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي): للخلق عن مصالحهم الدينية، وعمَّا أراد الله بهم من مسالك الخير والصلاح.

(وفيه[2] يشرع باب هذه الدار): أي يسلك.

سؤال؛ أراه جعل مشرع باب الدار من جهة حد الشيطان، دون غيره من سائر الحدود التي ذكرها، مع أنها كلها مستوية في الإهلاك للإنسان؟

وجوابه؛ هو أن باب الدار إنما شرع[3] من أجل دخولها، ولما كان الشيطان له مداخل عظيمة في الإنسان، ويأتي له في الإغواء من أبواب متفرقة، وجهات مختلفة حتى يستولي عليه ويستحكم من أي باب وجده

---

(١) في نسخة: البلاء، (هامش في ب).

(٢) في (ب): ومنه.

(٣) في (ب): يشرع.

يهلك فيه، فلهذا جعل مشرع باب الدار من جهة الشيطان وإغواءه وزلله واستحواذه.

وعن إبليس أن الله لما لعنه، قال: يارب، قد جعلتني رجيماً، وأنظرتني إلى الوقت المعلوم فاجعل لي بيتاً.

قال: ((الحمام)).

قال: فاجعل لي مجلساً.

قال: ((الأسواق ومجامع الطرقات)).

قال: فاجعل لي حديثاً.

قال: ((الغنا[1])).

قال: فاجعل لي كتابة.

قال: ((الوشم[2])).

قال: فاجعل لي مؤذناً.

قال: ((النوائح)).

قال: فاجعل لي مصائد.

قال: ((النساء)).

(١) في نسخة أخرى: العبادة.

(٢) الوشم: أن يغرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل أو نيل، فيزرق أثره أو يخضرّ، وقد وشمت تشم وشماً فهي واشمة، وفي الحديث ((لعن الله الواشمة والمستوشمة)) ويروى ((الموتشمة)) و المستوشمة ، والموتشمة: التي يفعل بها ذلك. (نهاية ابن الأثير٥/١٨٩).

(اشترى هذا المغتر بالأمل): حيث شرى منزلاً يطمأنّ إلى السكون إليه والمقام فيه، والاستقرار عليه ثقة بالدنيا واطمئناناً إليها، وفي الحديث: ((ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر ما يرجع إليه))[1].

(من هذا المزعج بالأجل): يريد البائع فإن الليالي والأيام تحثه لا محالة إلى الآخرة، وفي الحديث: ((الدنيا حلم، وأهلها مجازون ومعاقبون وهالكون)).

(هذه الدار): المخصوصة بهذه الصفات، والمحدودة بهذه الحدود التي ذكرناها.

(بالخروج من عز القناعة): كأنه جعل ثمنها الخروج من عز القناعة، يشير إلى أن هذا المشتري لو تقنّع ما شراها ورضي بالحقير عنها؛ لأن فيه كفاية عن الجليل، وفي الحديث: ((من أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرته أضرَّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى))[2].

(والدخول في ذلّ الطلب والضراعة): الضراعة هي: الذلة والمسكنة، فقد دخل بشرائها في الذل، وخرج عن العزّ بالتقنع[3].

(١) أخرج مثله المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٦٢/٢ بسنده عن المستورد بن شداد، وص١٧٢ بسنده عن ابن فهم، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٠/٩ وعزاه إلى سنن الترمذي رقم(٢٣٢١)، وكنز العمال رقم (٦١٣٨)، (وله شواهد فيها عدة انظرها هناك).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده الكوفيين برقم (١٨٨٦٦) و(١٨٨٦٧) عن أبي موسى الأشعري.

(٣) أي بالسؤال والتذلل من القُنوعُ بالضم وهو السؤال والتذلل، ومن دعائهم: (نسأل الله القناعة، ونعوذ بالله من القنوع) والقنوع بالضم أيضاً: الرضا بالقسم وهو من الأضداد. (انظر القاموس المحيط ص٩٧٧).

(فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك): الدرَك والدرْك بالفتح والسكون[1] هو: التبعة، وأراد فما اتبع فيما اشتراه من هذه الدار.

(فعلى مبلبل أجسام الملوك): البلبلة: القطع والاستئصال، أخذاً من قولهم: تبلبلت الإبل الكلأ إذا قطعته فلم تُبْقِ منه شيئاً، وأراد فإنه موكول إلى الله تعالى الفاعل لهذه الأشياء، وذكرها إنما هو على جهة التهويل وإعظام الأمر وإكباره.

(وسالب نفوس الجبابرة): مزيلها عن أجسامهم.

(ومزيل ملك الفراعنة): من تشيطن في البلاد بإكثار الفساد في الارض فهو فرعون، وقد أزال الله كل من تفرعن في الأرض وأهلكه.

(مثل كسرى): ملك الفرس.

(وقيصر): ملك الروم.

(وتبّع): والتبابعة هم ملوك اليمن، وكانوا ثمانين تبعاً.

(وحمير): وملوك حمير، كانوا في اليمن.

(ومن جمع المال على المال فأكثر): من جمعه، وكنزه وادخاره.

(ومن بنى): القصور العظيمة.

(فشيّد[2]): بناءها وزخرفها وزينها.

(وزخرف): نقش.

(١) قوله: بالفتح والسكون، سقط من (ب).
(٢) في شرح النهج: وشيد.

(ونجّد): والتنجيد: التزيين، قال ذو الرمة:

حتى كأن رياضَ القفرِ ألبسها
من وشي عبقر تجليلٌ وتنجيدُ[1]

(وادخر): الأموال النفيسة.

(واعتقد): أن ليس أحداً مثله، أو أنه لا جمع كجمعه.

(ونظر بزعمه للولد): أراد إما ونظر بزعمه فيما جمعه أنه مصلحة لولده، وإما كان منتظراً للولد فيستَرُّ به كما يستَرُّ بالمال إذا جمعه.

(إشخاصهم[2]): هذا على حذف مضاف تقديره: وقت إشخاصهم، والعامل فيه ما تعلق[3] به على في قوله: فعلى مبلبل، أي فهو حاصل وقت إشخاصهم لكن حذف الوقت، وترك المصدر[4] لما فيه من الدلالة على الوقت، كما قالوا: انتظرتك نحر جزور، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْهُ[5] وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[الطور:٤٩].

(جميعاً): مجتمعين بكليتهم.

(١) لسان العرب ٥٨٣/٣، وقوله هنا: القفر، في اللسان: القُفّ: وهم اسم جبل، وعبقر: قرية ثيابها في غاية الحسن. (انظر القاموسى المحيط).
(٢) كتب فوقها في نسخة أخرى: معاً يعني بفتح الهمزة وكسرها أي إشخاصهم وأشخاصهم، وفي نسخة: أشخصهم (هامش في ب).
(٣) في نسخة أخرى: ما تتعلق.
(٤) في نسخة: والعامل فيه المصدر لما فيه من الدلالة ...إلخ (هامش في ب).
(٥) ورد في (أ) وفي نسخة أخرى: وسبحه، ولعلها قراءة، وما أثبته من المصحف الذي بين يدي على قراءة حفص، ومن (ب).

(إلى موقف العرض والحساب): العرض على الله تعالى والمحاسبة على الأعمال.

(وموضع الثواب والعقاب): وفي هذا الوقت أيضاً، وأراد عند هذه الأحوال الهائلة، والأمور الخطرة.

(إذا وقع الأمر بفصل القضاء): إذا متعلقة أيضاً بما تعلق به الظرف المقدر، أو يكون هذا بدلاً من ذاك[1]؛ لأنهما مستويان.

(﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[غافر:٧٨]): لأعمالهم بإحباطها بالسيئات، أو ذوو البطلانات والجحود في اعتقاداتهم.

(شهد على ذلك): الذي ذكرناه في هذه الأشياء كلها.

(العقل): وهو الذي ركّبه الله في الإنسان قاضياً بصحة هذه الأمور كلها ومعترفاً بها، وأنها كلها حق وصواب، وهو إنما يشهد بها إذاكان باقياً على الخلقة الغريزية والفطرة الإلهية التي جعله الله عليها، وذلك إنما يكون:

(إذا خرج عن[2] أسر الهوى): لأن الهوى إذا [كان] آسراً للعقل[3]، وصار موطؤاً بقدم الهوى فلا حيله له هناك ولا وقع لتصرفه، ولا يقدر على التخلص عن وثاق الهوى، وعند هذا لا نفع فيه لصاحبه.

---

(١) في (ب): ذلك.

(٢) في شرح النهج: من.

(٣) في (ب): أسر العقل شيئاً، وما بين المعقوفين وهو قوله: كان، سقط من (أ، ب)، وهو زيادة من نسخة أخرى.

(وسلم من علائق الدنيا): وكان أيضاً سالماً عن أطماع الدنيا وعوارضها، فمهما سلم عن[1] هذين الأمرين فإنه قاضٍ بما ذكرناه، ومهما فسد بأحد هذين الأمرين فإنه يبطل أمره، ويخرج عن النظام الذي ركّبه الله عليه.

اللّهُمَّ، إنا نعوذبك من أسر الهوى، والانقياد لحكمه.

واعلم: أن هذا الكتاب حذا عليه كتّاب الشروط في البياعات[2] والإجارات والمزارعة وغير ذلك، وجعلوه إماماً لهم يحتذون عليه كتب شروطهم.

---

(١) في (ب): من.

(٢) ظن فوقها في (ب)، بقوله: ظ: البيوعات، قلت: والبياعات جمع بياعة بالكسر وهي: السلعة.

(٤) ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه

(فإن عادوا إلى ظل الطاعة): استعار الظل للطاعة لما فيه من موافقة مراد الله تعالى، ورضوانه عليهم، فعاقبة ذلك راحة ولذة، فلهذا جعل عودتهم مما يلتذ به لما كان يؤول إلى ذلك.

(فذاك الذي نحب): الإشارة إلى العود إلى الطاعة، أي فهو الأمر المحبوب منهم، والمطلوب حصوله من جهتهم.

(وإن توافت الأمور بالقوم): أي تطابقت الأمور بالقوم بتمامها وكمالها.

(إلى الشقاق): المشاقة والعصيان لأمري والمخالفة عليَّ.

(والعصيان): لأمر الله وأمري.

(فانهد بمن أطاعك): نهد الرجل في الأمر إذا نهض إليه بجد وسرعة، وأراد فانهض مستصحباً بمن[1] أطاعك.

(إلى من عصاك): إلى جهاد من خالفك وبغى عليك.

(واستعن[2] بمن انقاد معك): اجعله عوناً لك وبصِّره واستصحبه،

---

(١) في (ب): من.

(٢) في شرح النهج: واستغن.

واجعله غنىً عن غيره لك.

(عمن[1] تقاعس عنك): أي تأخر بتكبر وعتو.

(فإن المكره[2]): الآتي إلينا كرهاً لا عن خيرة من نفسه، ولا انجذاب منها خوفاً من ربه.

(مغيبه خير من شهوده[3]): لأنه ربما بكراهته أفسد غيره، وخذله عن النهوض، وفتَّ في عضده.

(وقعوده): في بيته عن الجهاد والقتال.

(أغنى): أكثر غناءً ونفعاً.

(من نهوضه): بزعمه مكرهاً للجهاد، لما في ذلك من الضررو حصول المفسدة، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى الذي ذكره أمير المؤمنين في كتابه، حيث قال في حق أهل النفاق: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ﴾[التوبة:٤٧] يريد في تبوك ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾[التوبة:٤٧] فساداً وشراً، ﴿وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ﴾[التوبة:٤٧] بالمكر والخديعة، والسعي بها بينكم، وإفساد ذات البين، ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾[التوبة:٤٧]: يطلبون فتنتكم، وإفساد نياتكم في مغازيكم هذه، ومن هذه حاله فقعوده خير من مسيره، كما أشار إليه ها هنا.

---

(١) في (ب): على من.

(٢) في شرح النهج: المتكاره، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: خير من مشهده.

(٥) ومن كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس [وهو][١] عامل أذربيجان[٢]

(وإن عملك ليس بطعمة لك): يعني أنه ليس أمراً سهلاً ولا تبعة عليك فيه، فلا تظننَّ أنه بمنزلة الطعمة الهنية.

(ولكنه في عنقك أمانة): يريد فيه تكليف عليك وأمانة في عنقك حتى تؤديها إلى من ائتمنك عليها.

(وأنت مسترعى لمن فوقك): يريد جعلك راعياً من هو فوقك في الأمر ووجوب الطاعة.

(ليس لك أن تفتات في رعية): الافتيات[٣]: افتعال من الفوت، وهو السبق إلى الشيء من دون أمر من له الأمر فيه، يقال: فلان لا يفتات عليه أي لا يعمل شيء دون أمره، وفي الحديث: «أمثلي يفتات عليه في أمر بناته[٤]».

---

(١) وهو، زيادة في شرح النهج.

(٢) أذربيجان اسم بلد، ويعرف اليوم: بجمهورية أذربيجان، وهو اسم أعجمي غير مصروف، الألف مقصورة، والذال ساكنة، والنسبة إليه أذري بسكون الذال هكذا القياس. (وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤/٣٣).

(٣) في (ب): الافتعال.

(٤) في (ب): بيانه، والحديث أورده ابن الأثير في النهاية٣/٤٠٦ موقوفاً لعبد الرحمن بن أبي بكر.

(ولا تخاطر إلا بوثيقه): أي ولا تركب خطراً من الأمور تكون مغروراً فيه من دون أن تستوثق، وأراد أن هذه الأمور كلها واجبة على المتولي فيما ولي عليه.

(وفي يدك[١] مال من مال الله عز وجل): إنما نكَّر المال، إما لجلالته وكثرته كأنه قال: مال وأي مال، وإما لقلته كأنه قال: ما يقع عليه اسم المال.

(وأنت من خزاني[٢]): ممن جعلته خازناً له، والواجب عليه حفظه ورعايته.

(حتى تسلمه إليَّ): وعند هذا قد أدَّيت أمانتك، والفرض الواجب عليك لله فيه.

(ولعلي ألاَّ أكون شر ولاتك لك[٣]): وأرجو من الله تعالى أن أكون خير من تولى عليك بحفظ ما أديت من المال وصرفه في أهله، وإنما قال: ولعلي، جرياً على عادته في الأدب عند الدعاء، كما قال الرسول (ص): «وأرجو أن أكون أخوفكم بالله، وأعرف بما آتي وأذر»[٤].

---

(١) في شرح النهج: يديك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) في شرح النهج: خزانه.

(٣) بعده في (ب) وشرح النهج: والسلام.

(٤) روى قريباً منه بلفظ: ((أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به)) العلامة الزمخشري في الكشاف٣/٦٢٠.

(٦) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

(**إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان**): الضمير للشأن والقصة، والجملة بعده مفسرة له، وأراد أمير المؤمنين الملاطفة له في الخطاب والنزول معه، وإفحامه بالإلزام على قرب، وتقريره[1] أن يقول: هب أن إمامتي ليس منصوصاً عليها بالبراهين الواضحة، والنصوص الواردة، فالذين كانوا قبلي[2] هم أئمة على زعمك، وما كانوا أئمة إلا من أجل من عقد لهم من المهاجرين والأنصار، والذين عقدوا لهم ورضوهم قد عقدوا لي ورضوا بي إماماً لهم وبايعوني:

(**على ما بايعوهم عليه**): من امتثال أمرالله، وأمر رسوله، والقيام بالواجبات كلها، وليس الغرض اجتماع الناس بأجمعهم، وإنما انعقاد الإمامة بالعدد المعتبر من الأعيان والجماهير.

(**فلم يكن للشاهد أن يختار**): أمراً خلاف ما أجمعوا عليه واختاروه، ولكن الواجب الانقياد لهم والمتابعة لما فعلوه.

(**ولا للغائب أن يرد**): ما قد فعلوه من ذلك ويزعم أني لم أحضر.

(**وإنما الشورى**): المشاورة في الأمر، وهي فُعلى بضم الشين.

---

(١) في (ب): وتقديره.
(٢) في (ب): قبل.

(**للمهاجرين والأنصار**): تعريض بحال معاوية، يريد أن المشاورة في هذا الأمر، وعقد الإمامة إنما يكون لرجال أهل الدين من المهاجرين والأنصار الذي تبوأوا الدار والإيمان دونك، فليس لك فيها ورد ولا صدر، ولا أنت ممن يستشار في هذا الأمر، وإنما الحكم والأمر لهم.

(**فإن اجتمعوا على رجل**): ورأوه صالحاً لهذا الشأن وعقدوا له ورضوه.

(**وسموه إماماً**): وقالوا: هذا إمام المسلمين وأميرهم.

(**كان ذلك لله رضاً**): لأن «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»، وبعد إجماعهم عليه فهو الحق الذي لا يُعْدَلُ عنه، إذ لا يجتمعون على ضلالة.

(**فإن خرج من أمرهم خارج**): يريد مما أجمعوا عليه هاهنا.

(**بطعن**): في الإمام على غير بصيرة وحق.

(**أو بدعة**): فسق وتمرد.

(**ردوه**): بالمراجعة والمناظرة و إيضاح الخطأ لماهو عليه.

(**إلى ما خرج منه**): وهو إمامة الإمام المجمع على إمامته.

(**فإن أبى**): إلا الفسق والتمرد والطعن

(**قاتلوه**): حاربوه.

(**على اتباع**[1] **غير سبيل المؤمنين**): على فسقه وخرقه للإجماع، وخروجه عمَّا عليه المسلمون.

(**وولاَّه الله ما تولَّى**): من عذابه ونكاله في الآخرة لأجل فسقه، وهذا كله تعريض بحال معاوية، وتحذير له عن البغي والتمرد والمخالفة للحق، وإيضاح للأمر[2] له.

(**ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك**): العمر قسم قد مرَّ تفسيره، لئن كان نظرك عن عقل وبصيرة وتروي في الحق واتباع له وانقياد لأمره.

(**دون هواك**): يريد ولم تحكِّم هواك ولم تكن سِيْقَةً له.

(**لتجدنّي أبرأ الناس من دم عثمان**): لأنه لم يكن تعويلة ولا ديدنه الذي يصول به إلا أنه ثائر بدم عثمان، فلهذا كان سبباً للخروج والبغي على أمير المؤمنين.

(**ولتعلمن أني كنت في عزلة منه**[3]): جانب ومعزل لا علقة لي به، وكيف يظن بمثلي أن يكون من جهتي أمر يكون فيه إهدار دم رجل من أفناء المسلمين فضلاً عن دم عثمان كلا وحاشى!.

(**إلا أن تتجنى**): تتجرَّم عليَّ بجرم لم أجترمه، وهذا الاستثناء يكون منقطعاً لعدم اتصاله بما قبله، وفي المثل: أجناؤها أبناؤها[4]، أي الذين جنوا على هذه الدار بالخراب والهدم هم الذين كانوا بنوها،

(١) في (ب) وفي شرح النهج: على اتباعه.
(٢) في (ب): الأمر.
(٣) في شرح النهج: عنه.
(٤) المثل في لسان العرب ٥١٩/١: أبناؤها أجناؤها. (انظر الأقوال الواردة في شرحه هناك).

وهذا المثل خارج عن القياس لأن فاعل لا يجمع على أفعال، ولعل المثل: جناتها بُناتُها، فإن كان هذا فالمثل مستقيم، وإن كان على الرواية الأولى فقد يغتفر في الأمثال ما لا يغتفر في غيرها من الخروج عن القياس.

(**فتجنَّ ما بدا لك!**): ما هذه يحتمل أن تكون موصولة، أي فتجرَّم الذي تحبّ وتريده، ويحتمل أن تكون نكرة موصوفة، وتقديره: فتجرَّم شيئاً ظهر لك.

(٧) ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً

(أما بعد، فقد أتتني منك موعظة موصّلة): يريد موعظة طويلة يتصل بعضها ببعض لطولها.

(ورسالة مُحبّرة): تحبير الكلام: تزيينه وتحسينه.

(نمّقتها بضلالك): التنميق: التزيين أيضاً، قال النابغة:

كأن مجر الرامسات ذيولها
عليه[١] قضيم نمّقته الصوانع[٢]

وأراد زينتها بما أودعتها من المكر والخديعة بزعمك.

(وأمضيتها بسوء رأيك): وجعلتها ماضية فيما دلت عليه من المخالفة، والخروج عن الحق بالرأي السوء، المخالف للدين، والناكب عن طريقه.

(وكتاب امرئ): أي وكتابك كتاب امرئ.

(ليس له بصر يهديه): بصيرة ترشده إلى الحق.

(ولا قائد يرشده): يأخذه[٣] بزمامه إلى طريق الرشاد.

---

(١) في (ب): عليها.

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وانظر لسان العرب ٧٢٣/٣، والرامسات: الطير التي تطير بالليل أو كل دابة تخرج بالليل، والقضيم: الجلد الأبيض يكتب فيه. (انظر القاموس المحيط).

(٣) في (ب): يأخذ.

(قد دعاه الهوى فأجابه): أراد أن هواه صار مالكاً له، يصرّفه كيف شاء فلا حيلة له معه.

(وقاده الضلال فاتّبعه): يريد وضلاله عن الحق هو القائد له، ومن كان مقوداً بزمامه في يد غيره فلا ملك له في نفسه، ومن كانت هذه حالته ملكه الشيطان واستولى عليه.

(فهجر لاغطاً): الهجر: الهذيان، واللغط: الأصوات الكثيرة واللجبة[١].

(وضلَّ خابطاً): وضلَّ عن الطريق يخبط على غير جهة مستقيمة، كمن تخبط من غير هداية ولا إرشاد، وانتصاب لاغطاً وخابطاً على الحال من الضمير في الجملة قبلها، وهي حال مؤكدة؛ لأنها معطية فائدة الجملة قبلها، كهي في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾[البقرة:٩١].

ثم خرج إلى ذكر البيعة بقوله:

(لأنها بيعة): أراد ليست من عقود المعاوضات، وإنما نكّرها مبالغة في عظم شأنها، أي بيعة وأي بيعة لما ينشأ عنها من الأمور المهمة، ويتفرع[٢] عليها من الفوائد الدينية.

(واحدة): لا يكون فيها تكرير.

سؤال؛ التاء في بيعة دالة على الوحدة، فلِمَ أردفه بقوله: واحدة؟

وجوابه؛ هو أن دلالة التاء على الوحدة ليس أمراً قاطعاً، ولهذا فإنها قد ترد والغرض فيها الجنس لا الوحدة كالزلزلة، فلهذا وصفها بالوحدة رفعاً

---

(١) اللجب محركة: الجلبة والصياح واضطراب أمواج البحر. (القاموس المحيط ص١٧١).

(٢) في (ب): ويتفرغ.

لهذا الوهم، وإزالة له، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[الحاقة:١٣].

(لا يُثنّى فيها النظر): يرجع إليه مرة بعد مرة.

(ولا يستأنف فيها الخيار): ولا يبتدأ فيها خيار لمن بلغته.

(الخارج عنها[1]): بالرد لها، والتكذيب.

(طاعن): أي ذو طعن على المسلمين، ومريد لتفريق كلمتهم، وتبديد شملهم.

(والمروّي فيها): والمتفكر فيها بعد جريان العقد لصاحبها، وانبرام الأمر له من جهة أهل الدين.

(مداهن): المداهنة: المصانعة.

وأقول: إن هذا هو غاية النصح والرشد لمعاوية لو قَبِلَهُ.

---

(١) في شرح النهج: منها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٨) ومن كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية

(أما بعد، فإن[1] أتاك كتابي): بلغك وقرأته.

(فاحمل معاوية على الفصل): بالصاد المهملة أي على القطع والحتم فيما هو فيه، واالجد الذي لا هوادة له ولا مهازلة[2] فيه.

(وخذه): عامله، من قولهم: فلان يأخذ اليهود بالصَّغار أي يعاملهم.

(بالأمر الجزم[3]): فيما يجري بينكما من المحاورة بالأمر بالجزم، يروى بالجيم، أي بالأمر المقطوع به، ويروى[4] بالحاء أي ضبط الأمر وشده[5]، وأراد أنه إذا فعل ذلك فلعله يَسْلَمُ من مكر معاوية وخدعه، ولعل أمير المؤمنين أراد ذلك؛ لأنه إذا عامله معاملة الجد لم يجد سبيلاً إلى الخديعة.

(ثم خيّره): بعد فعلك ما أمرتك به من الجزم[6].

---

(١) في شرح النهج: فإذا.

(٢) في (ب): ولا مهلة له فيه.

(٣) في (ب): الحزم.

(٤) في (ب): وروي.

(٥) في نسخة أخرى: وشدته.

(٦) في (ب): الحزم.

(بين حرب مجلية): أراد إما أنها تجلي القوم عن أوطانهم أي تخرجهم عنها، وإما ينفرجون[1] بسببها أي يتفرقون، من قولهم: أجلوا عن القتيل إذا تفرقوا عنه[2].

(أو سلم مخزية): أو وضع الحرب على الخزي والذلة.

سؤال؛ قد فهمنا أن الحرب يصاحبها الجلاء والتفرق، فكيف قال: أو سلم مخزية، والسلم مسالمة ومصالحة فمن أين يلزمها الخزي؟

وجوابه؛ هو أن أمير المؤمنين لو سالمه ووضع الحرب عنه، لم يكن ذلك إلا على ما يُهينه ويُذِلُّه ويسقط حاله وقدره، وهو ألاّ يكون له أمر ولا حلٌّ ولا عقد، ولهذا قال: أو سلم مخزية، يشير إلى ما ذكرناه.

(فإن اختار الحرب فانبذ إليه): العهد الذي جرى بيننا وبينه، وأظهر أنه لا مصالحة واقعة الآن.

(وإن اختار السلم): وضع الحرب بيننا وبينه.

(فخذ بيعته): على السمع والطاعة والانقياد لأمر الله، والاحتكام لي من غير مخالفة منه.

(والسلام): أراد والسلام على من اتبع الهدى، أو والسلام منّا على أهله، والسلام هو تحية من عند الله، ومعناه السلامة[3] جارية عليك أيها المخاطب، ولم يفعل ذلك في أوائل كتبه إلى معاوية وغيره ممن يخالفه ويضاد أمره؛ لأن من هذه حاله فليس أهلاً للسلامة من الله تعالى.

(١) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: ينجلون بسببها.
(٢) في مختار الصحاح ص١٠٨: وأجْلَوْا عن القتيل لا غير أي انفرجوا.
(٣) في (ب): السلام.

(٩) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

(فأراد قومنا): سائر بطون قريش ما خلا بني هاشم.

(قتل نبينا): إهدار دمه بغياً وحسداً.

واعلم: أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد هُمَّ بالفتك في روحه في مواطن أربعة من قريش وغيرهم:

أولها: ما كان من قريش حين اقتعدوا له يريدون قتله على بابه، فجاءه جبريل فأخبره بمقامهم، وأنزل عليه صدر سورة يس، فخرج يقرؤها وحثا التراب على رؤوسهم[1].

وثانيها: ما كان من اشتوارهم في أمره في دارالندوة، وإجماعهم على الرأي الذي جاء به إبليس، وهو أن يجتمع فتيان من قريش، من كل قبيلة واحد فيضربونه ضربة ضربة[2] فيتفرق دمه في قبائل قريش، فلا يطالب به أحد[3].

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/٩٦-٩٧ تحقيق عمر محمد عبد الخالق.
(٢) في نسخة أخرى: ضربة واحدة، وظنن في (ب) فكتب فوقها: ظ: ضربة واحدة.
(٣) في المصابيح لأبي العباس الحسني ص٢٢٥ ما لفظه: قال ابن إسحاق: حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنهم غدوا إليها -أي دار الندوة، دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها -في اليوم الذي اتعدوا له، فاعترضهم إبليس فقال قائل منهم: احبسوه في الحديد يعنون النبي (صلى الله عليه وآله)، وأغلقوا عليه باباً، فقال إبليس: لا والله ما هذا برأي =

وثالثها: ما كان من عمرو بن جحاش وقد قعد رسول الله تحت جدار، فأراد أن يلقي عليه صخرة من فوق[1]، فجاءه جبريل فأقامه من تحت ذلك الجدار[2].

ورابعها: هو أن رجلاً استلَّ سيف الرسول فلما صار في يده هَمَّ بقتله، وقال: من يمنعني منك؟ فقال: «الله» ثم نزلت الآية: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا...**﴾الآية[المائدة:١١][3].

(واجتياح أصلنا): اجتاحه إذا استأصله، يريد بني هاشم، فإن سائر بطون قريش وأحلافها نصبوا لهم العداوة العظيمة بسبب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

(وهموا بنا): أي قصدوا.

لئن حبستموه ليرقينَّ أمره إلى أصحابه، وفي نسخة: ليرجعن، فلأوشك أن يثبوا عليكم فينتزعونه من أيديكم.

فقال قائل: ننفيه من بلدنا، فلا نبالي أين يذهب.

قال إبليس: ما هذا لكم برأي، ولو فعلتم ما أمنت أن يحل على حي فيبايعونه فيسير إليكم بهم.

فقال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة شاباً نسيباً ثم يعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يضربوه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فيتفرق دمه في القبائل.

فقال إبليس: القول ما قال هذا الرجل، فتفرقوا على ذلك، فأتى جبريل رسول الله فقال له: ((لا تبت هذه الليلة على فراشك)).

(١) في (ب): من فوقه.

(٢) في الكشاف للزمخشري ٦٤٨/١ ما لفظه: وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتى بني قريظة يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين، فقالوا: نعم، يا أبا القاسم، اجلس حتى نطعمك ونقرضك، فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به، وعمد عمرو بن جحاش إلى رحا عظيمة يطرحها عليه، فأمسك الله يده، ونزل جبريل فأخبره، فخرج.

(٣) في المصدر السابق أيضاً ٦٤٨/١ ما لفظه: نزل منزلاً وتفرق الناس في العضاة يستظلون بها، فعلق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي فسلّ سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أقبل عليه فقال: من يمنعك مني؟ قال: ((الله)) قالها ثلاثا.

(الهموم): أراد إما إنزال الهموم بنا والغموم من جهتهم، وإما يريد وقصدوا بنا فعل كل ما يهم في نفوسهم، ويخطر على قلوبهم من الأفعال الرديَّة.

(وفعلوا بنا الأفاعيل): أراد إما الأفاعيل القبيحة، وإما الأفاعيل ذات الألوان في القبح والشناعة.

(ومنعونا العذاب[1]): أراد العيش الطيب، يشير بهذا إلى ما كان من حديث الصحيفة، وهو أن قريشاً تعاقدوا حلفاً على إخراج بني هاشم إلى الشعب، وهو مكان من أودية مكة، فاحتلفوا أن لا يصلهم أحد بطعام ولا شراب، وكتبوا بينهم صحيفة متضمنة لما ذكرناه، ثم وضعوها في الكعبة، والكاتب لها منصور بن عكرمة، ثم استمر الأمر في ذلك حتى قام في نقضها جماعة من قريش، فجاءوا وإذا الصحيفة قد أكلتها الأرضة، ومنصور هذا شلت أنامله[2].

(وأجلسونا[3] الخوف): أي مجالس الخوف، وهذا من باب الإسناد المجازي كقولك: فلان بحر، وتعليقها[4] الأسراج والألجام.

(واضطرونا إلى جبل وعر): أراد إما الحقيقة وهو ما كان من حديث الشعب، وإما أن يريد المجاز أي إلى الأمر الصعب الشديد.

---

(١) في (ب): الغذاء، وفي شرح النهج: العَذْب.

(٢) في (ب): قد سلت أنامله، وعن حديث تحالف قريش على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى بني هاشم وكتبهم لصحيفة المقاطعة وما كان منهم من حصار بني هاشم في شعب مكة، وقيام جماعة من قريش في نقض الصحيفة انظر ذلك كله بالتفصيل في شرح ابن أبي الحديد١٤/٥٢-٦١.

(٣) في شرح النهج: وأحلسونا الخوف بالحاء المهملة أي ألزموناه.

(٤) في (ب): ويعلقها.

(وأوقدوا لنا نار الحرب): أي ورمونا عن قوس واحدة بالحرب، واجتمعت آرائهم عليه حتى مابقي منهم بطن واحد إلا وهو محارب لنا، وناصب للعداوة من أجلنا.

(فعزم الله لنا): أي أراد لنا وقطع على ذلك، من قولهم: عزمت على الشيء إذا قطعت عليه، قال الله تعالى: ﴿**فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾[طه:١١٥] أي قطعاًعلى ذلك.

(على الذب عن حوزته): المنع عن حوزة الإسلام، وهي: بيضته.

(والرمي من وراء حرمته[1]**)**: الحرمة: ما يمنعه ويكون العار عليه باجتياحه وأخذه من مال أو حريم أو غيرذلك، وأراد بالرمي إما حقيقته وهي المحاماة[2] بالنبال، وإما أن يريد بالرمي الدفع، والضميران في الحوزة والحرمة إما لله تعالى، وإما لرسوله.

(مؤمننا[3] **يبتغي بذلك الأجر)**: يشير إلى نفسه، وإلى من آمن في ذلك اليوم من بني هاشم، فإن دفاعه إنما كان من أجل الله تعالى، وطلباً لما عنده من مذخور الأجر.

(وكافرنا يحامي على[4] **الأصل)**: أراد من كفر[5] من بني هاشم نحو حمزة والعباس وأبو طالب وغير هؤلاء، ممن كان كافراً في ذلك اليوم،

---

(١) في شرح النهج: حومته.

(٢) في (ب): المحامات.

(٣) في (أ): مؤمناً، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(٤) في شرح النهج: عن، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٥) في (ب)، ونسخة أخرى: من كفار.

فإنه لا غرض له بالدفاع[1] إلا محاماة على الأصل والجرثومة أن تضيع أو ينهدم أصل من أصولها، وتزول قاعدة من قواعدها، ونذكر من ذلك أموراً ثلاثة:

أولها: ما كان من عناية أبي طالب في حق الرسول، وكان كافراً مظهراً للكفر وعبادة الوثن، وما كان من حديث قريش إليه من أنه يسلّم إليهم الرسول يفعلون به ما شاءوا ويعطونه عمارة، فأبى عن ذلك، وشرح الله صدره، وقال: أعطيكم ابن أخي تقتلونه، وتعطونني صاحبكم أكفله وأربيه، ماهذا إلا الرأي السوء[2].

وثانيها: ما كان من حديث حمزة لما نال أبو جهل بن هشام من عرض رسول الله بالسبِّ والأذية، فبلغه ذلك، وكان يصطاد على يد امرأة، وقالت له: لقد نال أبو الحكم من ابن أخيك نيلاً عظيماً، فدخل مغضباً، فلما رآه في فناء الكعبة علاه بقوسه فشجَّه شجَّةً منكرة، فتواثب الناس، فقال أبو جهل: إنه معذور، إني نلت من عرض ابن أخيه، وكان ذلك سبباً في إسلام حمزة[3].

وثالثها: ما كان من حديث العباس واجتهاده في أمر رسول الله في بيعة العقبة، ومبايعته للأنصار[4]، وهو باقٍ على الشرك و الكفر، ووصيته لهم

---

(١) في (ب): في الدفاع.

(٢) في نسخة أخرى: إلا رأي السوء، وانظر السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٦٦-٢٦٧ تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

(٣) انظر المصدر السابق ١/٢٩١-٢٩٢، وانظر تيسير المطالب في أمالي أبي طالب ص٢٢٦-٢٢٨ برقم(١٨٧).

(٤) في (ب): ومبايعة الأنصار.

في حقه والحثُّ لهم على منعه، والتأكد عليهم في ذلك[1]، فكل بني هاشم كان حريصاً على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أن تجرى عليه نكبة، أو يضام بضيم.

(ومن أسلم من قريش خِلوٌ عما نحن فيه): أي والذين أسلموا من سائر بطون قريش خالين عن مثل هذه العناية، وهذا الاجتهاد والخوف والبلاء والتمحيص، وإنما خصَّ المسلمين من قريش لأنهم ربما تلحقهم أنفة الإسلام، فإذا كانوا خالين عن ذلك، فالكفار أعظم خلواً وأبعد عن ذلك، فلا ناقة لهم في هذا ولا جمل.

(بحلف[2] يمنعه): كما كان من حديث أبي بكر فإنه كان جاراً لابن الدُّغُنَّة، وما أمكنه المقام في مكة إلا بجواره، وهو حليف لقريش[3]، وأما عثمان بن مظعون فإنه استجار بالوليد بن المغيرة، ثم أبو سلمة بن عبد الأسد[4] كان في جيار[5] أبي طالب إلى غير ذلك[6]، ممن كان مستضعفاً فاستجار[7].

(١) حديث العباس بن عبد المطلب للأنصار عند بيعة العقبة نصه: (يا معشر الخزرج، إن محمداً منّا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده). (انظر سيرة ابن هشام١/٤٤١-٤٤٢).

(٢) في نسخة: لحلف (هامش في ب).

(٣) انظر قصة دخول أبي بكر في جوار ابن الدُّغُنَّة سيرة ابن هشام ١/٣٧٢-٣٧٤.

(٤) في (ب): الأشد، وهو تصحيف.

(٥) كتب فوقها في (ب): جوار، ولعلها حياز بالحاء.

(٦) انظر المصدر السابق ١/٣٦٩-٣٧٢.

(٧) في نسخة: استجاره.

(أو عشيرة تقوم دونه): كما كان في حق الرسول فإن بني هاشم منعوه عن أن يسام خسفاً أو يحمل ضيماً.

وحكى ابن هشام في سيرته: أن ناساً من أسنان قريش ورؤسائها[1] منهم أبو سفيان واسمه صخر، وأبو جهل بن هشام، وأبو البختري بن هشام، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، مشوا إلى أبي طالب وقالوا له: إن ابن أخيك هذا سفه أحلامنا وعاب آلهتنا، فإما أن تكفّه عنّا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فقال أبو طالب لرسول الله: يا ابن أخي، إن قومك جاءوني فقالوا هذه المقالة فَأَبقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلني ما لا أطيق من الأمر، فظنَّ رسول الله أن عمه قد بدا له في نصره وأنه مُسلّمه إليهم، وأنه قد ضعف عن[2] نصرته، فأقبل الرسول على عمه وقال: «والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى أظهره أو أهلك فيه ما تركته» ثم استعبر رسول الله فبكى، ثم قام، فلما ولى ناداه عمه أبو طالب فقال له: أقبل يا ابن أخي فأقبل، ثم قال: إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً[3].

وهكذا ما كان من عثمان وعمر، فإن بني عبد شمس وبني عدي كانوا يمنعونهما عن[4] أن يجري عليهما نقص، فمن عدانا

(١) في (ب): ورؤسائهم.

(٢) في (ب): في.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٦٤-٢٦٦، وانظر الرواية في المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني ص١٨٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١٤/٥٣-٥٤.

(٤) عن، سقط من (ب).

من سائر بطون قريش:

(فهو من القتل بمكان أمن): إذ لا غرض لهم في قتلهم[1]، وما تصدوا بالقتل والعداوة البالغة إلا لنا يا بني هاشم.

(فكان رسول الله [صلى الله عليه وآله] [2] إذا احمرَّ البأس): يريد اشتدَّ الحرب وقامت على ساق.

(وأحجم الناس): عن التقدم في القتال لشدة الأمر وصعوبة الحال.

(قدَّم أهل بيته): من يليه من أقاربه وبني عمه وخاصته.

(فوقى بهم أصحابه): تمحيصاً لأهله ومبالغة في زيادة أجورهم، ورفع درجاتهم، واجتهاداً في صيانة أصحابه فلهذا وقاهم به.

(حرَّ السيوف والأسنة): إكراماً لأهله بالشهادة، وإعظاماً لأمر أصحابه.

(فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر): يريد ابن عبد المطلب، وكان الحارث أكبر أولاد عبد المطلب، وكانوا عشرة[3]، قتل يوم بدر عن مبارزة لبعض المشركين[4].

(وقتل حمزة يوم أحد): قتله وحشي[5].

---

(١) في (ب): قتله.

(٢) زيادة في (ب) و في شرح النهج.

(٣) أي من الذكور، وهم: عبد الله، وأبو طالب، والعباس، وحمزة، والزبير، والحارث، وحجلا، والمقوم، وضرار، وأبو لهب. (انظر سيرة ابن هشام١/٧٥).

(٤) انظر المصدر السابق ٢/٢١٤.

(٥) انظر المصدر السابق ٣/٢٤-٢٦.

(وقتل جعفر يوم مؤتة): وكان معه الراية فقطعت يداه، ثم قطع بنصفين[1].

(وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة): يشير إلى نفسه؛ لأنه قد كان محباً في حصول الشهادة في تلك الأيام، ولكن الرسول (عليه السلام) أخبره أنه يستشهد من بعد، فقرَّ خاطره بذلك.

(ولكن آجالهم عجلت): فأزهقت أرواحهم إلى الجنة.

(ومنيته أخرت): لم تحضر، أجلها إلى وقت آخر.

(فيا عجبا للدهر!): أراد يا عجباه أو يا عجبي، أبدلت الياء ألفاً، من أجل صنع الدهر هذا الصنع.

(إذ صرت يقرن بي): العامل في إذ هاهنا هو المصدر، وهو قوله: فيا عجباً لأنه نازل منزلة الفعل وعوض عنه، ولهذا فإنه لا يجوز ذكره معه، أي وقت أن صرت أقرن إلى غيري وأكون مثلاً له، لئن معاوية ربما جرى في كلامه حال عثمان وغيره من الخلفاء قبله، وذكر مناقبهم وتفضيلهم على أمير المؤمنين، فلهذا قال: كيف يقرن بي، ويُفَضَّلُ عليَّ.

(من لم يسع[2] بقدمي): في الفضل وإحرازي لقصب[3] السبق دون غيري في العلوم وسائر خصال الفضائل.

---

(١) انظر المصدر السابق ٤/٩.

(٢) في (أ): يسمع، وفي (ب) وشرح النهج كما أثبته.

(٣) في (ب): لقصبه، وكذا في نسخة أخرى.

(ولم تكن له كسابقتي): من القرب إلى رسول الله، وجهاد أعدائه، واستئصال شأفتهم، وقطع دابرهم.

(التي لا يدلي أحد بمثلها): فمن يزاحمني في هذه الدرجة؟! أو فمن ترمز إليه يا معاوية بزعمك، وتدَّعي أنه أفضل مني؟!.

(إلا أن يدَّعي مدَّعي[1] ما لا أعرفه): مما ذكرت اختصاصي به دونه.

(ولا أظن الله يعرفه): وأراد أنه قاطع على أنه لم يكن وأن مدّعيه كاذب فيما ادَّعاه من ذلك؛ لأنه لو كان يعلمه، لعلمه الله تعالى[2] فإن علمه محيط بكل المعلومات، وعدة من قتله أمير المؤمنين كرم الله وجهه من بني أمية خمسة نفر:

العاص بن سعيد، وعقبة بن أبي معيط، وحنظلة بن أبي سفيان، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

ومن حلفائهم: عامر بن عبدالله من بني أنمار، ومن بني أسد أربعة نفر: نوفل بن خويلد، وزمعة بن الأسود، [والحرث بن الأسود][3]، وعقيل بن الأسود بن المطلب، وقتل من بني نوفل: طعيمة بن عدي.

ومن بني عبد الدار: النضر بن الحرث، [وطعيمة بن الحرث][4].

ومن بني تيم[5] بن مرة: عمير بن عثمان، ومن بني مخزوم:

(١) في (ب) وفي شرح النهج: مدعٍ.

(٢) تعالى، زيادة في (ب).

(٣) سقط من (ب). والصواب: الحرث بن زمعة بن الأسود.

(٤) في (ب): والحرث بن الأسود.

(٥) في (ب): ومن بني تميم.

أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، ومسعود بن لعبة[1].

وأبو قيس[2] وحذيفة بن أبي حذيفة [و][3] من بني عائذ أبو المنذر المخزومي، وعبد الله بن المنذر، والحاجب بن السائب.

ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج، والعاص بن منبه، وأبو العاص بن قيس.

ومن بني عامر: سعيد بن وهب[4].

ومن بني جمح[5]: أوس[6] بن سعيد[7].

فانظر إلى ما خصَّه الله به من إظهار الدين على يديه بقتل أعدائه قبل النبوة وبعدها.

(فالحمدلله[8] على كل حال): من نقص حق أو إيفائه أو اعتراف به أو إنكاره، أو إقراركم بفضلي أو جحوده، فالله تعالى مشكور على كل هذه الأحوال.

(١) هكذا في النسختين، ولعل الصواب: مسعود بن أبي أمية بن المغيرة. (انظر سيرة ابن هشام، وشرح ابن أبي الحديد).

(٢) وهو أبو قيس بن الوليد بن المغيرة.

(٣) الواو، سقط من (ب).

(٤) في سيرة ابن هشام، وشرح ابن أبي الحديد: معبد بن وهب.

(٥) في (ب): جميح.

(٦) هكذا في النسختين، وفي سيرة ابن هشام٢/٣٦١: أوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح، وفي شرح ابن أبي الحديد ١٤/٢١٢: أوس بن المغيرة بن لوذان.

(٧) انظر سيرة ابن هشام ٢/٣٥٥-٣٦٢، وشرح ابن أبي الحديد ١٤/٢٠٨-٢١٢.

(٨) في (ب) وفي شرح النهج: والحمدلله.

(**وأما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك**): اعلم أن معاوية بخدعه ومكره ما وجد ما يعتلُّ على أمير المؤمنين في البغي عليه إلا ثأره بدم عثمان، وتسليم قاتليه إليه يتحكم فيهم كيف شاء[1]، خدعاً ومكراً، وإراءة لطلب الحق، وهو عنه بمعزل.

(**فإني نظرت في هذا الأمر**): يشير إلى إمامته وقتلة عثمان، وطلب معاوية لتسليمهم.

(**فلم أره يسعني**): عند الله تعالى من جهة الدين.

(**دفعهم إليك**): كما زعمت، ولا إلى غيرك، أما إليك فلأمرين:

أما أولاً: فلعل أمير المؤمنين كان لا يعلمهم بأعيانهم لأنه قتله من لا يؤبه له، ولا هو أهل للذكر من أوباش الناس وأخلاطهم.

وأما ثانياً: فلأنك لست بولي لدم عثمان فيجب الدفع إليك، والمطالبة بالدم إنما تكون في حق الأولياء والأقارب على جهة الاختصاص، وأما غيرك فلا يتوجه ذلك أيضاً لأمرين:

أما أولاً: فلأنهم وإن كانوا أقرباء فلعلهم لم يطالبوا أمير المؤمنين بالتسليم، ولو قدَّرت أنه عرفهم بإقرار أو بيِّنة، فإنه لا يجب تسليمهم إلا عند المطالبة من جهة الأولياء لا غير.

وأما ثانياً: فلأن بعض أولياء الدم كانوا في غاية النكوص والإدبار عن أمير المؤمنين، والبعد عن إمامته، والقول بها، ولابد في ذلك من حكمه،

(١) في (أ): شاءوا.

وإصداره عن رأيه، وإذا كان لايقول بإمامته فلا وجه لوجوب القول بتسليمهم إليهم والحال هذه، فهذا وجه المعذرة لأمير المؤمنين عن تسليمهم، وإبطال دعوى معاوية الفاسدة.

(**ولعمري لئن لم تنزع عن[1] غيك**): تهدد وإرعاد بالفيء إلى الحق، والانكفاف عن القول الخطأ والمكابرة.

(**وشقاقك**): تمردك وعنادك، وطلبك ما ليس لك أن تطلبه.

(**لتعرفنهم عن قليل**): يريد قتلة عثمان، تعرفهم على القرب:

(**يطلبونك، لا يكلفونك[2] طلبهم**): يبحثون عنك أشد البحث من غير حاجة لك إلى طلبهم كما زعمت.

(**في بر ولا بحر، ولا جبل ولا سهل**): ولعل مراد أمير المؤمنين بطلبهم لمعاوية على أحد وجهين:

أما أولاً: فبأن يكونوا في معسكر أمير المؤمنين طالبين لمعاوية لفسقه وبغيه.

وأما ثانياً: فبأن يأمرهم على الخصوص بطلب معاوية، وإحضاره لفصل الخصومة فيما بينهم، وقطع الشجار.

(**إلا أنه طلب يسوءك وجدانه**): وجوده وحصوله، أما على الوجه الأول فلأنه طلب لإزهاق روحه، وأما على الوجه الثاني فلأنه طلب لإنصاف الحق منه، وكلاهما طلب لا يسره.

(١) في نسخة: من، هامش في (ب).
(٢) في (ب): ولا يكلفونك.

(وزَوْرٌ لا يسرك لقيانه): مكان زور أي بعيد، وأراد أنه لا يسره لما فيه من إيحار صدره، وضنكه عليه.

(والسلام لأهله): أراد عدم استحقاقه للسلام، وبطلان أهليته له، فلهذا قال: والسلام لأهله من الملائكة والصالحين، ثم أخَّره إلى آخر الكتاب، يريد بذلك التنبيه على ركة حاله، وأنه ليس أهلاً لشيء من ذلك.

(١٠) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً

(وكيف أنت صانع إذا انكشفت[1] عنك جلابيب ما أنت عليه): الجلباب: الملحفة من الثياب، وهذا استفهام وارد على جهة الإنكار، والمعنى ليت شعري ما حالك عند انكشاف هذه الجلابيب عنك عند الموت، أو في يوم القيامة التي أنت لابس لها، والتي أنت مقيم عليها.

(من دنيا قد تَبَهَّجَتْ بزينتها): البهجة: الحسن والنضارة، ومن هذه مفسرة لإبهام قوله: ما أنت عليه.

(وخدعت بلذتها): يريد آثروا لذتها، فكان سبب الخدع بهم من جهتها.

(دعتك): بزخرفها وزهرتها.

(فأجبتها): مسارعاً في تحصيلها، ومنهمكاً في لذاتها.

(وقادتك): جذبتك بزمامك.

(فاتبعتها): من غير مخالفة لها، ولا اعتياص[2] منك لها.

(وأمرتك): بمراداتها وشهواتها ولذاتها.

(فأطعتها): في ذلك كله.

---

(١) في شرح النهج: تكشفت.

(٢) في (ب): ولا اعتراض.

سؤال؛ أراه أطلق الخطاب في الابتهاج والخدع، ولم يظهر فيه الكاف، ثم أظهرها بعد ذلك في سائر الأفعال؟

وجوابه؛ هو أن الابتهاج والخدع عام في جميع أبناء الدنيا، لا يختص به واحد دون واحد، فلهذا أطلقه لعمومه، فأما الدعاء والانقياد والأمر فربما يختص به بعض الأشخاص بكثرة المثابرة عليها، والتعلق بها، وكثرة الانهماك في حبها والإصغاء إليها، فمن أجل هذا وصل به الكاف.

(وإنه يوشك): أي يقرب.

(أن يقفك واقف): أراد إما الله يقفه عند الموت على حقائق أعماله، وأسرارها وخفاياها، وإما أن يريد نفسه بأن يقفه في الحرب، ويلجيه إلى مضائق صعبة، وأمور هائلة.

(على ما لا ينجيك منه منجي[1]): لا خلاص لك عن أحد الأمرين اللذين ذكرناهما، ولا ينفعه[2] عنهما نافع.

(فاقعس عن هذا الأمر): اخرج، من قولهم: تقعوس الرجل عن الأمر إذا ظهر منه، وغرضه أنه لا حق لك فيه بزعمك ولا ولاية لك عليه في حال، وأراد الخلافة فإنه أخذها من غير أهلية، وطلبها من غير استحقاق.

(وخذ أهبة الحساب): لعدته في الآخرة، فإنك لا محالة مسئول عن أمورك كلها، وإقدامك فيها وإحجامك.

(١) في (ب) وفي شرح النهج: منج.
(٢) في نسخة: ولا ينفعك. (هامش في ب).

(وشمّر لما قد نزل بك): من جلائل الأمور، وعظائمها بقطع الدابر بالحرب[1] واستئصال شأفتك.

(ولا تمكّن الغواة من سمعك): فيولجوا فيه العُجْبَ، فيكون سبباً في هلاكك في الدين والدنيا، وغرضه الإصغاء إلى مقالات الناس، وفتح أذنه لسماع كلامهم.

(وإلاّ تفعل): إما خروجك عن الأمر[2]، وإما تمكين الغواة من سمعك.

(أعلمك، ما أغفلت عن[3] نفسك): من أمر الآخرة ونسيانك الوقوف بين يدي الله للمحاسبة على القليل والكثير.

(فإنك مترف): أراد كثير التنعم وإيثار اللذة العاجلة، فلهذا أطغتك النعمة إلى الأشر والبطر والورود في كل مكروه، وإليه الإشاة بقوله تعالى: ﴿**وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[المؤمنون:٣٣].

(قد أخذ الشيطان منك مأخذه[4]): أي سلك بك[5] طرقه وساربك مواضعه، قال أبو عمرو: ويقال: استعمل فلان على الشام وما إخذه[6].

(١) في (ب): في الحرب.
(٢) في (ب): عن هذا الأمر.
(٣) في (ب) وفي شرح النهج: من.
(٤) في (أ): ما أخذه، وما أثبته من (ب)، ومن نسخة أخرى، ومن شرح النهج.
(٥) في (أ): به.
(٦) هذا القول ذكره في لسان العرب ٢١٨/١، ولم يذكر قائله، ولفظه فيه: واستعمل فلان على الشام وما أخذ إخذه بالكسر أي لم يأخذ ما وجب عليه من حسن السيرة، ولا تقل آخِذه، وقال الفراء: ما والاه وكان في ناحيته. انتهى.

(وبلغ فيك أمله): أي ما كان يؤمِّله فيك ويصدِّق ظنّه عليك، ويحدسه بفراسة رأيه من المساعدة والانقياد لما أراده.

(وجرى فيك[1]): خالطك، وباشرك.

(مجرى الروح والدم): أراد إما مخالطة الروح والدم للجسم؛ فإنهما يجريان فيه جميعاً ويخالطانه معاً، وإما أن يكون غرضه مخالطة الروح مع الدم؛ فإن الروح مخالط للدم غاية المخالطة، حتى لقد قال بعض الناس لما بينهما من المناسبة: إن الروح هو الدم.

بلغ أمير المؤمنين أن معاوية يقول: إنهم الولاة لأمور الناس، وإنهم ساسوا الخلق، وجمعوا أمر قريش وغيرها وسادوهم، فلهذا قال أمير المؤمنين:

(ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية): أراد أعلمني متى كنتم على هذه الحالة، فإني لا أعرف ذلك، ولا يعرفه أحد غيري، والساسة: جمع سائس وهم: الذين يدبرون الأمر، ويحسنون إيالته[2].

(وولاة أمر الأمة): والمتولين بالقيام على أمة[3] محمد ﷺ، والحافظين لحوزة الإسلام، والحامين عن ذِماره[4].

(بغير قدم سابق): يريد رتبة عالية في الذين يستأهلون أخذ الولاية لأجلها.

---

(١) في شرح النهج: منك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٢) الإيالة: السياسة.
(٣) في (ب): على أمر أمة.
(٤) الذمار: ما يحق للإنسان أن يحميه.

(ولا شرف باسق): أي عالي، من قولهم: بسق فلان على قومه أي علاهم، وأراد ولا حصل لكم شرف عالي تستحقون به الولاية، وهي لا تستحق إلا بأحد هذين الأمرين وأنتم خالون عنهما.

(ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء): غلبتها واستحكامها، بدعوى ما ليس حقاً، ولا قام عليه برهان، ولا أوضحته دلالة.

(وأحذرك أن تكون متمادياً في غرة الأمنية): الغرة: الغرور والانخداع، وأراد التحذير عن الاستمرار في غرور الأماني الكاذبة، والتسويفات الباطلة.

(مختلف السر والعلانية[1]): أي وأحذِّرك عن اختلاف السر والعلانية فإن هذه هي علامات أهل النفاق، وفي الحديث: «نهى رسول الله عن ذي الوجهين، وذي اللسانين»؛ لأن من هذه حاله فلا يوثق بكلامه ولا وقع له بحال.

(وقد دعوت إلى الحرب): أسرعت إليها وحشدت جموعك مواظبة عليها، وإذا أردت الإنصاف وركوب غارب التحقق والاعتراف:

(فدع الناس جانباً): أي في جانب ومعزل، وانتصابه على الظرفية أو على الحال من الناس أي منعزلين[2].

(واخرج إليّ): من بين هذه الجموع التي أنت متوسط بينها بالمكر والخديعة.

---

(١) في شرح النهج: مختلف العلانية والسريرة.
(٢) في (ب): معتزلين.

(**وأعفِ الفريقين**): من جانبي وجانبك عن القتل وإهراق[1] الأرواح، وإراقة الدماء وأسكنهم عن ذلك وصنهم:

(**من**[2] **القتال**): الذي قد تأهَّبوا له، وشَمَّروا من أجله.

(**لتعلم**): تعليل للخروج، أي لتكون متحققاً بعد خروجك وشخوصك:

(**أينا المرين على عقله**[3]): المطبوع على قلبه، والرين: الطبع بالغفلة والقسوة، أو المغلوب على عقله من ران على قلبه أي غلب، وهو أن يرين الذنب على القلب فيكون مسوداً.

(**والمغطَّى على بصره**): بحجاب الغفلة وأكنة الفساد والقسوة، وأغشية العناد والشقوة.

(**فأنا أبو حسن**): أراد فأنا أب للولد الذي تعرفون، وقد يعظم الأب باعتبار حال الابن، ويعظم الابن باعتبار حال الأب، وأراد ها هنا عظم حال الأب والابن جميعاً، فيكون مقصود التعريف والإعظام من مجموع الأبوة والبنوة معاً، وأراد بهذا الإيقاظ والتنبيه لمعاوية عن سكرة ضلالته[4]، وغمرة جهالته في تعاطيه ما ليس أهلاً له، وارتقائه مكاناً ليس يناله، ثم أزيدك تعريفاً آخر إن كنت جاهلاً بحالي:

---

(١) في نسخة: وإزهاق، (هامش في ب).

(٢) في (ب): عن.

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: على قلبه.

(٤) في (ب): عن سكره وضلاله.

(**قاتل جدك**): عتبة بن ربيعة، وهو أب هند أم معاوية، وهي الآكلة لكبد حمزة تشفياً عمَّا لحقها من الغيظ بقتل من قتل من أقاربها[1].

(**وخالك**): الوليد بن عتبة.

(**وأخيك**): حنظلة بن أبي سفيان، فهؤلاء وغيرهم من أهل الشرك قتلهم أمير المؤمنين، وكان هو المستولي على قتلهم باتفاق أهل التأريخ وأهل السير، وما شاركه فيهم مشارك إلا على الندرة والقلة[2].

(**شدخاً**): الشدخ: كسر الشيء المجوَّف كالهامة وما شاكلها، وانتصاب شدخاً على المصدرية، وهو في موضع الحال أي قاتل هؤلاء شادخاً لهاماتهم، وكاسراً لها.

(**يوم بدر**): في اليوم العظيم الذي أعزَّنا الله فيه وأذلَّكم، ورفعنا ووضعكم، وشيَّد أمورنا وصغَّركم، وحمى به الحوزة، ودوَّخ من أجله الصناديد منكم والأعزة، وقتل فيه الرؤوس والأكابر، وأورثنا فيه المجد بيلائنا وصبرنا، كابراً عن كابر.

(**وذلك السيف**): الذي شدخت به الهامات من أعزتك وأهل ولايتك ومحبتك.

(**معي**): مصاحباً لي لا يزال، ولا أفارقه أبداً.

(**وبذلك القلب**): الذي لقيتهم به يوم بدر، وكافحتهم بالنصال بحدته[3].

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٤٠ تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

(٢) انظر المصدر السابق ٢/٢٧٨-٢٨٣.

(٣) في (ب): بحديه.

(ألقى عدوي): أنت وغيرك من أعداء الله وأعداء دينه والخارجين عن أمره، والنابذين لطاعته وأمره.

(ما استبدلت[1] ديناً): يخالف التوحيد وما جاء به الرسول إليَّ وأقرَّه في سمعي، ووعته أذناي وقلبي.

(ولا استحدثت نبياً): خلاف من جاء بالرسالة، وعرفت صدقه بالمعجزات الظاهرة عليه.

(وإني لعلى المنهاج): الطريق.

(الذي تركتموه طائعين): يشير بذلك إلى من قتل كافراً من بني عبد شمس مثل عتبة وشيبة ابنا[2] ربيعة وغيرهما من رهطهما، فإنهم ولّوا الإسلام ظهورهم، واختاروا الكفر لأنفسهم، فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا بالقتل، ولعذاب الآخرة أخزى.

(ودخلتم فيه مكرهين): يشير [بذلك][3] إلى من بقي منهم من القتل كأبي سفيان، فإنما دخل مكرهاً يوم الفتح حيث جاء به العباس رديفاً على بغلة رسول الله قد أمَّنه والمهاجرون والأنصار يتبادرون إلى قتله، لولا إجارة العباس له، فأسلم لذلك، وشهد شهادة الحق على جهة الإلجاء والضرورة عن حزِّ الرأس واصطلام[4] المال، فلما رأى ما دخل به رسول الله من العساكر يوم الفتح، التفت إلى العباس وقال: لقد أعطي

---

(١) في (ب): وما استبدلت.

(٢) هكذا في النسخ، بالرفع، فلعله خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هما ابنا ربيعة.

(٣) زيادة في (ب).

(٤) اصطلام المال: استئصاله.

ابن أخيك ملكاً عظيماً، فقال له: ويحك! إنها النبوة[1].

(وزعمت أنك جئت ثائراً بعثمان): الزعم: القول الذي ليس على حقيقة[2] من حاله، فإنه كان كثيراً ما يقول معاوية: ما أريد إلا طلب الثأر بدم عثمان.

(ولقد علمت حيث وقع دم عثمان): يريد من غريمه، وأين صار، ومع من هو، فطلبك لي بدم عثمان مع معرفتك بحاله مكر وخديعة وإظهار لشيء، وباطنك مشتمل على خلافه نفاقاً وتمرداً، والثائر هو: الذي يطلب بالدم.

(فاطلبه من هناك): هنا[3] إشارة إلى الأمكنة، وغرضه من الأمكنة التي يعرفها، ووقوعه فيها.

(إن كنت طالباً): أراد إن كنت طالباً على الحقيقة فاطلبه في موضعه، فإن كنت غير مطالب فلاتخدع نفسك بالأكاذيب في الطلب والطمع في غير مطمع من ذاك.

(فكأني قد رأيتك): فعن قريب وقد أبصرتك.

(تضج من الحرب): الضجيج: رفع الصوت خوفاً وجزعاً.

(إذا عضَّتك): كنى بالعضِّ عن القتل الكثير واجتياح الأموال.

(ضجيج الجمال بالأثقال): مثل صياح الجمال عند حملها ما يثقلها؛

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/٤٠٢-٤٠٤.

(٢) في (ب): الحقيقة.

(٣) في (ب): هذه إشارة.

لأنه إذا كان الأمر كما قلناه ظهرت لها أصوات عظيمة من ثقل ما حمِّلت، وانتصاب ضجيج على المصدرية.

(وكأني بجماعتكم): المجتمعين من أوباش أهل الشام وأجلافهم الذين خدعتهم فانقادوا بزمامك، وزيَّنت لهم الأكاذيب فأحاطوا بك من خلفك وقدامك.

(يدعونني[1] جزعاً من الضرب المتتابع): يشير إلى ما كان من الخديعة من رفع المصاحف لما رأوا الموت عياناً، وبلغت الأرواح منهم التراقي[2]، فلأجل هذا صاحوا خوفاً مما حل بهم من الضرب، المتتابع فيه روايتان:

أحدهما: متتابع أي متدارك بعضه في إثر البعض[3] تابعاً له.

وثانيهما: بالياء بنقطتين من أسفلها، والتتايع: التهافت، وسكران متتايع أي يرمي بنفسه، والريح تتايع بالنفس، قال أبو ذؤيب:

وَمُفْرِهَةٍ عَنْسٍ[4] قَدَرْتُ لِسَاقِها
فخرَّتْ كما ريح تَتَايعُ بالقفل[5]

(١) في شرح النهج: وكأني بجماعتك تدعوني ...إلخ.

(٢) التراقي: العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال. (الكشاف ٤/٦٦٤).

(٣) في (ب): بعض.

(٤) في (ب): عيش، وهو تصحيف، ومفرهة أي خفيفة ونشيطة، والعَنْسُ: الناقة القوية، شبهت بالصخرة لصلابتها.

(٥) لسان العرب ٣٤١/١، ورواية الشطر الثاني فيه:
فخرَّت كما تَتَايَعُ الرِّيحُ بالقَفْلِ
والقفل: ما يبس من الشجر.

(والقضاء الواقع): الحاصل من جهة الله تعالى على أيدي أوليائه من المؤمنين؛ قطعاً لدابر البغاة.

(ومصارع بعد مصارع): أي يصرعون جماعات بعد جماعات، وجيلاً بعد جيل، لا يرفع عنهم السيف، ولا تكفُّ عنهم الرماح.

(إلى كتاب الله[1]): يكون حاكماً بيننا وبينهم خديعة[2] ومكراً من معاوية وعمرو في ذلك لما طاشت حلومهم من إزهاق الأرواح، وأرعدت فرائصهم من أفاعيل الصوارم[3] والرماح، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۝ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[غافر:٨٤-٨٥].

(وهي كافرة): أراد إما كافرة بأنعم الله تعالى في البغي والظهور على إمام الحق، وهذا هو الذي عليه التعويل، فإنه ما عاملهم معاملة الكفار في حال أصلاً، وإنما هم بغاة، وقد صرَّح بذلك غير مرة وفي غير موطن، أو أراد من يعلم من حاله النفاق والكفر بالله لوجه غير البغي.

(جاحدة): للنعم غير وافية بشكرها.

(أو مبايعة): أعطوني أيمانهم وعقودهم على الطاعة لله تعالى[4] ولي.

(حائدة): مائلة عن الحق والطريق الواضح، فأهل الشام على كثرتهم لا يخلون عن الحال التي ذكرها، وقررها هاهنا.

(١) في (ب): إلى كتاب الله تعالى.

(٢) في (ب): خدعاً.

(٣) الصوارم: السيوف القاطعة.

(٤) تعالى، زيادة في (ب).

(١١) ومن وصية له عليه السلام أوصى بها جيشاً له

(فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم عدو[١]**)**: أراد أنكم إذا نزلتم ببعض أعدائكم، وأردتم حصارهم، أو نزل بكم بعض الأعداء يريد حصاركم فالرأي الحزم لكم، والأمر الذي يكون نافعاً لكم حسن التصرف في الحرب والمكيدة.

(فليكن معسكركم في قُبُل الأشراف): أراد أن العساكر تكون قدام الأماكن العالية، والأشراف: جمع شَرَف وهو المكان العالي.

(وأسفاح الأجبال[٢]**)**: سفح الجبل: أسفله، والأجبال: جمع جبل كفرس وأفراس.

(أو أثناء الأنهار): غضونها ومعاطفها، وأراد أن العساكر لا تكون مجتمعة في مكان واحد، وإنما تكون متفرقة في هذه المواضع على اختلافها أعلى وأسفل، ورفع وخفض.

ثم قرر ذلك وأبان وجه المصلحة فيه، بقوله:

(كيما يكون لكم ردءاً): أي عوناً تستظهرون بهم.

(١) في (ب): عدوكم.

(٢) في (ب): الجبال، و في شرح النهج: أو سفاح الجبال.

(ودونكم مَرَدًّا): أي ويردون عليكم من جاءكم يريد القتال، وهؤلاء كلهم عن معظم العسكر وأكثره.

(ولتكن مقاتلتكم): أي قتالكم.

(من وجه أو اثنين): لأن الجموع والعساكر إذا كثرت، وغلبت الحد[١] في الكثرة، كان قتالهم على هذا الوجه أنفع وأوقع من حاله إذا كان من جهة واحدة.

(واجعلوا لكم رقباء): حفاظاً يحفظونكم عن أن تُؤْتَوا على غِرّة أو تخدعون بخديعة لا تشعرون بها.

(في صياصي الجبال): أعاليها.

(ومناكب الهضاب): الهضبة هي: الأكمة المرتفعة، ومناكبها: أعلاها.

ثم ذكر وجه المصلحة في ذلك، بقوله:

(لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن): لأنكم إذا فعلتم ما ذكرته لكم[٢] فلا سبيل للعدو إليكم، لا من مكان تخافون منه هجومه عليكم، ولا من مكان تأمنون فيه على أنفسكم لتحصنكم عنه؛ لأن من فعل هذه الأفعال فقد أحرز نفسه عن مكر العدو في المواضع الآمنة والخائفة.

(واعلموا أن مقدّم[٣] **القوم عيونهم)**: أراد أن مقدمة العساكر بمنزلة

(١) العبارة في (ب): وغلبت الحد الكثرة.

(٢) لكم، سقط من (ب).

(٣) في شرح النهج: مقدمة، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

العيون لها[1] تنظرون ما قدامهم، وهم بمنزلة الأعين لمن يتلوهم من سائر العساكر.

(وعيون المقدمة طلائعهم): أراد والطلائع أيضاً وهم[2]: الفرسان القليلة الذين يطالعون الجيوش نحوهم هم أيضاً، بمنزلة الأعين للمقدمة[3]، وهم العالمون بِكُنْهِ حقائق الجيوش وتفاصيلها ليعلموا[4] ذلك من ورائهم.

(وإياكم والتفرق): عند النزول؛ لأن التفرّق يورث الذلة ويكثر الفشل والدهشة عند إلمام ملمة أو حدوث حادثة.

(فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً): أي مجتمعين.

(وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً): مجتمعين[5].

سؤال؛ قال هنا: (إذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً) وقد قال فيما تقدم: (إذا نزلتم بعدو أو نزل بكم عدو فليكن معسكركم في قُبُل الأشراف، وأسفاح الجبال وأثناء الأنهار) فيكف يمكن أن يجمع بين الكلامين؟

وجوابه؛ هو أن في كلامه ما يزيل المناقضة، وذلك أنه إنما أمر بالتفرق في أشراف الجهات والجبال والأنهار إذا نزلوا بعدو أو نزل بهم عدو لا غير،

(١) في (ب): بها.
(٢) في (ب): هم، بغير واو.
(٣) في نسخة أخرى: المتقدمة.
(٤) في (ب): ليعلم.
(٥) في (ب): أي مجتمعين.

فالتفرق هناك مصلحة، فأما ما عدا ذلك فالاجتماع هو المصلحة لما أشار إليه من تلك الحكم والمصالح في ذلك.

(وإذا غشيكم الليل): بظلمته شبه دخول الليل واشتماله على كل شيء بالشيء يكون غاشياً لغيره مشتملاً عليه، كما قال تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى**﴾[الليل:١].

(فاجعلوا الرماح كِفة): الكِفة من كل شيء: ما كان[1] مستديراً، وانتصابها على الحال من الرماح.

(ولا تذوقوا النوم إلا غِراراً أو مضمضة): الغِرَارُ: قلة النوم، ويقال: ما مضمضت عيني بنوم أي ما نمت؛ لأن ذلك يكون أعظم للحزم، وأبعد عن الغفلة، وأكثر ما يكون الأخذ والاستئصال في مواطن الغفلة.

(١) في (ب): ما يكون.

(١٢) ومن وصية له [عليه السلام][1] لمعقل بن قيس الرياحي[2] حين أنفذه مقدمة إلى الشام في ثلاثة آلاف

(اتق الله الذي لا بد لك من لقائه): بدَّ الشيء يبدُّه إذا فرَّقه، والتبديد: التفريق، وأراد ها هنا أنه لا تفرّق يبطل التلاقي ويحول دونه بحال حتى يلاقيه، ويجوز أن يكون المراد بقوله: لا بد أي حقاً أنه لا بد من لقائه.

(ولا منتهى لك دونه): أي ولا تنتهي إلى غاية إلا إليه، فإن إليه مصائر الأمور كلها، كما قال تعالى: ﴿**أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ**﴾[الشورى:٥٣].

(ولا تقاتلنَّ إلا من قاتلك): أراد أن دماء الناس محرَّمة لا اعتراض إليها، والإسلام مسترسل على الخلق، ودار الإسلام عامة فلا سبيل إلى إهراق الدماء إلا من بغى واعترضك بالقتال.

(وسر البَرْدَيْن): يعني أول اليوم وآخره؛ لأن فيهما ترويحاً على النفوس وتنفيساً عليها من قائم الظهيرة، أو ظلمة الليل.

---

(١) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٢) هو معقل بن قيس الرياحي، من ولد رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، كان معقل من رجال الكوفة وأبطالها وله رئاسة وقدم، أوفده عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب مع الهرمزان لفتح تستر، وكان من شيعة الإمام علي (عليه السلام)، وجهه إلى بني ساقة فقتل منهم وسبى، وحارب المستورد بن عُلْفة الخارجي من تميم الرباب، فقتل كل واحد منهما صاحبه بدجلة. (انظر نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥/٩٢).

(وغوِّر بالناس): أراد بالتغوير القيلولة، من قولهم: غار النهار إذا اشتدَّ حرُّه.

(ورفِّه في السير): أراد سِرْ سيراً ليناً سلساً لا عناء فيه ولا إملال.

(ولا تسر أول الليل): يريد عند دخول الليل، وغشيانه، ثم علل ذلك بقوله:

(فإن الله جعله سكناً): يسكن فيه كل من غشيه وأجنه، وإليه الإشارة بقوله تعالى[1]: ﴿**وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ**﴾[الأنعام:١٣].

(وقدَّره مُقاماً): يقيم فيه المقيم.

(لا ظَعْناً) أي أنه لم يجعل ظعناً، والظعون هو: التحرّك والانتقال من مكان إلى مكان، «وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن السير في أول الليل، وأومئ[2] أن ذلك وقت تنشر[3] فيه الشياطين[4]»، ويقال: أفحموا من الليل أي لا تسيروا في أول فَحْمَته[5].

(فأرح فيه بدنك[6]): عن النصب والتعب.

---

(١) تعالى، زيادة في (ب).

(٢) في (ب): فأومى.

(٣) في (ب): تسير.

(٤) أورد الخبر ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح النهج ١٤/٩٣.

(٥) القول هذا أورده الزمخشري في أساس البلاغة ص٣٣٥ ولفظه فيه: وفحموا عنكم من الليل وأفحموا أي لا تسيروا في أوله حتى تذهب الفحمة. انتهى، وهو في لسان العرب ٢/١٠٥٨، وفحمة الليل: سواده وظلمته أو أشده سواداً.

(٦) في نسخة: نفسك، (هامش في ب).

(وروّح ظهرك): أعفها يريد الخيل والإبل عن الرواح، وهو اسم للوقت ما بين زوال الشمس إلى الليل.

سؤال؛ هل من تفرقة بين بنائي[1] الفعلين حيث جعل في البدن أراح، وفي الخيل والإبل روح، مع أن المقصود بهما جميعاً هو الاستراحة؟

وجوابه؛ هو أن المعنى فيهما واحد، وهو الأمر بالاستراحة، لكن اختلافهما من جهة تصريف الفعل، فأراح[2] من قولهم: أراح الرجل إذا رجعت إليه نفسه من الإعياء والتعب، وروح من قولهم: روح إبله ترويحاً إذا تركها عن السير في الرواح.

(فإذا وقفت حين ينبطح[3] السحر): السحير، والسحر: اسم للوقت قبل طلوع الفجر، يقال: بطحه أي ألقاه على وجهه فانبطح[4]، وأراد أنك إذا عرفت انبساط السحر وامتداده؛ لأن المنبطح ينبسط على الأرض.

(أو حين ينفجر الفجر): يطلع الفجر يريد أحد هذين الوقتين، وقوله: ينفجر الفجر من باب الاشتقاق، كقوله تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾**[الروم:43] ولا يخفى عليك موقعه في[5] البلاغة.

(فسر على بركة الله): يُمْنه وتيسيره إلى حيث تريد.

---

(1) في (ب): بناء.
(2) هكذا في النسخ، ولعلها: فأرح.
(3) في (ب): يتبطح.
(4) في (ب): فابتطح.
(5) في (ب): من.

(فإذا[1] لقيت العدو): الذي تريد طلبه.

(فقف من أصحابك وسطاً): أي في وسطهم وهم عن يمينك وشمالك مكتنفون لك.

(ولا تَدْنُ من القوم): تقرب منهم.

(دنو من يريد أن ينشب الحرب): بين الناس، يقال: نشبت الحرب بينهم إذا غشي بعضهم بعضاً، أراد أن ذلك ليس مصلحة لأجل القلة فيخاف الكثرة عليكم.

(ولا تباعد عنهم): تتأخر عمن تريد قتاله.

(تَبَاعُدَ من يهاب البأس): لأن ذلك يورث الذل والفشل[2] ويفت في أعضاد الناس، وقف على ما أمرتك وأدبتك من هذه الآداب، وأريتك من هذه المصالح[3] في الحرب، ولا تحدث شيئاً:

(حتى يأتيك أمري): بما تفعل من ذاك[4]؛ لأن هذا هو نهاية المقدمة وغايتها، وبعد وصول الإمام والعساكر يقضي الله على لسانه ويده ما قضى.

(ولا يحملنَّكم سبابهم[5] على قتالهم): نهاهم أن يكون سبب الجرأة عليهم ما يسمعونه من الأذى.

---

(1) في (ب): وإذا.
(2) في (ب): يورث الفشل والذل.
(3) في (ب): النصائح.
(4) في (ب): ذلك.
(5) في شرح النهج: شنآنهم.

(قبل دعائهم): إلى الله تعالى وإلى دينه، وترك البغي وإهماله.

(والإعذار إليهم): أعذر إليه إذا بالغ في المعذرة إليه.

ولله درُّ أمير المؤمنين فإنك إذا تصفحت كلامه، وأوامره ونواهيه فيما يتعلق بأهل البغي وجدته كلام من يريد نجاة الخلق وتقريبهم إلى الله تعالى، وبلوغ الغاية في المناصحة وبذل الحق بجهده.

(١٣) ومن كتاب له إلى أميرين من أمراء جيشه

(وقد أمَّرت عليكما): أي جعلت عليكما أميراً يكون أمركما موكولاً إليه، ورأيكما مفوضاً إلى رأيه، لا أمر لكما معه.

(وعلى من في حيزكما): خطتكما وناحيتكما.

(مالك بن الحارث الأشتر): الشتر: انقلاب في جفن العين، ورجل أشتر إذا كان بهذه الصفة، والأشتران: مالك، وابنه، وكان أميراً من أمرائه، وهو عنده بمكان عظيم، ومنزلة رفيعة وسيأتي ذكره.

(فاسمعا له وأطيعا): فيما أمركما به ونهاكما عنه من غير مخالفة.

(واجعلاه درعاً): تتحصنان به عن كل مكروه.

(ومجنّاً): المجن: الترس، أي واجعلاه سترة بينكما[1] وبين الأمور العظائم.

(فإنه ممن لا يخاف وهنُه): ضعفه عمَّا إليه القيام به وعمَّا له توليه، والوَهْنُ: الضعف، قال تعالى: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾[مريم:٤].

(ولا سقطته): عثاره وزلله في أمره وحاله.

---

(١) في (أ): بينهما.

(ولا بُطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم): أي ولا يخشى منه التواني والتثاقل عما يكون الإسراع فيه أخذاً بالحزم وأبعد عن التساهل.

(ولا إسراعه عمّا البُطء[1] عنه أمثل): أي ولا يخشى إسراعه في أمر من الأمور يكون التثاقل فيه والتأني أحسن وأجود، يشير بما ذكره إلى عظم[2] الخبرة، وكثرة الحنكة، وثبات الرأي والحزم.

(١) في شرح النهج: ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل.

(٢) في (ب): عظيم.

(١٤) ومن وصية له عليه السلام لعسكره[1] بصفين

(لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم): بالقتال ليتحقق فيهم أمر البغي، فإن ذلك يكون سبباً للاستظهار لكم والنصر من عند الله.

(فإنكم بحمد الله على حجة): بينة ظاهرة في قتالهم بما أتوه من المنكر، وركوب غارب البغي في مخالفة أمري، ومنعي عما أريده من القيام بأمر الدين وأهله.

(وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى): ثم حربهم لكم، وقتالهم إياكم عمداً حجة أخرى تُسْتَحَلُّ بها دماؤهم لو لم تتقدم الحجة الأولى، فإذا اعتضدا كان ذلك أقوى في الأمر وأعظم عند الله حجة:

(لكم عليهم): بين يدي الله، فإذا سألكم الله تعالى عن قتالهم كان إدلاؤكم بهذين الأمرين أقوى عند الله، وأدخل في العذر، فأجهدوا نفوسكم في قتالهم لله تعالى، وإعزازاً لدينه.

(فإذا كانت الهزيمة): وقعت وحصلت.

(بإذن الله): عن علم من الله ومصلحة في ذلك، فإن لهم أحكاماً تخالف أحكام أهل الحرب، فلا تغفلوا عن علمها وتحفظها،

(١) لعسكره، سقط من (ب).

فإن الله بلطفه قد جعل لكل جريمة عقوبة.

(فلا تقتلوا مدبراً): يريد من ولى مدبراً عند الهزيمة، فلا يتبع بالقتل؛ لأن توليته مدبراً فيه كفاية عن بغيه؛ ولأن توليه عن مقامه ذلك تركٌ للبغي ورجوع عنه، فلا يقتل من غير سبب يوجب قتله لما ذكرناه.

(ولا تصيبوا معوراً): المعور بالعين المهملة والراء، وله معنيان:

أحدهما: أن يريد بالمعور الربيئة[1] للقوم، يعني ولا تقتلوا إلا من تعلمون أنه من جملة العدو، فأما الربيئة فلا قتال من جهتهم يوجد فيكفُّ عنهم.

وثانيهما: أن يكون مراده بالمعور الرَّكيّة[2] أي لا تفسدوها بالإصابة فيزول ماؤها وينضب عنها[3].

(ولا تجهزوا على جريح): أجهز على الجريح إذا أسرع في قتله، ولا يقال فيه: أجاز، وغرضه أنه بعد جرحه لا يسارع في قتله؛ فإن في جرحه كفاية عن بغيه، وزوال عنه، وفعيل بمعنى مفعول، يستوي فيه المذكر والمؤنث إذا ذكر معه موصوفه، فيقال: هذا رجل جريح،

---

(١) الربيئة: هو العين والطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه. (النهاية لابن الأثير ٢/١٧٩).

(٢) الركيّة: البئر.

(٣) وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٥/١٠٤ في شرح قوله: (ولا تصيبوا معوراً) ما لفظه: قوله (عليه السلام): (ولا تصيبوا معوراً) هو من يعتصم بك في الحرب بإظهار عورته لتكف عنه، ويجوز أن يكون المعور هاهنا المريب الذي يظن أنه من القوم وأنه حضر للحرب وليس منهم، لأنه حضر لأمر آخر. انتهى.

وهذه امرأة جريح، فأما إذا طرح الموصوف جرى على قياسه، فيقال فيه: هذا جريح وهذه جريحة بني فلان.

(ولا تهيجوا النساء بأذى): هاج الرجل إذا ثار غضبه، وأراد أنكم لا تحركوا غضبهن بذكر أذاهن.

(وإن شتمن أعراضكم): بالذم وذكر القبيح.

(وسببن أمراءكم): بإظهارالكلام السوء، ثم علل ذلك بقوله:

(فإنهن ضعيفات القوى): لا صبر لهن على الحرب؛ ولهذا رفع الله عنهن حكم الجهاد من أجل الضعف.

(والأنفس): ونفوسهن أيضاً ضعيفة عن احتمال المكاره، والضيم.

(والعقول): وعن هذا كانت شهادة امرأتين بمنزلة شهادة رجل واحد.

(وإن كنا لنؤمر بالكف عنهن): يعني القتل والضرب وهن بين أظهركم[1] في المعركة.

(وإنهن لمشركات): فبين العلة التي لها أبيحت دماء الرجال فلا يقتلن[2]، وفي الحديث: «نهيت عن قتل النساء»[3].

---

(١) في (ب): أظهرهم.

(٢) في (أ): فلا يقتلهن.

(٣) أورد قريباً منه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله تعالى في أنوار التمام في تتمة الاعتصام للإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) ٥/٤٦٦ فقال ما لفظه: وروى نافع أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى في بعض مغازيه امرأة مقتولة، فأنكر ذلك، ونهى عن قتل النساء والصبيان، وعزاه إلى الشفاء للأمير الحسين، وقال في تخريجه: وأخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي عن ابن عمر مرفوعاً، وأرسله في الموطأ عن نافع كما في الشفاء. انتهى.

ويحكى أن هند بن عتبة خرجت يوم أحد وغيرها من النسوان يسقين الرجال، ويضربن بالدفوف، قالت[1] هند:

إن تقبلـــــوا نوافـــــق[2] ونفـــــرش النمـــــارق

أو تدبـــــروا نفـــــارق فـــــراق غـــــير وامـــــق[3]

ومع ذلك فإن أحداً ما اعترض لها أصلاً، مع ما في كلامها من التهييج للرجال، وحملهم على اقتحام موارد الموت.

(**وإن كان الرجل**): في الجاهلية في حروبها ووقائعها.

(**ليتناول المرأة بالفهر**): الحجر الطويل.

(**والهراوة**): العصا فضلاً عما وراء ذلك من الأسلحة.

(**فيعيّر بها**): الضمير للفعلة هذه.

(**وعقبه بعده**[4]): ومن يأتي من[5] أولاده ويكون سبة لهم، والعار: السبة والعيب، وفي أخبار أحد: وكان الرجل منّا يدنو من هند، فإذا حمل عليها السيف والهراوة صاحت وولولت، فيكف عنها ذلك[6].

---

(١) في (ب): وقالت.

(٢) في نسخة أخرى، وسيرة ابن هشام: نعانق.

(٣) الوامق: المحب، وانظر خبر هند الذي ذكره المؤلف وشعرها في السيرة النبوية لابن هشام ٦٧/٢-٦٨، وانظر شرح النهج ٢٣٥/١٤ لابن أبي الحديد، وهو فيه نقلاً عن مغازي الواقدي.

(٤) في شرح النهج: وعقبه من بعده.

(٥) في (ب): ومن يأتي بعده من أولاده.

(٦) انظر سيرة ابن هشام ٢٤/٣ تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

(١٥) وكان عليه السلام يقول إذا لقي العدو محارباً

(**اللَّهُمَّ، إليك أفضت القلوب**): أفضى إليه بسره إذا أباحه، وأراد أفضت القلوب بسرائرها وضمائرها التي لا تخفى عليك.

(**ومُدَّت الأعناق**): خضعت وذلت لعظمتك وجلالك.

(**وشخصت الأبصار**): شخص البصر إذا انفتح جفن العين وجعل لا يَطْرِفُ[1]، ومنه شخوص بصر الميت فإنه لا يطرف أبداً حتى يفارق الحياة.

(**ونقلت الأقدام**): طالبة لرضوانك، واتباع أمرك وموافقة مرادك.

(**وأنضيت الأبدان**): الإنضاء هو: الإتعاب؛ رجاءً لما وعدته من كريم ثوابك، ورفيع مآبك.

(**اللَّهُمَّ، قد صرّح مكنون الشنآن**): أي ظهر مستور العداوة والبغض.

وفي رواية أخرى: (**مكتوم**) وهما متقاربان في معناهما.

(**وجاشت مراجل الأضغان**): جاش القدر إذا غلا، والأضغان هي: الأحقاد، والْمِرْجَل: واحد المراجل، وهي: القدور، وهذه كلها استعارة

---

(١) طرف بصره من باب ضرب إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر. (مختار الصحاح ص٣٩٠)، وفي (ب): لا يطرق.

لما هم عليه من إظهارالعداوة والأحقاد والضغائن الشنيئة[1] لسبب الدين، وأراد بذلك فلا يخفى عليك حالهم وما يريدون[2] من البغي، وإظهار خلاف أمرك، وهدم منار دينك، وتعطيل أحكامك.

(اللّهمّ، إنا نشكو إليك غيبة نبينا): فقده عن الدنيا وزواله عنها.

(وكثرة عدونا): تألبهم علينا من كل جانب يريدون اجتياحنا، وقطع دابرنا.

(وتشتت أهوائنا): افتراقها، كل واحد منها في جانب، لا تجتمع على أمرك ولا تكون متفقة على نصرة دينك.

سؤال؛ هب أن قوله: (كثرة عدونا، وتشتت أهوائنا) له اتصال بما نحن فيه وتعلق، فما وجه اتصال قوله: (وغيبة نبينا) بما نحن فيه من قتال البغاة، وفقده (صلى الله عليه وآله) عن الدين ثلمة لا تنسد؟

وجوابه من وجهين؛

أما أولاً: فلأن بحضوره لا ينبض من هذه العروق عرق، ولا ينهض من رءوس هؤلاء الشياطين ناهض إجلالاً لهيبته، وامتثالاً لأمره ومقالته.

وأما ثانياً: فلما في حضوره من النصرو التأييد والظفر، كما كان في غير هذه المواطن؛ لما يعرفون من نصر الله له وتأييده له بالملائكة من عنده، وعلى الجملة فإن غيبته عن الدنيا وعن هذا العالم مصيبة لا تجبر، وحزن لا ينفك أبد الدهر.

---

(١) في (أ): السيئة.

(٢) في (ب): وما يديرون.

ثم تلا هذه الآية عقيب كلامه: (﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾)[الأعراف:٨٩]: ولهذه الآية من الفخامة وحسن الموقع ها هنا، وجيد الملائمة لما نحن فيه ما يحلو في الألسنة مذاقه، ويروق في أعين النظار ترتيبه وسياقه.

(١٦) وكان عليه السلام يقول لأصحابه عند الحرب

(**لا تشتدَّن عليكم فرَّةٌ بعدها كرَّة**): الفرُّ: الهرب، والكرُّ هو: الرجوع، وأراد أنه لا يكبرنَّ في نفوسكم ذلك؛ فإن هذه تكفر هذه وتمحوها، فلا وقع لها معها.

(**ولا جولة بعدها حملة**): الجولة: واحدة الجولات، وتجاول الفرسان: رجوع بعضهم على بعض، والحملة هي: الكرة أيضاً، أي ولا تضركم جولاتهم لكم، وتأخرهم لكم عن مقاماتكم في الحرب إذا حملتم عليهم حملة فأزحتموهم عن مواضعهم.

(**وأعطوا السيوف حقوقها**): الضرب بها حتى تنحني، وفي الحديث أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ سيفاً فقال: «من يأخذ هذا السيف مني[1] بحقه يوم أحد» فجاءه رجال من الصحابة فأبى أن يعطيهم إياه، فجاء أبو دجانة[2] فقال: يارسول الله، وما حقه؟

فقال[3]: «أن تضرب به حتى ينحني»[4] فأعطاه إياه.

---

(١) مني، سقط من (ب).
(٢) واسمه سماك بن خرشة.
(٣) في (ب): قال.
(٤) انظر الرواية في السيرة النبوية لابن هشام ٦٦/٢، واللفظ في آخرها: ((أن تضرب به العدو حتى ينحني)).

[وقال: نعم][1]: وكان من شجعان الصحابة، وأهل البأس منهم.

(**ووطِّنوا للجنوب مصارعها**): فيه روايتان:

أحدهما: بالنون، والموطن: المشهد من مشاهد الحرب، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[التوبة:٢٥] وأراد ها هنا اجعلوها للجنوب مواطن تصرع فيها.

وثانيهما: [بالياء][2] من التوطية أي مهدوا للجنوب أمكنة تصرع فيها، والغرض في هذا كله العزم وتصميم النفس على لقاء الله، ومفارقة الدنيا.

(**واذمروا نفوسكم**[3]): حثوها وازجروها.

(**على الطعن الدَّعْسيِّ**): طريق دعس إذا كان بيِّن الآثار ظاهرها، وأراد على الطعن الذي تظهر آثاره وكلومه.

(**والضرب الطِّلَحْفيّ**): ضرب طلحف إذا كان شديداً بالغاً.

وقوله[4]: الدعسيّ فيه مبالغة من وجهين:

أما أولاً: فلأنه وصف بالمصدر كما قالوا: رمي سَعْر، وضرب هبر[5].

---

(١) سقط من (ب).
(٢) سقط من (أ).
(٣) في شرح النهج: أنفسكم.
(٤) في (أ): وقولهم.
(٥) الهبر: القطع، وقوله: رمي سعر أي رمياً سريعاً شبهه باستعار النار، وللقول هذا شاهد من كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أورده ابن الأثير في النهاية ٣٦٨/٢ فقال في مادة سعر ما لفظه: ومنه حديث علي رضي الله عنه يحث أصحابه: (اضربوا هبراً، وارموا سعراً).

وأما ثانياً: فإلحاق ياء النُّسْبَة به، كما قالوا: جزئي وجزء وكلي وكل، وكله دلالة على المبالغة وعلامة عليها.

(وأميتوا الأصوات): أراد لا تكثروها.

(فإنه): يعني موتها.

(أطرد للفشل): أذهب به فلا يبقى إلا الثبوت والاتئاد.

(والذي فلق الحبة): بنصفين.

(وبرأ النسمة): خلقها وأوجدها.

(ما أسلموا): عن طمأنينة وانشراح صدر بالدين وأحكامه، يشير بهذا إلى معاوية وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وغيرهم من أخدان الغي، وأعوان الظلم والبغي.

(ولكن استسلموا): انقادوا خوفاً من السيف.

(وأسروا الكفر): أبطنوه في أنفسهم، وكتموه في أفئدتهم.

(فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه): من أوباش أهل الشام وأجلافهم ومن لا معرفة له[1]، ولا ميز بين الحق والباطل.

والظاهر من كلامه هذا أنه تفطّن بحال هؤلاء وتفرّس في أمورهم، فلهذا أثبت لهم مزية على الفسق، وصار هذا هو الحكم بالكفر على هؤلاء، والمعلوم من حاله أنه لم يعاملهم بالأحكام الكفرية من السبي

(١) له، زيادة في (ب)، وفي نسخة أخرى: ومن لا يعرفه.

وغيره فلا بد من تأويل كلامه على مطابقة فعله فيهم وعلى ما قام الدليل الشرعي عليه وهو الفسق لا غير، فيمكن أن يكون في مراده من ذلك وجهان:

أحدهما: أشخاص معدودين قد علم كفرهم بإعلام الرسول له ذلك، وهذا لامانع منه.

وثانيهما: أن يكون غرضه أنه أخبر عن كفرهم عند الله تعالى دون ظاهر الشرع، فمن أجل هذا أخبر عنهم به.

(١٧) ومن كتاب له عليه السلام جواباً لمعاوية

(وأما طلبك إليّ الشام): أي ولاية الشام؛ لأن معاوية كان طلب من أمير المؤمنين أن يوليه الشام، ويجعله أميراً عليه في جباية الأموال، وتأدية الخراجات كلها.

(فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك بالأمس): أراد أنك قد سألتني ذلك من قبل فمنعتك، وما كنت لأعطيك اليوم ما منعتك من قبل، والحال مستوية، فما تغير في حالك من المكر والخديعة ولا تغير[1] حالي في وثاقة الدين والتصلب فيه.

(وأما قولك: إن الحرب قد أكلت العرب): أفنتهم بالقتل، وسحت الأموال.

(إلا حُشاشات أنفس قد بقيت): الحشاشة[2] والحشاش: بقية الروح في الجسد، وأراد إلا أنفساً أُخِّرَتْ آجالها فبقيت.

(ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة): أراد أن من قُتِلَ مجاهداً في سبيل الله صابراً محتسباً فمصيره إلى الجنة.

---

(١) في (ب): ولا تغير في حالي وثاقة...إلخ.

(٢) في (ب): الحشاشات.

(ومن أكله الباطل فإلى النار): أي ومن كان مقاتلاً على البغي والمخالفة لإمام الحق فمصيره إلى النار، وهذا كله تعريض بحال معاوية، وإصراره على البغي والفساد والتمرد، ويومئ بذلك إلى هلاكه وهلاك من قتل معه.

(وأما استواؤنا في الحرب والرجال): لأن معاوية قال: قد توافت بنا الحرب، والعساكر منّا ومنكم متساوية، وغرضه بهذا أن أمير المؤمنين غير نايل غرضاً منه، ولا مدركٌ ثأراً.

(فلست بأمضى على الشك مني على اليقين): يريد أنا ولو استوينا كما زعمت، فأنا فيما أنا فيه على بصيرة، وأنت فيما أنت فيه على شك، وصاحب اليقين أشرح صدراً وأوثق قلباً من صاحب الشك؛ فإنه متردد قلق الأحشاء مضطرب الفؤاد، فإذا مضيت على ما أنت فيه من الغي وجريت عليه، فأنا أمضى منك على الحق، ونفوذ البصيرة.

(وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا): يريد معاوية ومن كان معه ما هو بأكثر حرصاً على الدنيا والتوطن فيها، والإخلاد إليها.

(من أهل العراق على الآخرة): يريد نفسه وأصحابه، وإذا كان الأمر هكذا فانظر أينا أشد صبراً على الحرب، وأكثر رجاءً لثواب الله، وأعظم حالةً عنده.

(وأما قولك: إنّا بنو عبد مناف!): أراد معاوية أن عبد مناف يجمعنا؛ لأن له أولاداً أربعة: هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل، فهؤلاء أولاد عبد مناف، ومعاوية من بني عبد شمس.

فقال أمير المؤمنين:

(فكذلك نحن): يريد إنّا لا ننكر أن عبد مناف يجمعنا كما ذكرت، ولكن أين الغرب[١] عن النبع! وأين الحصى عن المرجان!، وأين السنام عن المنسم![٢]، وشتان ما بين الآباء!، فهب أن عبد مناف قد جمعنا كما زعمت:

(ولكن ليس أمية كهاشم): في فخره ولا فضله ولا في كرمه وجلالة قدره.

(ولا حرب كعبد المطلب): أراد ولا جدك مثل جدي في الرئاسة، واجتماع أمر مكة إليه وسيادته للناس.

(ولا أبو سفيان كأبي طالب): أراد ولا أبوك مثل أبي؛ فإن أبا طالب شرفه لا يخفى، وأمره لا ينكر.

(ولا المهاجر كالطليق): أراد أنه ليس من هاجر إلى الله تعالى تطوعاً واختياراً من جهة نفسه، كمن يُمَنُّ عليه ثم يُطْلَقُ بعد ذلك، وكان معاوية وأبوه من الطلقاء، وقد تقدم حديث الطلقاء[٣] وسبب ذلك فيهم، فلا وجه لتكريره.

(ولا الصريح كاللصيق): أراد ولا من هو خالص النسب كمن هو دَعِيّ مؤتشب، يلصق نفسه بنسب قوم وليس منهم، ولعله يشير بذلك إلى حديث كان لأبي سفيان في حق زياد، وعلى هذا يكون

---

(١) الغرب: الذهب (المعجم الوسيط ص٦٤٧).

(٢) السنام: أعلا البعير، وسنام كل شيء أعلاه، والمنسم: طرف خف البعير.

(٣) انظر حديث الطلقاء في سيرة ابن هشام ٤/٣٤-٣٥، تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد ما كان من أبي سفيان من ادِّعاء[١] زياد ابناً له.

وثانيهما: أن يريد ما كان من معاوية من ادّعاء زياد أخاً له، فقوله: ولا الصريح كاللصيق، محتمل لما ذكرناه من هذين الوجهين، وسنذكر ما يدل على احتمال الوجهين في كلام لأمير المؤمنين كرم الله وجهه بعد هذا، كلّم به معاوية وزياد بن أبيه، وليس هذا موضع ذكره.

(ولا المحق كالمبطل): أراد ولا من كان مستقيماً على الحق داعياً إليه؛ مثل من هو مكبٌّ على الباطل لا ينفك منه، يشير إلى نفسه ومعاوية.

(ولا المؤمن كالمُدْغِل): ولا من هو مصدِّق بالله تعالى كمن هو مُدْغِلٌ في الدين، مُدْخِلٌ فيه ما يفسده ويبطله.

(ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً[٢]): السلف: المتقدم، والخلف: الذين يتلونهم، وأراد بذلك بني أمية فإنه ما منهم إلا كافر مشرك عابد وثن، أو فاسق خارج عن الدين مارق.

(وفي أيدينا بعد): ما ذكرته، وأشرت إليه من الرئاسة والفخر بمن ذكرت من الآباء.

(فضل النبوة): التي تفضّل الله بها على الخلق، وجعلها مصلحة لهم، أو يريد شرف النبوة التي جعلها الله شرفاً لنا على الخلق، وأعطانا بها فخراً وعلواً لم يسبق إليه أحد.

---

(١) في (ب): من إدعائه.

(٢) في شرح النهج: ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم.

(التي أذللنا بها العزيز): أنزلنا بها مراتب الأعزة ممن خالفها، كما كان من الأعزة من قريش آبائك وغيرهم من أفناء الناس.

(ونعشنا بها الذليل): رفعنا منزلة من وافقها، وامتثل أمرها، وإن كان ذليلاً في نفسه لا شرف له، مثل ما كان من الضعفاء نحو صهيب وبلال وسلمان، وغيرهم من فقراء الصحابة ومساكينها، فإن الله تعالى أركس أبا لهب وغيره كالوليد والنضر بن الحرث لما ضادوها وخالفوها بالمكابرة، مع شرفهم وعلو مراتبهم عند قومهم، وأعزَّ بها هؤلاء مع ضعف حالهم ومسكنتهم.

(ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجاً): أي فريقاً بعد فريق.

(وأسلمت له): الضمير إما لله تعالى، وإما للرسول.

(هذه الأمة طوعاً وكرهاً): بالاختيار من جهة أنفسهم، وهداية الله لهم إلى ذلك، أو بالكراهة خوفاً من السيف، كما كان من أقوام كثيرين.

(كنتم): يريد بني أمية.

(ممن دخل في الدين إما رغبة): بالاختيار من جهة أنفسكم طمعاً في التألف.

(وإما رهبة): حذراً من السيف كما كان من أبي سفيان يوم الفتح.

(على حين فاز أهل السبق بسبقهم): يريد بعدما تقدم إسلام [من أسلم من][1] المهاجرين والأنصار، وحازوا الفضل بأسره، وأحرزوا الخير بحذافيره.

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(وذهب المهاجرون والأنصار بفضلهم[1]): بتقدمهم في الإسلام، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[الحديد: ١٠].

وأقول: إن معاوية كان غنياً عن هذا الافتخار على أمير المؤمنين، وما كان له غنى عن[2] تعريف حاله وإعلامه بفخره من أين كان، وعلى أي وجه هو!

ويحكى أن معاوية يوماً افتخر والحسن بن علي عنده بقوله: أنا ابن بطحاء[3] مكة، أنا ابن أغزرها جوداً، وأكرمها جدوداً، أنا ابن من ساد قريشاً فضلاً ناشئاً وكهلاً.

فقال الحسن: أعليَّ تفتخر يا معاوية، أنا ابن عروق الثرى، أنا ابن مأوى التقى[4]، أنا ابن من جاء بالهدى، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالفضل السابق، والجود الرائق، والحسب الفائق، أنا ابن من طاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله، هل لك أب كأبي تباهيني به، وقدم كقدمي تساميني به، قل: نعم أو لا!، قال معاوية: بل أقول: لا، وهي تصديق لك، فأقرَّ له معاوية، ثم تَمَثَّل الحسن بن علي عليهما السلام:

الحق أبلج ما تخيل سبيله ... والحق يعرفه ذوو الألباب[5]

(١) العبارة في (ب): وذهب من أسلم من المهاجرين والأنصار بفضلهم، وهي في شرح النهج: وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم.
(٢) في (ب): من.
(٣) في (ب): أنا من بطحاء..إلخ.
(٤) في (ب): البقاء.
(٥) ورد البيت هذا في أساس البلاغة ص١٢٤ بدون نسبة لقائله، وقوله هنا: ما تخيل، في أساس البلاغة: لا يخيل.

(فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا): بانقيادك له واتباعك لطريقه.

(ولا على نفسك سبيلاً): السبيل: الطريق، قال الله تعالى: ﴿يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[الفرقان:٢٧] وهو مما يذكر ويؤنث، وأراد لا تجعل للشيطان عليك طريقاً، يسلكها في نفسك فيغويها ويضلها.

(١٨) ومن كتاب له عليه السلام إلى ابن عباس وهو عامله على البصرة

(اعلم[١] أن البصرة مهبط إبليس): الْمَهْبِطُ بالكسر: موضع الهبوط، كما أن المنزل موضع النزول، والْمَهْبَطُ بالفتح هو: الهبوط، ومنه مهبَط جبريل وهو: نزوله، وغرضه أنها لكثرة نحوسها وشرورها كأنها منزل له، ومكان يستقر فيه.

(ومغرس الفتن): حيث تكون ناشئة عنها ومتفرعة منها.

(فجاذب[٢] أهلها بالإحسان إليهم): في جاذب روايتان:

أحدهما: بالجيم والباء بنقطة، ومعناه أجذبهم إليك بالمعروف وإسداء الإحسان، وعاملهم بالعطاء كيما تجذب قلوبهم إليك.

وثانيهما: بالحاء المهملة، والثاء بثلاث، وأراد فاكههم بالأحاديث الحسنة بما[٣] يكون فيه تقرير لخواطرهم، وتسكين لأنفسهم.

(واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم): أسلس لهم القياد بالملاطفة ولين العريكة، وسهولة النفس.

(١) في شرح النهج: واعلم.
(٢) في شرح النهج: فحادث.
(٣) في (ب): مما.

(وقد بلغني تَنَمُّرك لبني تميم): تنمَّر إذا تغيَّر وتنكَّر له؛ لأن النمر لا تلقاه أبداً إلا وهو غضبان متنكراً، قال عمرو بن معدي كرب:

قـــوم إذا لبســـوا الحديـــد   تنمَّـــروا حَلَقـــاً وقـــدّا[1]

أي تشبهوا بأخلاق النمر.

(وغلظتك عليهم): في أخلاقك ومعاملتك.

(وإن بني تميم لم يغب لهم[2] نجم إلا طلع آخر[3]): فيه معنيان:

أحدهما: أن يريد أن رجلاً منهم لايموت ممن يكون مخلصاً في مودتنا، وداعياً إلى محبتنا، إلا ويبدلنا الله به غيره ممن يكون أدخل في ذلك وأصدق موالاة.

وثانيهما: أن يكون مراده أنه لا تمضي منهم مكرمة في حقنا إلا ويجددونها بأخرى، وإنما أظهر اسمهم في موضع الإضمارمبالغة في ذكرهم، وهم بطن من بطون نزار.

(وإنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام): الوغم: الحقد، والوغم بالغين المنقوطة: الغيظ، وأراد أنهم لم تكن لهم سابقة سوء قبل النبوة ولا بعدها.

(وإن لهم بنا رحماً ماسة): أي قرابة قريبة، وتلك القرابة من جهة

---

(١) أورده العلامة ابن منظور في لسان العرب ٧٢٠/٣ وقبله فيه:

وعلمـــت أنـــي يـــوم ذا   ك مُنَـــازِلٌ كعبـــاً ونهـــدا

(٢) في (ب): منهم.

(٣) في شرح النهج: إلا طلع لهم آخر.

الأجداد البعيدة، وذلك أن النضر بن كنانة هو قريش، فمن كان من ولده فهو قرشي، وكانت أم النضر هي أخت لتميم بن مر[1]، وتميم خاله، ولهذا قال جرير بن عطية أحد بني تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان:

فمـــا الأم الـــتي ولـــدت قريشـــاً   بمقرفـــة[2] النجـــار ولا عقيـــم

ومـــا قَـــرْمٌ[3] بـــأنجب مـــن أبيكـــم   ولا خـــال بـــأكرم مـــن تميـــم[4]

(وقرابة خاصة): مختصة بنا من الوجه الذي ذكرناه.

سؤال؛ كيف قال: رحماً ماسة، وقرابة خاصة، وأكَّد ذلك، وبينهم هذه الآباء الكثيرة، والقرون المتباعدة؟

وجوابه؛ هو أن الأخلاق الشريفة والشيم الكريمة قاضية بهذا، وهو رعاية حق الرحم، وإن كانت الوشيجة متباعدة، وعن هذا قيل: المعارف في أهل النُهَى ذِمَمُ.

---

(١) واسمها برة بنت مر.

(٢) المقرف: الذي داني الهجنة من الفرس وغيره، وهو الذي أمه عربية وأبوه ليس بعربي، فالإقراف من قبل الأب والهجنة من قبل الأم (مختار الصحاح ص٥٣١)، والنجار: أي الطبع والمنبت، وهو من المجاز يقال: هو كريم النجر والنجار وهو الطبع والمنبت. (انظر أساس البلاغة ص٤٤٧).

(٣) القرم: البعير المكرم لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة، ومنه قيل للسيد: قرْم ومقرم تشبيهاً به. (مختار الصحاح ص٥٣١-٥٣٢).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٦٥/١-٦٦.

ويحكى عن صاحب الشريعة صلوات الله عليه[1] أنه قال: «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها، فإن لهم ذمة ورحماً»[2].

وفي حديث آخر: «الله الله في أهل المدرة السوداء، السحم[3] الجعاد، فإن لي فيهم نسباً وصهراً»[4].

فأما النسب فإن أم إسماعيل كانت منهم، وأما الصهر فإن مارية أم إبراهيم التي أهداها له المقوقس، كانت منهم أيضاً، فانظر كيف لاحظ هذا النسب على بُعْدِه، وهذه الصهارة على تباينها وانقطاعها، مواظبةً على أخلاق النبوة، واستمراراً على شرف الرسالة.

(نحن مأجورون على صلتها): نرجو الأجر من جهة الله تعالى[5] على وصلها بالمعروف والخير.

(ومأزورون على قطيعتها): الوزر: الإثم، وأراد أنّا آثمون عند قطعها.

(فاربَع أبا العباس): أي ارفق بنفسك وحالك، وكف عمّا أنت فاعل له.

---

(١) في (ب): صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) رواه ابن هشام في السيرة النبوية ١/٧ تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرين، وهو فيه بزيادة ((خيراً)) بعد قوله: ((فاستوصوا بأهلها)) وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١/٢٥٣ إلى المستدرك٢/٥٥٣، وله فيه شاهد آخر بلفظ: ((إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً)) وعزاه إلى البداية والنهاية لابن كثير٦/٢٢٠ ودلائل النبوة للبيهقي٦/٣٢٢.

(٣) المدرة بفتحتين واحدة المدر، والعرب تسمي القرية مدرة، والسحمة: السواد، والأسحم: الأسود. (مختار الصحاح ص٢٨٩، ٦١٩).

(٤) رواه ابن هشام في السيرة النبوية ١/٦ بسنده عن عمر مولى غفرة بلفظ (عليه السلام) قال رسول الله ﷺ: ((الله الله في أهل الذمة، أهل المدرة السوداء السحم الجعاد، فإن لهم نسباً وصهراً)).

(٥) تعالى، زيادة في (ب).

(رحمك[1] الله): ملاطفة له[2] بالدعاء والكنية، وتمجيد له ورفع لمنزلته، وتحريك لعزيمته في المواظبة على الخصال الشريفة، والأفعال المحمودة، وتعريض[3] بالقول اللطيف في ذلك.

(فيما جرى على يدك): من قطع الإحسان، ومنع المعروف منهم.

(ولسانك): من بذل الإنصاف واستعمال المداراة والإتحاف.

(من خير): أي من منع الخير منك.

(وشر): أي ومن إيصال شر.

(فإنّا شريكان في ذلك): الضمير في قوله: فإنّا يصلح للواحد العظيم، وللاثنين والجماعة، وأراد ها هنا فإني[4] وإياك شريكان في ثواب ما فعلته من خير، أو في إثم ما فعلته من شر، فيقسم لك من الثواب بقدر ما فعلته، وأردت فيه وجه الله تعالى، ويقسم لي من الثواب مثله؛ لأنك تُصْدِرُ عن رأيي وتقوم مقامي، وهكذا الحال في الإثم والمعصية، فإن الإمام هو سلطان الله في أرضه، وظله الممدود فيها، والولاة والعمال أعوان له.

(وكن عند صالح ظني بك): أي لا أظن صلاحاً إلا وأنت فاعله.

(ولا يفيلن رأيي فيك): أي ولا يضعفنَّ ما حدسته[5] فيك من أعمال الصلاح.

---

(١) في (ب): يرحمك الله.

(٢) له، زيادة في (ب).

(٣) في (ب): وتعريضاً.

(٤) في (ب): فأنا.

(٥) الحَدْسُ: الظن والتخمين.

(١٩) ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

(أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك): الدهقان: واحد الدهاقين، وهو فارسي معرب فيحتمل أن تكون نونه أصلية أو زائدة، وأراد بذلك التجّار من اليهود والنصارى ممن يكون معك، وفي بلد ولايتك.

(غلظة): فظاظة في الطبع.

(وقسوة): شكساً في الخلائق[1].

(واحتقاراً): لأحوالهم، واستصغاراً لمقاديرهم.

(وجفوة): إعراضاً عن إنصافهم وإبحاراً لصدورهم.

(ونظرت[2]): تفكرت في الأمر في صنعك معهم، ونفار طباعهم عنه.

(فلم أرهم أهلاً لأن يُدْنَوْا): يستأهلون الإدناء والتقريب، ولين العريكة والإنصاف.

(لشركهم): من أجل كونهم كفاراً بالنبوة مشركين مع الله غيره،

---

(١) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: الأخلاق.

(٢) في (ب): فنظرت.

حيث قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[التوبة: ٣٠].

(ولا أن يُقْصَوْا[1]): يُبْعَدُوا.

(ويُجْفَوْا): يُفْعَلُ بهم أفعال الجفاء.

(لعهدهم): أي[2] من أجل ما صنع الرسول معهم من المصالحة على الجزية والذمة من جهته لهم.

(فالبس لهم جلباباً): الجلباب: نوع من أنواع الثياب، وهو استعارة ها هنا.

(من اللين): إسلاس الطبيعة وتهوينها.

(تشوبه بطرف من الخشونة[3]): تخلطه بطرف من الشدة لهم في حالك.

(وداول لهم بين القسوة والرأفة): أراد استعملهم مرة ببسط الخلق ولينه، ومرة بقبضه وانزوائه، ومنه المداولة، وهي: المناوبة، والأيام دول أي مرة لهؤلاء ومرة لأولئك.

(وامزج لهم بين التقريب والإدناء): أي اخلط لهم في الأفعال والمعالجة بين ما يكون منها تقريباً لهم، وبين ما يكون منها تبعيداً.

---

(١) في (ب): ولا لأن يقصوا.

(٢) أي، سقط من (ب).

(٣) في شرح النهج: تشوبه بطرف من الشدة.

(والإبعاد والإقصاء): وبين ما يكون فيه إبعاد وإقصاء وبين ما لايكون كذلك؛ فإن الأمور إذا فعلت على هذه الحالة كانت أقرب إلى الاعتدال والتوسط بين خطتي التفريط والإفراط، وأميل إلى جانب الرفق، كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «عليك بالرفق يا عائشة، فإنه ما نزع من شيء إلا شانه، ولا وضع في شيء إلا زانه»[1].

(١) الحديث بلفظ: ((عليك بالرفق، فإن الرفق لا يك في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤٧٢/٥ وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل ١٢٥/٦، ١٧١، وهو بلفظ: ((يا عائشة، ارفقي فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)) أورده القاضي العلامة الحسين بن ناصر المهلا رحمه الله تعالى في مطمح الآمال ص٨١، وعزاه إلى مسلم عن عائشة.

(٢٠) ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه

وهو خليفة عامله عبد الله بن العباس على البصرة، وعبد الله عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كُوَر الأهواز[1]، وفارس، وكِرْمَان[2]:

(وإني لأقسم بالله[3] قسماً صادقاً): انتصاب قسماً على المصدرية المؤكدة للفعل، كقولك: ضربت ضرباً.

(لئن بلغني أنك خنت في[4] فيء المسلمين): وهو ما أفاءه الله عليهم من هذه الغنائم، أو أراد من هذه الأموال التي تحت يدك والخراجات، فإنها كلها فيء من عند الله تعالى.

(شيئاً صغيراً أو كبيراً): شيئاً مما يصغر أمره، أو يكبر خطره وحاله.

(لأشدنّ عليك شدة): أثب عليك وثبة، أو أراد أحمل عليك حملة، كما قال:

سائل فوارس يربوع بشدتنا

(١) الكورة: المدينة، وكور الأهواز: تسع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم، ويجمعهن الأهواز، لا تفرد واحدة منهن بهوز، وهي: رامهرمز، وعسكر مكرم، وتستر، وجنديسابور، وسوس، وسرق، ونهرتيري، وأيذج، ومناذر. (القاموس المحيط ص٦٨١).
(٢) كرَمان بالفتح وقد يكسر إقليم بين فارس وسجستان. (القاموس المحيط ص١٤٨٩).
(٣) في (ب) وفي شرح النهج: وإني أقسم.
(٤) في شرح النهج: من، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

أي بحملتنا عليهم.

(تدعك قليل الوفر): تتركك قليل المال.

(ثقيل الظهر): بتحمل الأوزار والمآثم.

(ضئيل الأمر[1]): ضعيف الأمر في كل حالة من الحالات؛ حتى لا أمر منك إلا وهو في غاية الضعف والهوان.

سؤال؛ إذا كان عاملاً لعبد الله بن العباس وخليفة له في عمالاته، فأمره في الجباية والاستقامة إليه، والعهدة في ذلك على من استخلفه، فكيف كالمه أمير المؤمنين هذه المكالمة، وأوعده بهذه الوعيدات العظيمة؟

وجوابه؛ هو أن الأمر وإن كان كما ذكرت، لكن يد أمير المؤمنين قاهرة على كل الأيدي، وهي مستولية عليها فهو يراقبهم[2] بالأعين الكالية، ويحرسهم بالألحاظ الساهرة، سواء كان عاملاً له أو عامل عامله، وما فعل ذلك مع زياد بن أبيه إلا لعلمه بتهوره في أخذ لأموال وتساهله في حقها، فلأجل هذا أخشن له القول ليعرف ما عنده من ذلك وليكن في تصرفه على وَجَلٍ وحذر، لئلا يقع فيما أوعده به من هذه الوعيدات.

(١) بعده في شرح النهج: والسلام، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٢) في (ب): فهو يرى فيهم.

(٢١) ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه أيضاً[1]

(فدع الإسراف مقتصداً): الإسراف: هو إنفاق الأموال في غير وجهها وعلى غير مستحقها، وهو نقيض التقتير، وهو: منعها عن أهلها، وحجرها عن مصرفها، وأراد فاترك إنفاق الأموال في غير وجهها، وكن مقتصداً في أمورك كلها، أو في إنفاقها على وجهها.

(واذكر في اليوم غداً): أراد واذكر اليوم ما تستقبله من الشدائد والأهوال في الغد، أو يكون معناه واذكر في اليوم يوم القيامة، وما يكون فيه[2] من المحاسبة على القليل والكثير.

(وأمسك من المال بقدر ضروراتك[3]): بقدر ما يضطرك الحال إلى إمساكه، من غير أن يكون هناك ادخار له وكنز.

(وقدِّم الفضل ليوم حاجتك): أراد وقدِّم ما يفضل منه بالصدقة، وإنفاقه في سبيل الله، وابتغاء ثوابه.

(أترجو أن يؤتيك[4] الله أجر المتواضعين): بإعطاء الأموال وإنفاقها،

(١) أيضاً، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٢) في (ب): فيها.
(٣) في شرح النهج: ضرورتك.
(٤) في شرح النهج: يعطيك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

وترك التلذذ بها مع وجدانها.

(وأنت عنده من المتكبرين!): المتفاخرين بجمع الأموال، والمتباهين بكثرتها وجمعها.

(وتطمع وأنت متمرغ في النعيم[1]): كنى بالتمرغ عن استعمال اللذات والترفه فيها، والتمرغ هو: التمعك في التراب.

(تمنعه[2] الضعيف والأرملة): أراد أن ذلك التنعم ما كان سببه إلا من أجل منع الضعيف والأرملة حقهما مما قسم الله لهما من هذه الأموال، والأرملة التي لا زوج لها، والضعيف هو: الذي يضعف حاله عن التكسب، فتطمع وأنت على هذه الحالة.

(أن يوجب الله لك ثواب المتصدقين): وأنت مانع لهذه الأموال مدخر لها.

(وإنما المرء مجزي بما أسلف): أراد ليس الأمر كما تحسبه مما أنت فيه، وإنما الجزاء يكون على قدر ما سلف من الأعمال، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

(وقادم على ما قدّم): قدم من سفره فهو قادم، وأراد أنه واصل إلى ما كان سبق منه من هذه الأعمال محمودها ومكروهها، وقوله: قادم على ما قدَّم، من باب الاشتقاق، وهو غرر في كلامه، وأوضاح[3] في قلائد نظامه.

---

(١) في (ب): النعم.

(٢) في شرح النهج: أن تمنعه.

(٣) الوضاح: نوع من الحلي يعمل من الفضة، سميت بها لبياضها، واحدها وضح. (النهاية لابن الأثير ٥/١٩٦).

(٢٢) ومن كتاب له عليه السلام إلى ابن عباس رضي الله عنه

وكان ابن عباس يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله ﷺ كانتفاعي بهذا الكلام:

(أما بعد، فإن المرء يسره[1] درك ما لم يكن ليفوته): يريد أن الإنسان يسترُّ ويلحقه فرح وَجَذَل[2] لإ دراك ما قدَّر الله له حصوله ووقوعه، وما ليس فائتاً عنه بحال.

(ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه): أي ويلحقه[3] ألم وغم بفوت ما لم يقدِّر الله له إدراكه وتحصيله، وما ذاك إلا بقلة[4] الثقة بالله، ومن أجل ذلك لحقه السرور، بما ضمنه الله تعالى[5] وقدَّره من الأرزاق والأقوات، وكثرة الهلع في الدنيا، ولهذا لحقه الغم بفوات ما لم يقدر الله له نيله، ولا قسم شيئاً من حصوله.

---

(١) في (ب): ليسره، وفي نسخة وشرح النهج: قد يسره، (هامش في ب).

(٢) الجَذَلُ: الفرح.

(٣) في نسخة: ويلحق المرء (هامش في ب).

(٤) في (ب): لقلة.

(٥) تعالى، زيادة في (ب).

(فليكن سرورك بما نلت من آخرتك): أراد فالسرور الحقيقي إنما يكون بإحراز الآخرة وأعمالها.

(وليكن أسفك على ما فاتك[1] منها): الأسف: أشد الحزن، وأراد وليكن غمك على ما فاتك من أعمال الآخرة، فالسرور[2] والغم إنما يكونان على الحقيقة فيما ذكرته من أعمال الآخرة، لا على ما كان منهما فيما ذكره أولاً مما ضمن وجوده للإنسان أو منع وجوده منه.

(وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً): لأنه على شرف الانقطاع والزوال، وما هذا حاله فلا يليق بعاقل الفرح به والسرور.

(وما فاتك منها[3] فلا تأس عليه جزعاً): التأسي: التعزي، وتآسوا أي آسى بعضهم بعضاً، والأسى: الحزن، وأراد ها هنا وما فاتك من الدنيا فلا تحزن عليه جزعاً أي جازعاً، وانتصابه على المصدرية في موضع الحال.

(وليكن همُّك فيما[4] بعد الموت): أراد وما الهمُّ حقيقة إلا لما كان بعد الموت من الأهوال العظيمة والطامات.

ولله در ابن عباس أي أسد فرّاس، لقد أنافت فراسته على فراسة إياس[5]، حيث أحاط بأسرار هذا الكلام ونهايته، واستولى على البغية من إحراز مقاصده وغايته، ولهذا قال فيه ما قال.

---

(١) في (ب): ما فات.

(٢) في (ب): والسرور.

(٣) في (ب): منه.

(٤) في نسخة لما، (هامش في ب).

(٥) وهو القاضي إياس بن معاوية بن قرة المزني [٤٦-١٢٢هـ]، أبو واثلة، قاضي البصرة، كان يضرب به المثل في الذكاء والفطنة والفراسة. (وانظر عنه الأعلام ٣٣/٢).

(٢٣) ومن كلام له عليه السلام قبل موته على جهة الوصية[1]

الوصايا: جارية مجرى الكتب، ولهذا أوردت الوصايا ها هنا من أجل ذلك.

(وصيتي لكم ألاّ تشركوا بالله شيئاً): في عبادته ولا تتخذوا إلهاً غيره، وانتصاب قوله: شيئاً على المصدرية أي لا تشركوا به إشراكاً.

سؤال؛ إذا كان نصبه على المصدرية، فأراه عدل عن لفظ الفعل وهو مشتق منه، ولِمَ لم يقل: ولا تشركوا به إشراكاً؟

وجوابه؛ أنه إنما عدل عنه إلى غير لفظه ليكون مندرجاً تحته غيره فيكون عاماً في النهي عن الإشراك نفسه وعن المشرك به، فيكون النهي متناولاً لهما جميعاً، وهذا كثير الورود في كتاب الله تعالى كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾[الإسراء:٧٤].

(ومحمد ﷺ فلا تضيعوا سنته): أراد والوصية بمحمد[2] هو ألاّ تهملوا ما سنّ لكم من معالم الهدى، وطرق الصلاح.

(أقيموا هذين العمودين[3]): يريد التوحيد والسنة؛ لأنه لم يسبق

---

(١) في شرح النهج: على سبيل الوصية لما ضربه ابن مُلجم لعنه الله.

(٢) في (ب): لمحمد.

(٣) في شرح النهج: أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم.

الذكر إلا فيهما، وقيل: أراد القرآن والعترة[1]، وليس شيئاً لأنه لم يجرلهما ذكر، ولا حاجة إلى التعسف.

(وخلاكم ذم): أراد زال عنكم الذم وبرئتم عنه، يقال: افعل هذا وخلاك ذم أي سقط عنك وأعذرت.

(أنا بالأمس صاحبكم): إمامكم والمتولي لأموركم والقائم بها.

(واليوم عبرة لكم): أراد موعظة تتعظون بها؛ لقرب أجلي وانقطاع مدتي.

(وغداً مفارقكم): بالموت وهو أبلغ ما يكون من الانقطاع.

(إن أبق): من جرحي هذا ويكون في أجلي بقية.

(فأنا ولي دمي): أفعل فيه ما أشاء من عفو أو غيره.

(وإن أفن): أموت وينقطع أجلي.

(فالفناء ميعادي): أراد فالموت لا بد منه، وهو ميعاد لا خلف فيه ولا كذب.

(فإن[2] أعف): عما أصابني وأدخره عند الله.

(فالعفو لي قربة): قد ندب الله إليها وحث على فعلها، وهو من أجل القرب وأعظمها عند الله تعالى، وفي الحديث: ((ينادي مناد يوم القيامة: يقوم من له أجر على الله، فيقوم العافون عن الناس))[3].

---

(١) القيل هذا، ذكره الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ-، بدون نسبة إلى قائله.

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: وإن.

(٣) أخرجه من حديث عن أبي هريرة الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية الحديث السادس عشر وبلفظ: ((إنه ينادي منادٍ يوم القيامة: من له على الله أجر فليقم...))الحديث، وله شاهد =

(وهو لكم حسنة): تؤجرون عليها من عند الله.

(فاعفوا): يحتمل أن يكون عاماً أي اعفوا عن كل مذنب وتجاوزوا عن ذنبه، ويحتمل أن يكون خاصاً فيما هو فيه وهو أمر لهم بالعفو إذا صار مستحقاً لهم بموته، ثم تلا هذه الآية: (**﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾**)[النور:٢٢]: أراد بسبب العفو.

ونزولها في مسطح بن أثاثة وامتناع أبي بكر عن[1] الانفاق عليه لأجل مقالته في الإفك، فقال تعالى[2]: **﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ[3]﴾**[النور:٢٢]، ثم قال: **﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾**[النور:٢٢] فعاد أبو بكر عليه بالإنفاق[4].

سؤال؛ أراه قال: العفو قربة لي، وهو لكم حسنة، ففرق بين حاله وحالهم بالإضافة إلى العفو، فهل له وجه في ذلك؟

وجوابه؛ هو أن القربة إنما تكون بفعل الإنسان خاصة ليصح أن يقصد بها وجه الله تعالى، وأما الحسنة فقد تكون جزاء على فعله، وقد تكون الحسنة تفضلاً من جهة الله تعالى كما قال تعالى: **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾**[الأنعام:١٦٠] والذي بالاستحقاق ليس إلا جزء واحد،

أورده العلامة الزمخشري في الكشاف ٤٤٣/١ بلفظ: ((ينادي مناد يوم القيامة: أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا)).

(١) في (ب): من.

(٢) تعالى، زيادة في (ب).

(٣)والسعة، زيادة في (ب).

(٤) انظر الكشاف ٢٢٦/٣.

وما عداه فضل، فلهذا[1] سمى أمير المؤمنين العفو من جهته قربة لما كان الألم واصلاً إليه، وسمى عفوهم حسنة لما كان المستحق على الألم واصلاً إليهم من جهة الشرع إشارة إلى هذه التفرقة.

(والله ما فجأني من الموت وارد كرهته): فجئه الأمر فجاءه فُجَاءة بكسر العين وفتحها، وغرضه هو الوارد الذي يأتي من غير شعور به، والمعنى فيه ما ورد عليَّ الموت وأنا أكرهه.

(ولا طالع أنكرته): الطالع هو: الذي يأتي القوم ويطلع عليهم، وفي الحديث: «لا يهيدنكم الطالع المصعد»[2] وهو الفجر الكاذب، أي لا يمنعكم عن السحور، وأراد ولا جاءني الموت وأنا منكر له.

(وما كنت): بالإضافة إلى حالة الموت.

(إلا كقارب ورد): القارب هو: الذي لم يبق بينه وبين الماء إلا ليلة واحدة، وقيل: هو[3] الذي يطلب الماء ليلاً دون من يطلبه نهاراً، وأراد ما أنا فيه إلا كطالب الماء ورده، ووجد بغيته.

---

(١) في (ب): ولهذا.

(٢) أورده ابن الأثير في النهاية ٢٨٦/٥ من حديث بلفظ: ((كلوا واشربوا، ولا يهيدنكم الطالع المصعد))، وقال في شرحه: أي لا تنزعجوا للفجر المستطيل فتمتنعوا به عن السحور، فإنه الصبح الكاذب، وأصل الهيد: الحركة، وقد هدت الشيء أهيده هيداً إذا حركته وأزعجته. انتهى.

والحديث أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي ٤٦٤/٦، وعزاه إلى سنن أبي داود(٢٣٤٨)، وسنن الترمذي (٧٠٥)، والمعجم الكبير للطبراني٤٠٤/٨، وإتحاف السادة المتقين٤٥٢/٦ إلى غيرها من المصادر.

(٣) في (ب): وقيل: القارب الذي...إلخ.

(وطالب): لما يطلبه من الأمور.

(وجد): مطلوبه، وغرضه من هذا كله تشوقه إليه ومحبته للقائه، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[آل عمران:١٩٨]: يشير إلى أن ما عند الله خيرمما[1] في الدنيا بأسرها، ولقد طابق بهذه الآية المجر، وأصاب بها المفصل.

---

(١) في (ب): خير من الدنيا.

(٢٤) ومن وصية له عليه السلام بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين[١]

(هذا ما أمر به[٢] عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين): اعلم أن هذا اللقب أعني لقب أمير المؤمنين لا يصدق على أحد كصدقه عليه، لما خصه الله به من الفضائل الباهرة، وإحراز صفات[٣] الإمامة على أكمل حد، ولهذا فإن الرسول (عليه السلام) أمر الصحابة رضي الله عنهم بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين[٤]، وما ذاك إلا لاستحقاقه لها وخلافته بها.

(في ماله): فيما يملك التصرف فيه من الأموال كلها.

(ابتغاء وجه الله): أي من أجل التقرب إلى الله وطلب ما عنده من مذخور الأجر ومزيد الثواب.

---

(١) حاشية في (ب) لفظها: وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب إلا أن فيه هاهنا زيادة فأوجبت تكراره. انتهى.

(٢) به، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(٣) في (ب): صفة.

(٤) حديث أمر النبي ﷺ للصحابة بالتسليم على الإمام علي (عليه السلام) بإمرة المؤمنين أخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام علي من تأريخ دمشق٢/٢٥٩-٢٦٠ برقم (٧٨٤) بسنده يبلغ به إلى بريدة الأسلمي قال: ((أمرنا رسول الله ﷺ أن نسلم على علي بإمرة المؤمنين ونحن سبعة، وأنا أصغر القوم يومئذ)). وهو بلفظ: ((أمرنا رسول الله ﷺ أن نسلم على علي بن أبي طالب (عليه السلام) بيا أمير المؤمنين)) أخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية١/١٤١ بسنده يبلغ به إلى بريدة أيضاً.

(ليولجني الله به الجنة): أي يدخلني فيها من أولجه في كذا إذا أدخله فيه.

(ويعطيني به الأمنية[١]): الأمنية: أفعولة من قولهم: تمنى كذا إذا أراد وصوله إليها، وغرضه أن يعطيه الله تعالى ما تمناه من رضاه، وإحراز ثوابه وأجره.

ويحكى أن أمير المؤمنين كرم الله وجهه وقف عامة أمواله بينبع وغيرها، وقال: (ليولجه الله الجنة، ويصرف وجهه عن النار في سبيل الله وذوي الرحم القريب والبعيد)[٢].

وعن فاطمة عليها السلام أنها وقفت مالها على نساء رسول الله، وعلى فقراء بني هاشم وبني المطلب[٣].

---

(١) في شرح النهج: ليولجه به الجنة ويعطيه به الأَمَنَة

(٢) خبر وقف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لماله في ينبع وغيرها أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام في المجموع الحديثي والفقهي ص٢٥٣ برقم(٥٩٧) بسنده عن أبيه، عن جده، عن علي (ع) أنه كتب في صدقته: (هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب وقضى به في ماله إني تصدقت بينبع ووادي القرى والأذينة وراعة في سبيل الله ووجهه، أبتغي بها مرضاة الله، ينفق منها في كل نفقة في سبيل الله ووجهه في الحرب والسلم والجنود وذوي الرحم والقريب والبعيد، لا تباع ولا توهب ولا تورث، حياً أنا أو ميتاً أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، لا أبتغي إلا الله تعالى، فإن يقبلها وهو يرثها وهو خير الوارثين، فذلك الذي قضيت فيها فيما بيني وبين الله عز وجل الغد منذ قدمت مسكن واجبة بتلة حياً أنا أو ميتاً، ليولجني الله عز وجل بذلك الجنة، ويصرفني عن النار، ويصرف النار عن وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وقضيت أن رباحا وأبا نيزر وجبيرا إن حدث بي حدث محررون لوجه الله عز وجل ولا سبيل عليهم، وقضيت أن ذلك إلى الأكبر فالأكبر من ولد علي المرضيين هديهم وأمانتهم وصلاحهم، والحمد لله رب العالمين).

وانظر أنوار التمام في تتمة الاعتصام ٤/٢٢٢-٢٢٦، ومناقب الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله ٢/٨٠-٨٣ الرقم (٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨).

(٣) قال في أنوار التمام ٤/٢٢٣ ما لفظه: وأخرج -أي البيهقي- من طريق عبد الله بن حسن، عن غير واحد من أهل بيته، وأحسبه قال زيد بن علي: أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تصدقت بمالها على بني هاشم وبني المطلب، وأدخل معهم غيرهم.

وعن عمر أنه وقف ماله للسائل والمحروم ولذوي القربى والضيف وفي سبيل الله وابن السبيل[1].

(**وإنه يقوم بذلك الحسن بن علي**): يصرفه في وجهه ويقوم على عمارته.

(**يأكل منه بالمعروف**): من غير إسراف ولا تقتير.

(**وينفق منه بالمعروف**): من غير تبذير ولا منع لحق فيه.

(**فإن حدث بحسن حدث**): هجم عليه الموت، وانقطع عن الدنيا.

(**وحسين حي، قام بالأمر بعده**): في هذه الوقوفات.

(**وأصدر[2] مصدره**): فعل ما كان أخوه يفعل لو كان حياً، يقال: فلان يصدر الأمور في مصادرها إذا كان يأتي بها على أوجهها .

(**وإن لابني فاطمة**): يعني الحسن والحسين.

(**من صدقة علي**): يريد هذه الوقوف التي جعلهاصدقة لوجه الله تعالى.

(**مثل الذي لبني علي**): أراد أن يكون لهما على انفرادهما من هذه الصدقة مثل الذي يستحقه الكل من أولاده، وعلى هذه تكون أصولها موقوفة وغلتها تقسم نصفين، فنصف يكون للحسنين، ونصف يكون مقسوماً على كل أولاده على الرؤوس بعد ذلك.

---

(١) قال في المصدر السابق ٢٢٧/٤ ما لفظه: وفي رواية للبخاري عن ابن عمر قال: أصاب عمر بخيبر أرضاً فأتى النبي ﷺ فقال: أصبت أرضاً لم أصب مالاً قط أنفس منه فكيف تأمرني به، فقال: ((إن شئت حبست أصلها وتصدقت))، فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء أو القربى والرقاب وفي سبيل الله والضعيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل بالمعروف، أو يطعم صديقاً غير متمول فيه.

(٢) في (ب) وشرح النهج: وأصدره.

(**و[1]إنما جعلت القيام بذلك [إلى ابني فاطمة][2]**): حفظه وصرفه في مصرفه، والتولي لأحواله، وأعطيتهماأيضاً هذا القسم الذي ذكرت.

(**ابتغاء وجه الله**): طلباً لثوابه.

(**وقربة إلى رسول الله [صلى الله عليه وآله][3]**): وصلة للرسول ﷺ حيث كانا ولديه ابني بنته، وفي الحديث: ((لكل نبي ذرية، وذريتي من صلبك يا علي))[4].

(**وتكريماً لحرمته**): أراد إما تكريماً لبنته حيث كانت تحتي، وإما أن يريد تكريماً لما جعل الله له من الحرمة والجلالة والأبهة بالنبوة.

(**وتشريفاً لوصلته**): وإكراماً للوصلة التي بيني وبينه بالنسب القريب الملاصق، وبما كان من المصاهرة.

(**وأشترط على الذي جعلته إليه[5]**): بتولي إنفاقه وإخراجه وهو الحسن بن علي وبعده الحسين كما ذكره.

---

(١) في شرح النهج: وإني إنما ...إلخ.

(٢) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٣) زيادة في شرح النهج.

(٤) الحديث بلفظ: ((إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي من صلبه، وإن الله عز وجل جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب)) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية١٥٢/١ بسنده عن جابر، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١٤٨/٣ إلى المعجم الكبير للطبراني٣٥/٣، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي٣١٧/١، وجمع الجوامع للسيوطي٤٧٧٢، وكنز العمال برقم (٣٢٨٩٢) وأمالي المرشد بالله الخميسية١٥٢/١، وعزاه أيضاً إلى غيرها من المصادر، وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في المناقب ص٥٠ برقم(٧٢) بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري أيضاً مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه.

(٥) في شرح النهج: ويشترط على الذي يجعله إليه.

(**أن يترك المال على أصوله**): من غير تفريط في بيع شيء منه أوإعطاء بعضه مزارعة أو مغارسة أو مساقاة أو غير ذلك من عقودالمعاوضة الموجبة لا نتقال أصله عن كونه موقوفاً.

(**وينفق من ثمره[1] حيث أمر به**): يصرفها في مصارفها ولا سبيل له إلى الأصل بحالة من الحالات.

(**فهذا له**): الإشارة بقوله: هذا إلى النفقة التي ذكر، وصرفه في المصارف التي عينها.

(**وألاَّ يبيع من نخيل هذه القرى وديّة**): الوديَّة هي: الواحدة من صغار النخل، وجمعها ودي من باب ثمرة وثمر، وأراد أنه لا يباع من ثمر نخيل هذه القرى؛ لأن الأراضي كلها موقوفة، فلا بد من حمله على ما ذكرناه كيما يصح ويستقيم.

(**حتى تُشْكِلَ أرضها غراساً**): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير[2] تلك الصفة التي عرفها فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها.

وثانيهما: أن يكون غرضه حتى تطيب، قال الكسائي: يقال: أشكل النخل إذا طاب رطبه وأدرك، وغرضه أنه لا يباع حتى يكون يانعاً طيباً.

(**ومن كان من إمائي اللاتي أطوف عليهن**): كنى بالطواف ها هنا

---

(١) في (ب): من ثمرته.

(٢) في (ب): على خلاف تلك الصفة.

عن الوطئ وهو من غريب الكناية وبديعها، كما كنى الله تعالى[1] عن ذلك بالملامسة حيث قال: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[النساء:٤٣].

(**لها ولد أوهي حامل**): قد بان أثر حملها.

واعلم: أن الذي عليه أكابر أهل البيت وجماهيرالعلماء أن من استولد جارية فولدت ولداً تاماً أو ما يظهر فيه أثر الخلقة فإنها تعتق بموته، ولا يجوز بيعها قبل الموت، وهذا هو رأي أمير المؤمنين أولاً ورأي جلة الصحابة، ثم حكي عنه بعد ذلك جواز بيعها في حال حياة السيد وهو رأي بعض ولده، وقول قديم للشافعي، فهذا هو المذكور عن العلماء في الخلاف فيها، وظاهر كلامه ها هنا يخالف هذه الأقاويل؛ لأنه قال: إن كان لها ولد أوهي حامل ثم مات السيد عنها.

(**فتمسك على ولدها وهي حظه[2]**): فظاهر هذا يقضي بأنها تمسك عن البيع ويأخذها من حظه من ميراث أبيه.

(**فإن مات ولدها وهي حية**): أراد تأخر موتها عن موت ابنها.

(**فهي عتيقة**): لا سبيل لأحد إلى ملكها.

(**فقد[3] أفرج عنها الرق**): زال وذهب بموته، من قولهم: فرجت عنه كربة إذا أزلتها عنه.

(**وحررها العتق**): قضى بحريتها العتق، وظاهر هذه المقالة يخالف آراء

---

(١) تعالى، زيادة في (ب).

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: وهي من حظه.

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: قد.

العلماء من أهل البيت، وغيرهم من أوجه ثلاثة:

أما أولاً: فلأنه جوز بيعها في حال حياة سيدها.

وأما ثانياً: فلأنه قال: تمسك على ولدها بعد موت سيدها، وهي حظه[1] من الميراث.

وأما ثالثاً: فلأنه قال: إذا مات ولدها فهي حرة، وظاهر كلامه أنه إذا لم يمت فهي باقية تحت الرق، وهو أمة وحده، لا يقول إلا عن دلالة، ولا يحكم إلا عن بصيرة، وهو رأس المجتهدين وإمامهم.

(١) في (ب): وهي من حظه.

(٢٥) ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات

وإنما ذكرنا منها جملاً ليُعلم بها أنه (عليه السلام) كان يقيم عماد الحق ويشرع أمثلة العدل في صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وجليلها:

(انطلق): فيما أمرتك به من أخذ حقوق الله الواجبة على خلقه، وقبضها منهم.

(على تقوى الله): مراقبته في الأمور كلها.

(وحده لا شريك له): لا يخطر ببالك مراقبة غيره ولا مشاركة سواه له في الأمر والملك والإلهية.

(ولا تروِّعنَّ مسلماً): تفجعه بورودك عليه، والروع: الفزع، وفي الحديث: «وَدَى أمير المؤمنين للقوم الذين قتلهم خالد جميع ما فات عليهم، حتى مِيلَغَة الكلب وعلبة الحالب[1]، ثم أعطاهم بروعة الخيل»[2] أي بإفزاعها لنسائهم وصبيانهم ما يجبر ذلك من المال.

(١) الميلغ والميلغة بكسر الميم: الإناء يلغ فيه الكلب في الدم، وعلبة الحالب بالضم: قدح ضخم من جلود الإبل أو من خشب يحلب فيها. (انظر القاموس المحيط ص١٠٢٠، ١٥١).

(٢) نهاية ابن الأثير ٢٧٧/٢، ٢٢٦/٥، وانظر الخبر في سيرة ابن هشام٤٧/٤-٤٨، تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

(**ولا تجتازنّ عليه**[1] **كارهاً**): جاز البيت إذا دخله، وأراد أنك لا تدخل عليه ماله وضيعته إلا بأذنه.

(**ولا تأخذن منه أكثر من حق الله**): لأن ذلك يكون ظلماً وعدواناً.

(**في ماله**): أي وخذ مقدار ما فرضه الله عليه في ماله من غير زيادة فتكون ظالماً، أو نقصان فتكون خائناً لإمامك ولله في نقصان حقه.

(**فإذا قدمت على الحي**): على القبيلة من قبائل العرب وأحيائها.

(**فانزل بمائهم**): حيث يسقون وحيث تكون المواشي مجتمعة.

(**ولا تخالط أبياتهم**[2]): لغير حاجة، وربما شق عليهم ذلك لما فيه من الاحتراس والانزواء.

(**ثم امض إليهم بالسكينة والوقار**): من غير انزعاج ولا فشل في حالك وطريقتك؛ لأن ذلك يكون أقرب إلى تقرير خواطرهم، وتسكين نفوسهم.

(**حتى تقوم بينهم**): متمكناً من خطابهم مقبلاً بوجهك إليهم.

(**فتسلم عليهم**): تفاتحهم أولاً بالتحية، وتسرهم بها، وفي الحديث: «السلام قبل الكلام»[3].

---

(١) في (ب): عليهم.

(٢) في شرح النهج: من غير أن تخالط أبياتهم.

(٣) أورده في موسوعة أطراف الحديث ٢٧٩/٥ وعزاه إلى سنن الترمذي (١٩٦٩) ومشكاة المصابيح للتبريزي برقم (٤٦٥٣)، وتلخيص الحبير لابن حجر٩٥/٤، والدر المنثور للسيوطي ٣٩/٥، وكشف الخفاء ٥٥٠/١ وإلى غيرها أيضاً.

(**ولا تخدج التحية**): أي لا تنقص التحية[1]، [وأكملها لهم][2] من قولهم: أخدجت السحابة إذا قل مطرها، وأخدجت الشاة إذا ولدت لغير تمام، وفي الحديث: «كل صلاة لا تقرأ فيها الفاتحة[3] فهي خداج»[4] أي ناقصة التمام.

(**ثم تقول: عباد الله**): بالملاطفة والقول اللين السهل.

(**أرسلني إليكم ولي الله وخليفته**): المتولي عليكم بأمر الله، والمستخلف عليكم من جهته، من صلاح أحوالكم وانتظام أموركم.

(**لآخذ منكم حق الله في أموالكم**): الذي فرضه الله وقدره في أموالكم، كما جاء ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله.

(**فهل لله من حق**[5]): فأخبروني هل عندكم من ذلك شيء.

(**فتؤدونه إلى وليه**): تؤدونه هو مرفوع على القطع، وكان القياس حذف النون، ونصبه جواباً للإستفهام، ولكنه رفعه على وأنتم تؤدونه،

---

(١) في (ب): أي لا تنقصها.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) في (ب): بفاتحة الكتاب.

(٤) رواه الإمام الهادي (عليه السلام) في الأحكام ١٠٤/١ بلفظ: ((كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج)) وأخرجه الإمام أحمد بن عيسى (عليه السلام) في أماليه، وهو في الاعتصام للإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) ٣٦٧/١ وعزاه إلى أصول الأحكام، وإلى الشفاء، وأورده في موسوعة أطراف الحديث ٤٣٤/٦ وعزاه إلى مصادر عدة منها مسند أحمد بن حنبل٤٧٨/٢، والسنن الكبرى للبيهقي١٦٧/٣٨/٢، والدر المنثور للسيوطي٦/١، وحلية الأولياء لأبي نعيم٣١/١٠.

(٥) في شرح النهج: فهل لله في أموالكم من حق.

كما قال:

ألم تســـأل الرَّبـــع القَـــواء[1] فينطـــق

فلم يجعل استقرار الحق سبباً للتأدية، ولكنه جعلهـم مؤدين بكل حال كما جعل الربع ناطقاً بكل حال.

(فإن قال قائل: لا): يعني أنه لا حقاً عندنا لله في أموالنا.

(فلا تراجعه): إذ لا سبيل إلى توجه الحق عليه إلا بإقراره أن له مالاً، إذ لا وجه لإقامة بينه من جهة المصدق على ذلك، وكيف يقيم المصدق بيّنة لغير مدعي، فلهذا قال: لا[2] تراجعه إذا أنكر، يشير إلى ما ذكرناه.

(وإن أنعم منعم لك): أي قال لك: نعم عندي حقوق لله.

(فانطلق معه): لقبضه لما أقر به ولزمه فرضه.

(من غير أن تخيفه[3]): بظلم من جهتك له بالزيادة.

(أو توعده): على ما ليس حقاً لك عنده.

(أو تعسـفه): عسـف الطريـق واعتسـفها إذا خبـط فيهـا علـى غـير صواب، وأراد الطلب له فيما لا يتوجه عليه ولا يلزمه لله.

(أو ترهقه): إما تظلمه وإما تكلفه أمراً عسيراً.

(فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة): إذا كان ماله ذلك بعد أن تعرّفه

(١) الرَّبْع: الدار بعينها، والقَواء: الخالية، من أقوت الدار إذا خلت.

(٢) في (ب): فلا تراجعه.

(٣) في نسخة أخرى: تخفيه.

ما يتوجه عليه في ذلك المال كيلا يزيد جهلاً بالحق المفروض من جهة الله تعالى، فربع العشر يكون في أموال التجارة عند حلولها حولاً كاملاً، وفي الركاز الخمس، ولا زكاة في هذه الأموال الناضَّة[1] حتى تبلغ الفضة مائتي درهم قفلة، والذهب عشرون مثقالاً إلى غير ذلك من الأحكام التي لابد من معرفتها.

(وإن كانت له ماشية): بقراً أو غنماً.

(أو إبل): فإطلاق الماشية على هذه الأنواع الثلاثة.

(فلا تدخلها): للعدِّ والدرية بحالها وحال ما يؤخذ منها.

(إلا بإذنه): عن رضًا منه واستئمار.

(فإن أكثرها له): تعليل للمنع من الدخول، وأراد إن لك شيئاً حقيراً فيها، والأمر كله فيها إليه.

(فإذا أتيتها): طالباً للحق وقابضاً له منه.

(فلا تدخلها[2] دخول متسلط عليه): قاهر له، والسلطنة: القهر.

(ولا عنيف به): العنف: ضد الرفق، وأراد أنه لا رحمة له عندك.

(ولا تنفرن بهيمة): تزعجها عن[3] مكانها فشلاً وجزعاً من دخولك.

(ولا تفزعنّها): بما يكون منه من الخشونة وشكس التصرف.

(١) الأموال الناضة: هي الذهب والفضة.

(٢) في شرح النهج: فلا تدخل عليها.

(٣) في (ب): من.

(ولا تسوءن صاحبها): تدخل عليه غماً وضيقاً في ماله بالتنفير، والتشديد وتغيير الحالة التي هو عليها.

(فيها): أي من أجلها وبسببها.

(واصدع المال صدعين): أي أقسمه نصفين.

(ثم خيّره): أن يختار أحدهما فلا يعترض ولا يؤخذ الحق منه.

(فإذا اختار): أحدهما.

(فلا تعترض[1] لما اختار): ولا تأخذ منه شيئاً من حق الله.

(ثم اصدع الباقي صدعين): أي اقسم النصف الثاني نصفين.

(ثم خيّره): أحدهما.

(فإذا اختار): واحداً منهما.

(فلا تعترض لما اختار[2]): فتأخذ حق الله منه.

(فلا تزال بذلك[3]): عاملاً بما قلت لك من تقسيم المال وصدعه قسمين قسمين.

(حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله): من المال على قدر ما تراه من الحساب، ويعرفه المالك للمال[4].

---

(١) في شرح النهج: فلا تعرضن لما اختاره

(٢) في شرح النهج: فلا تعرضن لما اختاره.

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: كذلك.

(٤) في (ب): المال.

(في ماله): على حد قلته وكثرته.

(فاقبض حق الله منه): الذي يعطيه من ماله وتخبره بما يتوجه عليه فيه.

(فإذا استقالك): فيما تأخذه منه، وقال لك: أعد القسمة.

(فأقله): أعد له القسمة إذا طلبها.

(ثم اخلطها): أراد اخلط الزكاة التي كانت معه بماله كما كانت من قبل.

(ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً): من صدع المال وقسمه وتخييره، حتى ترضى نفسه وتطيب، وافعل ذلك وكرره.

(حتى تأخذ حق الله في ماله): عن رضىً منه، وطيبة خاطر من جهته.

(ولا تأخذن عَوْداً): العَوْدُ هو: الجمل المسن الذي قد أعيا، وهو الذي قد جاوز سنه البازل[1]، وفي بعض النسخ: **(ولا تأخذن عوراء)**: وهو فاسد، فإن قوله: ولا ذات عوار يغني عنه فلا وجه لذلك.

(ولا هرمة): الكبيرة السن.

(ولا مكسورة): قد كسرت إحدى قوائمها.

(ولا مهلوسة): وهي التي قد هلسها المرض وأذهب لحمها، والهلاس هو: السل من الأدواء والعاهات.

(ولا ذات عوار): في عين ولا طرف، ولا ما يكون مُشَوِّهاً لها، وإذا أخذتها وصارت في كفك وقبضتك.

---

(١) البازل: هو الجمل أو الناقة الذي في تاسع سنيّه. (انظر القاموس المحيط ص١٢٤٨).

(فلا[1] تأمنن عليها إلا من تثق بدينه): أراد فلا تولي حالها في سقي ولا مرعى إلا من يكون موثوقاً بدينه، وخوفه لله تعالى.

(رافقاً بأموال المسلمين): كثير الرفق وعظيم الشفقة، والتعطف على ما كان متعلقاً بالمسلمين، ثم اجتهد في حفظه ورعايته.

(حتى يوصله إلى وليهم): وهو الإمام والمتولي عليهم.

(فيقسمه بينهم): على ما فرضه[2] الله تعالى وقدره، فما كان من أموال المصالح فمصرفه ما كان مصلحة في الدين، وما كان من غيرها فمصرفه الفقراء على حد ما يراه الإمام ويقتضيه رأيه ويوجبه اجتهاده.

(ولا توكّل بها): في سوقها وحفظها.

(إلا ناصحاً): لله وللإمام ولك.

(شفيقاً): رحيماً لها في جوعها وعطشها، وسيرها ومواضع مراحاتها.

(وأميناً): عليها فلا يخون في شيء منها.

(حفيظاً): محافظاً على مصالحها، وتفقد أحوالها.

(غير معنّف): العنف: نقيض الرفق، وأراد غير آخذ لها بالجُرْز[3].

(ولا مجحف): بأحوالها أي ذاهب بما يقيمها، من قولهم: أجحف به إذا ذهب بصلاح أموره.

---

(١) في (ب) وشرح النهج: ولا.

(٢) في (ب): ما فرض.

(٣) الجُرز بالضم: عمود من حديد. (القاموس المحيط ص٦٤٩).

(ولا ملغب): الإلغاب هو: الإتعاب والإعياء، كما قال تعالى[1]: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق:٣٨].

(ولا متعب): التعب هو: المشقة العظيمة.

(ثم احدر إلينا ما اجتمع عندك): أرسل إلينا، ومنه الانحدار وهو الانصباب إلى أسفل، وإنما قال: احدر مبالغة في سرعة الإرسال والإعطاء تشبيها بمن ينحدر في سيره إذا كان مسرعاً.

(نصيّره حيث أمر الله به): أن نصيره فيه ونقضه في أهله وأهل استحقاقه من جهاد وفقراء ومصالح وغير ذلك مما قد فرضه الله، وعينه وقدره وأحكمه.

(فإذا أخذها أمينك): أعطيتها من تستأمنه فيها.

(فأوعز إليه): أي قدم إليه الحديث في الوصية:

(ألاّ يحول بين ناقة وفصيلها): أراد إما بأن يأخذ من رب المال الناقة ويترك فصيلها، فنهاه عن ذلك ولكن يأخذ الناقة عن الفرض، ويأخذ الولد بالقيمة يدفعها له، وإما أن يريد إذا صارا[2] زكاة من جهة رب المال فلا يفصل بينهما لغرض من الأغراض ومقصد من المقاصد.

(ولا يمْصُرْ لبنها): يستوعب جميع ما في ضرعها من اللبن.

(فيضر ذلك بولدها): لأنه هو قوته وبلغته.

---

(١) تعالى، زيادة في (ب).

(٢) في (ب): صارت.

(ولا يجهدها[1] ركوباً): أي لا يتعبها بالركوب، وانتصاب ركوباً إنما هو على التمييز.

(وليعدل بين صواحبها[2] في ذلك وبينها): أراد أن الركوب لايكون مختصاً بها وحدها، وليجعل الركوب مناوبة بالقسط والعدل.

(وليرفه على اللاغب): على الذي لغب وأعيا، وأراد باللاغب أي الجمل اللاغب، ويحتمل أن يكون أراد الناقة، وإنما طرح التاء لأنه في معنى النسب كما قالوا: جمل ضامر وناقة ضامر أي ذات ضمور.

(وليستأن بالنقب): من الأناة والتوقف بالنقب وهو: الذي رقت أخفافه من السير، أو أصابه نقب في خفه وظلفه، فلا يستطيع السير.

(والظالع): وهو الذي يعرج من أحد قوائمه.

(وليوردها ما تمر به من الغُدُر): كي تشرب فيها ولا يقطعها العطش.

(ولا يعدل بها[3] عن نبت الأرض إلى جواد الطريق): وأراد أن من جملة الرعاية لأحوالها هو أنه لا يعدل بها عن المراعي الحسنة في السهول والأوطان إلى جواد الطريق، وهي أوسطها، حيث لا كلاء ولا شجر، ولكن يجنبها عن الجواد كيما تستريح بالأكل للشجر.

(وليروحها في الساعات): يريح عليها في ساعة بعد ساعة، ووقتاً بعد وقت.

---

(١) في شرح النهج: ولا يجهدنها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) في شرح النهج: صواحباتها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٣) بها، سقط من (ب).

(ليمهلها[1] عند النطاف والأعشاب): النطاف هو: الماء القليل، والأعشاب: جمع عشب، وهو: كثرة الشجر والتفافه، وغرضه أن يتوقف بها للأكل والشرب حتى تعطى أغراضها.

(حتى تأتينا بإذن الله): بأمره وعلمه.

(بُدَّناً): سماناً.

(منقيات): ذوات نِقْي أي دهن، والنقي هو: مخ العظم.

(غير متعبات): قد أعياهن التعب والإقصاء.

(ولا مجهودات): قد أصابهن الجهد.

(لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه [صلى الله عليه وآله][2]): أراد نقضها بين المسلمين على ما حكم الله به في كتابه، وعلى ما كان مأثوراً في سنة الرسول.

(فإن ذلك): جميع ما ذكرته لك من الترفيه والرفق في حالها.

(أعظم لأجرك): أكثر وأوفر لثوابك عند الله.

(وأقرب لرشدك): لأن تكون راشداً مصيباً للحق، فإذا كانت هذه حاله بالإضافة إلى البهائم ومن لا عقل له، فكيف حاله بالإضافة إلى علماء الأمة وأعيان الأئمة، وأهل الفاقة والمسكنة يكون لا محالة رفقه أعظم، ورحمته أكمل وأتم.

---

(١) في (ب) وشرح النهج: وليمهلها.

(٢) زيادة في شرح النهج.

وفي الحديث: ((ما من نبي إلا وقد رعى)).

قالوا: وأنت يارسول الله.

قال: ((وأنا))[1].

وعن هذا قال العلماء: وجه الحكمة في ذلك هو أن الله تعالى يختبر أحوالهم ورحمتهم بالبهائم، فإن علم من حالهم الرفق بها، والحنو عليها فهم لا محالة للخلق أرحم، فلهذا تنباهم بعد ذلك، وأرسلهم إلى الخلق، ولأمر ما يسود من يسود.

(١) أورده ابن هشام في السيرة النبوية١/١٦٧ تحقيق مصطفى السقا وآخرين، وورد منه قوله: ((ما من نبي إلا وقد رعى الغنم)) في موسوعة أطراف الحديث ٩/٢٩٩ وعزاه إلى كنز العمال برقم (٩٢٤٢)، والبداية والنهاية لابن كثير ٦/٣٢٤، وقريباً مما أورده المؤلف هنا أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢١٠٢) كتاب الإجارة بسنده عن أبي هريرة، وابن ماجة في سننه برقم (٢١٤٠) كتاب التجارات.

(٢٦) ومن عهد له عليه السلام لأهل الخراج[1]

(**أمَرَهُ بتقوى الله في سرائر أمره**): أن يكون متقياً لله في السرائر الحاصلة في القلوب.

(**وخفيات عمله**): وفي الأعمال التي تخفى على العباد، ولا يمكنهم الاطلاع عليها فإن المراقبة فيها[2] لله تكون أعظم وأكبر موقعاً عند الله تعالى.

(**حيث لا يشهد**[3] **غيره**): لا يشاهدها أحد سواه، ولا يراقبها[4] إلا هو.

(**ولا وكيل دونه**): أي ولا حفيظ عليه أحد[5] غيره.

(**وأمره أن لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر**): أراد بذلك النهي عن أن يعمل شيئاً من الطاعة فيما يظهر الناس، ويبدو لهم من ذلك؛ لأنه إذا فعل الطاعة ظاهراً فربما غيَّر ذلك.

(**فيخالف إلى غيره فيما أسر**): أي أنه يفعل خلاف ما فعل من الطاعة سراً وهو معصية لا محالة، ولكن يفعل الطاعة لوجه الله تعالى من غير

(١) في شرح النهج: ومن عهد له (عليه السلام) إلى بعض عماله، وقد بعثه على الصدقة.

(٢) فيها، سقط من (ب).

(٣) في شرح النهج: حيث لا شاهد غيره.

(٤) في (ب): ولا يراه فيها إلاهو.

(٥) في (ب): أحداً.

التفات إلى ظهور للناس بشيء من ذلك، فيؤدي إلى المحذور الذي ذكره.

(ومن لم يختلف سره وعلانيته): ما يظهر من أفعاله وما يبطنها.

(وفعله ومقالته): وقوله وفعله.

(فقد أدى الأمانة): وهو التكليف الذي ائتمنه الله تعالى عليه، والواجبات التي أوجبها عليه.

(وأخلص العبادة): أدَّاها خالصة لوجه الله تعالى؛ لأن من لم يختلف حاله في الظهور والإسرار والأقوال والأفعال فهذا هو المخلص حقيقة.

اللَّهُمَّ، إنا نعوذبك من مخالفة القول للفعل، والسر للعلانية.

(وامره ألا يجبههم): أي يستقبلهم بما يكرهونه من الكلام، والضمير للمولى عليهم.

(ولا يعضَهَهُمْ): عضهه إذا رماه بالبهتان وقول الأثم.

(ولا يرغب عنهم): أي لا يكون زاهداً فيهم.

(تفضلاً بالإمارة): أي من أجل تفضله بكونه أميراً، فإن مثل هذا يكون زيادة في التواضع لهم، كما قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر:٨٨].

(فإنهم الإخوان في الدين): إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠] أي أن هذه الأخوة ما حصلت إلا من أجل الدين.

(والأعوان على استخراج الحقوق): ممن كتمها، وأراد خلاف الحق فيها.

(وإن لك في هذه الصدقة): يخاطب به المصدق والمتولي لجباية الأموال.

(نصيباً مفروضاً، وحقاً معلوماً): فرضه الله تعالى وقدره، فلا يزاد عليه ولا ينقص منه.

(وشركاء): أي ولك شركاء فيها.

(أهل مسكنة): أي هم أهل مسكنة، ضعف في أحوالهم.

(وضعفاء): أي وهم ضعفاء.

(ذوي فاقة): الفاقة: الفقر.

(وإنا موفوك حقك): معطوك نصيبك لا نقصان عليك فيه.

(فوفهم حقهم[1]): أعطهم نصيبهم موفراً.

(وإلا[2] فإنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة): أي وإلاَّ تفعل ماأمرتك به من ذلك من التوفير والإيفاء فإن خصومك لامحالة يكونون كثيراً يوم القيامة.

(وبؤساً[3]): بئس الرجل بؤساً إذا اشتدت حاجته، وعظم فقره، وانتصابه على المصدرية، وفعله مضمر لايظهر.

(لمن خَصْمُهُ عند الله الفقراء): أهل الفاقة.

(والمساكين): الضعيفة أحوالهم.

---

(١) في (ب) وشرح النهج: حقوقهم.

(٢) في شرح النهج: وإلا تفعل فإنك ...إلخ.

(٣) في شرح النهج: وبؤسى.

(والسائلون): كثيروا المسألة من أجل فقرهم.

(والمدفوعون): وهم الفقراء؛ لأن كل أحد يدفعهم عن نفسه من أجل إلحاحهم[1].

(والغارم[2]): وهو: الذي لحقه الدين من أجل خاصة نفسه، أو من أجل مصلحة فعلها في الدين.

(وابن السبيل): المنقطع في السفر، وإن كان موسراً في بلده.

(ومن استهان بالأمانة): خف موقعها في نفسه ولم يلتفت إليها.

(ورتع في الخيانة): تمكن فيها واستحكم أمره في أخذها، ورتعت الماشية إذا أكلت ما شاءت، ويقال: خرجنا نرتع ونلعب أي نلهو وننعم.

(ولم ينزّه): يبعِّد عنها:

(نفسه ودينه): والتنزُّه: التباعد عمَّا يسوء ويسقط النفوس، قال الهذلي:

أقبَّ طريد بنزه الفلا ... ة لا يرد الماء إلا ائتيابا[3]

ونزه الفلاة: ما تباعد عن المياة.

(١) في (ب) ونسخة أخرى: إيحاجهم.

(٢) في شرح النهج: والغارمون.

(٣) البيت في لسان العرب ٦٢٠/٣ وهو فيه من بيتين، نسبهما لأسامة بن حبيب الهذلي وهما:

كأسحم فرد على حافة ... يشرِّد عن كتفيه الذبابا

أقبَّ رباع بنزه الفلا ... ة لا يرد الماء إلا ائتيابا

(فقد أحل بنفسه[1] في الدنيا الذل والخزي): حلَّ به كذا إذا أصابه وخالطه، وأراد أن من حاله هكذا فقد أصابه الخزي وهو المذلة في الدنيا.

(وهو في الآخرة أذل وأخزى): أحقر وأدنئ؛ لأن ما كان في الدنيا من الخزي والعذاب والهوان فإنه لا نسبة له إلى ما يستحق في الآخرة.

(وإن أعظم الخيانة): عند الله.

(خيانة الأمة): خانه يخونه خوناً وخيانة ومخانة إذا لم يَفِ له، قال تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة:١٨٧].

(وأعظم[2] الغش): حالة عند الله.

(غش الأئمة): والغش: خلاف النصح، وفي الحديث: «ليس منَّا من غشَّ»[3]، وقوله: خيانة الأمة، وغش الأئمة، مصدران مضافان إلى مفعولهما، والفاعل فيهما محذوف وتقديره[4] خيانة الأمة وغش الأئمة غيرهم.

(١) في (ب): نفسه، وقوله: الذل سقط منها، والعبارة في شرح النهج: فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا.

(٢) في شرح النهج: وأفظع الغش.

(٣) رواه الإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) في الاعتصام ٢٨/٢ عن الجامع الصغير للسيوطي، وقال: قال -أي السيوطي- رواه أحمد في مسنده، وأبو داود، وابن ماجة، والحاكم.
قلت: وهو في السنن الكبرى للبيهقي ٣٢٠/٥، والمعجم الكبير للطبراني ١٩٨/٢٢، والترغيب والترهيب للمنذري ٣٥٩/٢، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨٦٧/٦.

(٤) في (ب): تقديره بغير واو.

(٢٧) ومن عهد له عليه السلام كتبه لمحمد بن أبي بكر [رضي الله عنه][1] حين قلّده مصر

(فاخفض لهم جناحك): هذه كناية حسنة دالة على الأمر بالتواضع، وأخذها من خفض الطائر جناحه إذا دنا للوقوع.

(وألن لهم جانبك): لين الجانب كناية عن البشاشة وحسن المودة.

(وابسط لهم وجهك): المراد ببسط الوجه لين العريكة، وسعة الخلق.

(وآس بينهم في اللحظة والنظرة): أراد أنهم يكونون بالإضافة إلى إنصافك على جهة الاستواء، لا تفضيل لأحد منهم على أحد، فيكونون[2] أسوة في ذلك.

(حتى لا يطمع العظماء في حيفك): الحيف: الميل.

(ولا ييأس الضعفاء عن[3] عدلك): العدل: الاستقامة على الحق، وأراد أنك إذا فعلت ما ذكرته من المؤاساة بينهم كان أقرب إلى بطلان طمع أهل العظمة والتكبر في أن تحيف وتميل عن الحق، وأبعد عن إياس أهل الفاقة والمسكنة عن عدلك واستقامتك على الحق.

---

(١) زيادة في شرح النهج.
(٢) في (ب): فتكون.
(٣) في (ب) وشرح النهج: من.

(وإن[1] الله يسائلكم[2] معشر عباده): يباحثكم ويناقشكم.

(عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة): عما يكون صغيراً مكفراً، وعما يكون كبيراً[3] محبطاً للثواب مهلكاً.

(والظاهرة): المكشوفة للناس.

(والمستورة): التي لا يعلمها إلا الله تعالى[4].

(فإن يعذب): على أفعالكم وعلى ما أنتم مصرون عليه من الأعمال السيئة.

(فأنتم أظلم): أعظم ظلماً وأكثر إثماً.

(وإن يعف): عما اجترحتموه من الأفعال القبيحة.

(فهو أكرم): من أن يستوفي له[5] حقاً.

(واعلموا عباد الله): علماً لا شك فيه، وتحققاً لا ريب[6] يخالطه.

(أن المتقين): لله تعالى والخائفين له في جميع أحوالهم.

(ذهبوا بعاجل الدنيا): نعيمها ولذاتها.

(وآجل الآخرة): وما يكون في الآخرة من اللذة والنعمة أيضاً.

---

(١) في (ب) وشرح النهج: فإن.
(٢) في (ب): يسألكم.
(٣) كبيراً، سقط من (ب).
(٤) تعالى، زيادة في (ب).
(٥) في (ب): حقاً له.
(٦) في (ب): لا ريب فيه يخالطه.

(فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم): بما كان بإعطاء الله لهم من راحة النفوس وقرار الخواطر، وتعجيل أرزاقهم الهنية، وطمأنينة أنفسهم إلى ذلك.

(ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم): فيما يستحقون من جهة الله تعالى من الثواب والدرجات العالية بصالح أعمالهم.

(سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت): من قرار الأنفس وطيب الخواطر، وثلج الصدور وراحة الأبدان.

(وأكلوها بأفضل ما أكلت): في مآكلهم ومشاربهم، ومناكحهم وجميع لذاتهم فيها.

(فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون): رجل حظي إذا كان ذا حظوة، ومكانة وشرف ومنزلة واستحقاق لما هو فيه، وأراد أنهم امتازوا فيها بما امتاز به أهل الترف والنعمة من أهل الدنيا.

(وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون): من التنعم بلذاتها، والتفكه بغضارتها، وإحراز رونقها.

(ثم انقلبوا عنها): يريد إلى الآخرة.

(بالزاد المبلغ): لهم إلى الجنة.

(والمتجر الرابح): بالفوز برضوان الله تعالى وكريم ثوابه.

(أصابوا لذة): ظفروا بها وأحرزوها.

(زهد الدنيا في دنياهم): أراد الرغبة عن الدنيا، والانقطاع عنها في عاجلتهم المتقدمة.

(وأيقنوا أنهم جيران الله)[1]: قريبون من رحمته، ولا تعقل المجاورة في حق الله تعالى[2] إلا القرب من الرحمة كما ذكرناه.

(في آخرتهم): في الدار الآخرة.

(لا ترد لهم دعوة): لقربهم إلى الله وعلو درجتهم عنده فلا يخالفهم في تنجيز مراداتهم.

(ولا ينقص لهم نصيب من لذة): جزاء على أعمالهم وتوفيراً عليهم ما يستحقونه.

(فاحذروا عباد الله الموت وقربه): هجومه على غفلة، وقرب نزوله على فجعة.

(وأعدوا له عدته): من الأعمال الصالحة والتوبة النصوح، وحسن الظن بالله تعالى[3]، وفي الحديث: «[لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو محسن للظنِّ بالله، فإنَّ الله يقول][4]: أنا حيث ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ بي ما شاء»[5].

---

(١) في شرح النهج: جيران الله غداً.

(٢) تعالى، سقط من (أ).

(٣) تعالى، سقط من (أ).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٥) الحديث بلفظ: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله)) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي٧/٤٦٦ وعزاه إلى مسلم (٢٢٠٥) و(٢٢٠٦)، ومسند أحمد بن حنبل١/٣٢٥، ٣٣٠، ٣/٢٩٣، والبداية والنهاية لابن كثير٥/٢٣٨، ٢٣٤، وحسن الظن لابن أبي الدنيا١، ٣، ٤. روى جزءاً منه بلفظ: ((يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء)) الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص٤٩٩ برقم (٤٣٠). (انظر تخريجه فيه)، وبلفظ الموفق بالله رواه العلامة ابن أبي الحديد في شرح النهج١٠/١٥٥.

(فإنه يأتي بأمر عظيم): هول لا أعظم منه، ومصيبة لا أطم منها من استلاب الروح ودخول القبر، وملاقاة أهوال الآخرة

(وخطب جليل): جل الخطب إذا عظم واتسع.

(بخير لا يكون معه شر أبداً): بخير في موضع البيان، لقوله: يأتي بأمر عظيم، إما على البدلية وإما على عطف البيان، وأراد بالخير لأهل ولاية الله وأهل العمل بطاعته.

(و[1]شر لايكون معه خير أبداً): لأهل عداوة الله وأهل العمل بمعصيته.

اللَّهُمَّ، اجعلنا من أهل طاعتك والولاية لك يا أكرم مسئول.

(فمن أقرب إلى الجنة من عاملها!): استفهام على جهة التقرير، وغرضه أن أقرب الناس من[2] الجنة هم العاملون لها الأعمال المبرورة والقربات المتقبلة.

(ومن أقرب إلى النار من عاملها!): أراد أنه لا أقرب إلى النار من أهل العمل لها، بأعمالها من ارتكاب المناهي وفعل المحظورات.

(وأنتم طرداء الموت): جمع طريد وهو: الذي يساق بالعنف والشدة فيذهب كل مذهب.

(إن أقمتم له): على طريقه.

(أخذكم): تناولكم.

(وإن فررتم منه): هربتم من أجله خوفاً منه.

---

(١) في (ب): وبشر، وفي شرح النهج: أو شر.

(٢) في (ب): إلى الجنة.

(أدرككم): لحقكم ولم تفوتوه.

(وهو ألزم لكم من ظلكم): لأن الظل لا ينفك عن الإنسان بحال؛ لأنه حاصل على جهة الوجوب عن الشبح.

(الموت معقود بنواصيكم): لا يحل أبداً.

(والدنيا تطوى خلفكم): أراد أن الأيام والليالي تمضي مستمرة كل ما مضى منها لا يعود البتة، فكأن طاوياً يطوي كل ساعة من خلفنا.

(فاحذروا ناراً): إنما نكرها لعظم شأنها، كأنه قال: نار وأي نار، لا يمكن وصفها.

(قعرها بعيد): لا ينال ولا يوقف له على غاية في البعد، منتهاه حيث أراد الله وعلمه.

(وحرها شديد): عظيم بالغ في الشدة كل مبلغ.

(وعذابها جديد): لا يندرس أبداً أو لا يفنى.

(ليس فيها رحمة): لأحد ممن هو كائن فيها.

(ولا تسمع فيها دعوة): لمن يدعو منهم أبداً.

(ولا تفرج فيها كربة): لا يزول ما هم فيه من الغصص، والكرب اللاحقة بهم والغموم، وقد وصف الله تعالى ماهم فيه من الويل والعذاب فيها على أوجه مختلفة، وضروب متفاوته.

(وإن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله): من أجل جلاله وعظم سلطانه، واقتحامكم على مناهيه، وتضييعكم لأوامره.

(وأن يحسن ظنكم به): لرحمته الواسعة، وعفوه الكثير.

(فاجمعوا بينهما): لما في ذلك من المصلحة، فالخوف يحمل على الانكفاف عن المعاصي، والرجاء يحمل على الاتكال على رحمة الله وسعة عفوه، وعن عمر: الرجاء والخوف بعيران لا أبالي أيهما ركبت.

(فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه): اعلم أن الرجاء والخوف إنما يكونان[1] في الأمور المنتظرة، فإن كان مما[2] يتألم به القلب فهو الخوف، وإن كان مما يفرح به القلب فهو الرجاء، وهما كلاهما ينشأن عن المعرفة بجلال الله تعالى[3]، وتكون سبباً فيهما، فمن عرف الله تعالى كان على قدر حاله في المعرفة يكون خوفه منه ورجاؤه له، وهما من المقامات العظيمة لأولياء الله، وفي الحديث: «دخل الرسول (عليه السلام) على رجل وهو في النزع»، فقال: «كيف تجدك»؟

قال: أجدني أخاف ذنوبي، وأرجو رحمة ربي.

فقال: «ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا، وآمنه مما يخاف»[4].

---

(١) في (ب): يكون.

(٢) في (ب): ما.

(٣) تعالى، زيادة في (ب).

(٤) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٠/١٥٥، وأخرجه الإمام الموفق بالله (عليه السلام) في الاعتبار ص٤١٧ برقم (٣٠٦) بسنده يبلغ به إلى أنس بن مالك، وهو فيه باختلاف يسير في بعض ألفاظه، قال المحقق في تخريجه: أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الزهد رقم (٤٢٦١) عن عبد الله بن الحكم بن أبي زياد به. انظر بقية تخريجه فيه، ورواه العلامة محمد بن مطهر الغشم رحمه الله في رضا رب العباد ص٣٨٣، وقال في هامشه: أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب، وابن ماجة، وابن أبي الدنيا عن أنس، قال المنذري: إسناده حسن. انتهى.

(وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً لله): لأن المرء إذا اشتد خوفه من الله بعثه ذلك[1] على الاضطرار إلى الله وحسن الرجاء له.

وروت عائشة: «أنه (عليه السلام) كان إذا اشتدَّ عصف الريح تغيَّر وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة، ويدخل ويخرج، كل ذلك خوف[2] من عذاب الله»[3].

(واعلم يا محمد بن أبي بكر، أني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي): أحبهم إليَّ وأعظمهم موقعاً عندي، وأقواهم حالة وأشدهم أمراً.

(أهل مصر): فإني قد جعلتك عليهم والياً، واخترتك لمصالحهم أميراً.

(فأنت محقوق أن تخاف[4] على نفسك): أراد إما أنه يحق عليك لله تعالى[5] أن تخاف على نفسك من عذابه، وإما أن يريد أنت جدير وقمين[6] بأن تكون خائفاً منه.

(وأن تنافح على دينك): المنافحة: المخاصمة، والمنافحة أيضاً مثل

---

(١) ذلك، سقط من (ب).

(٢) في (ب): خوفاً.

(٣) وروى العلامة الزمخشري في الكشاف ٤/٣١١-٣١٢ قال: وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «أنه كان إذا رأى الريح فزع»، وقال: «اللهم، إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به» وإذا رأى مخيلة قام وجاء وذهب وتغيَّر لونه فيقال له: يا رسول الله، ما تخاف؟ فيقول: «إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا: هذا عارض ممطرنا»، وانظر تفسير الحديث في مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي إلى الحق عليهما السلام ١/١٤٠، في كتاب الإيضاح.

(٤) في شرح النهج: تخالف.

(٥) تعالى، زيادة في (ب).

(٦) في (ب): وقمن.

المكافحة، وغرضه من هذا كله الاجتهاد في الدين، والمنابذة عنه عما يسوؤه ويثلمه في هذه الأعمال والولايات.

(ولو لم يكن لك إلا ساعة واحدة من الدهر): فيه وجوه ثلاثة:

أما أولاً: فبأن يريد لو لم يكن لك إلا ساعة واحدة لا فتقرت فيها إلى رضوان الله، والخوف من عذابه.

وأما ثانياً: فبأن يكون غرضه لو لم يكن لك إلا ساعة واحدة في الولاية لافتقرت إلى مراعاة أحوالها، وإصلاح حالك فيها.

وأما ثالثاً: فبأن يكون مراده لو لم يكن إلا ساعة واحدة لا فتقرت إلى معاملة الناس، وإصلاح حالك معهم.

(فلا تسخط الله برضى أحد من خلقه): فإن من هذه حاله فهو أخسر الناس صفقة؛ لأنه في غنى عن الخلق بالله، وليس له عن الله غنى.

وأيضاً:

(فإن في الله خلفاً من[1] غيره): عوضاً عنه.

(وليس من الله خلف في غيره): أحد يسد مسده، ويقوم مقامه في الأمور كلها.

(صلّ الصلاة لوقتها المؤقت لها): المضروب المحدود لها المقدر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[النساء:١٠٣]، أي مؤقتاً مقدراً لا زيادة عليه ولا نقصان منه.

(١) في (ب): عن.

(ولا تعجّل وقتها لفراغ): أراد أنك لا تعجلها في أول[1] وقتها، لأن تفرغ للاشتغال بغيرها، فتكون قد استعجلت بأدائها وتأنّيت في تأدية غيرها، وهي أحق بالأناة والتؤدة.

(ولا تؤخرها عن وقتها بشغل[2]): يريد ولا يكون سبب تأخيرها انشغالك بغيرها فتكون قد قدَّمت عليها غيرها اهتماماً به وتركاً لها.

(واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك): يريد أن جميع الأعمال كلها متوقفة على الصلاة، فإن قبلت فهي مقبولة، وإن ردت فهي أحق بالرد، وفي الحديث: «خير أعمالكم الصلاة»[3]، فإذا كان الأفضل مردوداً فكيف حال الأدنى يكون لا محالة أخلق[4] بالرد.

(فإنه لا سواء، إمام الهدى وإمام الردى): أراد بذلك تهييجاً له إلى فعل الخير، وأنه لا يستوي الحال فيمن يكون داعياً إلى الله تعالى ودليلاً على الخير، ومن يكون داعياً إلى الشر، وعاملاً في الخلق بغير رضاء الله وتقواه.

(وولي النبي وعدو النبي): أراد ومن يكون موالياً للنبي في العمل بمراده، ومن يكون مضاداً مخالفاً لهواه على جهة المعاداة، فهذان لا يستوي حالهما، وبينهما لا محالة بعد متفاوت.

(ولقد قال لي رسول الله [صلى الله عليه وآله][5]: «إني لا أخاف

(١) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: قبل وقتها.

(٢) في (ب): لشغل، وفي شرح النهج: لاشتغال.

(٣) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٦٤٢/٤ إلى سنن ابن ماجة (٢٧٩)، ومسند أحمد بن حنبل ٢٨٠/٥، والاستذكار لابن عبد البر ٢٦٢/١، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٨٩/٢.

(٤) في (ب): أخف.

(٥) زيادة في (ب) وشرح النهج.

على أمتي مؤمناً ولا مشركاً»): يشير بهذا لمحمد بن أبي بكر، إما على جهة العموم وهو تعريفه بضرر من هذه حاله، وإما على جهة الخصوص وهو تحذيره من حال معاوية؛ لأن من كان حاله على جهة واحدة فعلاجه يكون سهلاً وأمره يكون أيسر.

(«**أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه**»): عن الإقدام على ما ليس له فعله، ويبعثه إيمانه على فعل كل خير من ذلك.

(«**وأما المشرك فيقمعه الله بشركه**»): قمعه إذا كفه، وأراد أن الله تعالى يكفه عما يريد وعما يخطر على باله من الأعمال المكروهة، فهذان علاجهما لا محالة أسهل لكونهما على حالة واحدة.

(«**ولكني أخاف عليكم كل منافق الجَنان**»): أراد كل من كان نفاقه في جنانه وهو القلب يظهر الإيمان ويبطن خلافه من الكفر.

(«**عالم اللسان**»): يصف الإيمان بلسانه ولا يعمل به.

(«**يقول ما تعرفون**»): من الأمر بالحق والوصف له.

(«**ويفعل ما تنكرون**»)[1]: من أعمال السوء، فمن هذه حاله فهو لا محالة مخوف على الدين وإفساده.

---

(١) أخرجه الإمام الناصر الأطروش (عليه السلام) في البساط ص١٠٨-١٠٩ بسنده عن الحارث الأعور، عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) باختلاف يسير، والإمام الموفق بالله (عليه السلام) في الاعتبار ص١٨٠ برقم(١٥٠) بسنده عن الحارث، عن أمير المؤمنين باختلاف يسير في بعض لفظه، وقال المحقق في تخريجه: هو في كنز العمال رقم (٢٩٤١٦) عن الحارث عن علي (عليه السلام)، وعزاه إلى العسكري في المواعظ، وهو في مجمع الزوائد بلفظ مقارب، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط والصغير، قال: وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف. قلت: ضعفوه تحاملا لتشيعه، إلى أن قال: وعزاه في موسوعة الأطراف إلى الترغيب والترهيب ٢٣٦/٣، وإتحاف السادة المتقين٣٧٨/١.

(٢٨) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية [جواباً][1] وهو من محاسن الكتب

(**أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر[2] اصطفاء الله محمداً [صلى الله عليه وآله][3] لدينه**): صدَّر معاوية كتابه بذكر اختيار الله الرسول صلى الله عليه وآله، من أجل إحياء دينه وتقرير معالمه.

(**وتأييده إياه بمن[4] أيده من أصحابه**): ومن جملة ما ذكره معاوية أن الله تعالى أيده بأصحاب وأعوان.

(**فلقد خبّأ لنا منك الدهر[5] عجباً**): ستره وكتمه ولم يظهره، والعجب: ما يعجب منه.

(**إذ طفقت**): إذ هذه معمولة لما قبلها وهي معمولة لخبأ، وطفق من أفعال[6] المقاربة طفق يفعل كذا إذا أخذ في فعله.

(**تخبرنا ببلاء الله عندنا**): البلاء هو: الاختبار والامتحان.

---

(١) زيادة في شرح النهج.
(٢) في شرح النهج: تذكر فيه.
(٣) زيادة في شرح النهج.
(٤) في شرح النهج: لمن.
(٥) في (ب) وشرح النهج: فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً.
(٦) في (ب): أعمال.

(ونعمته علينا في نبينا): وتذكر ما منَّ الله به علينا من بعثة[1] هذا النبي فينا وبيننا.

(فكنت في ذلك): أي في كلامك هذا.

(كناقل التمر إلى هجر): هذا مثل يضرب لمن يجلب الشيء إلى موضعه ومكانه ليبيعه فيه، هجر: بلد يذكر ويؤنث[2].

(وداعي[3] مسدده إلى النضال): وهذا أيضاً مثل لمن يعلم غيره صنعة[4] من الصناعات، أو أدباً من الآداب، فلما تمَّ تعليمه له طفق يباريه في ذلك ويعترض عليه، والمسدد هو: المعلم لتسديد السهم نحو الغرض، والنضال هو: المناضلة، وهي: الرمي على خطر وسبق، وعن هذا قال بعضهم:

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما شد[5] ساعده رماني[6]

(وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام): أعلاهم درجة، وأكثرهم عند الله ثواباً وأرفعهم عند الله مكانة ومنزلة.

(١) في (ب): نعمته.

(٢) وانظر أصل المثل والبلدة في شرح ابن أبي الحديد ١٥/١٨٨، والقاموس المحيط ص٦٣٨، ولسان العرب٣/٧٧٤.

(٣) في (ب) وشرح النهج: أو داعي.

(٤) في (أ): صنيعة.

(٥) هكذا في النسخ، وفي شرح النهج ١٥/١٨٩، ولسان العرب٢/١١٧: استد، بالسين المهملة، أي استقام.

(٦) بعده:

فلا ظفرت يمينك حين ترمي ... وشلت منك حاملة البنان

والبيتان ينسبان لمعن بن أوس، وقيل: لمالك بن نهم الأزدي، وقيل: لعقيل بن علفة. (انظر لسان العرب ٢/١١٧-١١٨).

(فلان وفلان): يريد معاوية أبابكر وعمر، ولكن أمير المؤمنين كنى عنهم[1] بهذه الكناية.

(فذكرت أمراً): ليس لك ذكره، ولا أنت أهلاً لأن تكون خائضاً فيه لأمور ثلاثة:

أما أولاً: فلأن درجات الفضل بين الفضلاء إنما تكون بعلم من جهة الله ومن جهة ر سوله؛ لأن ذلك كله بالإضافة إلى كثرة الثواب وزيادته، وهذا أمر غيبي لا يطلع عليه إلا الله أو من أطلعه[2] عليه.

وأما ثانياً: فلأن الخوض في درجات الفضل بين الفضلاء إنما يكون من جهة من يكون في مراتبهم، وعارفاً لمقاديرهم، وأنت خارج عن هذا.

وأما ثالثاً: فلأن هذا أمر:

(إن تمّ اعتزلك كله): أي لم تكن منه في ورد ولا صدر، ولا له تعلق بك بحال.

(وإن نقص لم يلحقك ثلمه): أراد وإن لم يتم فلا يلحقك فيه نقص لا نفصالك عنه.

(وما أنت والفاضل والمفضول): أي وما أنت وذكر من هو فاضل وذكر من هو مفضول.

(والسائس والمسوس!): أراد وذكر من هو حسن السياسة للأمة ممن[3]

(١) هكذا في النسخ ولعل الصواب: عنهما.

(٢) في (ب): أطلعه الله عليه.

(٣) في (ب): ومن.

ليس حاله كذلك، لأن كتاب معاوية[1] فيه ذكر ذلك.

(وما للطلقاء): يريد أبا سفيان بن حرب.

(وأبناء الطلقاء): يريد معاوية؛ لأنهما أطلقا يوم الفتح عن الأسر والقتل والاسترقاق.

(والتمييز بين المهاجرين الأولين): في المهاجرة مع الرسول، والمتقدمين فيها.

(وترتيب درجاتهم): وأن هذا أفضل من ذاك، وأن ذاك أفضل من هذا كما فعلت.

(وتعريف طبقاتهم!): في العلو والرفعة.

(هيهات): بَعُدَ ما قاله عن الصحة.

(لقد حنَّ قدح ليس منها[2]): الضمير في منها للقداح التي يستقسم بها، وحنَّ أي ظهر له صوت يخالف أصواتها، فلما كان الأمر كذلك عرف المفيض بها والمجلجل لقداحها أنه خارج عنها وليس من جملتها.

---

(١) انظر عن كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الذي يقصده المؤلف هنا في شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥/١٨٤-١٨٧.

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٥/١٩١ في شرح قوله: (لقد حنَّ قِدْحٌ ليس منها): هذا مثل يضرب لمن يدخل نفسه بين قوم ليس له أن يدخل بينهم، وأصله القداح من عود واحد يجعل فيها قدح من غير ذلك الخشب فيصوِّت بينها إذا أرادها المفيض، فذلك الصوت هو حنينه. انتهى.

وقال ابن الأثير في النهاية ١/٤٥٢ في شرح المثل: هو مثل يضرب للرجل ينتمي إلى نسب ليس منه، أو يدعي ما ليس منه في شيء، والقِدْح بالكسر: أحد سهام الميسر، فإذا كان من غير جوهر أخواته ثم حركها المفيض بها خرج له صوت يخالف أصواتها فعرف به. انتهى.

(وطفق يحكم فيها): الضمير في فيها إما لهذه القضية، وإما للطبقات لما[1] تقدم ذكرها، وأراد يحكم فيها بالفضل لبعضهم على البعض.

(من عليه الحكم لها!): الذي[2] كانوا أحق بالحكم عليه في ذلك، والمعنى في هذا هو أن معاوية لم يكن أهلاً لما ذكر[3] من التمييز بين من ذكر حاله، وأنهم كانوا هم الأهل لأن يميزوا بينه وبين غيره.

(ألا تَرْبَعُ أيها الإنسان على ظلعك): هذا مثل يضرب لمن يقدم على أمر لا يطيقه، ومعناه ارفق بنفسك، ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق.

(وتعرف قصور ذرعك): القصور هو: العجز عن تحمل الشيء والنهوض به، وأراد أن ذرعه قاصر عما يحمله من هذه الأعباء[4]، يقال: ضقت بالأمر ذرعاً إذا لم يطقه، وقال آخر يصف ذئباً:

وإن بات وحشاً ليلة لم يضق[5] بها
ذراعاً ولم يصبح لها وهو خاشع[6]

(وتتأخر حيث أخرك القدر!): أراد حيث وضعك الله تعالى، ولاتكن متطلعاً إلى مراتب الأفاضل ممن هو فوقك في الدين والفضل وعلو الرتبة.

---

(١) في (ب): كما.

(٢) في (ب): الذين.

(٣) في (ب): ذكره.

(٤) في (ب): من هذا الأعباء.

(٥) في (ب) وفي نسخة أخرى: يطق.

(٦) لسان العرب ١/١٠٦٤، ونسبه لحميد بن ثور يصف ذئباً، وقوله: خاشع، وردت في النسخ: جاشع بالجيم، وأصلحته من اللسان.

(فما عليك غلبة المغلوب): أراد أن كل من كان مغلوباً مقهوراً بفضل غيره فما يلحقك نقصه، ولا ينالك ما لحقه[1] منه.

(ولا لك ظفر الظافر): وأن كل من ظفر بالفضل وعلابه فما ينالك منه فائدة ولا تحصل لك منفعة، وإن هذا الكلام مع اشتماله على الحق الواضح ففيه غاية الإنصاف لمن كان له قلب.

(وإنك لذهاب في التيه): تاه إذا تحيّر، وأراد أنك لذاهب في أودية الحيرة.

(رواغ عن القصد): الروغان هو: الميل، والقصد هو: الطريق، وغرضه أنه مائل عن مسالك الحق في كل أحواله.

(ألا ترى): إلى ما أقول لك وأحدثك به.

(غير مخبر لك): أراد إما أني أذكره لك ليس على جهة الإخبار لأنك عارف به فلا فائدة في إخبارك[2] به، وإما أن يريد غير مخبر لك على جهة الافتخار.

(ولكن بنعمة الله أحدث): يشير إلى قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[الضحى:١١]، وفي الحديث: «التحدث بالنعمة شكر»[3].

---

(١) في (ب): لحقك، وهو تحريف.

(٢) به، سقط من (ب).

(٣) رواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله تعالى في أنوار التمام ٤٠٣/٤ بلفظ: ((التحدث بالنعم شكر)) وعزاه إلى الشفاء للأمير الحسين، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤٣٥/٤ وعزاه إلى كشف الخفاء ٣٥٤/١، وله شاهد فيها بلفظ: ((التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر)) وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل ٢٧٨/٤، ٣٧٥، والدر المنثور للسيوطي ٣٦٢/٦، وكنز العمال برقم (٦٤١٨)، وإتحاف السادة المتقين ١٥٦/٤ وإلى غيرها من المصادر انظرها هناك.

(أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين): يسرت لهم الشهادة في مجاهدة المشركين على إعزاز دين الله.

(ولكل منهم فضل): يستبد به ويحوزه دون غيره، وهو على حظ عند الله تعالى منه، على حد ما يعلم من الإخلاص والإبلاء.

(حتى إذا استشهد شهيدنا): من يختصنا ويتعلق بنا ومن هو منا تميز على غيره من الشهداء وعظم، وارتفعت درجته عند الله تعالى، حتى[1]:

(قيل سيد الشهداء): يريد حمزة بن عبد المطلب، فإنه أعلم نفسه بريش نعامة يوم أحد، وقتله وحشي شهيداً[2]، وسيد كل شيء أعلاه وأعظمه، وفي الحديث: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[3]، وفي حديث آخر: «أنا سيد العالمين، وعلي سيد العرب»[4]، وفي الحديث: «سيد الكلام

---

(١) تعالى، زيادة في (ب).

(٢) انظر تفاصيل مقتل سيد الشهداء الحمزة بن عبد المطلب (عليه السلام) في شرح النهج لابن أبي الحديد ١١/١٥-١٩.

(٣) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٢٠/٢ إلى المستدرك للحاكم النيسابوري ٦٠٤/٢، والشفاء للقاضي عياض ٩٠/١، وإتحاف السادة المتقين ٥٧٢/٧، وكنز العمال برقم (٣٢٠٤٠) ورقم (٣٣٦٨٢) وإلى غيرها، وله شواهد كثيرة انظر مصادرها في الموسوعة.

(٤) وللحديث شاهد بلفظ: ((أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب)) أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٥١٥/٢ برقم (١٠١٨) بسنده عن حميد الطويل عن أنس، وبلفظ الكوفي أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٢٠/٢ وعزاه إلى الحاكم في المستدرك ١٢٤/٣، والمعجم الكبير للطبراني ٩٠/٣، والتأريخ الكبير للبخاري ٤٠٠/٧، وكنز العمال برقم (٣٣٠٠٦) و(٣٦٤٤٨) و(٣٦٤٥٦)، ولسان الميزان لابن حجر ٨٥٦/٤، والأسرار المرفوعة لعلي القاري ٢٢٠، وتأريخ أصفهان لأبي نعيم ٣٠٨/١.

القرآن، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الطعام الثريد»[1].

(وخصه رسول الله [صلى الله عليه وآله][2]): عند الصلاة عليه.

(بسبعين تكبيرة): لأنه يوم أحد صلى على الشهداء بأحد، ومن كملت عليه الصلاة رفعوه إلا حمزة، فإنه استوفى عليه هذه التكبيرات تشريفاً له ورفعاً لمكانه في الشهادة[3].

(عند صلاته عليه!): من بين سائر الشهداء.

(أولا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله): صبراً واحتساباً لله تعالى.

(ولكل فضل): يعلمه الله، ويوفي عليه أجره.

(حتى إذا فعل بواحدنا): أراد إما عظيم الشأن فينا، كما يقال: فلان واحد زمانه، وإما أن يريد شخصاً من آحادنا وأفرادنا.

---

(١) الحديث وجدته مفرقاً في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥/٢٥٥ كالآتي: قوله: ((سيد الكلام القرآن)) وعزاه إلى الجامع الكبير المخطوط الجزء الثاني، وقوله: ((سيد الأيام يوم الجمعة)) عزاه إلى مصنف ابن أبي شيبة٢/١٤٩، وصحيح ابن خزيمة (١٧٢٨)، ومسند الشافعي٧٣، وتأريخ الطبري١/١١٤، وقوله هنا: ((سيد الطعام الثريد)) لم أجده في الموسوعة بهذا اللفظ، ووجدت فيها حديثاً قريباً منه بلفظ: ((سيد الطعام في الدنيا والآخرة اللحم)) وعزاه إلى كشف الخفاء١/٥٦٠، ٢/٢٢٦، والثريد لا يكون إلا من لحم غالباً، وانظر النهاية لابن الأثير١/٢٠٩.

(٢) زيادة في شرح النهج.

(٣) قال في الاعتصام ٢/١٦٥ ما لفظه: وفيه أيضاً -أي في الشفاء-: أن النبي ﷺ لما صلى على حمزة وكانت توضع جنازة بعد جنازة، والنبي ﷺ يصلي عليها وجنازته موضوعة فحصل له سبعون تكبيرة. (وانظر روايات الحديث ومصادره فيه).

(كما يفعل[1] بواحدهم): بالشخص الواحد منهم.

(قيل: الطيار في الجنة وذو الجناحين)[2]: يريد جعفر بن أبي طالب فإنه قتل في مؤتة، اقتحم عن فرس له أشقر، ثم ضرب عراقيبه، ثم أخذ الراية بعد زيد بن حارثة فقاتل بها فقطعت يداه، فاحتضنها، ثم قطع[3] بنصفين بعد ذلك يرحمه الله، ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل، فاستشهد الثلاثة يوم مؤتة[4]، وأكرمهم الله بما نالوا منها[5].

(ولولا ما نهى الله عن تزكية المرء نفسه[6]): حيث قال تعالى: ﴿فلا[7] تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[النجم:٣٢].

---

(١) في شرح النهج: ما فعل، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٥/٦٧: قال الواقدي: وقد روى نافع عن ابن عمر أنه وجد في بدن جعفر بن أبي طالب اثنان وسبعون ضربة وطعنة بالسيوف والرماح.
قال البلاذري: قطعت يداه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة)) ولذلك سمي الطيار. انتهى. (وانظر سيرة ابن هشام٢/٣٧٨).

(٣) في (ب): فقطع نصفين.

(٤) عن غزوة مؤتة واستشهاد جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم. (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥/٦١-٧٣).

(٥) قال ابن أبي الحديد في المصدر السابق ١٥/٦٩ ما لفظه: وروى محمد بن إسحاق قال: لما ذكر رسول الله ﷺ زيداً وجعفراً سكت عن عبد الله بن رواحة حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان من عبد الله بعض ما يكرهون، ثم قال: ((أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيداً))، ثم قال: ((لقد رفعوا لي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب، فرأيت في سرير ابن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه، فقلت: لِمَ هذا؟ فقيل: لأنهما مضيا، وتردد هذا بعض التردد ثم مضى)). وانظر عن غزوة مؤتة ومقتل جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم انظر تفاصيل ذلك في سيرة ابن هشام٢/٣٧٣-٣٨١ تحقيق عبد الحفيظ شلبي وآخرين.

(٦) في النهج: ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه

(٧) وردت في (أ) وفي نسخة أخرى: ولا. ولعلها قراءة، وما أثبته من المصحف الذي بين يدي ومن (ب).

(لذكر ذاكر فضائل جمة): يشير إلى نفسه، والجم: الكثير.

(تعرفها[1] قلوب المؤمنين): يتحققها من حسن إيمانه، وصدق يقينه، ولم يكن غامصاً لفضل، ولا منكراً له.

(ولا تمجها آذان السامعين): مج الشراب من فِيْهِ إذا رمى به ودفعه، وأراد أنها مقبولة في أذن من سمعها لا[2] يدفعها.

(فدع عنك من مالت به الرمِّية): الرمية: الصيدة ترمى فتصاب، وهذا تعريض بمعاوية، وأراد فدع عنك ذكر من أعمته الدنيا وأمالته إليها عن صراط الله، وطلب مرضاته، وخض في حديث آخر غيره، كما قال زهير:

فـــدع ذا وعـــد القـــول في هـــرم[3]

واذكر ما خصنا به الله وكرَّمنا به.

(فإنَّا صنائع ربنا): أي إحساناته، واصطنعنا بنفسه، لا إحسان لأحد علينا سواه.

(والناس بعد): أي بعدنا وهو مقطوع عن الإضافة.

(صنائع لنا): إحساننا عليهم، وهم مصطنعون لنا، ومصداق هذه

(١) في نسخة: تعيها، (هامش في ب).

(٢) في (ب): ولا يدفعها.

(٣) تمامه:

خير الكهول وسيد الحضر (هامش في ب)

المقالة هو أنا:

(لم يمنعنا قديم عزنا): ما تقادم لنا من العز والفخر عليكم.

(وعادي طولنا[1]): وقديم كرمنا منسوب إلى عاد، يقال: مجد عادي إذا كان متقادماً.

(أن خلطناكم بأنفسنا): أن ها هنا في موضع نصب على المفعولية أي لم يمنعنا ما تقادم من العز المخالطة لكم.

(فنكحنا): يشير إلى نكاح رسول الله ﷺ أم حبيبة[2] بنت أبي سفيان.

(وأنكحنا): يشير إلى ما كان من نكاح عثمان لرقية وأم كلثوم بنتي رسول الله[3].

(فعل الأكفاء): أراد فعلنا معكم فعل من يعتقد الكفاءة، وانتصابه على المصدرية.

(ولستم هنالك): هنا إشارة إلى الأمكنة، وأراد[4] ولستم في ذلك المقام يعني مقام الكفاءة لما يظهر من شرف بني هاشم على غيرهم من سائر

(١) في (ب) وشرح النهج: وعادي طولنا على قومك.

(٢) واسمها رملة، كانت تحت عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي، أسد خزيمة، وكان حليفاً لبني أمية بن عبد شمس، خرج مع المسلمين مهاجراً إلى الحبشة، فلما قدم أرض الحبشة تنصّر بها وفارق الإسلام، ومات هنالك نصرانياً، فخلف رسول الله ﷺ على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان من بعده، وعقد له ﷺ عليها بالحبشة، وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربعين ديناراً، وذلك في سنة ست. (انظر سيرة ابن هشام ٢٤٢/٣، والمصابيح لأبي العباس الحسني ص٢٠٩).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩٥/١٥.

(٤) في (ب): أراد بغير واو.

بطون قريش قديماً قبل النبوة بحيث لا يمكن جحوده، ومتأخراً بعد النبوة بما شرفهم الله تعالى وجعل فيهم النبوة.

(وأنى يكون ذلك[كذلك][1]**)**: أي ومن أي جهة تكون المماثلة والمساواة بيننا وبينكم.

(ومنا النبي): الذي رفع الله قدره على مراتب الأنبياء، وأظهر شرفه في الأولين والآخرين.

(ومنكم المكذب): يعني عبد الله بن أمية[2]، وهو جد عبد الملك بن مروان، أمه عائشة بنت عبد الله، فإنه قال لرسول الله ﷺ: والله لو صعدت السماء وأنا أنظر إليك وأتيت بصكٍ والملائكة شهود فيه على أنك نبي ما صدقتك، فقد أغرق في التكذيب كما ترى، أو يريد بذلك الوليد بن المغيرة.

(ومنا أسد الله): يريد حمزة بن عبد المطلب، فإنه كان يقال له: أسد الله وأسد رسوله[3].

(١) زيادة في النهج.

(٢) في الكشاف ٦٤٩/٢: عبد الله بن أبي أمية، وانظر الرواية فيه. وقال ابن أبي الحديد في شرح قوله: (ومنكم المكذب) ما لفظه: يعني أبا سفيان بن حرب، كان عدو رسول الله، والمكذب له، والمجلب عليه.

(٣) من ذلك قول النبي ﷺ لعمته صفية بنت عبد المطلب وابنته فاطمة الزهراء وهما يبكيان لقتل الحمزة رضي الله عنه، فقال لهما ﷺ: ((أبشرا، أتاني جبرائيل (عليه السلام) فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع: حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله)). (انظر شرح ابن أبي الحديد١٥/١٧).

(ومنكم أسد الأحلاف): يريد عتبة أيضاً، فإنه لما قال[1] حمزة: أنا أسد الله، قال: أنا أسد الأحلاف، وغرضه أسد الحلفاء.

(ومنا سيدا شباب أهل الجنة): يريد الحسن والحسين[2].

(ومنكم صبية النار): يريد أولاد مروان بن الحكم لصلبه[3]، ثم أولاد

(١) وذلك يوم بدر فإنه لما خرج عتبة وشيبة والوليد من جيش المشركين، ونادوا للمبارزة، ثم خرج إليهم حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف رضي الله عنهم، فبارز الحمزة عتبة فقتله الحمزة في قصة مشهورة وخبر معروف، ولما التقيا للقتال قال حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام) لعتبة: أنا حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله، فقال عتبة: كفء كريم، وأنا أسد الحلفاء، ويروى: أسد الأحلاف، من هذان معك؟ قال: علي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، فقال: كفآن كريمان (انظر شرح ابن أبي الحديد ١٤/١٢٨-١٣٠).

(٢) يشير بذلك إلى حديث الرسول ﷺ: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)) رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في مجموع رسائله ص٥٣-٥٤ في كتاب معرفة الله عزّ وجلّ وص١٩٥ في كتاب أصول الدين، وأخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٤٤/١ بسنده عن ابن عمر، و٢٣٥/٢ بسنده عن شريح القاضي، وأخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله تعالى في المناقب٢٢٣/٢ برقم (٦٨٧) بسنده عن أبي سعيد الخدري و ص٢٤٥ برقم(٧١٢) و ص٢٥٠ برقم(٧١٦) بسنده عن مالك بن الحسن بن أبي الحويرث، عن أبيه، عن جده، و ص٢٥٧ برقم (٧٢٣) بسنده عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من تأريخ دمشق ص٨٢-٨٤ رقم (١٢٩) من حديث بسنده عن حذيفة، وكذلك رقم(١٣٢) وهو فيه برقم (١٣٣-١٣٤) أخرجه بسنده عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وبرقم (١٣٥) عن عبد الله بن عمر، وبرقم (١٣٨) عن بريدة الأسلمي، وبرقم (١٣٩) عن أبي سعيد الخدري، وبرقم(١٤٠، ١٤١) عن أنس بن مالك، وبرقم (١٤٢) عن جهم الصحابي، وبرقم (١٤٣) عن أبي سعيد الخدري أيضا، وللحديث مصادر وأسانيد كثيرة انظرها في ترجمة الإمام الحسن من تأريخ ابن عساكر، وانظر الروضة الندية ص١٧٦، وموسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٦٩/٤ حيث عزا الحديث فيها إلى ثمانية وعشرين مصدراً من كتب الحديث المعتمدة عند القوم وعند غيرهم.

(٣) وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٥/١٩٧ في شرح قوله: (ومنكم صبية النار)، قال ما لفظه: هي الكلمة التي قالها النبي ﷺ لعقبة بن أبي معيط حين قتله صبراً يوم بدر، وقد قال كالمستعطف له (عليه السلام): من للصبية يا محمد؟ قال: ((النار))، وعقبة بن أبي معيط من بني عبد شمس. انتهى، وانظر الرواية في سيرة ابن هشام٦٤٤/١.

ابنه عبد الملك بن مروان: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، فهؤلاء وغيرهم من أولاده طغوا وبغوا في الأرض، ولقيت الأمة منهم موتاً أحمر، وقد سبق ذكرهم.

(ومنا خير نساء العالمين): يريد فاطمة بنت رسول الله، فإنها سيدة نساء عالمها[1].

(ومنكم حمالة الحطب): يريد عمة معاوية أم جميل أخت أبي سفيان، كانت تحمل حزم الشوك فتنثره في طريق رسول الله ﷺ[2]، وقيل: كانت تمشي بالنمائم بين الناس فتورث بينهم الشحناء والعداوة، أخزاها الله تعالى، وما نقص فعله عن الجميل من توسل إلى الله بسبِّ أم جميل[3].

(في كثير مما لنا): من المناقب العالية والمدائح الشريفة.

---

(١) يشير بذلك إلى حديث الرسول ﷺ: ((فاطمة سيدة نساء العالمين)) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥/٥٥٢ وعزاه إلى الدر المنثور ٢/٢٠٣، وكنز العمال برقم (٣٤٢٣٣)، وأورده من حديث طويل الفقيه ابن المغازلي رحمه الله في المناقب ص٢٤٦ برقم(٤٥٢) بسنده عن عمران بن الحصين في خبر عيادة النبي ﷺ لابنته فاطمة سلام الله عليها وهي مريضة وفيه: ((يا بنية، لا تجزعي فوالذي بعثني بالنبوة حقاً إنك سيدة نساء العالمين))، وروى نحوه البدر الأمير رحمه الله في الروضة الندية ص١٦١ من حديث عن أنس واللفظ فيه: ((يا بنية، أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين)) وعزاه إلى الترمذي، وأخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله في المناقب ٢/١٩٧ برقم (٦٧٠) بسنده عن الحسين بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، وانظر ترجمة أمير المؤمنين من تأريخ دمشق لابن عساكر ١/٢٦٧-٢٦٨ تحت الرقم(٣١٣) و(٣١٤) وللحديث شواهد كثيرة، وانظر لوامع الأنوار للعلامة الحجة مجد الدين المؤيدي ٣/٢٧-٢٨.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٥٥، وأعلام نهج البلاغة -خ-.

(٣) وانظر الكشاف ٤/٨٢١، وأم جميل هي امرأة أبي لهب التي ذمها الله في كتابه الكريم في سورة المسد بقوله عزّ وجلّ: ﴿وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد﴾.

(وعليكم): من المساوئ والأذكار السيئة، وقوله: في كثير، خبر مبتدأ محذوف تقديره: ذلك الذي ذكرته في كثير.

(فإسلامنا ما قد[1] سمع): به وظهر حاله واشتهرأمره بحيث لا ينكره أحد سبقنا إليه.

(وجاهليتنا لا تدفع): أي لا ينكر حالها من اصطناع المعروف وبذله بحيث لا يعد فيها عدوان، ولا تقصير على أحد، كما كان من غيرنا.

(وكتاب الله يجمع لنا): من المحامد والفضائل.

(ما شذ عنا[2]): ما غاب عني ولم أذكره، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾[الأنفال:٧٥]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران:٦٨]).

(فنحن مرة أولى بالقرابة): أراد أن الأولوية لنا من جهة قرب النسب بالرسول، واختصاصنا به.

(وتارة أولى بالطاعة): فإنا أعظم الناس انقياداً لأمره، ومتابعة له في كل أحواله، فالأولوية حاصلة لنا من هذين الوجهين.

(ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله [صلى الله عليه وآله][3] فلجوا عليهم): يشير بما ذكره ها هنا إلى ما كان من حديث

---

(١) في (أ): قد سمع، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(٢) في نسخة: عني، (هامش في ب).

(٣) زيادة في شرح النهج.

السقيفة، وهو أن المهاجرين[1] والأنصار لما بكروا للاشتوار في الأمر إلى سقيفة بني ساعدة، فقالت الأنصار: منّا أمير، ومنكم أمير، فقال المهاجرون: نحن أحق برسول الله، والبيضة التي تفقأت عنه، ففلجوا عليهم، أي غلبوهم بما قالوا، وسكت الأنصار عن مقالتهم هذه لما عرفوه من الحق ولم ينكروه[2].

(فإن يكن الفلج به): يريد بما ذكره المهاجرون من ذكر الاختصاص والقرابة.

(فالحق لنا دونكم): أراد فنحن أولى به وأحق منكم.

(وإن يكن بغيره): أراد وإن تكن الغلبة بغير ما ذكره المهاجرون من ذلك.

(فالأنصار على دعواهم): أراد فحجة الأنصار باقية لم تبطل على زعمك هذا.

(وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت): يشير إلى أبي بكر وعمر وعثمان؛ لأن معاوية يزعم أنه كان حاسداً لهم الخلافة، وأنه يريد تحويلها إلى نفسه.

(وعلى كلهم بغيت): أردت خلاف الحق بأخذها منهم وهم أحق بها.

(فإن يكن ذلك كذلك): فإن يكن البغي مني كما ذكرت حاصلاً.

---

(١) لم يكن من المهاجرين في يوم السقيفة إلا ثلاثة وهم: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح لا غير. (انظر قراءة في كتب العقائد ص٤٤ للباحث حسن بن فرحان المالكي).

(٢) عن أخبار السقيفة وحوار الأنصار مع المهاجرين انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/٢١-٦١، ٦/٥-١٤ تجدها فيه بالتفصيل، كما تجد بعض ما يتصل بذلك في أجزاء أخرى منه في مواضع متفرقة. (انظر الفهرس)، وانظر عن ذلك كتاب قراءة في كتب العقائد ص٤٣-٥١.

(فليس الجناية عليك): فيما ذكرته من البغي والحسد.

(فيكون العذر إليك): فأوجِّه العذر في ذلك إليك وتكون مختصاً به.

ثم تمثّل ببيت أبي ذؤيب:

(وعيَّرها الواشون أني أحبها
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها):

ولنذكر[1] إعرابه وموضع الشاهد منه.

أما إعرابه فهو ظاهر، وأني أحبُّها: في موضع نصب على نزع الجار[2] أي بأني أحبها.

والشكاة: هي الشكاية، وظاهر عنك عارها أي زائل.

وأما موضع الشاهد منه فإنما أورده متمثلاً به بأن الجريمة التي ذكرتها هي بمعزل عنك فلا حاجة إلى توجيه العذر فيها إليك.

(وزعمت أني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش): خششت الجمل أخشه إذا جعلت في أنفه الخشاش، وهي: الخزامة، وأراد بذلك أن يجعله كناية عن بيعته وهو مُكْرَهٌ من غير اختيار من جهة نفسه.

(حتى أبايع): أعطي في الطاعة والانقياد لمن له الأمر في الخلافة.

(فلعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت): يريد أنك جعلت هذا القول منك وارد على جهة الذم لي، وهو حقيقة مدح ومنقبة، وزيادة في الفضل وعلو في المرتبة.

---

(١) في (ب): ونذكر.

(٢) في (ب): الخافض.

(وأن تفضح فافتضحت): وأن تجعله عاراً علي في المخالفة وذماً لي، فكانت الفضيحة عليك إما بنقصك من لا ينبغي نقصه، وإما بذمك لي من غير جناية ولا استحقاق، وإما لجهلك بحاله وعدم تمييزه، فكانت الفضيحة عليك حاصلة من هذه الأوجه.

ثم أخذ في بيان ما قاله من ذلك بقوله:

(وما على المسلم من غضاضة): أي مذلة ومنقصة.

(في أن يكون مظلوماً): أي عار يلحقه في كونه مظلوماً.

(ما لم يكن شاكاً في دينه): على شك وزلزال من عقيدته.

(ولا مرتاباً بيقينه!): ولا[1] ريب يلحقه فيما هو متيقن له متحقق بحاله.

(وهذه حجتي إلى غيرك قصدها): أراد وهذه الحجج التي ذكرتها هي في الحقيقة متوجهة إلى غيرك؛ لأن الحق هو له على زعمك.

(ولكني أطلقت لك منها): أظهرت وجه الحجة منها.

(بقدر ما سنح من ذكرها): سنح الشيء إذا عرض، وأراد بمقدار ما عرض من لسانك في ذكرها.

(ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان): في خذلانه ونصرته والنصيحة له والاجتهاد في حقه، وغير ذلك مما يكون شداً لعضده وقياماً في حقه.

(فلك أن تجاب عن هذه): أي فأنت مستحق للجواب فيما قلته فيه.

(١) في (ب): لاريب بغير واو.

(لرحمك منه): أي لقرابتك منه واختصاصك به، فإذا كنت منصفاً فانظر في حالي وحالك معه نظر منصف،

(فأينا كان[1] أعدى له): أعظم له في العداوة وأدخل فيها.

(وأهدى إلى مقاتله!): وأوضح طريقاً يهتدى بها ويسلكها من يريد مقاتله، والمقاتل: جمع مقتل، وهي أمكنة القتل.

(أمن[2] بذل له نصرته): عرضها عليه.

(فاستقعده واستكفه): طلب قعوده وكفه عن النصرة، وذلك هو الذي وقع من أمير المؤمنين، فإنه أراد الخروج في نصرته والذب عنه، فأرسل إليه بترك الخروج وكفه عنه.

(أم من استنصره فتراخى عنه): طلب النصرة من جهته، وحثه عليها فلم يفعل شيئاً من ذلك، بل تراخى، أي تقاعد عنه بإهمال النصرة وتركها.

(وبثَّ المنون إليه): المنون هو: الموت، وبثه أي نشره[3]، ووجهه إليه فخذله وأعمل رأيه في خذلانه.

(حتى أتى قدره عليه): وهو الموت بالقتل الذي قدره الله له وحتمه عليه.

(كلا والله): ردع وزجر أي ليس الأمر كما قال معاوية وزعم من أنه

(١) كان، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٢) في (ب) وشرح النهج: أمن، كما أثبته، وفي (أ): من.
(٣) في (ب): نشره إليه.

ناصر وأني[1] خاذل بل الأمر في ذلك كما حققته وأشرت إليه.

(لقد علم الله[2] ﴿الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾[الأحزاب:١٨]**)**: أورد هذه الآية إلى آخرها مثالاً بحاله[3] وحال معاوية فيما نقم من أمر عثمان، وأراد لقد علم الله المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون، (**﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾**[الأحزاب:١٨]): من أهل الكفر والنفاق (**﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾**[الأحزاب:١٨]): اقربوا إلينا، واقعدوا معنا عن الرسول (**﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾**[الأحزاب:١٨]): أي الحرب (**﴿إِلَّا﴾**): إتياناً (**﴿قَلِيلًا﴾**): لقعودهم عن ذلك وتثبيطهم[4] عنه، وما أحسن موقعها في حال أمير المؤمنين وحال معاوية ومطابقتها لما هما عليه.

(وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً): منها توليته لأمور المسلمين من لا يصلح أن يكون متولياً لها نحو استعماله للوليد بن عقبة وقد ظهر منه شرب الخمر، واستعماله سعيد بن العاص وعبد الله بن أبي سرح مع ما يظهر من هؤلاء من قلة الدين وأنواع الفسق.

ومنها إعطاؤه لمروان ألف ألف دينار على فتح أفريقيه، وهذا تبذير في مال الله وإعطائه من لا يستحقه.

ومنها إقدامه على أكابر الصحابة بالاستخفاف نحو ما كان منه إلى عبد الله بن مسعود، وأبي ذر، وعمار بن ياسر، وغيرهم من فضلاء

---

(١) في (ب): وأنا.

(٢) بداية الآية هكذا: ﴿قد يعلم الله المعوقين...﴾ إلى آخرها.

(٣) في (ب): لحاله.

(٤) في (أ): وتثبطهم.

الصحابة، وغير ذلك من المطاعن[1]، فهذه أحداث قد نقمها أمير المؤمنين عليه.

(فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له): إلى الحق ونصيحتي له في الله.

(فرب ملوم لا ذنب له): فهذا مثل[2] يضرب فيمن توجَّه إليه اللوم وهو عنه بريء.

ثم تمثل بالبيت:

(وكم سقت في آثاركم من نصيحة
وقد[3] يستفيد الظنة المتنصح):

ولنذكر إعرابه وموضع الشاهد منه:

أما إعرابه فهو ظاهر، كم[4] هذه هي الخبرية، وأراد كم يوم وكم سوق، ونصيحة تمييز، وقد هذه مفيدة للتقليل عند دخولها على الفعل المضارع، كقولهم: إن الكذوب قد يصدق، والظنة: التهمة، والمتنصح هو: الآتي بالنصيحة لغيره.

وأما موضع الشاهد فإنما أورده شاهداً على أني قد بذلت غاية النصح ولكني في ذلك متهم، فأشبه حالي فيما بذلته من النصح وجري التهمة

---

(١) عمّا ذكره المؤلف من المطاعن التي طُعِنَ بها على الخليفة عثمان بن عفان انظرها بالتفصيل في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/٢٢٤-٢٣٣، ٣/٣-٦٩، وانظرها أيضاً في المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني ص٢٨٣-٢٩٤، والمغني لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد ٢٠/٢/٣٨-٥٧.

(٢) ذكره البحراني في شرح نهج البلاغة ٤/٣٩٢، ونسبه لأكثم بن صيفي.

(٣) في نسخة: وكم، (هامش في ب).

(٤) في (ب): وكم.

حال هذا القائل من غير مخالفة، ثم تلا هذه الآية: (وما أردت[1] ﴿إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾): مبلغ جهدي وطاقتي.

(﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾)[هود:٨٨]: فما أعجب موقعها في كلامه! وأحسن مكانها فيه![2].

(**وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف**): يريد أن العتاب والمناصحة في جقهم لا ينفعان؛ وإنما النافع في حقهم هو السيف.

(**فلقد أضحكت بعد استعبار**): الاستعبار هو: ظهور العبرة والبكاء، وأراد أنك أضحكت بكلامك هذا كل من سمعه من جهتك، بعد بكائه على الدين لتصرفك فيه، وكونك أميراً عليه.

(**متى ألفيت**[3] **بنو عبد المطلب عن الأعداء ناكلين**): نكل عن عدوه إذا جبن عن لقائه، وأراد متى لقوا يوماً متأخرين عن لقاء الأعداء ومكافحتهم.

(**وبالسيوف مخوفين**): ومتى ألفوا مخوفين عن لقاء السيوف ومزاحمتها.

ثم تمثل (عليه السلام) بقوله:

(لَبِّث قليلاً يلحق الهيجا حمل   لا يأسَّ بالموت إذا حان الأجل)[4]

---

(١) لفظ أول الآية الشريفة هكذا: ﴿إن أريد إلا الإصلاح ...إلخ﴾، وما هو مثبت هو كذلك في النسخ وشرح النهج.

(٢) في (ب): منه.

(٣) في شرح النهج: متى ألفيت بني عبد المطلب.

(٤) البيت لحمل بن بدر (ذكره البحراني في شرح نهج البلاغة ٣٩٣/٤)، ورواية الشطر الثاني فيه:
ما أحسن الموت إذا الموت نزل
وذكر البيت بلفظ المؤلف هنا الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ-، وابن هشام في السيرة النبوية ١٣٩/٣ تحقيق عمر محمد عبد الخالق، وقوله هنا: لا يأس، في السيرة: لا بأس.

ولنذكر إعراب هذا الرجز، وموضع الشاهد منه:

أما إعرابه فهو ظاهر، الهيجا: هي الحرب تمد وتقصر، ويوم الهياج[1]: يوم القتال، وحمل فيه روايتان:

أحدهما بالحاء المهملة، وذلك أن مالك بن زهير توعد حمل بن بدر، فقال حمل هذا البيت[2].

وثانيهما: بالجيم وذلك أن جمل بن سعد أغير على إبله في الجاهلية، فاستنقذها ممن أخذها، وهو يقول:

لبث قليلاً... البيت[3]

وأما موضع الشاهد منه فإنما[4] أورده متمثلاً به كما كان حال من أنشأ البيت، وأراد أمير المؤمنين أرود بنفسك فكأنك ببني عبد المطلب، وقد وافوك عن قريب.

(**فسيطلبك من تطلب**): أراد أنك إذا اجتهدت في طلبهم ولقائهم فسيطلبونك أيضاً ويحبون لقاءك.

(**ويقرب منك ما تستبعد**): من وقوع الحرب، فأتى في الأول بمن لما كان مراده بني عبد المطلب، وأتى في الثاني بما لما كان مراده الحرب.

(**وأنا مرقل نحوك**): الإرقال: ضرب من الخبب[5] يكون في الخيل والإبل.

---

(١) في (ب): ويوم الهيجا.

(٢) شرح نهج البلاغة للبحراني ٣٩٣/٤.

(٣) أعلام نهج البلاغة -خ-.

(٤) في (أ): وإنما.

(٥) أي العدو.

(في جحفل من المهاجرين والأنصار): الجحفل هو: الجيش العظيم، وقوله: من المهاجرين والأنصار يشير إلى ما هو عليه من الحق باتباع أهل البصائر له، ويعرِّض بحال أهل الشام من أهل الجلافة والغلظة والجهل بالحال.

(والتابعين لهم بإحسان): في صحة البصائر وصدق الأسرار والضمائر عند الله تعالى.

(شديد زحامهم): أراد أن ازدحامهم[1] شديد لكثرتهم.

(ساطع قتامهم): مرتفع غبارهم.

(متسربلين سرابيل الموت): السربال هو: الملحفة الواسعة، واستعار ذلك ها هنا لما يكون في صدورهم من السعة والانشراح بالقتال.

(أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم): كنى بذلك عن شوقهم إلى الله تعالى وسماحتهم بمفارقة الدنيا.

(قد صحبتهم ذرية بدرية): أراد قد صحبهم أولاد آباؤهم من أهل بدر.

(وسيوف هاشمية): من بني هاشم أيضاً.

(قد عرفت مواقع نصالها): مواقع ضربها في هاماتهم ورءوسهم.

(في أخيك): حنظلة قتل يوم بدر.

(وخالك): الوليد بن عتبة.

---

(١) في (ب): زحامهم.

(وجدك): عتبة بن ربيعة.

(وأهلك) من بني أمية بن عبد شمس[1]، ثم تلا قوله تعالى:

(﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾)[هود:٨٣]: يشير بذلك إلى معاوية وأحزابه من أهل الشام، ولقد صدَّق الله قوله بما كان في صفين وغيره من المشاهد.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/٣٥٥-٣٥٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤/٢٠٨-٢٠٩.

(٢٩) ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة

(وقد كان من انتشار حبلكم): كنى بذلك عن تفرقهم وتشتت آرائهم[١]، ومخالفتهم له.

(وشقاقكم): عنادكم وبعدكم.

(ما لم تغبْوا عنه): أي ليس خافياً عليكم ولا بكم عنه غباوة.

(فعفوت عن مجرمكم): بالصفح وتداركته عن العثور والزلل.

(ورفعت السيف عن مدبركم): ولم أجهز عليه، وأراد في هذا أني لم أتبعكم العساكر في آثاركم ولم أجهز الجيوش نحوكم.

(وقبلت من مقبلكم): ممن أقبل منكم بالعذر ولم أكذبه فيما قاله.

(فإن خطت بكم الأمور المردية): خطت بخاء بنقطة، وطاء منقوطة من أسفلها، أي تجاوزت بكم الأمور المهلكة.

(وسفه الآراء الجائرة): السفه: نقيض الحلم، وأراد نقصان الآراء المائلة عن الطريقة[٢] المستقيمة.

---

(١) في (ب): أمرهم.

(٢) في (ب): الطريق.

(إلى منابذتي): بالحرب.

(وخلافي): إلى الباطل والغي.

(فها أناذا): على القرب منكم والملاصقة.

(قد قربت جيادي): الخيل المسومة، وسميت جياداً لما فيها من النفاسة.

(ورحلت ركابي): يريد جعلت على الإبل رحالها.

(ولئن ألجأتموني): اضطررتموني.

(إلى المسير إليكم): من أجل خلافكم وشقاقكم.

(لأوقعن بكم وقعة): اللام الأولى هي الموطئة للقسم، واللام الثانية هي الجواب للقسم.

(لا يكون يوم الجمل إليها): يريد ما كان من حرب عائشة وطلحة والزبير، وركوب عائشة الجمل.

(إلا كلعقة لاعق): يشير إلى سهولة الأمر في اللعقة، فإذا كان يوم الجمل على عظمه، وتفاقم أمره هو بالإضافة إليها كلعقة لاعق، فكيف يكون حالها في ذلك.

(مع أني عارف لذي الطاعة[١] فضله): أراد وإن كنتم على خلافكم هذا فإني لا أنكر فضل أهل الطاعة منكم ولا أجحده.

---

(١) في شرح النهج: لذي الطاعة منكم.

(**ولذي النصيحة حقه**): يعني ومن كان ناصحاً لله تعالى وللمسلمين ولي، فإني أوفيه حقه من غير نقص له في ذلك، كما قال تعالى: ﴿**يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ**﴾[هود:٣] فمعرفة الفضل لأهل الفضل حث لهم على فعله، وترغيب لغيرهم في مثل حالهم.

(**غير متجاوز متّهماً إلى بريّ**): أراد أني لا أتجاوز عمن كان مطيعاً وناصحاً ولاأعدل عن أهل الطاعة والنصح إلى من كان متبرئاً عني.

(**ولا ناكثاً إلى وفيّ**): يريد ولا أنكث بمن كان وافياً لي في عقوده ومعاملاته.

(٣٠) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

(**فاتق الله فيما لدنك**[1]): لدن من ظروف الأمكنة، وفيها لغات كثيرة، وقد تكون مضافة، قال الله تعالى: ﴿**مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ**﴾[هود:١] ﴿**مِنْ لَدُنَّا**﴾، ولا يدخل عليه من حروف الجر إلا من، وأراد

هاهنا اتق الله فيما في جهتك، ويتعلق بك من الأمور التي أنت مطالب بها ومحاسب عليها.

(**وانظر في حقه عليك**): من تأدية ماأوجبه عليك، والانكفاف عما نهاك عنه، فإن حق الله على العباد هو أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر.

(**وارجع إلى معرفة ما لا تعذر في جهالته**[2]): يريد وارجع عن جهلك الذي استبدلته عما هو واجب عليك علمه والإحاطة بمعرفته، وغرضه من هذا الرجوع إلى طاعته والكف عن البغي والتعرض لسخط الله بإقامته، والدعاء إليه، والإصرار على الجهل فيه.

(**فإن للطاعة أعلاماً واضحة**): لا تلتبس على من أراد سلوكها.

(**وسبلاً نيرة**): منيرة لمن سار فيها.

(١) في (ب) وشرح النهج: لديك.
(٢) في شرح النهج: بجهالته.

(ومحجة نهجة): جادة ينهجها من أرادها.

(وغاية): الغاية: منتهى الأشياء.

(مطّلبــة): أي ذات طلب يطلبها من كان قاصداً لها، ومعنياً بتحصيلها وفعلها.

(يردها الأكياس): جعلها ها هنا كالمورد من الماء، ولهذا قال: يردها أي يقصدها، الأكياس: أهل الكياسة والعقل، وفلان كيس أي عاقل، والكيس: الظرف أيضاً، وفي الحديث: «إن أكيس الكيس من نظر لنفسه، وعمل لما بعد الموت»[1].

(ويخالفها الأنكاس): أي ينكب عن طريقها الأراذل من الخلق، والنكس هو: الرجل الضعيف.

(من نكب عنها): عدل وجانبها.

(جار عن الحق): انصرف عنه ومال.

(وخبط في التيه): تاه إذا تحير وذهب في كل جهة.

(وغيّر الله نعمته): من أجل صدوده عن الحق، وإعراضه عنه، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[الأنفال:٥٣] من القيام بحدود الله وواجباته.

(وأحل به نقمته): أصابه بها وأوقعها به.

(١) أخرج نحوه الإمام أبو طالب في أماليه ص٤٣٧ تحت الرقم (٥٦١) من حديث بسنده يبلغ به إلى شداد بن أوس، عن النبي ﷺ قال: ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله عزّ وجلّ)).

(فنفسك نفسك): إما تحذير أي أحذر نفسك أن تولجك في المكاره، واحذر اتباع هواها فإنه مهلكة لك، وإما إغراء، وأراد الزم نفسك عن التهور في العظائم والموبقات.

(فقد بيّن الله لك سبيلك): أوضحه لك غاية الإيضاح.

(وحيث تناهت بك أمورك): في تعلق حيث وجهان:

أحدهما: أن يريد وقف حيث تناهت بك أمورك، ولا تتعدى ذلك وقف عنده.

وثانيهما: أن يكون مراده فقد بين الله لك سنتك[1]، وبين لك حيث تناهت بك الأمور أيضاً، وكشفه لك.

(فقد أجريت إلى غاية خسر): أراد فقد أجريت نفسك، أو يريد فقد أجريت خيلك إلى غاية الخسارة، وهي خسارة النفس بالبغي وركوب غاربه.

(ومحلة كفر): بنعم الله تعالى وكتمان سائر آلائه عليك.

(فإن نفسك قد أوحلتك[2] شراً): الوحل بالتحريك والحاء المهملة هو: الطين الرقيق، وأراد أن نفسك قد أوقعتك في وحل الشر ومكروهه.

(وأقحمتك غياً[3]): قحم نفسه وأقحمها قحوماً وإقحاماً إذا رمى بها من غير روية، وأراد أنه باتباع هواها أوقعته في خلاف الرشد وفي كل عماية.

(١) في (ب): سبيلك.
(٢) في شرح النهج: أولجتك.
(٣) غيا، زيادة في النهج.

(وأوردتك المهالك): جمع مهلكة وهي: موضع الهلاك.

(وأوعرت عليك المسالك): فلا يمكنك سلوكها لوعورتها، وامتناع المضي فيها، وفي هذا غاية النصح والبيان لمعاوية لو أفلح، ورجع عن جهله وأصلح ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً﴾[النساء:١١٩].

(٣١) ومن وصيته للحسن بن علي عليهما السلام كتبها له بحاضر قنسرين منصرفاً من صفين

وهي من أعجب الوصايا؛ لاشتمالهاعلى غرائب الحكم، وبدائع الأدب[(١)]، وقد قيل: إنه لو كان كلام يكتب بالذهب لكان هذا[(٢)]:

[بسم الله الرحمن الرحيم][(٣)]

(من الوالد الفان): أي الهالك، وطرح الياء من الفان من أجل المشاكلة في التسجيع[(٤)].

(المقر للزمان): بالتغير[(٥)] والنفاد والتحول والانقلاب.

(المدبر العمر): الذي قد تولّى عمره، وذهب يوماً فيوماً، وساعة فساعة.

---

(١) وانظر وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) وأسانيدها وطرقها في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين للموفق بالله ص٥٥٩-٥٧٣.

(٢) ومثله مذكور في الاعتبار ص٥٦٠ بلفظ: ولو كتبت حكمة بماء الذهب لوجب أن تكتب هذه ويستضاء بها وبدراستها

(٣) زيادة في نسخة، ذكره في هامش (ب) وقال: صح.

(٤) وزاد ابن أبي الحديد وجهاً آخر في شرح النهج ٥٢/١٦ فقال: ولأنه وقف، وفي الوقف على المنقوص يجوز مع اللام حذف الياء وإثباتها، والإثبات هو الوجه، ومع عدم اللام يجوز الأمران وإسقاط الياء هو الوجه. انتهى.

(٥) في (ب): بالتغيير.

(**المستسلم للدهر**): المنقاد له وما يحدث فيه من التغيرات، والتقلُّبات العظيمة.

سؤال؛ هل من تفرقة بين الدهر والزمان كما أشار إليه ها هنا؟

وجوابه؛ أما من جهة اللغة والشرع فلا فرق بينهما؛ فإن ماهية أحدهما هي ماهية الآخر، وذكر بعضهم[1] تفرقة عقلية وليس ورائها كثير فائدة، وحاصل كلامه هو أن الزمان عبارة عن حركة الفلك، ويعرض لها أمران:

أحدهما: يكون باعتباره زماناً، وذلك يكون باعتبار تقدمها وتأخرها، فهي من هذا الوجه زمان لانقسامها في نفسها باعتباره إلى متقدم ومتأخر.

وثانيهما: يكون باعتباره دهراً، وذلك بالإضافة إلى مطلق استمرار الحركة، وأنها لا تنفك، فهي من هذا الوجه دهر.

---

(١) هو الشريف علي بن ناصر الحسيني قاله في أعلام نهج البلاغة -خ- حيث قال ما لفظه: والفرق بين الزمان والدهر أن الزمان هو حركة الفلك من جهة انقسامها إلى متقدم ومتأخر، والأمور الموجودة إما أن يكون فيها تقدم أو تأخر كجميع أنواع الحركات والتغيرات، وإما أن لا يكون، بل تكون ثابتة مستمرة الوجود، فالذي فيه تقدم وتأخر يكون وجوده في زمان لا محالة، ويكون وجود المتقدم منه مطابقاً لزمان، ووجود المتأخر منه مطابقاً لزمان آخر، وأما الذي ليس فيه تقدم وتأخر بوجه من الوجوه بل له وجود ثابت مستمر لا تغيّر فيه البتة فإنه لا يكون موجوداً في الزمان بل وجوده بعينه كما هو مطابق لكل آن بعد آن على الاتصال، ويقال لمثل هذا: ليس موجوداً في الزمان، وإن كان موجوداً في الزمان، وفرق بين قولنا: موجود في الزمان، وبين قولنا: موجود مع الزمان، فإنا موجودون مع أشياء كثيرة، ولسنا موجودين فيها، فإذا كان الشيء له من جهة تقدم وتأخر مثلاً من جهة ما هو متحرك، وله من جهة أخرى لا يقبل بها التقدم والتأخر مثلاً من جهة ما هو ذات وجوهر فهو من جهة ما لا يقبل تقدماً وتأخراً ليس في زمان، وهو من الجهة الأخرى في زمان. انتهى.

(**الذام للدنيا**): الناقص لها في كل أحوالها، والمزري عليها في جميع أمورها، وإليه الإشارة بقوله: (أناْ كابُ الدنيا)، وقد شرحناه.

(**الساكن مساكن الموتى**): يعني القبور؛ لأنه عن قريب وقد صار إليها.

(**الظاعن منها**[1] **غداً**): المنتقل منها على القرب.

وقوله: من الوالد الفان، خبر مبتدأ متعلق بمحذوف[2] تقديره: كتابي هذا من الوالد.

(**إلى المولود**): وهذا هو الخبر، وأراد بالمولود يشير إلى أنه بعضه[3] بالولادة منه؛ لكونه مخلوقاً من مائه.

(**المؤمل ما لايدرك**): من أغراضه ومقاصده من الدنيا.

(**السالك سبيل من قد هلك**): الحاصل في طريقهم، والعابر في معابرهم[4].

(**غَرَض الأسقام**): الغرض بالغين والضاد المنقوطين هو: ما يُرْمَى، وأراد أنه كالغرض ترميه الأسقام بسهامها.

(**ورهينة الأيام**[5]): أراد أن كل نفس فهي[6] مرتهنة عند الأيام لا يفكها إلا الموت.

---

(١) في شرح النهج: عنها.
(٢) في (ب): خبر مبتدأ محذوف...إلخ.
(٣) في نسخة أخرى: يقضي.
(٤) في (ب): والغابر في مغابرهم، فيجوز أن يكون تصحيفاً، ويجوز أن يكون الغابر بمعنى الماضي أو الباقي لأن غبر من الأضداد يقال: غبر الشيء بمعنى بقي، وغبر أيضاً بمعنى مضى.
(٥) في (ب): الآثام.
(٦) فهي، سقط من (ب).

(ورمية المصائب): أي لا تزال المصائب ترميه حتى تهلكه.

سؤال؛ أراه ذكّر الغرض وأنّث الرهينة والرمية، وكلها راجعة إلى المولود فهل له وجه في ذلك؟

وجوابه؛ أما الغرض فإنه اسم مذكر لامحالة فلا وجه لتأنيثه، وأما الرهينة والرمية فليستا بتأنيثي رهين ومرمي، لأن[1] فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث نحو: جريح وقتيل، وإنما هما اسمان بمعنى الرهن والرمي كالشتيمة بمعنى الشتم، ويمكن أن يقال: إنه أراد بالمولود النفس وهي مؤنثة، وفعيل بمعنى مفعول إنما[2] يستوي فيه المذكر والمؤنث إذا كان معه موصوفه، كما يقال: امرأة جريح ورجل جريح، فأما إذا لم يكن معه موصوفه أُنّث لا محالة، ولهذا تقول: مررت بقبيلتهم فتؤنثه بلا مرية، فلما أراد بالرهينة والرمية النفس، ولم يذكر موصوفه أنّثه كما ترى.

(وعبد الدنيا): لكونه ساعياً بالجد والاجتهاد في شهواتها، كما يسعى العبد في خدمة سيده ومولاه.

(وتاجر الغرور): يريد أن تصرفه فيما هو فيه تصرف المغرور.

(وغريم المنايا): فهي لا تزال طالبة له حتى تأتي عليه.

(وأسير الموت): يأسره ويقبض عليه بالإهلاك والفناء.

(وحليف الهموم): أخوها والملازم لها، وفي الحديث: «أنه (عليه السلام) حالف بين قريش والأنصار»[3] أي آخا بينهم؛ لأنه لا حلف في الإسلام.

---

(١) في (أ): لا فعيلاً ...إلخ.

(٢) في (ب): وإنما.

(٣) النهاية لابن الأثير ١/٤٢٤.

(وقرين الأحزان): المقارن لها حتى لا تنفك منه أبداً؛ لكثرة ما يعرض من البلايا والأسقام.

(ونصب الآفات): النصب بتحريك العين هو: التعب والمشقة، قال الله[1] تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ﴾[2][التوبة:١٢٠]، والنصْب بسكون العين: ما نصب لِيُعْبَدَ من دون الله[3]، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾[المعارج:٤٣]، والنُصب بضم الفاء: الشر والبلاء، قال تعالى ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[ص:٤١] ونصبت الشيء نصباً إذا أقمته، وسماعنا ها هنا بفتح الفاء وسكون العين أي أنه منصوب لعروض الآفات عليه.

(وصريع الشهوات): أراد[4] أنها تلقيه على وجهه لكثرة المواظبة عليها[5].

(وخليفة الأموات): على ما كان بعدهم من تراثهم؛ لأن أكثر ما في يده حاصل من جهة غيره خلّفه له وصدر عنه.

(أما بعد، فإن فيما تبيّنت من إدبار الدنيا عني): توليها وانقطاعها من يدي بالموت والإسراع إلى الفناء.

---

(١) الله، زيادة في (ب).

(٢) وردت الآية في النسختين هكذا: (ذلك بأنه لا ينالهم نصب) وهو سهو من النساخ، والصواب كما أثبته من المصحف الكريم.

(٣) في (ب): من دون الله تعالى.

(٤) في (ب): يريد.

(٥) عليها، سقط من (ب).

(وجموح الدهر عليّ): جمح الفرس إذا لم يملك صاحبه رأسه، وأراد أنه متوثب عليه كثير النزو بالبلايا والفجائع والشرور.

(وإقبال الآخرة إليّ): بأعباءها وأهوالها، والعظائم التي تكون فيها.

(ما يزعني عن ذكر من سواي): ما هذه موصولة، وهي في موضع نصب اسماً لأن قبلها، ويزعني يكفني[1] عن أن أكون ذاكراً لغيري، وأراد أن في نفسه شغلاً له عن التعلق بغيرها من أفناء الخلق.

(والاهتمام بما ورائي): الاهتمام افتعال من الهمِّ، وأراد أن همَّ نفسي يكفيني عن همٍّ من بعدي.

(غير أني حيث[2] تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي): غير ها هنا منصوبة على الاستثناء المنقطع، وأراد لكن حيث كنت متفرداً بذكر هموم نفسي وما يعنيني أمره من أمر نفسي وحدها.

(فصدّقني رأيي): لما شغلت نفسي بأمرها.

(وصرفني عن هواي): ذكري لأحوالها وأمورها .

(وصرح لي محض أمري): المحض من الشيء: خالصه، وأراد أنه تمحض لي خالص أمري من ذلك، واستظهرت على حقيقة الأمر فيه.

(فأفضى بي): الفاعل في أفضى مضمر تقديره: عائد على الرأي، أي أخرجني، من قولهم: أفضينا إلى الصحراء، وأفضيت بسري إلى فلان،

(١) في (أ): كفني عن أن تكون.
(٢) في نسخة: حين، (هامش في ب).

وأراد أخرجني بعد ذلك:

(إلى جد): من الأمر.

(لا يكون[1] فيه لعب): يخالطه ويمازجه بل هو[2] خالص عن ذلك.

(وصدق لا يشوبه كذب): يتعلق به زُوْرٌ ولا يخالطه.

(وقد وجدتك بعضي): يشير بها إلى أن ولد الإنسان هو كبده وفؤاده[3]، وعن بعضهم: من أراد أن ينظر إلى كبد تمشي على الأرض فلينظر إلى ولده[4]، ولقد أحسن من قال:

وما ولد الإنسان إلا فؤاده
يرفرف ما بين الجوانح والصدر
إذا مات ولى القبر نصف فؤاده
وعاد بنصف القلب والنصف في القبر

(بل وجدتك كلي): نفسك نفسي، وأمرك أمري.

(١) في نسخة: لايزري به، (هامش في ب).
(٢) هو، سقط من (ب).
(٣) وعن هذا قال بعض الشعراء:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض

(٤) وقد نظمه بعضهم شعراً أنشده الرياشي:

من سره الدهر أن يرى الكبدا يمشي على الأرض فليبر الولدا

(شرح ابن أبي الحديد ١٦/٦٢).

ثم بيَّن مصداق ذلك على جهة التعليل، بقوله[1]:

(حتى كأن شيئاً لو أصابك): من خير وشر، ومحمود ومكروه.

(أصابني): وقع فيَّ وضامني.

(وكأن الموت لو أتاك): با شرك وخالطك.

(أتاني): باشرني وخالطني.

(فعناني): أي أهمَّني، من قولهم: اعتنيت[2] بحاجتك أي اهتممت بها، وفي الحديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» أي يهمُّه.

(من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي): أي من حالك وإصلاحه ما يهمني من إصلاح أمري وشأني.

(فكتبت إليك كتابي هذا): عهدت إليك هذا العهد، وأوصيت إليك بهذه الوصية.

(مستظهراً به): أي مستعيناً، من قولهم: استظهرت بفلان على الأمر إذا استعنت به عليه.

(إن أنا بقيت أو فنيت): فهو في كلتا الحالتين استعانة واستظهار، وقوة على أمرك في الدين والدنيا، وإصلاح في الآخرة والأولى، وإنه لكتاب بالغ في استنهاض الحكم الدينية، وغاية في الوصول إلى المنافع الأخروية، ولا يكاد يبلغ كُنْهِ حاله ويستولي على أسراره ويقع في نفسه غاية الوقوع؛

---

(١) بقوله، سقط من (ب).

(٢) في (ب): أعنيت.

إلا من ظفر من الزهادة وخوف الله بحظ وافر، وكان له في الإعراض عن الدنيا، والإقبال إلى الآخرة نصيب كابر[1].

(فإني أوصيك أي بني): التصغير ها هنا إما للترحم كقوله (عليه السلام): «أصيحابي أصيحابي»[2]، وإما لتقريب ما بينهما من المنزلة، كقولك[3]: هذا أصيغر من ذاك.

(بتقوى الله ولزوم أمره): مراقبته في السر والعلانية، وملازمة أمره بامتثاله والمسارعة في فعله.

(وعمارة قلبك بذكره): يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد:٢٨] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[الزمر:٢٣]، وفي الحديث: «ذاكر الله في الغافلين كشجرة خضراء في وسط الهشيم»[4]، وفي حديث آخر: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ أعظم منه»[5]، وفي حديث آخر: «أفضل ما قلته وقاله الأنبياء قبلي: لا إله إلا الله وحده

---

(١) أي كبير.

(٢) في (أ): أصحابي أصيحابي.

(٣) في (ب): كقوله.

(٤) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١/١٥٣، وهو بلفظ: ((ذاكر الله في الغافلين مثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي قد تحات ورقه)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٤/٥ وعزاه إلى حلية الأولياء٦/١٨١، وانظر مسند شمس الأخبار ١/٣٤٠ الباب (٥٤).

(٥) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨/٢٧٠ إلى مسند أحمد بن حنبل٢/٣٥٤،٤٠٥. قلت: وهو في مسند أحمد بن حنبل برقم (٨٢٩٦) وبرقم (٨٨٨٦) بسنده عن أبي هريرة مع اختلاف يسير في آخره، ورواه من حديث ابن أبي الحديد في شرح النهج١٠/١٥٤، واللفظ في أوله: ((إذا ذكرني عبدي في نفسه ...))إلخ.

لا شريك له»[1].

(والاعتصام بحبله): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد تمسكوا بالدين الذي هو حبل الله وامتنعوا به عن عذابه، ومنه عصام القربة وهما ما تشد به لِتُحمل[2]، وهو السير[3] الذي تُحْمَلُ به.

وثانيهما: أن يكون مراده تحفظ بلطف الله الذي هو حبله عمَّا يعرض لك من الأمور الهائلة، أخذاً من قولهم: عصمت المال فانعصم أي حفظته فاحتفظ، وأراد في هذا كله اللجأ إلى الله تعالى في كل أموره، والاستناد إليه، ولهذا قال بعده:

(وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله): لأن سائر الأسباب كلها منقطع إلا هو، وإنها يخشى عليها التغير[4] إلا ما كان من جهة الله تعالى.

(إن أنت أخذت به!): في أمورك كلها، واعتمدت عليه في كل أحوالك، وعوَّلت عليه.

(أحي قلبك بالموعظة): يريد أن إغفاله عن الموعظة إقبال على الدنيا

---

(١) الحديث بلفظ: ((أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٦٨/٢ وعزاه إلى سنن الترمذي (٣٥٨٥)، والسنن الكبرى للبيهقي ٨٩/٤، ٢٨٩، ١١٧/٥، وإتحاف السادة المتقين٣٧١/٤، ٣٧٣، ١٠/٥، وكشف الخفاء١٧٢/١، (وله فيها شواهد أخر انظرها هناك).

(٢) في (ب): للحمل.

(٣) السير: الذي يقطع من الجلد.

(٤) في (ب) وفي نسخة أخرى: التغيير.

وهو موت، وتذكيره أحوال الماضين والاتعاظ بهم هو إقبال على الآخرة وهو نفس الحياة.

(وأمته بالزهادة): عن ذكر الدنيا والإقبال عليها، والتعرض لها.

(وقوّه باليقين): بالتحقق للأمر والقطع به، وأن المقصود هوالآخرة والعمل لها.

(ونوّره بالحكمة): باكتساب الآداب والتخلق بها والمواظبة عليها.

(وذلّله بذكر الموت): عن جموحه ونزواته، وفي الحديث: «لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه: الفقر، والمرض، والموت»[1] وهو أعظمها وأهولها وأدخلها في الصَّغار والذلة.

(وقرره بالفناء): سكّنه عمَّا ينزع إليه.

سؤال؛ أي قرار للقلب في ذكر الفناء كما أشار إليه هاهنا؟

وجوابه؛ هو أن الإنسان إذا تذكر حاله في الفناء فإنه يُنْزَعُ عمَّا يختلج في قلبه من الإسراع إلى الدنيا، والإقبال عليها، ويسكن ما يضطرب في جوانح صدره من ذلك، فلهذا قال: قرره بالفناء، يشير إلى ما ذكرناه.

(وبصّره فجائع الدنيا): أعرض عليه ليرى مصائب الدنيا بأهلها وأخذها لأرواحهم وسلبها لما في أيديهم من النعم واللذات، وتغيرها عليهم في كل أحوالها.

---

(١) ذكره الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص١٠٨ في باب إيثار البلاء على الرخاء والشدة على النعمة، ولم يشر إلى قائله، بل اكتفى بقوله: ولبعضهم، فذكره بلفظه.

(وحذّره صولة الدهر): صال الجمل يصول إذاغلب وقهر، وأراد كن على حذر من قهره وغلبانه، فإن له صولات لا تُرَدُّ، ووثبات لا تُدْفَعُ.

(وفحش تقلب الليالي[1]): كل شيء جاوز الحد في المبالغة فهو فاحش، ومنه الفاحشة لأنها جاوزت الحد في القبح والشناعة، قال طرفة:

عقيلــة مــال الفــاحش المتشــدد[2]

أراد الذي جاوز الحد في البخل.

(وأعرض عليه أخبار الماضين): من الأمم الماضية والقرون الخالية ممن ترأس وساد، وجمع الجيوش والعساكر وقاد.

(وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأولـين): من العقوبات العظيمة، والنوازل الباهرة[3]، والحوادث المفرِّقة.

(وسر في بلادهم[4] وآثارهم): فالبلاد مُدَعْثَرَة، والآثار منطمسة.

(فانظر[5] ما فعلوا): من الأفعال، فإنها مكتوبة محفوظة عليهـم، ما يغادر منها صغيرة ولا كبيرة.

(وعمّا انتقلـوا): من المساكن الرفيعة، والقصور المشـيدة، والمراتـب العالية، والأموال والكنوز والذخائر.

---

(١) في (ب) وشرح النهج: وفحش تقلب الليالي والأيام.

(٢) لسان العرب ١٠٥٧/٢، وصدره:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي

(٣) أي الغالبة من بهره إذا غلبه.

(٤) في شرح النهج: ديارهم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٥) في نسخة: وانظر، (هامش في ب). وقوله هنا: (ما)، في شرح النهج: (فيما).

(وأين حلوا ونزلوا): في القبور والأجداث، ثم أوضح ذلك بقوله:

(فإنك تجدهـم انتقلـوا عـن الأحبـة): من الأولاد والبنين والزوجـات والأمهات والآباء.

(وحلوا ديار الغربة): حيث لا أنيس معهم ولا مصاحب يؤنسـهم، في قبور خالية وأماكن وحشة.

(وكـأنك عـن قليـل وقـد صـرت كـأحدهم): كـالواحد منهـم في المـوت والفناء والتغيروالزوال.

(فأصلح مثواك): موضع إقامتك.

(ولا تبع آخرتك بدنياك): أراد ولا تجعل دنياك عوضاً عمّا يحصـل لـك في الآخرة، فإن الدنيا منقطعة، والآخرة باقية دائمة.

(ودع القول فيما لا تعرف): أراد أن القول فيما لا يعرف الإنسان حالـه هو الجهل بعينه.

(والخطاب فيما لا[1] تكلّف): فإن الخطاب فيما لم يرد على الإنسان فيـه تكليـف يكـون لا محالـة رمـي في العمايـة، وخبـط في الجهالــة، وعبــث لا فائدة تحته.

(وأمسك عن طريق): تترك السلوك لها.

(إذا خفــت ضلالتــه): إذا كنــت لا تـأمن وقوعـك منهــا في المحــذور في الدين.

---

(١) في شرح النهج: لم.

(**فإن الوقف**[1] **عند حيرة الضلال**): عند التحير والارتباك في المكاره العظيمة.

(**خير من ركوب الأهوال**): أهون من الخوض في الأهوال العظيمة وارتكابها.

(**وأمر بالمعروف**): حض على فعله، وحث على الإتيان به.

(**تكن من أهله**): من المنسوبين، والمعزوين إليه، وفي الحديث: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»[2].

(**وأنكر المنكر**): إِنْهَ عنه وأبعد غاية البعد.

(**بيدك**): أي وغيِّره بيدك وهو الكفُّ عنه.

(**ولسانك**): بالنكير عليه، والتعنيف على من فعله.

(**وباين من فعله بجهدك**): المباينة هي: المباعدة، وأراد البعد عنه بقدر الطاقة، والإمكان منك.

(**وجاهد في الله حق جهاده**): القدر الذي يتوجه من جهتك من حقه من جهاد النفس على فعل الطاعة، وجهادها على الانكفاف عن المعصية،

(١) في شرح النهج: الكف.

(٢) الحديث بلفظ: «المعروف معروف كاسمه، وأهل المعروف في الدنيا كأهل المعروف في الآخرة» أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص٦٢٨ برقم (٥٠٢) بسنده عن الوليد بن صالح (انظر تخريجه فيه) وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١٢/٤ إلى المستدرك١/١٢٤، ومجمع الزوائد٧/٢٦٢، ٢٦٣، ومصنف ابن أبي شيبة٨/٣٦١، وحلية الأولياء٩/٣١٩ وعزاه أيضاً إلى غيرها من المصادر.

والجهاد بالدعاء[1] إلى الله تعالى بالعلم، وجهاد[2] أعداء الله بالسيف، فهذه الأوجه كلها جهاد.

(**ولا تأخذك في الله لومة لائم**): أراد أنك لا تخشى فيما يكون متعلقاً بحق الله من أحد ملامة، فتترك حق الله من أجل ما يلحقك من اللوم، ولقد مدح المؤمنين في جهادهم بقوله:

﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ**﴾[المائدة:٥٤].

(**وخض الغمرات إلى الحق**): الغمرة: كثرة الماء، والغمرة: الزحمة من الناس، وأراد اقتحم الأمور الشديدة إلى نيل الحق وبلوغه.

(**حيث كان**): لايحجزك عن نيله بُعْدُ مكان، ولا حزونة طريقة[3].

(**وتفقّه في الدين**): تفهّم ما يهمك ويعنيك من أمره، وفي الحديث: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[4] أي يعلّمه[5] معالمه، ويرشده إلى طرائقه[6].

(**وعوِّد نفسك الصبر على المكروه**): أراد تعويد النفس وتمرينها

(١) في (ب): الدعاء.

(٢) في (ب): وجاهد، ولعله تحريف.

(٣) في (ب): طريق.

(٤) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٤٧/١ بسنده يبلغ إلى عبد الله بن عباس، وص٤٦ بسنده عن عبد الله، بزيادة في آخره: «ويلهمه رشده»، وللحديث مصادر كثيرة جداً انظرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٦١٦/٨.

(٥) في (أ): يعلَم.

(٦) في (ب): طريقه.

على احتمال الأذى، وتحمل المكاره فإن ذلك يقود إلى كل خير، وفيه التشبُّه بأخلاق النبوة، وفي الحديث: «الصبر أعظم جنود المؤمن»[1] لأنه يغلب به كل من قاومه، وأراد المكر به.

(ونعم الخلق التصبُّر): التصبُّر هو: تكلُّف الصبر.

وسئل (عليه السلام) عن الإيمان؟ فقال: «الصبر، والسماحة»[2]، وفي الحديث: «التصبُّر كنزٌ من كنوز البر»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنه: الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه:

صبر على أداء الفرائض لله وله ثلاث مائة درجة.

وصبر عن محارم الله، وله ثلاث مائة درجة.

---

(١) أخرج قريباً منه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١/٦٨ من حديث للإمام علي (عليه السلام)، أخرجه بسنده عن عباس بن بزيغ الأزردي قال: قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): (العلم خليل المؤمن، والعقل دليله، والحلم وزيره، والرفق قيده، والصبر أمير جنوده...) إلى آخر الحديث، وروى مثله ابن أبي الحديد في شرح النهج ١١/٢٠٣ مع اختلاف يسير، ولم ينسبه لقائل معين بل قال: وفي الخبر، فذكر الخبر بلفظ المرشد بالله.

(٢) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٢/١٩٤ بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، ورواه في شمس الأخبار ٢/١٣٦ الباب (١٣٤) وعزاه إلى أمالي السمان، وهو في شرح النهج لابن أبي الحديد ١١/٢٠٣ وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥/٣٧٨ إلى مسند أحمد بن حنبل٤/٣٨٥، ومجمع الزوائد للهيثمي١/٥٩، ومصنف ابن أبي شيبة١١/٣٣، ومسند الربيع بن حبيب٣/٦، وإتحاف السادة المتقين٨/١٧١، ٩/٥ وإلى غيرها من المصادر.

(٣) الحديث بلفظ: ((الصبر كنز من كنوز الجنة)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي٤/٣٧٨ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين٩/٥، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي٤/٦٠، وكشف الخفاء ٢/٢٧ وإلى غيرها.

وصبر في المصيبة عند الصدمة الأولى وله تسعمائة درجة[1].

وإن نفَّس الله لي في المهلة، وزاد لي في الأجل ذكرت حقيقة الصبر وأسبابه، وكيفية اكتسابه، في شرحي لكتاب (المصباح) للصادق (عليه السلام)، في علم التصوف، وسلوك طريق الآخرة، فالنية صادقة في ذلك[2] بمعونة الله تعالى[3].

(ألجئ[4] نفسك في الأمور كلها إلى إلهك): أراد فوِّضها في التدبير إليه، ولا تكلِّف نفسك ما لا تطيقه من تدبيرها[5]، فهو كافيك في ذلك كله.

(فإنك تلجئها إلى كهف حريز): لا يمكن الوصول إليه.

(ومانع): لك عن كل محذور.

(عزيز): لا يضام ولا يهضم من كان ناصراً له.

(وأخلص في المسألة لربك): أراد أنك إذا سألت الله مسألة، فمن آداب الدعاء فيها هو الإخلاص فيها، والعلم بأنه لا قضاء لها إلا من جهته، ولا يقدر عليه أحد سواه، أو أراد إذا سألت مسألة من جهة الله

---

(١) أورد خبر ابن عباس القاضي العلامة محمد بن مطهر الغشم في رضا رب العباد ص٣١٧، وفيه اختلاف عما هنا في قوله: وصبر عن محارم الله وله ثلاثمائة درجة، فالعبارة في رضا رب العباد: وصبر على محارم الله وله ستمائة درجة، وقول ابن عباس رضي الله عنهما هو من مضمون حديث نبوي شريف ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، رواه القاضي العلامة علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار ٢/١٣٣-١٣٤، عن علي (عليه السلام).

(٢) في ذلك، سقط من (ب).

(٣) تعالى، سقط من (أ).

(٤) في (ب) وشرح النهج: وألجئ نفسك في أمورك كلها ...إلخ.

(٥) في (ب): من تدبيرك.

فاقطع واجزم ولا تردد نفسك، وفي الحديث: «إذا سأل الله أحدكم مسألة فليجزم فيما يسأل[1] فيه»[2].

(فإن بيده العطاء): لمن يحب.

(والحرمان): لمن يريد، قال الله تعالى: ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ**﴾[فاطر:٢] أبداً.

(وأكثر الاستخارة): يروى بالخاء أي اطلب الخيرة من الله تعالى في جميع أمورك[3] كلها.

وفي الحديث: «أن الرسول (عليه السلام) كان يلقننا الاستخارة؛ كما يلقننا السورة من القرآن»[4].

وبالجيم أيضاً، وأراد وأكثر[5] ما تستجير بالله في جميع أحوالك من مهمات الدين والدنيا؛ فإنه لا تُسْتَدْفَعُ البلايا إلا بلطفه وحفظه.

---

(١) في (ب): يسأله.

(٢) للحديث شاهد أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٢٢٣/١ بسنده إلى أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا دعا أحدكم فليعزم بالدعاء، ولا يقول: اللهم، إن شئت فأعطني فإن الله لا مستكره له))، وبلفظ: ((إذا دعا الله أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة ويعظم الرغبة، فإن الله تعالى لا يتعاظم شيء أعطاه)) رواه في مسند شمس الأخبار ٣٦١/١ الباب (٥٩) وعزاه إلى أمالي قاضي القضاة، وانظر تخريجه فيه.

(٣) في (ب): الأمور.

(٤) أخرج الإمام أبو طالب في أماليه ٣٣٦-٣٣٧ برقم (٣٥٦) بسنده عن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن أبيه، عن جده، عن أبيه ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن ....)الحديث، ورواه الإمام الهادي إلى الحق في الأحكام ٥٣٢/٢ بلاغاً.

(٥) في (ب): أكثر بغير واو.

(وتفهم وصيتي): تحققها وتعقّل ما تضمنتها.

(ولا تذهبن عنك[1] صفحاً): ذهب عن الشيء صَفْحاً إذا أعرض عنه.

(فإن خير القول ما نفع): صاحبه وظهرت فيه علاماته.

(واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع): صاحبه في دينه ولادنياه، ولهذا فإن الرسول [(عليه السلام)][2] كان يعوذ بالله من العلم الذي لا ينفع، فكان[3] يقول في دعاءه: «أعوذ بك من علم لا يَنْفَعُ، ومن قلب لا يَخْشَعُ، ومن عين لا تَدْمَعُ، ومن دعاء لا يُسْمَعُ، أعوذ بك من شرِّ هذه الأربع»[4].

(ولا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ): أراد أن كل ما لا يجب تعلمه من العلوم؛ فإنه لا ينتفع به صاحبه، وعلى هذا يكون أنفع العلوم أوجبها فرضاً، وأعظمها وجوباً.

ثم حثّه بعد ذلك على فعل خصال ينتفع بها، بقوله:

(أي بني[5]، لما رأيتني قد بلغت سناً): أفعال القلوب نحو: علمت ورأيت يجوز الجمع فيها بين ضميري الفاعل والمفعول، فتقول: رأيتني وعلمتني، وأراد أني قد كبرت، والسِّنُّ: أكبر العمر.

---

(١) عنك، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٢) زيادة في (ب).

(٣) في (ب): وكان.

(٤) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص٣٣٢ برقم (٣٤٣) بسنده يبلغ به إلى أنس: أن النبي ﷺ كان يدعو بهذه الدعوات: ((اللهم، إني أعوذ بك من علم لاينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ونفس لا تشبع، ثم يقول: اللهم، إني أعوذ بك من هؤلاء الأربع)).

(٥) في شرح النهج: أي بني، إني لما رأيتني ...إلخ.

(ورأيتني أزداد وَهناً): ضُعْفاً كلما دخلت في السنِّ ونقصت أيامي.

(بادرت): عاجلت.

(بوصيتي إياك خصالاً[1]): الخصلة هي: الخلة من خير أو شر، قال الكميت:

سبقت إلى الخيرات كل مناضل

وأحرزت بالعشر الولاء خصالها[2]

(منها أن يعجل بي أجلي): يسبق عليَّ الموت.

(دون أن أفضي إليك بما في نفسي): أظهره لك وأحثك على فعله.

(وأن[3] أنقص في رأيي): بالضعف والوهن.

(كما نقصت في جسمي): بالهزال والشيخوخة والهرم.

(أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى): بعض الأهواء الغالبة.

(وفِتَن الدنيا): ما يفتتن به الإنسان من خير يلهي أو شر أو غير ذلك من البلاوي.

(فتكون كالصعب النفور): كالبعير الذي صار فحلاً غير ذلول لا يطاق عليه.

(وإنما قلب الحدث): الصغير من الرجال.

---

(١) في شرح النهج: بادرت بوصيتي إليك وأوردت خصالاً منها قبل أن يعجل بي أجلي.

(٢) لسان العرب ١/٨٤٢.

(٣) في شرح النهج: أو أن.

(كالأرض الخالية): عن سائر النباتات الطيبة.

(ما ألقي فيها من شيء قَبِلَتْهُ): نبت فيها على أحسن هيئة وأجملها وأحمدها في المنظر والمرأى.

(فبادرتك بالأدب): بالتذكير والموعظة.

(قبل أن يقسو قلبك): عن قبول المواعظ[1]، فلا يقبل شيئاً منها.

(ويشتغل لبك): أي عقلك بغيرها مما لا فائدة فيه ولا منفعة وراءه.

(لتستقبل): تعليل لقوله: بادرتك من أجل أن تستقبل.

(بجد رأيك من الأمر): أعلاه وأقواه وأعظمه تبصرة في الأمور.

(ما كفاك[2] أهل التجارب بغيته[3]): ما هذه موصولة في موضع نصب على المفعولية، أي تستقبل ما قد فرغ أهل الخبرة عن طلبه وتحصيله.

(وتجربته): الخبرة فيه والتحقق بحاله[4].

(فتكون): نصب عطفاً على قوله: لتستقبل، أو رفع على الاستئناف، أي وأنت تكون:

(قد كفيت مؤونة الطلب): المؤونة فعولة من الأَوْن، وهو: الخُرج[5]؛ لأنها تثقل الإنسان وتتعبه، وفي الحديث: «تكون المعونة على قدر

---

(١) في (ب): الموعظة.

(٢) في شرح النهج: ما قد كفاك.

(٣) في (ب): تعبه.

(٤) في (ب): لحاله.

(٥) الخُرج بالضم: وعاء يوضع فيه المتاع أو غيره.

المؤونة»[1]، تهمز ولا تهمز، وأراد أنك تكفى ثقل الطلب وكلفته.

(**وعوفيت من علاج التجربة**): المعافاة هي: المسالمة، وأراد أنك قد سولت من علاج أهل التجارب.

(**فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه**): أراد فجاءك على سهولة من غير مشقة وعلاج، ما قد كنّا نعالج ويشقُّ علينا مقاساته وتعبه.

(**واستبان لك**): أي اتضح.

(**ما ربما أظلم علينا فيه**[2]): ما كان مظلماً علينا عند طلبه وتحصيله.

(**أي بني، وإن**[3] **لم أكن عمرت عمر من كان قبلي**): من الأمم والقرون.

(**فقد نظرت في أعمالهم**): الحسنة والسيئة.

(**وفكرت في أخبارهم**): قصصهم وسيرهم.

(**وسرت في آثارهم**): أماكنهم التي عمروها ومساكنهم التي زخرفوها، وطرقهم التي سلكوها.

---

(١) الحديث بلفظ: ((إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤونة)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣/٢٥٢، وعزاه إلى مجمع الزوائد٤/٣٢٤، وكنز العمال برقم(١٥٩٩٣) و(١٦١٢٩)، ومسند الشهاب٩٩٢، والترغيب والترهيب للمنذري٣/٦٤،وإلى غيرها من المصادر.
قلت: وهو بلفظ: ((إن المعونة تأتي العبد من الله على قدر مؤنته))، رواه القاضي العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار ٢/٢٢٣ في الباب (١٥٣) وعزاه إلى مسند الشهاب، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه الحكيم، والبزار، والحاكم في الكنى، والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة، بلفظه وزيادة في آخره وهي: ((إن الصبر يأتي من الله على قدر المصيبة)) وصححه السيوطي. انتهى.

(٢) في شرح النهج: منه.

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: أي بني، إني وإن لم أكن...إلخ.

(**حتى عدت كأحدهم**): كالواحد منهم في تحققها وتبينها.

(**بل**): إضراب[1] عما ذكره من أنه كالواحد منهم.

(**كأني بما انتهى إليّ من أمورهم**): قرع سمعي وتحققته من أحوالهم كلها.

(**قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم**): في شدة التحقق وعظم التبصر.

(**فعرفت صفو ذلك من كدره**): خيره من شره، فأخذت ماهو خير، وتركت ما هو شر.

(**ونفعه من ضره**[2]): وما يضر من ذلك وما يكون نافعاً منه.

(**فاستخلصت لك من كل أمر جليله**[3]): أعظمه وأسناه، وأحسنه موقعاً.

(**وتوخيت لك جميله**): طلبت لك من ذلك أجمله وأحمده.

(**وصرفت عنك مجهوله**): ما يكون مجهولاً من أموره، لا يعرف حاله.

(**ورأيت حين**[4] **عناني من أمرك**): وعرفت وقت ما أهمني من إصلاح حالك وأمرك.

(**ما يعني الوالد الشفيق**): ما هذه موصولة في موضع رفع فاعلة لعناني، والشفقة: المحبة، والمشفق: المحب لما يوده.

---

(١) في (ب): أضرب.

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: من ضرره.

(٣) في نسخة: نخيله، وفي نسخة أخرى: نخيلته. (هامش في ب).

(٤) في شرح النهج: حيث.

(وأجمعت عليه من أدبك): يقال: أجمعت أمري إذا عزمت عليه، ولا يقال: جمعته، قال الله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[يونس:٧١]، أي وادعوا شركاؤكم؛ لأنه لا يقال: أجمعت شركائي حكاه الكسائي.

(أن يكون ذلك): أي الأدب، والتثقيف مني.

(وأنت مقبل العمر): أي في أول أوانه.

(مقتبل[1] الدهر): أي ذو إقبال منه وبُلَهْنِيَة[2].

(ذو نية سليمة): عما يعرض لها ويشوش حالها وأمرها.

(ونفس صافية): عن المكدرات والعوارض.

(وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله): أول ما أضعه في صدرك هو فهم كتاب الله تعالى، وفهم تأويله فيما كان منه مفتقراً إلى التأويل.

(وشرائع الإسلام): التي شرعها الله لخلقه، وعرَّفهم مصالحهم فيها.

(وأحكامه) ما حكم منها وفرض.

(وحلاله وحرامه): ومعرفة ما أحلَّه لعباده، وحظره عليهم.

(لا أجاوز ذلك بك إلى غيره): لا أعدل عما ذكرته من العلوم إلى غيرها لما في ذلك من المصلحة العامة.

---

(١) في (ب): مقبل، وفي شرح النهج: ومقتبل.

(٢) هو في بُلَهْنِيَةٍ من العيش بضم الباء أي سعة ورفاهية. (القاموس المحيط ص١٥٢٤).

(ثم أشفقت أن يلتبس عليك): الإشفاق ها هنا هو: الخوف، وأراد أني أتخوف عليك أن يلتبس عليك.

(ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم): يريد اختلافهم في هذه المذاهب وميلهم إلى هذه الأهواء، واستحداثهم لهذه[1] الآراء، وغرضه بذلك اختلافهم في الديانات، ومسائل الاعتقاد مما يكون الحق فيه واحداً ومما يعظم فيه الخطر، ويحصل بسببه الهلاك في هذه المسائل الإلهية، والاعتقادات الدينية.

(مثل الذي التبس عليهم): أراد أن تقع في مثل ما وقعوا فيه من اللبس واختلاف الآراء.

(فكان إحكام ذلك): الإشارة إلى ما ذكره أولاً من الأمر الملتبس.

(على ما كرهت من تنبيهك): الكره بالضم والفتح هو: المشقة، يقال: فعلت هذا على كره أي مشقة، وغرضه فكان إحكام ذلك من جهتي على ما يلحقني من المشقة بترك تنبيهك في ذلك.

(له): أي من أجله وسببه[2].

(أحب إليّ من إسلامك): أعظم إليّ محبة من تسليمك.

(إلى أمر لا آمن عليك فيه الهلكة): أن تكون هالكاً مع من هلك فيه، واتبع رأيه ولم يعول على حجة واضحة، ولا كتاب منير.

---

(١) في نسخة أخرى: بهذه.

(٢) في (ب): وبسببه.

(ورجوت): إذا فعلت لك ذلك.

(أن يوفقك الله فيه): يريد الأمر الذي تخوض فيه.

(لرشدك): لما قضاه لك من الرشد من جهته.

(وأن يهديك): يدلك.

(لقصدك): للطريق المستقيمة التي تقصدها.

(فعهدت إليك وصيتي هذه): لتكون إماماً لك في أمورك، وعوناً لك على مصالحك الدينية.

(واعلم أي[1] بني أن أحب ما أنت آخذ به من وصيتي هذه): أعظم ما أحبه وأريد لك أخذه منها.

(تقوى الله): اتقاه ومراقبته في الأمور كلها.

(والاقتصار على ما فرضه الله عليك): تأدية هذه الأمور المفترضة من جهة الله تعالى، فإن هذه الفروض مصالح عظيمة، وحالها عند الله عظيم، ولهذا وعد على فعلها الجنة، وأوعد على تركها النار.

(والأخذ بما مضى عليه الأولون[2] من آبائك): يريد بهذا من كان من ولد إسماعيل من الأنبياء وأهل الصلاح منهم، فإن الأخذ بطرائقهم فيه النجاة لا محالة.

(والصالحون من أهل بيتك): ممن كان سالكاً لطريق الصلاح من أولاد

(١) في (ب) وفي شرح النهج: واعلم يابني.
(٢) في نسخة: أولوك. (هامش في ب).

هاشم، ويحتمل أن يريد بذلك نفسه (عليه السلام)، فإن الاقتداء به والاهتداء بهديه هي الطريقة الحسنى، والمنقبة المثلى.

(فإنهم لم يَدَعُوا): لم يتركوا أنفسهم.

(أن نظروا[1] لأنفسهم كما أنت ناظر): في خواص دينهم وما يتعلق بتكاليفهم.

(وفكروا كما أنت مفكر): فيما يعنيهم أمره من ذلك.

(فردهم آخر[2] ذلك إلى الأخذ بما عرفوا): أراد فرجع الأمر في عاقبة أمرهم إلى الأخذ بما تحققوه وعقلوه.

(والإمساك عما لم يكلفوا): أراد وترك الخوض فيما لا حاجة لهم فيه، ولا غرض لهم فيه.

(فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك): الإباء هو: الكراهة، وأراد فإن كرهت نفسك قبول ترك الخوض في مذاهب الناس، والاطلاع على ما هم عليه في هذه الاعتقادات، والدرية بأحوالهم فيها ولم تقف على غرضك.

(دون أن تعلم كما علموا): تحيط بما أحاطوا به، وتدرك غوره.

(فليكن طلبك ذلك بتفهم): إدراكك له بعلم ودراية.

(وتعلم): ومعرفته[3] شيئاً فشيئاً، وافعل ما قلته لك، وأشرت إليك به.

(١) في (ب): أن ينظروا.
(٢) في (ب): أجر.
(٣) في (ب): وتذكُّر ومعرفته...إلخ.

(**لا بتورط الشبهات**): الورطة: الهلكة، وأراد من غير أن تكون هالكاً في اتباع الشبهات واقتفاء آثارها وسلوك مناهجها.

(**وعلو[1] الخصومات**): ارتفاعها وكثرتها، والمعنى في هذا هو أنك إذا أردت الخوض في مذاهب الناس فاحبس نفسك على تقوى الله والورع، ولا ترسلها في هواها فتهلك، وتقع في المتالف.

(**وابدأ قبل نظرك في ذلك**): الإشارة إلى خلاف الناس.

(**بالاستعانة بإلهك**): بطلب[2] الإعانة منه في كل أحوالك، وأمورك.

(**والرغبة إليه[3] في توفيقك**): وأن تكون راغباً إليه في تحصيل اللطف لك بموافقة الحق من ذلك، ومطابقته.

(**وترك كل شائبة**): واسأل منه أن يوفقك لترك ما يشوب دينك، أو ترك كل خصلة شائبة له أيضاً.

(**أولجتك في شبهة**): أدخلتك في الشبهات، وأورطتك في كل عظيمة وهلكة.

(**أو أسلمتك إلى ضلالة**): أو كانت مسلمة لك إلى ضلالة عن الحق ومخالفة له إلى الباطل.

(**فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك**): عن كدورة التعصب، ومال عن اتباع الهوى.

---

(١) في شرح النهج: وعلق.

(٢) في (أ). لطلب.

(٣) إليه، زيادة في شرح النهج.

(**فخشع**): وكان خاشعاً لله متواضعاً لقبول الحق وإعطائه.

(**وتمّ رأيك**): في تقوى الله.

(**واجتمع**): على فعلها والاحتكام لها.

(**وكان همك في ذلك هماً واحداً**): ليس متفرقاً إلى جهات مختلفة وشعوب متشتتة.

(**فانظر فيما فسرت لك**): يريد أنك تأخذ بما عرفت من الأمور كلها، وتمسك القول عما لا تعرفه، ففي هذا[1] سلامة عن كل محذور في الدين، وأمن من الوقوع في المهالك.

(**وإن لم يجتمع لك ما تحب من نفسك**): ولم تملكها عند الخوض، ولم تكن آمناً عليها في ذلك.

(**وفراغ[2] فكرك ونظرك**): فما أديا إليه فاعمل به من غير مخالفة.

(**واعلم أنك إنما تخبط العشواء**): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أنك بمخالفتي فيما أمرتك به، ونهيتك عنه.

وثانيهما: أن يكون مراده أنك إن نظرت في مذاهب الناس وما هم عليه من الخلاف من غير تثبت وتسديد من الله، فإنما تخبط العشواء، وهو مثل فيمن لا يكون من أمره على بصيرة، وأصله من سير الناقة التي لا تبصر، وانتصابه على المصدرية.

---

(١) في (ب): فهذا إسلامه.

(٢) في (أ): فراغ.

(وتتورط الظلماء): الورطة: الهلاك، وغرضه أن تقع في الظلمات وهي الأمور الملتبسة.

(وليس طالب الدين مـن خبط): يريد وليس يطلب الدين من كان خابطاً في أموره على غير بصيرة فيها.

(أو خلط): فيه ما ليس فيه[1] من الضلالات والوقوع في العمايات.

(والإمساك عن ذلك أمثل): في الطريقة[2] وأقوم للدين لا محالة.

(فتفهم يا بني وصيتي): أحط بها حقيقة، وكن عارفاً بها.

(واعلم أي بني أن مالك الموت هو مـالك الحياة): أنه إله واحد، كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾[الملك:٢].

(وأن الخالق هو المميت): الموجد للأجسام وجميع العالم هو القابض لأرواحها، والمتولي لذلك.

(وأن المفني): لها والمعدم لتأليفاتها[3]، والمبطل لنظامها.

(هو المعيد): لها على حقائقها وتفاصيل أحوالها.

(وأن المبتلي): بجميع أنواع البلايا من الغنى والفقر، والألم والغم وسائر الشرور والمصائب في العالم.

(هو المعافي): فيها كلها، والصارف لها أجمع.

---

(١) في نسخة: منه (هامش في ب).
(٢) في (ب): الطريق.
(٣) في (ب): لتأليفها.

(وأن الدنيا ما كانت[1] لتستقر): تنتظم أحوالها ويحصل المقصود منها في الحكمة.

(إلا على ما جعلها الله تعالى[2]): طَبَعَهَا:

(عليه): وجعل أحوالها منتظمة فيه.

(من النعمـاء والابتـلاء): أراد بالنعماء على قوم والابتلاء لآخرين، وإما بالنعماء في حالة والابتلاء في حالة أخرى.

(والجزاء في المعاد): يريد والمجازاة بالخير والشر في الآخرة.

(وما شاء): من هذه الأحوال والاختلافات العظيمة.

(مما لا يُعلم): يحيط به علم عالم ولا تستولي عليه معرفة عارف، وفي كلامه هذا إشارة إلى أن أحوال العالم لا تنتظم إلا بما ذكره من إثبات الصانع، وعدله وحكمته والرغبة في الثواب، والرهبة من العقاب، وإثبات المعاد الأخروي.

(فإن أشكل عليك شيء من ذلك): مما ذكرته لك وأوضحته.

(فاحمله على جهالتك به): أراد فاتهم فيه نفسك، وأنه[3] لم تحط به علماً، ولا بلغت كنه حاله وحقيقته.

(فإنك[4] أول ما خلقت جاهلاً ثم عُلّمت): أراد لا تأخذك أنفة في أنك

---

(١) في شرح النهج: وأن الدنيا لم تكن لتستقر، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٢) في (ب): فيها.
(٣) في (ب): وأنك لم تحط.
(٤) في نسخة: فإنك كنت أول ...إلخ، (ذكره في هامش ب).

تجهل أكثر الأمور، فإنك مولود على الجهالة وعدم العلم[1]، ثم علمك الله بعد ذلك كما قال تعالى[2]: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾[النحل:٧٨].

(وما أكثر ما تجهل من الأمور): إخبار عن كثرة الجهل بالأمور في معرض التعجب من ذلك والاستطراف له.

(ويتحير فيه رأيك): فلا تجد سبيلاً إلى حله وكشفه.

(ويضل فيه بصرك): تذهب عنه بصيرتك وعقلك.

(ثم تبصره بعد[3]): بإلهام الله لك ودلالتك عليه من جهته.

(فاعتصم بالذي خلقك ورزقك): إما تمسك به في جميع أمورك، وإما امتنع بألطافه عن كل ما تكره من الأمور وتحذر[4].

(وسواك): أقام صورتك وعدل قوامك وأحكم خلقك.

(وليكن له تعبدك): إما مصرف عبادتك، وإما تذللك وتصاغرك.

(وإليه رغبتك): في جميع الأمور العظيمة، وتحصيلها واكتسابها.

(ومنه شفقتك): أي لا تخف أحداً غيره، ولا تراقبنَّ أحداً سواه.

(واعلم يا بني أن أحداً لم ينبئ عن الله تعالى[5]): يخبر عنه من الأخبار الغيبية والأسرار الحكمية.

---

(١) قوله: وعدم العلم، سقط من (ب).
(٢) تعالى، زيادة في (ب).
(٣) في شرح النهج: بعد ذلك.
(٤) قوله: وتحذر، سقط من (ب).
(٥) تعالى، زيادة في (ب)، وفي شرح النهج: سبحانه.

(كما أنبأ عنه الرسول[1] صلى الله عليه وآله وسلم): فإنه نصح في ذلك غاية النصح، وأبلغ نهاية البلاغ، ولم يكتم شيئاً مما ينفع الخلق، ويقربهم إلى النجاة، ويكون طريقاً لهم إلى الجنة.

(فارض به رائداً): الرائد هو: الذي يبعثه[2] القوم ليطلب لهم الكلأ.

(وإلى النجاة قائداً): أراد وهادياً إلى كل خير مما يكون فيه نجاة لك.

(فإني لم آلك نصيحة): أي لم أقصر في نصحك ولا منعتك منه شيئاً.

(وأنك لم[3] تبلغ في النظر لنفسك وإن اجتهدت): أي لا تبلغ غاية في النظر لنفسك إلا وأنت مقصر فيها فلا تبلغ.

(مبلغ نظري لك): في الأمور الدينية، والآداب الدنيوية.

(واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك): ثان مشارك له في الوحدانية.

(لأتتك رسله): أنبياؤه يدعونك إليه، ويعرفونك حاله، وما أمر به ونهى عنه، كما كان ذلك في حق الله تعالى، وهذه إشارة منه إلى برهان عقلي على أنه لا ثاني مع الله تعالى، وتقريره على مثال ما قاله هو أن الله تعالى لو كان معه إله آخر لكان داعي الإحسان متوفراً من جهته إلى الإحسان إلى الخلق، والتفضل إليهم، فكان من حقه بعثة الرسل إلى خلقه؛ ليكون متفضلاً عليهم بهذه التكاليف، وينعم بها عليهم ليحصل لهم بها الفوز في الآخرة، وإحراز النعيم المقيم بها، فإذا كان داعي

---

(١) في شرح النهج: كما أنبأ عليه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.
(٢) في (ب): بعثه.
(٣) في شرح النهج: لن، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

الإحسان متوفراً بحيث لا مانع له عنه وجب فعله، فلما لم يفعله دل على بطلانه وزواله، وأنه لا إله إلا إله واحد.

(ولرأيت آثار ملكه وسلطانه): وهذه منه إشارة إلى برهان آخر عقلي، وهو أن الله تعالى لو كان معه إله آخر لكان داعيه متوفراً إلى الإحسان إلى الخلق بخلقهم وإكمال حياتهم، ليلتذوا بها، ويصلوا بها إلى إدراك هذه المنافع، ولن يتم ذلك إلا بإيجاد عوالم غير هذه العوالم ليكون دلالة عليه، وليكون معها منعماً متفضلاً، فلما لم يكن شيء من ذلك دل على بطلانه وزواله.

(ولعرفت أفعاله وصفاته): وهذه أيضاً إشارة إلى برهان عقلي، وهو أن الله تعالى لو كان معه إله آخر لوجب أن يكون عالماً قادراً، حكيماً في أفعاله، ولو كان الأمر كذلك لوجب أن يدلنا على هذه الأفعال دلالة لتكون حاصلة بالبرهان العقلي في حقه ليكون إلهاً لأجل اختصاصه بها.

(ولكنه إله واحد كما وصف نفسه): يشير إلى ما وقع في الكتاب الكريم من صفة الله تعالى، بكونه واحداً، كما أشار إليه تعالى في ثلاثين موضعاً من كتابه، كلها دالة على توحيده، وأنه إله واحد، والأدلة النقلية أصرح بالمراد، والأدلة العقلية فلا غبار عليها كما أشرنا إليه.

(لا يضاده[1] في ملكه أحد): التضاد في الملك هو أن يأمر هذا بما ينهى عنه ذاك وعكسه، أو يريد هذا ما يكرهه ذاك أو غير ذلك من الأحكام المتضادة، وأراد أنه ليس له مثل، فيكون مضاداً له، ومخالفاً له في مراداته،

(١) في (ب): ولا يضاده.

وهذا لأن هذه قضية واجبة أعني الاختلاف في الدواعي بين الملوك، والتعالي لبعضهم على بعض، كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾[الأعراف:٢٦].

(ولا يزول أبداً): أراد أن وجوده إنما كان لذاته، وما كان هذا حاله استحال أن يكون لوجوده آخر وانقضاء، فلهذا قال: لا يزول أبداً.

(ولم يزل أولاً): أراد أن وجوده بلا أول؛ إذ لو كان لوجوده أول، لكان حاصلاً بعد أن لم يكن، فيحتاج إلى مؤثر وفاعل، وهذا محال في حقه.

(قبل الأشياء): لأن جميع الأشياء كلها سواه محدثة، ولها أول، فلهذا قال: إنه قبل الأشياء.

(بلا أولية): يريد أنه وإن كان قبل الأشياء فهذه القبلية ليس لها حد، ولا لها غاية.

(وآخر بعد الأشياء): يريد أن وجوده سرمدي، فلهذا كان متأخراً بعدها.

(بلا نهاية): له[1] في الآخرية كما لا بداية له في الأولية.

(عظم أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب): أراد أن من هذه حاله في عدم الأولية لوجوده، وعدم الآخرية لوجوده أيضاً[2]، وأنه مختص بالصفات الإلهية، فإنه يتعالى في ذاته عن أن تكون ربوبيته يشتمل عليها قلب في الإحاطة والاستيلاء.

(١) قوله: له، سقط من (ب).
(٢) قوله: أيضاً، سقط من (ب).

(أو بصر): أو يكون إدراك يستولي على ذلك، أو عقل، إن حملنا الإدراك على العقل، فكلاهما بعيد عن الاستيلاء عليه؛ لأنه تعالى في ذاته غير متناه في جميع أحواله، وما لا نهاية له فلا يمكن الاستيلاء على حقيقته والإحاطة بها.

(فإذا عرفت ذلك): ما وصفته لك من خالقك واختصاصه بما ذكرته لك من الصفات.

(فافعل ما ينبغي لمثلك أن يفعله): من التذلل لجلاله والتصاغر لعظيم سلطانه، ولما يظهر عليك من قدرته وقهره.

(في صغر خطره): ضعف حاله.

(وقلة مقدرته): وحقارة قدرته على ما يقدر عليه.

(وكثرة عجزه): عن أكثر الأشياء وإيجادها.

(وعظيم حاجته إلى ربه): في قليل الأمور وكثيرها وجليلها ودقيقها.

(في طلب طاعته): فعلها وتحصيلها، والاجتهاد في أدائها.

(والرهبة من عقوبته): وأن تكون راهباً عن الوقوع في المعاصي الموجبة لعقوبته.

(والشفقة من سخطه): والخوف مما يوجب الوقوع في سخطه وغضبه، وهو أحق بذلك وأولى به.

(لأنه[1] لم يأمرك إلا بحسن): مصلحة في دينك، فلهذا وجب امتثال أمره.

---

(١) في شرح النهج: فإنه.

(ولم ينهك إلا عن قبيح): ما يكون ارتكابه مفسدة، فلهذا وجب الانكفاف عما نهى.

(يا بني، إني قد أنبأتك عن الدنيا): أخبرتك عنها وأعلمتك.

(وحالها): في التغير والزوال والتقلب بأهلها، والتحول.

(وزوالها): عن أهلها.

(وانتقالها): إما نفادها مطلقاً، وإما انتقالها من قوم إلى آخرين.

(وأنبأتك عن الآخرة): أعلمتك وعرفتك.

(وما أعد لأهلها فيها): من النعيم المقيم لأهل الجنة والعذاب الأليم لأهل النار.

(وضربت لك فيهما الأمثال): يريد الدنيا والآخرة.

(لتعتبر بها): تتعظ بما ذكرته.

(وتحذو عليها): تتبع آثارها وتسلك على طريقها.

(إنما مَثَلُ من خبر الدنيا): عرف حالها، وقلبَّها ظهراً لبطن.

(كمثل قوم سفْر): السفر: اسم للجمع كنفر ورهط، ويجوز أن يكون جمعاً لسافر نحو راكب وركب، وصاحب وصحب.

(نبا بهم): نبا الشيء: إذا ارتفع، وأراد أنه لم يوافقهم فارتفع عن الموافقة.

(منزل جديب): مكان لا خصب فيه ولا مرعى لأنعامهم.

(**فأمّوا منزلاً خصيباً**): قصدوا مكاناً خصيباً فيه الخصب، وهو المرعى لأنعامهم.

(**وجَناباً مريعاً**): الْجَنَابُ بالفتح هو: فناء الدار، وما قَرُبَ من محلّة القوم، والمريع: الممرع، يريد كثير الشجر.

(**فاحتلموا وعثاء الطريق**): الوعثاء: ما يصيب في الطريق من المطر وألم السفر[1]، وفي الحديث في دعائه (عليه السلام): «أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب»[2]. وفي حديث آخر: «السفر قطعة من العذاب»[3].

(**وفراق الصديق**): وما[4] يصيب من ألم بفراقه أيضاً.

(**وخشونة السفر**): الخشونة بالخاء بنقطة والنون هي: خلاف اللين.

(**وجشوبة المطعم**): بالجيم والباء بنقطة، وهو خلاف السلس، وفي الحديث: «اجشوشبوا» يريد كلوا الجشب من الطعام، وهو خلاف الطيب.

---

(١) في (ب): ما يصيب في الطريق من الطريق وألم السير.

(٢) أخرجه بلاغاً من حديث الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) في الأحكام ٥٤٤/٢، وهو بلفظ: ((اللهم، إني أعوذ بك من وعثاء السفر)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢١٩/٢ وعزاه إلى مسلم٩٧٩، وسنن النسائي٢٧٢/٨، وسنن ابن ماجة٣٨٨٨وإلى غيرها.

(٣) رواه في لوامع الأنوار ٢٣٢/٣ في سلسلة الإبريز رقم (٣٩)، وفي مسند شمس الأخبار ٧٥/٢ في الباب (١١٩)، وعزاه إلى مسند الشهاب، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢٧٣/٥ إلى البخاري ١٠/٣، ٧١/٤، ١٠٠/٧، ومسلم في الإمارة (١٧٩)، وسنن ابن ماجة٢٨٨٢، ومسند أحمد بن حنبل٢٣٦/٢، ٤٤٥، ٤٩٦، وموطأ مالك٩٨٠وإلى غيرها.

(٤) في (ب): ما يصيب، بدون واو.

(**ليأتوا سعة دارهم**): اللام هذه متعلقة باحتملوا، وأراد ليأتوا الواسع من هذه الدار المقصودة.

(**ومنزل قرارهم**): والمنزل الذي يستقرونه ويجعلونه موطناً لهم.

(**فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً**): أي مما أصابهم واختص بهم ألماً ينفرون عنه، ويتوجعون من إصابته.

(**ولا يرون نفقة فيه مغرماً**): ولا يرون لما أنفقوا فيه من النفقات أنها من جملة المغارم المثقلة، والأمور المتعبة.

(**ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم**): هذا الذي يقصدونه؛ لما لهم إليه من الشوق.

(**وأدناهم من محلتهم**): التي يأتونها، ويريدون الوقوف فيها، فهذا مثل من عرف حالها وتحقق أمرها، وأمر الآخرة كما ذكرت.

(**ومَثَلُ من اغتر بها**): الغرر: الخديعة، وأراد من انخدع بلذاتها.

(**كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب**): كثير المرعى لأنعامهم وأنفسهم.

(**فنبا بهم إلى منزل جديب**): ارتفع إلى منزل مجدب لا مرعى فيها[1] ولا شجر.

(**فليس شيء أكره ولا أفظع عندهم[2] من مفارقة**): الفظاعة: هي الشدة في الأمر.

---

(١) في نسخة: فيه (هامش في ب).

(٢) في (ب): فليس شيء أفظع ولا أكره إليهم...إلخ.

(ما كانوا فيه): من الرخاء والنعمة والراحة والدعة، وطيب المآكل والمشارب لهم ولأنعامهم.

(إلى ما يهجمون عليه، ويصيرون إليه): هجم على الشيء: إذا طلع عليه على بغتة، وأراد إلى ما تصير عاقبتهم إليه من الجوع والعطش، ومفارقة الراحة وحصول الألم، فهذا مثال من اغتر بها وخدعته.

(يا بني، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك): أراد اجعلها معياراً صادقاً فيما بينك وبين من تعامله من الخلق.

(فأحب[1] لغيرك ما تحب لنفسك): من جميع المحبوبات كلها.

(واكره له ما تكره لها): من جميع المكروهات كلها.

(ولا تظلم): أحداً من الخلق.

(كما لا تحب أن تظلم): يجري عليك ظلم من أحد من الخلق.

(وأحسن): إلى من أمكنك الإحسان إليه من الخليقة.

(كما تحب أن يحسن إليك): يحسن إليك الناس، وتريد ذلك وتهواه.

(واستقبح من نفسك): استنكره وكف عنه نفسك.

(ما تستقبح من غيرك): تكرهه وتنفر عنه من جهته.

(وارض من الناس): من المعاملة وإنصاف الحق.

(بما ترضاه لهم من نفسك): بما تحب أن يعاملوك به من جهة أنفسهم.

---

(١) في (ب) وفي شرح النهج: فاحبب.

(ولا تقل ما لا تعلم): فتكون ممقوتاً عند الله، كما قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٣].

(وإن قلّ ما تعلم): فإن قليل القول مما يكون معلوماً مفهوماً واضحاً أحسن من كثير القول الذي ليس معلوماً ولا يفهم.

(ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك): أراد ولا تقل في أحد قولاً لو قيل لك من جهة غيرك لكنت كارهاً له.

(واعلم[1] أن الإعجاب ضد الصواب): يريد أن إعجاب الرجل بنفسه في مال أو جمال أو علم أو فضل، أو غير ذلك من أوصاف الفضل مضاد للصواب ومباين له، فلا يصاحب الإعجاب صواب قط في حالة من الحالات.

(وافة الألباب): أراد وهو آفة العقول، ومفسد لها ومغير لأحكامها.

(فاسع في كدحك): أراد اجتهد في صلاح ما أنت فيه من أمر معيشتك ورمّها[2].

(ولا تكن خازناً لغيرك): بجمع المال فيأتي من يأخذه بعدك فتكون قد جمعته وأخذه غيرك، فتكون خزاناً على الحقيقة؛ لأن علامة الخزان أن يكون حافظاً لمال غيره حتى يأتي له ويأخذه.

(وإذا أنت هديت لقصدك): للطريق الموافقة لرضاء الله تعالى فاشكر ذلك.

---

(١) في نسخة: واعلم أي بني (هامش في ب).

(٢) أي إصلاحها، من رمّ الشيء يرُمُّه بضم الراء وكسرها رمًّا ومرمّة أصلحه. (مختار الصحاح ٥/٢٥٧).

(فكن أخشع ما تكون لربك): أخوف ما تكون وأخضع وأذل له.

وأقول: إن هذه الكلمات مع قلتها، وتقارب أطرافها، قد بلغت في الحكمة أقصاها، وصارت مستولية على حدها وقصاراها.

ثم أخذ في نوع آخر من الموعظة بقوله:

(واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة): يريد الطريق إلى العرصة والقيامة، ويحكى أن بعد النفخة الثانية يساقون إلى أرض المحشر وهم حفاة عراة قد غرقوا في العرق، كل واحد منهم على قدر ذنبه، فيقفون في طول يوم القيامة شاخصة أبصارهم.

(ومشقة شديدة): لما يلقون من الأهوال، ولما هنالك من الشدائد.

اللَّهُمَّ، أجرنا من هولها برحمتك الواسعة.

(وأنه لا غنى لك[1] فيه): يريد الطريق.

(عن حسن الارتياد): الطلب لما يصلحك، ويكون عدة لك من هوله.

(وقدر بلاغك من الزاد): ومقدار ما يبلغك إليه ويوصلك من الزاد.

(مع خفة الظهر): عن ثقل الأوزار وتحمل المآثم.

(فلا تحملن على ظهرك): من الخطايا والمعاصي.

(فوق طاقتك): أزيد مما تحتمله قوتك ومنّتك[2]، فإن فعلت ذلك واخترته صعب الأمر عليك.

---

(١) في شرح النهج: بك، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(٢) المنة بالضم: القوة، يقال: هو ضعيف المُنة. (مختار الصحاح ص٦٣٦).

(فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك): الوبال: الهلاك، وأراد أنه يكون مهلكاً لك في الآخرة بتحمله لا محالة.

(وإذا وجدت من أهل الفاقة[1]): وهم[2] أهل الفقر والمسكنة.

(من يحمل عنك[3] زادك إلى يوم القيامة): يتحمل ثقله ويكون عليه إيصاله.

(فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه): الموافاة: هي الملاقاة، وأراد يلاقيك به وأنت في غاية الافتقار إليه.

(فاغتنمه): اجعله كالغنيمة وأعطه إياه.

(وحمله إياه): اجعله حاملاً له دونك.

(وأكثر من تزويده): من إعطائه ما يكون لك زاداً.

(وأنت قادر عليه): الآن ومتمكن منه.

(فلعلك تطلبه): بعد هذا.

(فلا تجده): لأنه ربما عرض فقر بعد غنى.

(واغتنم من استقرضك): أراد من طلب منك قرضاً بإعطائه على جهة الصدقة، فإنها في الحقيقة قرضاً لله تعالى ليجازي عليها[4] أضعافها،

---

(١) في (ب): الحاجة.

(٢) وهم، زيادة في (ب).

(٣) في شرح النهج: لك.

(٤) عليها، سقط من (ب).

كما[1] قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤]، والأظهر أنه يريد الصدقات كلها، وأراد بكونه حسنة إخراج أنفس المال[2]، ومراعاة وجه الله تعالى، وجودة النفس بها.

(**في حال غناك**): ما دمت متمكناً من المال ومن إخراجه.

(**لتجعل[3] قضاءه لك في[4] يوم عسرتك**): لتجعل أنت بإعطائك له، أو ليجعل الله قضاءه في موضع الحاجة العسيرة.

(**واعلم أن أمامك عقبة كؤوداً**): شاقة صعبة.

(**المخف فيها أحسن حالاً من المثقل**): لما يكون في الخفة من السلامة، ولما يخشى في الثقل من العطب والهلاك.

(**والمبطئ عليها[5] أقبح حالاً من المسرع**): لأن مع التأخر والبطء لا يأمن الهلكة.

(**وإن مهبطها[6]**): المِهْبِطُ بالكسر هو: موضع الهبوط، كالمِضْرَب لموضع[7] الضرب.

(١) كما، سقط من (ب).

(٢) في (ب): الأموال.

(٣) في شرح النهج: ليجعل.

(٤) في، سقط من (ب).

(٥) في (ب): عنها.

(٦) في شرح النهج: وأن مهبطها بك لا محالة.

(٧) في (ب): كالمضرب موضع.

(**لا محالة**): بلا شك ولا مرية، والمحالة: مفعلة من الحيلة، يقال: الموت آتٍ لا محالة، أي لا بد من وقوعه.

(**على[1] جنة أو على نار**): أراد أنه لا بد من أحد المنزلين، فإن الإجماع منعقد على أن كل من كان من المكلفين، فلا بد من كونه في الآخرة في جنة أونار[2].

(**فارتد لنفسك**): اطلب لها ما يصلحها من الأعمال الصالحة، وتزود التقوى.

(**قبل نزولك**): في حفرتك التي هي منزلك ومستقر وطنك.

(**ووطن المنزل قبل حلولك**): أراد مهده، وقرر قواعده قبل استقرارك فيه.

(**فليس بعد الموت مستعتب**): استعتبه إذا طلبت[3] رضاه، والمستعتب هاهنا هو: الاستعتاب، وهو طلب الرضا، وأراد أنه لا يطلب رضا أحد بعد الموت بل هو الغاية.

(**ولا إلى الدنيا منصرف**): مرجع ولا رد بعد الموت، وإنما المرجع إلى الدار الآخرة.

(**واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض**): ملكهما وما فيهما من الخزائن والممالك.

(**قد أذن لك في الدعاء**): أمرك بالسؤال له، وحثك على الدعاء.

(١) في شرح النهج: إما على جنة ...إلخ.

(٢) في (ب): أو في نار.

(٣) في (ب): استعتبه إذا طلب رضاه.

(وتكفل لك بالإجابة[1]**)** : ضمن لك بذلك، والكفيل: الضامن.

(وأمرك أن تسأله) : حيث قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠].

(ليعطيك) من خزائنه ما سألته إياه.

(وتسترحمه) : تطلب منه الرحمة.

(ليرحمك[2]**)** : يلطف بك.

(ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه) : من هذه الوسائط، وإنما سؤالك هو الشفيع، وطلبك هو الذريعة.

(ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه) : يضطرك إلى واسطة شفيع إليه.

(ولم يمنعك إن أسأت من التوبة) : يسدها عليك عن فعل المعصية، وتدارك ما سلف من جهتك.

(ولم يعاجلك بالنقمة) أراد ولم يعاجلك بالعذاب عند إقدامك على فعل المعصية.

(ولم يفضحك حيث الفضيحة[3]**)** فضحه: إذا كشف مساوئه وأظهرها للخلق، وغرضه أنه لم يكشف مساوئك عند انكشافها من جهتك بهتك سترك بفعلك للقبيح.

(ولم يشدد عليك في قبول الإنابة) : أراد أنه جعل الإنابة والتوبة أسهل

---

(١) في (ب): وتكفل لك الإجابة.

(٢) في (ب): فيرحمك.

(٣) في شرح النهج: ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة.

ما يكون من الأمر وأيسر، من غير مشقة من جهة الله تعالى، ولا تعسير في حالها.

(ولم يناقشك بالجريمة) : المناقشة هي: الاستقصاء في الحساب، وفي الحديث: «من نوقش الحساب عذب»، وغرضه هاهنا هو أن الله تعالى من جهة عظيم[1] لطفه وسعة رحمته لم يستقص عند فعله[2] المعصية من جهته على المناقشة، بل عفا وسمح حقه في ذلك.

(ولم يؤيسك من الرحمة) : اليأس هو: القنوط، وهو غلبة الظن على عدم حصول الشيء، وغرضه أنه لم يقنطك عن رحمته مع التهالك في المخالفة.

(بل) : إضراب عما ذكره أولاً من هذه التفضلات الكاملة.

(جعل نزوعك عن الذنب) : إقلاعك عنه، وفلان قد نزع عن الإساءة إذا أقلع عنها وانصرف.

(حسنة) : من جملة الحسنات التي يضاعف عليها الأجر، ويوفر عليها الثواب.

(وحسب سيئتك واحدة، وحسب حسنتك عشراً) : حيث قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾[الأنعام:١٦٠].

(وفتح لك باب المتاب[3]**)** : يريد التوبة، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ[4]﴾[الرعد:٣٠]، أي توبتي، وأراد أنها غير مغلقة عن العبد في حالة

---

(١) في (ب): عظم.

(٢) في (ب): فعل، وفي نسخة أخرى: عند فعل المعصية من جهتك.

(٣) بعده في شرح النهج: وباب الاستعتاب.

(٤) في النسخ: متابي، بإثبات الياء في آخره، فلعله قراءة، وما أثبته من المصحف الذي بين يدي على قراءة حفص.

من الحالات، وفي الحديث: «باب التوبة مفتوح لا يغلق؛ حتى تطلع الشمس من مغربها»[1].

(فإذا ناديته سمع نداك): بجميع حوائجك، وكشف كربك وقضاء حوائجك من جهته كلها.

(وإذا ناجيته علم نجواك): النجوى هو: التناجي، وأراد أنه محيط بما تناجيه من مهماتك، وعالم بها، كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[المجادلة:٧].

(ومتى شئت دعوته فلباك): وأي وقت دعوته أجابك بالتلبية التي هي نهاية الإنصاف في الإجابة.

(فأفضيت إليه بحاجتك): أظهرتها عنده وكشفتها لديه.

(وأبثثته ذات نفسك): بث إليه السر إذا كشفه[2] له، وأظهرت له حقيقة حالك.

(وشكوت إليه همومك): أعلمته بحالك فيما يهمك من الأمور ويعيك.

(واستكشفته كروبك): طلبت منه كشفها وإزالتها عنك.

---

(١) للحديث شاهد بلفظ: ((التوبة مقبولة ما لم تطلع الشمس من مغربها)) أخرجه مرسلاً الإمام الموفق بالله (عليه السلام) في الاعتبار ص٤٣٣-٤٣٤ برقم (٣٢٢). (انظر تخريجه فيه)، ورواه في مسند شمس الأخبار ٢/٣٢٤ الباب (١٧٧)، وله شاهد آخر من حديث عن صفوان بن عسال أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١/٢٠٠ بلفظ: ((إن الله تعالى يفتح باباً من المغرب مسافته سبعون خريفاً للتوبة، لن يغلقه الله تعالى حتى تطلع الشمس من مغربها)).

(٢) في (ب): كشفته.

(واستعنته على أمورك): طلبت منه الإعانة على كل ما يعرض لك، ويخصك[1] من أحوالك.

(وسألته من خزائن رحمته): ألطافه الخفية، وعطاياه الجزيلة.

(ما لا يقدر على إعطائه غيره): لأن الأمر إذا كان على هذه الصفة كان سؤاله أحق والتواضع له أجدر؛ لأن من هذه حاله فهو حقيق بذلك وأهل له.

(من زيادة الأعمار): تطويلها والتنفيس فيها.

(وصحة الأبدان): عافيتها واستقامتها.

(وسعة الأرزاق): كثرتها والبركة فيها.

سؤال؛ أليس هذه الأمور كلها -أعني الأعمار، والأبدان والأرزاق- أمور[2] مقدرة مفروضة، وأحوال معلومة لا يزاد عليها ولا ينقص، وتجري على مقادير معلومة، فما فائدة الدعاء والحال ما قلناه؟

وجوابه من وجهين؛

أما أولاً: فلأنه وإن كان الأمر كما ذكرت؛ لكنه قد ورد الشرع بذلك لمصلحة لا يُعْلَم حالها، فلهذا جاز وإن كان الحال كما قلت[3].

وأما ثانياً: فلأنه لا يمتنع أن يعلم الله تعالى من حاله أنه إذا دعا مد الله

---

(١) في (ب): ويحصل.

(٢) هكذا في جميع النسخ: أمور بالرفع، وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي أمور، والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب خبر ليس الواردة في أول السؤال. والله أعلم.

(٣) في (ب): كما قلناه.

عمره إلى مدة مقدرة، لو[1] لم يدع لم يستحق ذلك، وهكذا القول في الرزق والصحة، وإذا كان العلم عندنا يجوز دخول الشرط فيه جاز ماذكرناه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾[الأعراف:٩٦]، ولأن العلم يتعلق بالشيء على جميع وجوهه ومن جملتها الشرط، وإذا جاز ذلك جاز ما ذكرناه.

(**ثم يجعل في يديك**[2] **مفاتيح خزائنه**): يمكّنك منها ويجعلها كأنها حاصلة في يديك[3]، أي وقت أردت فتحها أطاعتك.

(**بما أذن لك من مسألته**): حيث أمرك بسؤاله وندبك إلى ذلك، وحثك عليه.

(**فمتى شئت**): أردت وطلبت.

(**استفتحت بالدعاء**): لا يعتاص عليك، ولا يؤخر عنك:

(**أبواب نعمته**): أنواعها.

(**واستمطرت شآبيب رحمته**): الشؤبوب: واحد الشآبيب، وهو الدفعة الواحدة من المطر، قال كعب بن زهير يصف حماراً يتبع الأتن[4]:

إذا ما انتحاهنّ شؤبوبه رأيت لجاعرتيه غضونا[5]

أراد أنه إذا عدا رأيت لجاعرتيه تكسراً وتعطفاً عند عدوه.

(١) في (ب)، وفي نسخة أخرى: ولو.
(٢) في (ب): يدك، والعبارة في شرح النهج: ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه.
(٣) في نسخة: يدك، (هامش في ب).
(٤) الأتن: أنثى الحمار.
(٥) لسان العرب ٤٦٦/١.

(**فلا يقنطك**[1]): يؤيسك.

(**إبطاء إجابته**): تأخرها عنك.

(**فإن الإجابة**[2] **على قدر النية**): على حد ما يعلم الله من ذلك، ويعلم المصلحة[3] فيه.

(**وربما أخّرت الإجابة**[4]): عن التعجيل على إثر الدعاء.

(**ليكون ذلك أعظم لأجر السائل**): أكثر لثوابه لما يحصل من الإلحاح بالدعاء وتكريره.

(**وأجزل لعطاء المسئول**[5]): أعظم في عطيته وأوسع.

(**وربما سألت الشيء فلا تؤتاه**[6]): يعني أنك ربما سألت، وفي تأخيره مصلحة لك فلا تسعد بالإجابة إليه.

(**وأوتيت خيراً منه**): أفضل وأعظم حالاً.

(**عاجلاً**): على الفور.

(**أواجلاً**): إما متأخراً بعد ذلك بأزمنة، وإما مؤخراً إلى الآخرة.

(١) في شرح النهج: فلا يقنطنّك.
(٢) في شرح النهج: فإن العطية...إلخ.
(٣) في (ب): ويعلم من المصلحة.
(٤) في (ب) وفي شرح النهج: وربما أخرت عنك الإجابة.
(٥) في شرح النهج: الآمل.
(٦) في شرح النهج: فلا تعطاه.

(**أو صرف عنك لما هو خير لك**): إما لأن الله تعالى يريد أن يدخره لك إلى الآخرة، وإما لأن الله تعالى يعلم أن في تعجيله مفسدة لك فلهذا لم يعجله لك.

(**فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته**): لما يعلم الله فيه من المفسدة بالإعطاء والتمكين.

(**فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله**): خيره ومصلحته.

(**وينفى عنك وباله**): ويزول عنك ما يهلكك منه، يريد مما يعلم الله أن لك فيه صلاحاً في الدين والدنيا.

(**والمال لا يبقى لك**): لأنه فانٍ متفرق.

(**ولا تبقى له**): لأنك منطقع عنه بالموت، وفي الحديث: «إنَّ المؤمن إذا دعا إلى[1] الله تعالى في حاجة له[2]، فإنَّ الله تعالى يقول للملك الإجابة: أخّر دعوته، فإنّي أحبُّ أن أسمع صوته، وإذا دعا الفاجر في حاجة له، يقول الله للملك الإجابة: عجِّل له دعوته، فإنّي أكره أن أسمع صوته»، فالدعاء لا محالة قد ورد به الشرع، وكثرة الإلحاح على الله تعالى، والإجابة وعدمها إنما يكون على حد ما يراه من المصلحة ويعلمه منها، والدعاء بجميع المنافع كلها، ودفع المضار كله مشروط بالمصلحة، وهي مضمرة في الدعاء بلا إشكال.

---

(١) إلى، سقط من (ب).
(٢) له، زيادة في (ب).

ثم أخذ في نوع آخر من الآداب والحكم، بقوله:

(**واعلم**[1] **أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا**): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أنك إنما خلقت لغرض الآخرة وهو العبادة لله تعالى المستحق بها منافع الآخرة، كما قال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾**[الذاريات:٥٦]، لا من أجل منافع الدنيا ولذاتها وطيباتها.

وثانيهما: أن يريد أنك إنما خلقت للأمر الدائم، وهو ما كان في الآخرة، لا لما يكون منقطعاً بالزوال والفناء، وهوالدنيا.

(**وللفناء**): أي ولأن[2] يكون منتهاك الفناء.

(**لا للبقاء**): أي وليس الغرض بقاءك في الدنيا.

(**وللموت**): أي ولأن تموت.

(**لا للحياة**): أي لأن تحيا في الدنيا، والمقصود من هذا كله هو العلم بأن المطلوب هو الآخرة لا الدنيا.

(**وأنك**[3] **في منزل قُلْعَة**): يقال: هذا منزل قلعة إذا كان ليس مستوطناً، ومجلس قلعة إذا كان صاحبه يحتاج فيه إلى أن يقوم مرة بعد مرة، ويقال: هم على قلعة، أي على رحلة.

(**ودار بُلْغَة**): إلى الآخرة، وإلى الدرجات العالية من الجنة بالأعمال الصالحة.

---

(١) في شرح النهج: واعلم يا بني أنك ...إلخ.
(٢) في (أ): أي ولا يكون، وما أثبته من (ب).
(٣) في (ب): فإنك.

(وطريق إلى الآخرة): توصل بها[1] إليها.

(وأنك طريد الموت): الطريد: ما يتبع من الصيد وغيره، وأراد أن الموت تابع لك وهو في أثرك.

(الذي لا ينجو منه[2] هاربه[3]): من يهرب منه.

(ولا بد أنه مدركه): لابد من كذا أي لا فراق عنه، وغرضه أن الموت لا يفارقه، فإذا كان ملازماً لك لا محيص لك عنه.

(فكن منه على حذر أن يدركك): مخافة أن يدركك.

(وأنت على حالة[4] سيئة): قبيحة عند الله غير مرضية.

(قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة): تأمل الإقلاع عنها، والخروج عن عهدتها بالإنابة إلى الله تعالى.

(فيحول بينك وبين ذاك[5]): يريد فاحذر أن يكون الموت حائلاً بينك وبين الإنابة، والإقبال إليه.

(فإذا أنت[6] قد أهلكت نفسك): بالتساهل حتى أخذ الموت بعنقك.

(أي بني[7]، أكثر من ذكر الموت): أخطره على بالك وكرر حاله

---

(١) في (ب): به.

(٢) منه، سقط من شرح النهج.

(٣) بعده في شرح النهج: ولا يفوته طالبه.

(٤) في شرح النهج: حال.

(٥) في (ب) وفي شرح النهج: ذلك.

(٦) في (ب): وأنت قد أهلكت ...إلخ.

(٧) في شرح النهج: يا بني.

على ذهنك، واذكره بلسانك، ولا تغفله عن قلبك ولسانك.

(وذكر[1] ما تهجم عليه، وتفضي بعد الموت إليه): هجم علينا إذا طلع بغتة، وأراد أحوال الآخرة كلها وما تؤول إليه عاقبة أمره بعد الموت.

(فاجعله أمامك): مقابلاً لك.

(كأنك تراه): بعينك لا يستره عنك شيء.

(حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك): أي تحرزت منه بمبلغ جهدك وطاقتك.

(وشددت له أزرك): الأزر: القوة، قال الله تعالى: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾[طه:٣١].

(ولا يأتيك بغتة): من غير تيقظ له ولا تحفظ عنه.

(فيبهرك[2]): أراد يغلبك.

(وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها): تحذير له عن أن ينخدع بما يرى من ركون أهل الدنيا إليها.

(وتكالبهم عليها): التكالب: هو التواثب عليها.

(فقد نبأك الله عنها): أخبرك في كتابه الكريم بأخبارها، ووصفها بصفاتها من كونها متاعاً وغروراً ولعباً ولهواً وزينة، وغير ذلك مما يؤذن باستحقارها وهونها عند الله تعالى وانقطاعها.

---

(١) في (ب): واذكر.

(٢) في نسخة أخرى: فيقهرك.

(ونعت[1] إليك نفسها): بأنها فانية، وأنها منقطعة غير باقية ولا دائمة.

(وتكشفت لك عن مساويها): أبانت عيوبها وأظهرت مساوئها؛ بما كان من خدعها لأهلها ومكرها بمن اطمأن إليها، فهذه هي المساوئ، إذ لا مساوئ أعظم منها.

(واذكر الآخرة): أخطرها ببالك، وأجرِ ذكرها على لسانك.

(وما فيها من النعيم المقيم): لأهل الطاعة، وأهل ولاية الله تعالى ومحبته.

(والعذاب المقيم[2]): لأهل المعصية، وأهل عداوة الله تعالى.

(فإن ذلك): يريد ذكر الآخرة.

(يزهدك في الدنيا): يزيدك فيها زهادة وإعراضاً عنها.

(ويصغرها في عينك): فلا ترى لها قدراً ولا وزناً.

(فلا تركن إليها): أراد لا تستند إليها.

(فإنما أهلها كلاب عاوية): يشبهون فيما هم فيه الكلاب العاوية.

(وسباع ضارية): ضرا يضري بكذا إذا كان متعوداً له، وأراد أنها متعودة للأكل والافتراس.

(يهر بعضها على بعض): هرير الكلب: صياحه، قال آخر يصف

---

(١) من النعي (هامش في ب)، ولفظ العبارة في شرح النهج: ونعتت لك نفسها.

(٢) في (ب): الأليم.

شدة البرد:

إذا كَبَّدَ النجم السماء بشتوة
على حين هرَّ الكلب والثلج خاشف[1]

أي ذاهب في الأرض.

(ويأكل عزيزها ذليلها): تسلطاً عليه وقهراً له[2].

(ويقهر كبيرها صغيرها): ذلاً واستهانة.

(نعم معقَّلة): أي معقولة، فلا تقدر على الذهاب والتصرف.

(وأخرى مهملة): من غير عقال سائبة على رءوسها.

(قد أضلت عقولها): أي ذهبت حيرة وفشلاً فلا يُنْتَفَعُ بها.

(وركبت مجهولها): أراد إما دخلت مواطن تجهلها ولا تدري حالها، وإما احتملت أموراً لا تعرف مواردها ومصادرها لجهلها بها.

(سروح عاهة): أعاه القوم إذا أصابت ماشيتهم العاهة، والسروح: جمع سرح وهو قطعة من الماشية، وكنى بذلك عن أهل الدنيا وتغير أحوالهم كلها.

(بوادٍ وعث): الوعث: الرمل الرخو الذي تغيب فيه الأقدام لرخاوته.

---

(١) أورد البيت ابن منظور في لسان العرب ٧٩٤/٣ من بيتين نسبهما للقطامي أولهما:

أرى الحق لا يعيا عليَّ سبيله ... إذا ضافني ليلاً مع القرِّ ضائف

إذا كبَّد النجم .... البيت

(٢) له، سقط من (ب).

(ليس لها راع يقيمها): على مصالحها، ويسلك بها مراعيها.

(ولا مسيم يسيمها): والمسيم هو: الراعي، وأراد ليس لها راعٍ يكون حافظاً لها عن المحذورات، فجعل ما ذكره مثالاً للدنيا وأهلها وما هم عليه من عدم التحفظ والإهمال.

(سلكت بهم الدنيا طريق العمى): باتباعهم لها وانقيادهم لأمرها، وانهماكهم في لذاتها.

(وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى): أمالت أبصارهم عن أعلام الهداية إلى الدين وطرق السلامة.

(فتاهوا في حيرتها): تحيروا في ضلالها.

(وغرقوا في نعمتها): استعارة لما هم عليه من الاشتغال فيها بالرفاهية والتنعم، وطلب اللذات فيها.

(واتخذوها رباً): هذه مبالغة عظيمة في الخضوع لها، وأنها بلغت مبلغ من يُعْبَدُ، ويكون رباً يُخْضَعُ له، ويكون ذليلاً من أجله، ونظير هذا قوله تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾**[الجاثية:٢٣]، فلما انقاد لأمره واحتكم له، صار هواه بمنزلة إله يعبده، فلما صار أمرها كما ذكرناه واستحكمت فيهم.

(فلعبت بهم): باحتكامها عليهم واستعبادها لهم وإنفاذ أمرها عليهم.

(ولعبوا بها): في استعمال لذاتها والتنعم في طيباتها، وشغل أنفسهم بها.

(ونسوا ما وراءها): من الأهوال العظيمة والأمور المفظعة، والأخطار الجليلة.

(رويداً يسفر الظلام): انتصاب رويداً على المصدر، وهو تصغير إرواد[١] على الترخيم، وأراد أمهل، يسفر الظلام أي ينكشف[٢]، وأراد أمهل قليلاً فعن قريب وقد انكشف عن حقيقته[٣] الأمر، ورجعت الأشياء إلى حقائقها وأصولها.

(كأن قد وردت الأظعان!): الأظعان: جمع ظَعْن، والظَّعْنُ: اسم للجمع كالنَّفْرِ والرَّهْطِ، فأما قوله تعالى: **﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾**[النحل:٨٠]، فهو مصدر، والأظعان: الإبل التي عليها الهوادج، والمعنى في هذا أنا مسافرون، وكأن قد وردت الأظعان مناهلها، وكأن قد قدمنا منازلنا، وانقطعت هذه الأسفار.

(يوشك من أسرع يلحق[٤]): يقرب، أي[٥] من أسرع في سيره يلحق بمن كان متقدماً عليه، وأراد أنا عن قريب لاحقون بمن تقدمنا من الأموات، مسرعون إليهم.

(واعلم أن من كانت مطيته الليل والنهار، يسار[٦] به وإن كان واقفاً): شبه جري الليل والنهار بالمطايا المسرعة في سيرها، وهما في غاية السير والإسراع بمن فيهما، وإن كان واقفاً لا يشعر بالسير.

---

(١) في (ب): رواد.

(٢) في (ب): إلى أن ينكشف.

(٣) في (ب): حقيقة الأمر.

(٤) في (ب) وفي شرح النهج: أن يلحق.

(٥) في (أ): أن.

(٦) في شرح النهج: فإنه يسار به.

(ويقطع المسافة): إلى الآخرة.

(وإن كان مقيماً وادعاً): أي ساكناً، من قولهم: ودع الرجل فهو وديع أي ساكن، وقيل لبعض الصالحين: كيف أصبحت؟ وكيف حالك؟ فقال: ما حال من ينتقل كل يوم مرحلة إلى الآخرة[1].

ثم أخذ في بيان حال الرزق والتفويض إلى الله بقوله:

(واعلم يقيناً): إما علماً يقيناً، وإما متيقناً، فالأول يكون صفة لمصدر، والثاني على الحال.

(أنك لن تبلغ أملك): يريد ما كنت تأمله في الدنيا، وأنه لا بد من انقطاعه بالموت لا محالة، فكل أحد من الخلائق ليس بالغاً أمله بحال.

(وأن الله قد أذن في خراب الدنيا وعمارة الآخرة): إذنه علمه بخرابها، أو أمره بذلك وترغيبه عنها، وأن الآخرة قد أمر بعمارتها لكونها دائمة غير منقطعة وأنها دار الجزاء.

(فإن زهدت فيما زهدتك فيه): زهد في الأمر إذا انصرف عنه، وأراد إن أعرضت عن زخارف الدنيا ولذاتها.

(ورغبت فيما رغبتك فيه): رغب في الأمر إذا أراده، وغرضه إن رغبت في الآخرة ونعيمها كما أشرت إليك في هذا وهاذاك[2].

(فأهل ذاك أنت): أراد فهو المرجو فيك والمؤمل من عندك.

---

(١) هذا القول هو لمحمد بن واسع بن جابر الأزدي، انظر الاعتبار وسلوة العارفين ص٤١٣ فهو فيه مع اختلاف يسير في بعض لفظه.

(٢) في (ب): كما أشرت في هذا أو ذاك.

(وإن كنت غير قابل نصحي): غير[1] ملتفت إلى ما أودعتك من النصيحة في أمرك كله.

(فاعلم يقيناً): لا شك فيه.

(أنك لن[2] تبلغ أملك): وأن الموت حائل بينك وبينه، وقاطع لك عن إتمامه.

(ولن تعدو أجلك): الذي قد فرض الله لك وقدره من أجلك، فلا يزاد عليه ولا ينقص منه.

(وأنت[3] في سبيل من كان قبلك): يريد سالكاً لطرائقهم، تابع لآثارهم.

(فخفض في الطلب): أراد هون الطلب في الأمور كلها.

(وأجمل في المكتسب): أراد إما في الاكتساب، وإما في تحصيل الأمر بكسبه، ولا تجهد نفسك، ولا تكلفها فوق طوقها[4] في ذلك.

(فإنه): الضمير للشأن.

(ربّ طلب جرّ إلى[5] حرب): الحرب هو: استلاب المال من صاحبه ظلماً وعدواناً، وأراد أن الطلب ربما كان سبباً في أخذ المال واصطلامه[6] من صاحبه، وهذا كثير[7] ما يعرض.

---

(١) غير، سقط من (ب).

(٢) في (ب): لم.

(٣) في شرح النهج: وأنك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٤) في (ب): طاقتها.

(٥) في شرح النهج والاعتبار: قد جرّ إلى حرب.

(٦) اصطلام المال: استئصاله.

(٧) في (أ): كثيراً.

(وليس كل طالب بمرزوق): أراد كم من مجدٍ في الطلب ومع ذلك فإنه لا يرزق ما في نفسه، ولا يبلغه أصلاً.

(ولا كل بمجمل): ساع في طلب الرزق على الإجمال والسهولة في حاله.

(بمحروم): ممنوع ما قدر له عند الله تعالى.

(وأكرم نفسك عن كل دنيّة): الدنيَّة من الأمور: ما يسقط الهمة وينزل القدر، وأراد نزّه نفسك عن الوقوع في كل خصلة مسقطة لقدرك عند الله وعند الخلق.

(وإن ساقتك إلى الرغائب): وإن كانت مؤدية لك إلى كل ماترغب فيه النفوس وتدعو إليه.

(فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً): أراد أنك إذا أسقطت نفسك وهونت منزلتك في طلب شيء من حقير الدنيا وحطامها، فإنه لا يكون عوضاً وإن عظم خطره وكان[1] نفيساً، عما فات من نقص نفسك وإنزالها عن قدرها.

(ولا تكن[2] عبداً لغيرك): أراد أنك لا تذل نفسك بطلب طمع من أحد فتكون عبداً له بملكه لك بما كان من جهته من الإحسان إليك، والتذلل له في طلبه.

(وقد جعلك الله حراً): مالكاً لنفسك غنياً بإحسانه إليك عن إحسان غيره، فلا تذل نفسك وقد أعزك بما أعطاك من خيره.

(١) في (ب): وإن كان نفيساً.
(٢) في (ب): فلا تكن.

(وما خير خير لا يوجد إلا بشر): استفهام فيه معنى التعجب، وأراد[1] أي خير في الخير الذي لا يمكن تحصيله إلا بتحمل الشر والتلبس به.

(ويسر لا ينال إلا بعسر): وما حال يسر لا يمكن إيجاده إلا بتحمل العسر.

(وإياك أن توجف بك مطايا الطمع): الوجيف: هو ضرب من السير السريع، يقال: وجف البعير يجف وجوفاً إذا سار سيراً سريعاً، وأراد تحذيره عن أن تسرع مطايا الأطماع بك، أي بسببك ومن أجلك، ومطايا الطمع في موضع رفع على الفاعلية لتوجف.

(فتوردك مناهل الهلكة): الورود مع المناهل من باب توشيح الاستعارة، وأراد تحقق العطب مع المواظبة على الأطماع.

(وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل): أراد أنه إن أمكنك الاكتفاء بما قسم الله لك من جهته، والاستغناء عما في أيدي الناس، وكف السؤال عنهم؛ كيلا يكونوا منعمين عليك، فيكون الله قد قسم على أيديهم نعمة[2] منه عليك.

(فإنك مدركٌ قسمك): ما قدره الله لك وحتمه من الرزق من غير وساطة أحد من خلقه.

(وآخذٌ سهمك): الذي فرضه الله لك.

(فإن اليسير من الله سبحانه): من الرزق.

(١) في (ب): أراد.
(٢) في (ب): نعمته.

(**أكثر**[١] **وأعظم من الكثير من خلقه**): أجزل وأحمد عاقبة مما يكون على أيدي الخلق، وقد ظهر ذلك من أوجه:

أما أولا: فلأن عطاء الله تعالى ليس فيه منّة من جهة مخلوق، بخلاف ما يكون من جهة بني آدم فإن فيه المنّة.

وأما ثانياً: فلأن عطاء الله تعالى[٢] أهنأ وأمرأ بخلاف عطاء غيره من جهة الخلق، فإن فيه تعباً ونصباً.

وأما ثالثاً: فلأنهم يرجون بما ينعمون به من النعم المكافأة والمصانعة، والله تعالى لا يرجو شيئاً من ذلك.

وأما رابعاً: فلأن عطاءهم حقير هين، وعطاؤه جل جلاله لا يمكن حصره ولا عده.

وأما خامساً: فلأن في سؤال الخلق إراقة ماء الوجه عند المسؤل، وليس أهلاً لذلك، بخلاف سؤاله تعالى فإنه مستحق لأكثر من ذلك.

وعلى الجملة فإن إحسانه تعالى مخالف لإحسان جميع الخلق من جميع الوجوه، فلا وجه لطلب المخالفة في ذلك.

(**وإن كان الكل منه**): يريد أن الإحسان وإن حصل لك من جهة الغير فهو في الحقيقة من جهة الله تعالى[٣]؛ لأن الله تعالى هو الذي أعطاه ومكنه

---

(١) في (ب) وفي شرح النهج: أكرم.

(٢) تعالى، زيادة في (ب).

(٣) تعالى، سقط من (ب).

من فعل الإحسان ورغبه في فعله، ووعده العوض في الدنيا، وإجزال[١] الثواب له في الآخرة، فلهذا قال: الكل منه لأجل ما قررناه.

(**واعلم أنك لست بايعاً شيئاً من دينك وعرضك بثمن وإن جل إلا كنت مغبوناً**): أراد أن تحصيل شيء من الدنيا وإن جل حاله وعظم خطره بنقص[٢] في الدين أو نقص من العرض بإهراق ماء الوجه في المسألة، أو التواضع لمخلوق، فإنه لا محالة يكون الغبن فيه كبيراً؛ لأن ما يحصل من ذلك حقيراً بالإضافة إلى ما يفوت من الدين والعرض.

(**فالمغبون من غبن نصيبه من الله**): أراد أن المنقوص حقيقة هو من نقص نصيبه من ثواب الله وجزيل ما عنده.

(**خذ من الدنيا ما أتاك**): ما قسمه الله لك من غير كلفة ولا مشقة؛ لأن كل ما قدره الله لك منها فهو آتيك لا محالة على أيسر الوجوه وأسهلها.

(**وتول عمّا تولاك**): وأعرض عمّا أعرض عنك منها، ولا تذهب نفسك على ذلك حسرة وجزعاً.

(**وإن أنت لم تفعل**): ما أشرت إليه من أخذ ما جاءك منها، والإعراض عما لم يأتك منها.

(**فأجمل في الطلب**): اطلب ما طلبت منها على سهولة، وتيسير حال من غير تهالك في طلب وإتعاب النفس في تحصيلها.

---

(١) في (ب): وأجزل.

(٢) في (ب): نقص.

(وإياك ومقاربة من ترهبه): تخافه وتشفق منه.

(على دينك وعرضك): فإن من هذه[1] حاله لا خير في خلطته لما فيها من الضرر على الدين بالثلم والنقص، وعلى العرض بالإهدار.

(تباعد من السلطان الجائر): ففي بعدك عنه سلامة للدين وراحة للقلب عن التكلف؛ لأن في خلطته إيناساً له والواجب إيحاشه وفيها تقريب له وقد أمرنا بالإبعاد له، وفي الحديث: «إذا مدح الفاسق اهتز العرش»[2].

(ولا تأمن خدع الشيطان): ختله ومكره وإدلاؤه بالغرور في الخلطة لهم، والقرب منهم، وتقريب الحال منه في ذلك.

(فيقول لك: متى أنكرت): عليهم ما يفعلونه من الظلم والجور.

(أو علمت): بمنكر فأزلته، أو ظلم فغيرته.

(أو تشفعت): في حال ضعيف أو في إزالة منكر، أو غير ذلك من الأمور المقربة إلى الله تعالى.

(أجرت): أعطاك الله الأجر العظيم، وكان له ثواب عند الله تعالى.

(فإنه هكذا أهلك من كان قبلكم): الضمير للشيطان، يعني أنه خدعهم بهذه الأماني، وقرب لهم الحال بهذه التسويفات، وزين لهم

(١) في (ب): هذا.

(٢) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١/٤٠٧ إلى ميزان الذهبي (٣٠٤١)، وكشف الخفاء١/١٠٥، ٢/١٦، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧/٢٩٨، ٨/٤٢٨، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر٦/٤٠، والكامل لابن عدي ٣/١٣٠٧، ١٣٠٨ وإلى غيرها.

ذلك بهذه الأكاذيب حتى وقعوا فيما وقعوا.

(وإن أهل القبلة): ممن آمن بالرسول وصلى إلى قبلته.

(آمنوا بالمعاد): أحكام الآخرة، وصدقوا بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من الأهوال.

(ولو سمعت أحدهم يبيع آخرته بدنياه): يعني ولو خوطب الواحد منهم، وكلم على أن يبيع آخرته بشيء من حطام الدنيا ورغائبها النفيسة.

(لم يفعل): ما دعاه إلى ذلك داعي ولا أراده.

(ولم يطب بذلك نفساً): ما ساعدته نفسه ولا طابت به، لما فيه من القوة والصلابة على دينه.

(ثم قد يختله الشيطان): الختل هو: الخدع والمكر، وغرضه أنه لا يزال يمنيه الأماني، ويرغبه فيها بخدعه ومكره وبأمانيه وأكاذيبه.

(حتى يورطه): يهلكه في كل ورطة، والورطة: الهلكة.

(في هلكته): الضمير إما للشيطان أي في هلكاته التي يهلك بها غيره، وإما للواحد منا أي في هلكته التي قد[1] قدرت له، وأحكم فيها رأيه من أجله.

(بعرض من الدنيا): شيء.

(حقير يسير): فَيُطْمِعُهُ فيه، ويُمَنِّيه أخذه وتناوله على قرب وسهولة.

(وينقله من شيء): من المعاصي.

(١) قد، سقط من (ب).

(إلى شيء): فوقه وأعلا منه، أو ينقله من درجة في ترك الدين وإهماله إلى درجة أسفل منها.

(حتى يؤيسه من رحمة الله): حتى هذه متعلقة بكلام، أي فلا يزال يفعل ذلك به حتى يزيل رجاه عن الرحمة، فينقطع عنها ولا تخطر له على بال، وعند ذلك يقتحم العظائم وهي سهلة عليه لا يكترث[1] بها، ولا يبالي بالدخول فيها.

(فيجد الراحة إلى ما يخالف الإسلام وأحكامه): فيسهل عليه الحال بعد ذلك إلى ترك الدين وراء ظهره، ولا يبالي عن ذلك، فهذه حال من اطمأن إلى قرب الظلمة وساعد نفسه إلى ذلك.

(فإن أبت نفسك إلا حب الدنيا): بالتقرب إليهم ومخالطتهم.

(وقرب السلاطين): أهل الأمر والدولة على الخلق.

(وخالفتك عما فيه رشدك): سلامتك ونجاتك في الآخرة.

(فأملك عنك[2] لسانك): احفظه عن الكلام بحضرتهم، والمحاذرة عن إكثاره معهم.

(فإنه لا بقيّة للملوك عند الغضب): الرواية في قوله: بُقَيَّة بالتصغير [تحقير بَقِيَّة][3]، وله معنيان:

أحدهما: أن يكون مراده أنه لا انتظار لهم عند الغضب، ولا مراعاة

(١) في (ب): ثم لا يكترث بها.
(٢) في (ب) وفي الاعتبار وسلوة العارفين: عليك.
(٣) سقط من (ب).

أصلاً، من قولهم: بقيت فلاناً إذا انتظرته.

وثانيهما: أن يكون مراده أنه لا استبقاء لهم عند الغضب، وأخذه من بقية الماء في الكوز، أي أنهم لا يتركون شيئاً يبقى عند الغضب، بل يهلكون هلاكاً باستئصال.

(ولا تسأل عن أخبارهم): عما يتعلق بأحوالهم الخاصة فإن ذلك يبعث على الغيرة والغضب من جهتهم.

(ولا تنطق بأسرارهم): فإن فيه مخالفة لمقاصدهم، وآرائهم.

(ولا تدخل فيما بينهم): فإن فيه تغريراً بالنفس ومخاطرة بها.

(وفي الصمت السلامة عن الندامة): عما فرط من الكلام، وعن بعضهم:

ما إن ندمت على سكوتٍ مرة ... ولقد ندمت على الكلام مرارا

(وتلا فيك فيما[1] فرط من صمتك): يريد أنك إن فرطت في الصمت فإنه يمكنك تداركه بأن تتكلم فيما بدا لك منه فهو لا محالة.

(أيسر من إدراك[2] ما فات من منطقك): يعني وأنت إذا تكلمت بكلام فإنه لا يمكنك تداركه بأن تصمت عنه، فإنه يستحيل استرجاع ما خرج من الكلام ورده، ولهذا قال بعضهم: إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، وعن بعضهم: أنا على ما لم أقل أقدر مني

(١) في (ب): عما، وفي شرح النهج: ما، والعبارة في الاعتبار: وتلا فيك ما فرطت فيه من صمتك ...إلخ.
(٢) في الاعتبار، وشرح النهج: إدراكك.

على ما قلت، وقال آخر: أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتني، وإذا لم أتكلم بها ملكتها[١].

ولقد أشار صاحب الشريعة إلى هذه الأسرار بقوله: «من صمت نجا»[٢]، وبقوله: «من سكت سلم»[٣]، وبقوله: «الصمت خير، وقليل فاعله»[٤]، فهذه الكلم كلها من جهته قد اشتملت على جميع أسرار الصمت، واحتوت عليها.

(وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء): وكاء القربة: الخيط الذي يشد به رأسها، وفي الحديث: «احفظ عفاصها ووكاءها»[٥] وغرضه من هذا التحفظ عن عورات الكلام بالصمت.

---

(١) انظر تصفية القلوب للمؤلف ص٩٥، ومثل ذلك ورد في شرح النهج لابن أبي الحديد١٦/١٣٨ قال: اجتمع أربعة حكماء: من الروم، والفرس، والهند، والصين، فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت، ولم أندم على ما لم أقل، وقال الآخر: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم أتكلم ملكتها ولم تملكني، وقال الآخر: عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته، وإن لم ترجع لم تنفعه، وقال الرابع: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت. انتهى.

(٢) رواه الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص٥١٣ برقم (٤٤٣)، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨/٣٧٨ إلى سنن الترمذي (٢٥٠١)، ومسند أحمد بن حنبل ٢/١٥٩، ١٧٧، وسنن الدارمي ٢/٢٩٩، وإتحاف السادة المتقين ٧/٤٤٩، ٤٥٩، ٥٧٨ وعزاه إلى غيرها من المصادر انظرها هناك.

(٣) له شاهد بلفظ: ((من أراد أن يسلم فليحفظ لسانه)) رواه في مسند شمس الأخبار١/٥٠٧ في الباب السادس والتسعين عن أنس بن مالك، وعزاه إلى الاعتبار وسلوة العارفين.

(٤) الحديث بلفظ: ((الصمت حكم، وقليل فاعله)) رواه في مسند شمس الأخبار ١/٥٠٩ في الباب السادس والتسعين وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥/٣٨٣ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٧/٤٤٩، والمطالب العالية ٣٢١٩، وكنز العمال رقم(٦٨٨٠)، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي ٣/١٠٥، والكامل لابن عدي ٥/١٨١٦.

(٥) النهاية لابن الأثير ٣/٢٦٣، وقال في شرح الحديث: العفاص: الوعاء الذي تكون فيه النفقة من جلد أو خرقة أو غير ذلك، من العفص وهو: الثني والعطف، وبه سمي الجلد الذي يجعل على رأس القارورة عفاصاً وكذلك غلافها.

(وحفظ ما في يديك): من الأموال وما تحتاج إليه في الدنيا.

(أحب إليك[١] من طلب ما في يد غيرك): والمعنى في هذا هو أن حفظ ما في يدك عن الإتلاف بالهبة، وسائر أنواع التفضلات أحب وأقرب إلى الله من إتلافه، وطلب ما في أيدي الناس، والخضوع لهم بالسؤال والطلب.

(ولا تحدثن[٢] إلا عن ثقة): عمَّن يغلب على الظن صدقه وأمانته في[٣] الحديث، فإذا حدثت عمن يغلب عليه الكذب.

(فتكون كذاباً): لأن نقل الحديث عن الكاذب يكون كذباً لامحالة.

(والكذب ذل): لصاحبه وعار عليه لما فيه من المقت عند الله تعالى، وعند الخلق.

(وحسن التدبير مع الكفاف): [الكفاف][٤] هو: الذي يكون فيه كفاية من غير إسراف ولا تقتير، وفي الحديث: «اللَّهُمَّ، اجعل رزق آل محمد كفافاً»[٥] وأراد أن الاقتصاد في المعيشة وإن كان كفافاً.

---

(١) في شرح النهج: أحب إليَّ من طلب ما في يدي غيرك، والعبارة في الاعتبار: وحفظ ما في يديك أعود عليك من طلب ما في يد غيرك.

(٢) في (ب): ولا تحدث.

(٣) في (ب): وفي الحديث.

(٤) سقط من (ب).

(٥) الحديث بلفظ: ((اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا كفافاً)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢/١٥٩ وعزاه إلى مسلم (٧٣٠) و(٢٢٨١)، وسنن الترمذي(٢٣٦١)، وسنن ابن ماجة(٤١٣٩)، والسنن الكبرى للبيهقي ٢/١٥٠، ٧/٤٦، وأخلاق النبوة ٢٦٨، وإلى غيرها.

(أكفى لك): أعظم كفاية لمآقي وجهك.

(من الكثير مع الإسراف): لأن مع الاقتصاد فالكفاية حاصلة، ومع الإسراف لا كفاية، فلهذا كان ذلك أحق وأولى.

(ومرارة اليأس خير من الطلب إلى لئام الناس): المعنى في هذا هو[1] أن اليأس وإن كان مراً عما في أيدي الخلق، فهو خير من الرجوى والطلب إلى أسافل الناس وأراذلهم.

(والعفة مع الحرفة): أراد أن التعفف عن كل ما يشين المرء ويسقط منزلته مع الحرفة، وهو نقصان الحظ والحرمان.

(خير من الغنى مع الفجور): أعود لا محالة، وأحسن حالاً؛ لأن الفجور فيه نقصان الدين وهدمه، والعفة مع نقصان الحظ لا نقص فيه على الدين ولا هدم له.

(والمرء أحفظ لسره): أراد أن المرء إذا كان معه سر فهو أحفظ لسره وأملك به، فإذا أباحه وأفشاه إلى غيره، فذلك الغير لا محالة أكثر إظهاراً له، وعن هذا قال بعضهم:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه   فصدر الذي يستودع السر أضيق[2]

(رب ساع فيما يضره): في الدين والدنيا، وبيانه هو: أنا نرى من يكون مجتهداً في التعلق بالملوك، ومحباً في خدمتهم ومع ذلك يضره في دينه، وهكذا فإنا نرى كثيراً ممن يتعلق بطلب الأموال فيولع بالأسفار،

---

(١) هو، سقط من (ب).

(٢) أورد البيت ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦/٩٩ بدون نسبه لقائله.

ويعلم ما فيها من النقص بجسمه بالمرض، فلهذا قال: رب ساع فيما يضره، يشير به إلى ما ذكرناه، ونرى من هذا شيئاً كثيراً.

(من أكثر): من الكلام فيما لا يعنيه.

(أهجر): الإهجار: هو الإفحاش في المنطق، وغرضه أن كثرة الكلام تؤدي إلى ذلك، وترشد إليه.

(ومن تفكر أبصر): أراد أن كل من تفكر في عواقب أمره[1] وما يؤول إليه حاله استبصر في أمره، وكان منه على حقيقة وبصيرة.

(خير حظ المرء قرين صالح): الحظ: ما يقدره الله للإنسان ويقسمه من سعادة وشقاوة، وأراد أن خير ما يقدره الله تعالى[2] للمرء مقارنة أهل الصلاح؛ لما في ذلك من السعادة والنفع في الآخرة.

(قارن[3] أهل الخير تكن منهم): أراد أن المقارنة[4] والخلطة تكسب البعضية، فمن قارن[5] أهل الخير، واختلط بهم كان من جملتهم ونسب إليهم، وفي الحديث: «المرء من قرينه» أي أنه يكتسب من خلائقه، ويأخذ من شيمه.

(باين أهل الشر تبن عنهم): اعتزل عنهم تكن مخالفاً لهم في كل أحوالك.

---

(١) في (ب): الأمور.

(٢) تعالى، زيادة في (ب).

(٣) في (ب): قارب.

(٤) في (ب): المقاربة.

(٥) في (ب): قارب.

(**لا يغلبن عليك سوء الظن**): يعني كن في أكثر أحوالك محسناً للظن بكل[1] أحد، ولا يغلبن عليك سوء الظن بكل أحد، فيؤدي إلى التهمة وانقطاع الألفة.

(**بئس الطعام الحرام**): وفي الحديث عن الرسول (عليه السلام) أنه قال: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم»[2]، وفي حديث[3] آخر: «كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به»[4].

وعن ابن عباس: لا يقبل الله صلاة[5] امرئ في جوفه حرام.

(**ظلم ضعيف أفحش الظلم**): أعظمه وأعلاه، وكل شيء جاوز حده فهو فاحش، وفي الحديث: «اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري»[6].

(**الفاحشة كاسمها**): أراد أن لفظها[7] مطابق لمعناها، فلما كان الزنا

---

(١) في (ب): في كل أحد.

(٢) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤٠٩/٥ إلى إتحاف السادة المتقين٦/٤، وتاريخ أصفهان٣٣٩/٢، والكامل لابن عدي ٧٧٩/٢، ١٠٤٣/٣، ١٥٢٥/٤، ١٨١٠/٥.

(٣) في (ب): وفي الحديث.

(٤) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤٣٩/٦ إلى إتحاف السادة المتقين ٢٢٦/٥، ١٠٦،٨١/٦، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي ٩٢٠٧/٢.

(٥) في (ب): لاتقبل صلاة امرئ...إلخ.

(٦) رواه في مسند شمس الأخبار ٢٦٦/٢ الباب (١٦٣)، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه الطبراني في الأوسط عن علي (عليه السلام) ولفظه: ((أشد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصراً غيري)) ...إلخ، وأشار إلى طرفه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣٨٢/١١ وعزاه إلى المعجم الصغير للطبراني ٣١/١، والدر المنثور ٣٥٣/١، وكشف الخفاء ١٤٣/١.

(٧) في (ب): اسمها.

عظيماً عند الله وأجل الكبائر، ولهذا جعل في مقابلته عقوبة لا تشبه العقوبات، فلما عظم أمره وكبر خطره عند الله، لا جرم سمي فاحشة، وهكذا كلما عظم حاله أطلق عليه هذا الاسم.

(**التصبر**[1] **على المكروه**): على ما تكرهه النفس وينفر عنه الطبع من احتمال الأذى وكظم الغيظ، وغير ذلك مما يعد تصبراً.

(**يعصم القلب**): عن الميل عن الحق، وعن الطيش والفشل، والعجلة، وغير ذلك من الأمور المكروهة.

(**ربما كان الدواء داء، والداء دواء**): يعني ربما أهلك الدواء الذي ترجا منه الصحة للإنسان، وربما كان الشيء الذي يؤلم ويؤذي دواءً مفيداً للصحة، مثل: الكي وقطع بعض الأعضاء لسلامة الروح، وهكذا ما يحكى عن بعض الأطباء أن من الأمراض ما يكون سبباً لزوال مرض آخر، وهذا نحو المالَنْخُوليا[2] فإنه يذهب وينجل[3] بالبواسير.

(**إذا كان الرفق خرقاً، كان الخرق رفقاً**): الخَرَقُ بالخاء المعجمة بفتحتين هو المصدر، والاسم منه الْخُرُق بضمتين هو: الجهل، والرفق: هو نقيضه، وفي الحديث: «عليك بالرفق يا عائشة، فإنه ما حصل في شيء

---

(١) في (ب): الصبر.

(٢) في (ب): المالوخيا، قلت: والمَلَنْخُوليا: في رأي القدماء مرض عقلي من مظاهره فساد التفكير، ينشأ من تغلب أحد الأخلاط الأربعة وهي السوداء في الدم، وذلك لعجز الطحال عن امتصاصها منه، وفي رأي المحدثين: مرض عقلي، من مظاهره اضطراب الوجدان، وتغلب الغم والحزن والقلق وضيق الصدر والميل إلى التشاؤم، وسببه اضطرابات جسمانية أهمها عدم الاعتدال في نشاط الغدد الصم. (المعجم الوسيط ٨٨٧/٢).

(٣) أي يزيل.

إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»، ومثال ما يكون فيه الرفق خرقاً أنه إذا أقدم عليك العدو في الحرب فتأنيت في دفعه وقتله، فهذا يكون رفقاً بالإضافة إلى العدو، وهو بالإضافة إليك خرقاً؛ لأنه يؤدي إلى هلاك[1] نفسك.

ومثال ما يكون الخرق رفقاً: هو أنك إذا خاطرت وعاجلت في قتل العدو، وكان هذا خرقاً بالإضافة إلى العدو، ورفقاً بالإضافة إلى نفسك، وحاصل المعنى فيما ذكر هاهنا هو أن الرفق في بعض المواضع قد يكون خرقاً، والخرق في بعض المواضع قد يكون رفقاً على أوجه مختلفة، لا يخفى حالها على الأذكياء.

(**سوف يأتيك ما قدرّ لك**): أراد وإن بعد الأمر في ذلك وتراخت المدد، فإنه لا بد من وصوله إليك من خير وشر.

(**رب يسير أهنى**[2] **من كثير**): من الرزق؛ لأنه ربما حصل في الكثير ما يكدره من كثرة العوارض والآفات والغموم والأحزان، واليسير[3] لا يلزمه شيء من هذه الأمور، فلهذا كان أهنئ.

(**ساهل الدهر ماذل لك قعُوْدُهُ**): القَعود بفتح القاف من الإبل: ما يقتعده الراعي في جميع حوائجه، وهو الذي تمت له سنتان إلى أن يثنى[4]، فإذا أثنى فهو جمل، وغرضه من هذا الأمر بمواتاة الدهر،

(١) في (ب): إهلاك.
(٢) في شرح النهج: أمى، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٣) في (أ): والكثير، وهو تحريف، والصواب ما أثبته من (ب).
(٤) يثنى: يدخل في السنة السادسة فعند دخوله فيها يسمى جمل. (وانظر نهاية ابن الأثير ٨٧/٤).

وأخذ أموره بالسهولة مهما كان مذعناً منقاداً، فأما إذا اعتاص أمره فلا سبيل إلى مساهلته.

(**ربما نصح غير الناصح**): الجاري على الأكثر النصيحة ممن طلبت منه[1]، وفي الحديث: «المستشار مؤتمن»[2] وربما جرى على القلة أن يُسْتَنْصَحُ إنسان فتأتي النصيحة من غيره.

(**وغش المستنصح**): أي وحصل الغش والخديعة ممن طلبت منه النصيحة، ومهما كان الأمر هكذا فلا ينبغي لعاقل الاتكال على نصح الناصح، وغش الغاش؛ لأنه ربما جرى منهما خلاف ذلك.

(**إياك والاتكال على المنى**): المنى: جمع منية، وهو: ما يتمناه الإنسان من جميع الأشياء، فحذَّره عن الاعتماد عليها.

(**لأنها**[3] **بضائع النوكى**): البضاعة: ما يتوصل بها إلى الربح، وغرضه أنها بضائع أهل الحمق والجهل، والنوكى: جمع أنوك وهو الأحمق.

(**وفي تركها خير الدنيا والأخرى**): يريد أنك إذا تركتها، وآثرت ما هو الصحيح المعتمد عليها دونما هو أمر موهوم لا تدري هو يحصل أم لا، فقد اعتمدت في أمرك على ما هو الحق من أعمال الدنيا والآخرة، وعملت على ما هو الأفضل منهما.

(١) منه، سقط من (ب).
(٢) أخرجه الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص٤٦٩ رقم (٦٢٤) بسنده عن أم سلمة، وللحديث مصادر كثيرة انظرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٦٧١/٨، ورواه في لوامع الأنوار ٢٢٨/٣ في سلسلة الإبريز رقم (٦) وقال: أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، والطبراني في الكبير.
(٣) في شرح النهج: فإنها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(ذكِّ قلبك بالأدب كما تذكى النار بالحطب): ذكت النار تذكو ذكواً: إذا اشتعلت، وأراد نوِّر قلبك بتذكر الآداب الدينية والدنيوية، وأشعل فيها نيرانها كما تشعل النار وتذكو وقودها بإيراد الحطب عليها.

(لا تكن كحاطب ليل): نهاه عن أن يكون جامعاً بين غث الأمور وسمينها، وقويها وضعيفها، وجيدها ورديئها، وإنما يأخذ من الأمور أحسنها وأعلاها وأرفعها من أمور الدين والدنيا، وفي الحديث: «إن الله تعالى[1] يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها».

(وغثاء السيل): الغثاء: ما يحمله السيل من بطون الأودية من الأخلاط المجتمعة، قال امرؤ القيس:

كأن ذرى رأس المجيمر[2] غدوة ... من السيل والغثاء فلكة مِغْزَلِ

ويكون مثقلاً ومخففاً.

(كفر النعمة لؤم): اللَّومُ بفتح الفاء: العذل، يقال: لامه لوماً إذا عذله، واللُّؤْمُ بضم الفاء هو: الاسم من الملامة واللائمة، وألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه، واستلام الرجل إلى الناس أي استذمَّ.

(صحبة الجاهل شؤم): الشؤم هو: نقيض اليمن، وأراد أن كل من صحب الجهال فإنه يكون لا محالة مشئوماً لا خير فيه ولا معه.

---

(١) تعالى، زيادة في (ب)، والحديث رواه في مسند شمس الأخبار ٢٠/٢ في الباب (١٠٥)، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه الطبراني في الكبير عن الحسين بن علي عليهما السلام، وحسنه السيوطي. انتهى.

(٢) في (ب) وفي نسخة أخرى: المخيم، والبيت ورد في شرح المعلقات السبع للزوزني ص٣٢ بلفظ: المجيمر كما في (أ)، والمجيمر: أكمة بعينها.

(العقل حفظ التجارب): وهي جمع تجربة، وهي[1] خبرة الأمور والحنكة فيها، ومعاناتها مرة بعد مرة، وفيه معنيان:

أحدهما: أن يريد أن من حكم العقل وقضيته حفظ ما جربه الإنسان وعالجه مرة بعد أخرى.

وثانيهما: أن يكون غرضه أن العاقل لا يكون عاقلاً، ولا يكون عقله كاملاً، إلا بعد أن يكون مجرباً للأمور، ذا حنكة فيها، وأما من يأتي الأمور ويفعلها من غير تجربة فيها، فليس على حد العقلاء، ولا ذاك من حقيقة شأنهم.

(وخير ما جربت ما وعظك): وأفضل ما عالجت من الأمور كلها، ما كان سبباً في اعتبارك وموعظتك، وانتفاعك في أمر الدين وحال الآخرة.

(بادر الفرصة): يقال[2]: أفرصتني الفرصة أي أمكنتني، وأراد الأمر بالإسراع والمعاجلة[3] في إحراز الخيرات من جميع الأمور، والمواثبة عليها قبل فواتها، وعروض ما يعرض من أخذها وتناولها.

(قبل أن تكون غصة): الغصة: واحدة الغصص وهي: الشجا في الحلق، وأراد أن إهمالها وترك المعاجلة في أخذها يكون شجاً في الحلق لا محالة.

(من الحزم العزم): أراد أن العزم على أخذ الشيء، وتناوله هو أحد

---

(١) في (ب): وهو.

(٢) يقال، سقط من (ب).

(٣) في (ب): والماجلة، وهو تحريف.

أجزاء الحزم؛ لأنه إذا أخذه وقطع على تناوله فهو آخذ بالحزم لا محالة، مخافة أن يفوت أو يعرض عن أخذه عارض، فلهذا قال: من الحزم العزم.

ثم أخذ في تقرير الحكم وبيان أسرارها وغرائبها بقوله:

(سبب الحرمان التواني): اشتقاق التواني من الونى، وهو: الضعف، وغرضه أن السبب في امتناع بعض الأشياء وحرمانها هو الضعف عن طلبها والتساهل في إدراكها، ولهذا نجد الإنسان إذا جدَّ في طلب شيء حصل، وإذا توانى فيه فات لا محالة.

(ليس كل طالب يصيب): مطلوبه، ويحصل له، فكم من طالب ولا ينال مطلوبه، ولا يكون حاصلاً وإن جد واجتهد.

(ولا كل غائب يؤوب): فكم من غائب يعرض[1] دون إيابه الموت، فلا يؤوب أبداً.

(من الفساد): في الدين والإعراض عن الآخرة:

(إضاعة الزاد): وهو التقوى وما بلغ إلى الآخرة، ولا فساد كهو؛ لأن كل فساد يرجى صلاحه إلا ما كان من فساد الزاد في الآخرة فإنه لا رجوى لصلاحه بحال.

(وهو مفسدة المعاد): يعني أن من أضاع زاده في الآخرة فقد أفسد لا محالة معاده إلى الله تعالى، ومرجعه إليه؛ إذ لا معاد من دون زاد.

(لكل أمر عاقبة): يؤول إليها ويرجع، وإلى الله عاقبة الأمور كلها وصيرورتها.

---

(١) في (ب): يعرض له.

(رب دائب مفرط): الدأب: المداومة على الشيء وتكراره، وأراد رب مداوم على فعل شيء وهو في الحقيقة مفرط في فعله، كأنه بمنزلة من لم يفعله، إما لفساد قصده وتغير نيته، وإما لإيقاعه له على غير الوجه المأمور به.

(ورب ساع مضيع): أي رب[1] من يكون ساعياً في تحصيل شيء ومجتهداً في فعله وهو في الحقيقة مضيع له[2]؛ لكون سعيه غير موافق للأمر، ولا مطابقاً له، وما ذكره أمير المؤمنين يقع كثيراً.

(التاجر مخاطر): في اضطرابه في تجارته وركوب البر والبحر، فهو على غير حقيقة في تجارته هل تسلم أو لا؟ وهل يربح أو يكون خاسراً؟ فلا يزال في خطر في تصرفاتها[3] كلها، ولا يزال راكباً للأخطار.

(لا خير في معين مهين): الإعانة إنما تراد من أجل تحصيل المقصود وإيقاعه، فإذا كان المعين في غاية الضعف والهوان فلا فائدة فيها، ولا نفع واقع بها.

(ولا في صديق ضنين): أراد بالضنين إما البخيل، وإما المتهم، وكلاهما يشوبان الصداقة، ويقطعان حالها، ويبطلان أمرها.

(ولا تبنينَّ في أمر على غرور): الغرور هو: الخدع والمكر، وأراد أن كل أمر قررت قواعده على خديعة ومكر، فهوباطل متلاشي لا ثبات له، فلهذا نهى عنه.

---

(١) في (ب): أي ورب.
(٢) في (ب): فلا يزال في خطر تصرفاته كلها.
(٣) له، سقط من (ب).

(**من حلم ساد**): أراد أن الصبر على المكاره وتحمل أذى الخلق والاصطبار على ما يأتي منهم من المكروه، يورث السؤدد عليهم، وعن هذا قال بعضهم:

تحلم عن الأدنين واستبق ودهم فلن تستطيع الحلم حتى تحلّما[1]

(**ومن تفقه ازداد**): التفقه: التفهم لمراد الله وإصلاح حاله في الدين والدنيا، ومن فهم عن الله ازداد خيره وكثر صلاحه.

(**لقاء أهل الخيرات عمارة القلوب**): لأن عمارة القلوب لا تحصل بأعظم من ذكر الموت وأحوال الآخرة، ولقاء أهل الصلاح يكون فيه أبلغ ذلك وأعظمه.

(**إياك أن تجمح بك مطايا اللجاج**): جمح الفرس براكبه، إذا خالفه في مراده ولم يملك أمره، وأراد التحذير عن أن يكون اللجاج والشجار طامحين بالإنسان إلى المكاره السيئة والمداخل الضيقة، والمعنى في هذا هو كف النفس وزمها عن الورود في اللجاج والخصومات.

(**إن قارفت سيئة فعجّل لها توبة**[2]): القرف: الاكتساب، يقال: فلان يقترف لعياله إذا كان يكتسب عليهم، وأراد أنك إذا اكتسبت سيئة فلا تمالك في تعجيل توبة من أجلها تمحوها.

(**لا تخن من ائتمنك وإن خانك**): أراد أن الواجب عليك أن لا تخون أحداً، وخيانته لك لا تبطل هذا الواجب، ولأنه إذا خانك فقد أسقط

(١) لسان العرب ١/٧٠٧ بدون نسبة لقائله.

(٢) في (ب): فعجل لها توبة تمحوها.

حقك، وإذا أسقط حقك فلا تسقط حقه بالخيانة من جهتك.

(**لا**[1] **تذع سره وإن أذاع سرك**): الإذاعة: هي الإفشاء، وفلان خدَّاع مذّاع أي يفشي الأسرار وينشرها، وغرضه أنك لا تفش[2] سره وإن أساء في إفشاء سرك.

(**لا تستوثق بثقة رجاء**): يقال: فلان أخذ بالوثيقة في أمره، أي بالثقة، وأراد هاهنا أنك إذا طلبت وثيقة في أمر فلا تجعلها على جهة الرجاء، وكن فيها على قطع فيطمئن بها القلب، ويكون الصدر إليها منشرحاً.

(**لا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه**): يعني أن حفظ القليل في يدك خير من بذله على غير حقيقة من حاله لرجوى ما هو أكثر منه، وأراد بهذا حيث لا يكون ظن السلامة أكثر، فأما إذا كان ظن السلامة أكثر فالعقول مشيرة إلى حسن ذلك لا محالة.

(**جد بالفضل**[3]): في جميع أحوالك، وغرضه كن مفضلاً على من قدرت عليه.

(**وأحسن البذل**): أي ليكن بَذْلُكَ [وعطاؤك حسناً][4] متوسطاً من غير إسراف في حالك، ولا إضرار به، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾[الإسراء:٢٩]،.

(١) في الاعتبار: ولا تذع.

(٢) في النسخ: لا تفشي، بإثبات الياء في آخره، والصواب ما أثبته؛ لأن الفعل المضارع المعتل الآخر إذا دخلت عليه لا الناهية، جزمته وذلك بحذف الحرف الأخير منه.

(٣) في (أ) وفي نسخة أخرى: (خذ الفضل)، وقوله: في جميع أحوالك غير واضح في (أ) وأثبته من (ب).

(٤) ما بين المعكوفين في (أ): غير واضح وهو بياض في نسخة أخرى، وما أثبته من(ب).

(**قل للناس حسناً**): أي قولاً ذا حسن، وأراد قولاً لطيفاً لا خشونة فيه، ولا يجوز حسناً بغير تنوين، على أن يكون تأنيث الأحسن؛ لأن المؤنث من ذلك لا يجوز إتيانه[1] بغير اللام أو الإضافة إلا على جهة الشذوذ، فلهذا وجب حمله على المصدر كما ذكرناه.

(**قلَّ ما تسلم ممن تسرعت إليه**): بالمكروه والأذى، وغرضه أن كل من بادرت إليه بفعل القبيح فإنه لا يزال مجتهداً في المبالغة، [في المكر][2] والخديعة، والكيد لك لا محالة، فلا تكاد تسلم من كيده.

(**أو تندم إن تفضلت عليه**): أي أن الإحسان يقود إلى كل خير، فلا تكاد تندم على فضل على أحد بحال.

(**من الكرم**): في الطباع، واتباع محامد الشيم.

(**الوفاء بالذمم**): بالعقود والمواثيق، والمكر والخديعة هو اللؤم بعينه.

(**الصدود آية المقت**): صدَّ عنه صدوداً إذا أعرض عنه، والمقت: البغض والكراهة، وأراد أن الإعراض علامة للبغض لا مرية فيه.

(**الانقباض يجلب العداوة**): لأن مع الانقباض البعد، والبعد يورث الوحشة والقطيعة، وهذه كلها أسباب جالبة للعداوة.

(**والخلطة تورث المحبة**): لأن مع الخلطة الألفة، والألفة تورث البشاشة، والبشاشة حِبَالَةُ[3] المودة.

(١) في (ب): إثباته.
(٢) سقط من (ب).
(٣) الحبالة بالكسر هي: التي يصاد بها. (وانظر مختار الصحاح ١٢١).

(**كثرة العلل**): أراد أن المرء إذا كان كثيراً ما يكثر العلل على صاحبه في أحوال معاشرته له، فإن ذلك كله.

(**آية الملل**): علامة السآمة له، والنفرة عن خلطته ومفاكهته.

(**من الكرم**): في الطباع والشيم.

(**صلة الرحم**): برها وكرامتها بالمواصلة والتعهد، ولهذا ترى ذلك كثيراً في أفاضل الناس وأهل الشهامة منهم.

(**التجني وجه القطيعة**): التجني هو: التجرم وهو ادعاء ذنب لم يذنبه الغير، وأراد أنه وجه المقاطعة عن التواصل، وحقيقتها وعلامتها، ومعه حصولها لا محالة.

(**احمل نفسك في أخيك عند صرمه على الصلة**): أراد أنه إذا صرمك فأكره نفسك على صلته واحملها على ذلك، وقوله: احمل نفسك، يدل على أنه إكراه للنفس على ذلك؛ لأنه خلاف هواها ومرادها.

(**وعند صدوده**): إعراضه عنك.

(**على اللطف والمقاربة**): الرفق به والتقرب إليه.

(**وعند جموده**): بخله ومنع جود نفسه.

(**على البذل**): على إسداء المعروف إليه، وإنالته بخيرك.

(**وعند تباعده على الدنو**): على القرب منه[1]، والتعهد لحاله.

(**وعند شدته**): بخله بما في يده أوعلى ضيق أخلاقه وضنكها.

(١) في (ب): منك.

(على اللين): إما على المسامحة، وإما على بسط الأخلاق ولينها له.

(وعند جرمه): إساءته إليك.

(على العذر): على قبول عذره إذا اعتذر في ذلك.

(حتى كأنك له عبد): أراد أنك تفعل ذلك وتستمر عليه حتى كأنك في منزلة العبد له.

(وكأنه ذونعمة عليك): تفضل وعطاء في اصطبارك على ذلك، وإكراه النفس عليه.

(وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه): يعني أن خضوعك وقربك ودنوك ولينك، إنما يكون ذلك مستحقاً ومندوباً إليه في حق من يعرف ذلك، ويتحققه ويكون موضعاً له.

(أو أن تفعله في غير أهله): لأن فعلك ذلك في غير موضعه، وفي غير أهله سقوط في الهمة، وركة في الطبيعة، وذل في النفس.

(لا تتخذن عدو صديقك صديقاً): لأن الأعداء ثلاثة: عدوك، وعدو صديقك، وصديق عدوك، والأصدقاء ثلاثة أيضاً: صديقك، وصديق صديقك، وعدوعدوك، فإذا اتخذت عدو صديقك صديقاً.

(فتعادي صديقك): باتخاذ عدوه صديقاً، وهو أحد الأعداء لك.

(ولا تعمل بالخديعة): في أحوالك كلها فتري صاحبك النصح وغرضك خدعه.

(فإنها خلق اللئام): جمع لئيم وهو: الدني الأصل الشحيح [الفعل

وأراد أن][١] ذلك دال على لآمة أصله، وسخافة[٢] فعله.

(امحض أخاك النصيحة): [محضته الود أخلصته][٣] له ويقال: هو عربي محض أي خالص نسبه، أي أخلصها له، وكل شيء [أخلصته فقد][٤] أمحضته، قال الشاعر:

قـل للغوانـي أمـا فيكـنَّ فاتكـةٌ ... تعلو اللئيم بضربٍ فيه إمحاض[٥]

(حسنة كانت أو قبيحة): يعني مراده كانت حسنة عنده أو مكروهة، فعبَّر عن[٦] الحسن عما يكون مراداً، وعن القبيح بما[٧] يكون مكروهاً، وليس الغرض أن النصيحة تكون قبيحة، فإن كل ما كان قبيحاً فلا وجه للأمر به.

(لا تصحبن الإخوان بالإيهان): الوهن: الضعف، وأراد لا تصحبهم بالإفساد والضعف، والركة في الحال.

(صاحبهم بالتذكير عند الزلة): تذكير التوبة ليتوب عنها، أو تذكير كونها خطيئة فيقلع، أو تذكُّر عظمة الله وخوفه، فيكون ذلك سبباً للانزجار عنها.

---

(١) ما بين المعقوفين غير واضح في (أ)، وهو بياض في النسخة الأخرى، وما أثبته من (ب).

(٢) في (ب): وشحاحة.

(٣) ما بين المعقوفين غير واضح في (أ)، وما أثبته من (ب)، ولفظه في النسخة الأخرى: محض النصيحة له ويقال: هو عربي محض ...إلخ.

(٤) ما بين المعقوفين غير واضح في (أ) وما أثبته من (ب)، ومحله في النسخة الأخرى بياض.

(٥) لسان العرب ٣/٤٤٥ بدون نسبة لقائله.

(٦) في (ب): فعبّر بالحسن بما يكون...إلخ.

(٧) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: وبالقبيح عما ...إلخ.

(**وأمحضهم المودة**): أي[1] أخلصها لهم، وود محض إذا كان خالصاً لا شوب فيه.

(**عند الهَبّة**): يُروى مفتوحاً، وهي واحد الهبات، يقال: هب البعير هبة وهباباً إذانشط في سيره، قال لبيد:

فلهــــا هَبَــــابٌ في الزِّمـــــام كأنّهــــا
صهبـــاء راح[2] مــع الجنـــوب جهامهـــا

ويُروى بالكسر وهي: الحالة، يقال: هب البعير هِبَّة إذا هاج للضراب، وكلاهما صالح هاهنا، فإن الغرض محض المودة عند شدة الأمر وصعوبته.

(**كم من أخ ثقة**): تثق به في جميع أحواله، ويطمئن صدرك إليه وينشرح.

(**بعث العتب بحقه**[3]): البعث: الإرسال، قال تعالى: ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا**﴾[الإسراء:٥]، وأراد أزال العتب حقه وأرسله، وغرضه من هذا كله هو أن كثرة عتاب الصاحب تزيل حقه وتبطله.

(**ساعد أخاك على كل حال**): في أمور الصحبة والإخوة، فإن مع المساعدة تكون استقامة الأحوال كلها وانتظامها.

(**وزل معه في الحق حيث زال**): أي لا تفارقه مهما كان على الحق، وكن معه عليه على أي وجه كان.

---

(١) أي زيادة في (ب).

(٢) في شرح المعلقات السبع ص ٧٩: صهباء خَفَّ، والبيت في لسان العرب ٧٦٠/٣ وروايته فيه كرواية المؤلف له هنا.

(٣) في الاعتبار وسلوة العارفين: كم من أخ ثقة بعد هدية العيب نحفة.

(**جد على عدوك بالفضل**): عامله بالتفضل عليه في أحواله كلها.

(**فتسخير العدو بالإحسان إليه أجلى الظفرين**): التسخير: هو التذليل[1]، وأراد أن تذليل العدو بإعطائه المعروف والإحسان من جهتك، فإن الظفر بالعدو يكون بوجهين:

أحدهما: القهر له والغلبة.

وثانيهما: الإحسان إليه، لكن تذليله بالإحسان إليه[2] أجلى من قهره، وأحمد عاقبة في مذاهب الكرام؛ لكونه أخف حالاً وأسهل من القهر لا محالة، ولأنه بالإحسان ينجذب من جهة نفسه، وبالقهر إنما ينجذب بداعية الإكراه لا غير، فلهذا كان ذلك أجلى وأجود.

(**بصّر صديقك**): أره البصيرة في أمره، واهده إلى الرشد.

(**وتجرع الغيظ**): اصبر على ما يغيظك من أمرك، واكظم غيظك فيه.

(**فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة**): يريد أن عاقبتها حلوة المطعم.

(**ولا ألذ منها مغبة**): مغبة كل شيء: عاقبته، وهي بفتح الغين المصدر، وبالكسر أيضاً كالمحمدة والمعذرة.

(**لن لمن غالظك**): قاساك وناواك، والغلظة: الفظاظة، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ**﴾[آل عمران:١٥٩].

(**يوشك أن يلين لك**): أراد أنك إذا لنت له في أول الأمر فيقرب لا محالة أن يلين لك في آخره.

---

(١) في (ب): التذلل.

(٢) إليه، سقط من (ب).

(تفضل على عدوك): بالإحسان إليه وإسداء المعروف عليه.

(فإنه أجلى الظفرين): إما القهر له، وإما الإحسان إليه، ولا شك أن الإحسان هو أجلاهما وأعظمهما نفعاً وجدوى.

(وإن أردت قطيعة أخيك): يقول: إذا عزمت يوماً على قطعه عن المواصلة، وإيحاشه عن الألفة.

(فاستبق له من نفسك بقية): اجعل عند نفسك له[1] بقية من المواصلة، ولا تبالغ في القطيعة والوحشة.

(إن بدا لك): عن ذلك من[2] المواصلة، واستقبحت أمرك.

(يوماً ما): يوماً[3] من الأيام على القلة والندور وهذه إشارة منه إلى أن الإنسان لا يستمر على حالة واحدة، فليكن من أمره على ثقة في التبقية لنفسه من ذلك.

(ومن ظن بك خيراً فصدق ظنه): من قصدك في طلب حاجة وظن فيك قضاءها، أو قصدك في عطية، وظن بك غنى، أو غير ذلك من الظنون الحسنة فلا تخيب رجاءه فيما قصد من ذلك، وصدِّق رجاءه في ذلك، ولا تخالفه فيما أمَّل فيك من قضائها.

(ما أقبح القطيعة بعد الصلة!): أي أن القبح فيها يعظم حاله، ولهذا أتى به على جهة التعجب من حاله، لما فيه من زيادة القبح وشناعته[4].

---

(١) له، زيادة في (ب).
(٢) في (ب): من ذلك عن المواصلة.
(٣) يوماً، سقط من (ب).
(٤) في (ب): والشناعة.

(والجفاء بعد الإخاء): الجفاء: خلاف البر، والإخاء: المودة.

(والعداوة بعد المودة): وإنما عظم القبح لما تقدم قبل ذلك مما ينافيه ويعاكسه، فلهذا ازداد قبحاً؛ لأن العداوة ابتداءً ليس حالها مثل حالها إذا تقدمها[1] مودة وموالاة، فإن ذلك يكون أدخل في القبح لا محالة.

(لا تضيعن حق أخيك): تسقطه وتزيله.

(اتكالاً على ما بينك وبينه): من الإدلال والألفة والصحبة.

(فإنه ليس[2] بأخ لك من ضيعت حقه): يعني أن ذلك كله يبطل ويسقط حكمها ويبطل حقيقتها.

(لا ترغبنَّ فيمن زهد فيك[3] [ولا تزهدنَّ فيمن رغب فيك][4]): لأن رغبتك في زاهد فيك دلالة على هون النفس وركتها، وسقوط حالها، وزهدك فيمن رغب فيك أيضاً نقصان حظ في حقه.

(لا يكن أهلك): قرابتك ومن يختص بك من أهلك.

(أشقى الناس بك): أعظم الناس شقاء بك، يشير إلى حسن المعاشرة لهم والتوسيع في حالهم، والمواساة لهم، فإذا فعلت ذلك كانوا أسعد الناس بك حالاً، وأعظمهم حظاً بك.

(لا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على مواصلته[5]): أراد أن

---

(١) في (ب): تقدمتها.
(٢) العبارة في (ب): فليس بأخ لك ...إلخ.
(٣) في شرح النهج: ولا ترغبن فيمن زهد عنك.
(٤) زيادة في (ب) ما بين المعقوفين.
(٥) في شرح النهج والاعتبار: صلته.

أخاك وإن قطعك عن المواصلة وقوي على ذلك، فكن أقوى منه، على خلاف ذلك من المواصلة والقرب، لتكون أفضل منه وأعلى حالاً.

(**ولا على[1] الإساءة أقوى منك على الإحسان**): وإذا كان قوياً على الإساءة إليك، فكن أقوى منه على الإحسان إليه.

(**ولا على البخل أقوى منك على الجود**): وإذا كان قوياً على البخل فكن أقوى منه على الجود والتفضل.

(**ولا على التقصير أقوى منك على التفضل**): وإذا كان قوياً على التقصير في الأحوال كلها، فكن أقوى على الإفضال والإعطاء منه.

(**وليس جزاء من سرك أن تسوءه**): ليس من خلائق الكرام ولا من خصال أهل الشيم الشريفة؛ أنه إذا صدر من جهة أحد إليك[2] مسرة أن تكافئ صاحبها بمكروه، ولا أن من فعل فعلاً من الإحسان يكون جزاؤه الإساءة إليه.

(**لا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك**): أي لا يَعْظُمَنَّ عليك، إما في العفو عنه والصفح، وإما في وقوع الغم فيه.

(**فإنما سعى[3] في مضرته**): بما يحصل عليه من اللوم من الخلق في الدنيا، والعقوبة من الله تعالى في الآخرة.

(**ونفعك**): بما يحصل من الثواب على كظم الغيظ عنه أو بالعفو عنه

(١) في شرح النهج: ولا تكونن على الإساءة ...إلخ.

(٢) إليك، زيادة في (ب).

(٣) في (ب): فإنما يسعى، وفي شرح النهج: فإنه يسعى، وفي الاعتبار: فإنه إنما يسعى.

أيضاً، وما يحصل من محمدة الناس لك في ذلك كله.

(**الرزق**): الذي قدَّره الله لك وحتمه، وجعله بلغةً لك.

(**رزقان**): نوعان، ووجهان:

(**رزق تطلبه**): بالاجتهاد في طلبه بحرفة أو سفر، أو عمل أوكدُ على أي وجه كان ذلك في إيجاده.

(**ورزق يطلبك**): يسوقه الله تعالى إليك من غير كد ولا تعب، ولا نصب في ذلك.

(**وأنت إن[1] لم تأته أتاك**): يعني أن الله تعالى قد قدر وقوعه وحصوله إليك، فأنت وإن لم تأته بالطلب فهوآتٍ إليك لا محالة لا يتخلف عنك.

(**والزمان**): الذي خلقه الله تعالى مصلحة للعباد ومقداراً لآجالهم.

(**يومان: يوم لك**): نفعه.

(**ويوم عليك**): ضره.

(**فما كان لك**): فيه من المنافع والأرزاق المقدرة لك.

(**أتاك على ضعفك**): وصلك وإن كنت ضعيفاً عن تناوله وأخذه.

(**وما كان عليك**): وباله من الهموم، والغموم، والآلام المقدر[2] وصولها إليك.

(١) في (ب): وأنت وإن.

(٢) في (ب): المقدرة.

(لم تقدر على دفعه): إزالته عنك وإبعاده.

(بقوتك): وإن كنت قوياً.

(ما أقبح الخضوع عند الحاجة!): أتى به على قضية التعجب، لما فيه من المبالغة في القبح والشناعة، وهو أن تكون خاضعاً عند حاجتك لغيرك، لا وجه للخضوع سوى الحاجة.

(والجفاء عند الغنى!): أي وما أقبح الجفاء، وهو خلاف البر عند الاستغناء، وأراد أن التذلل إذا كان عند طلب الحاجة، ثم يكون الجفاء بعد الاستغناء، فهذا يكون أقبح ما يكون.

(ما أقبح المعصية لمن لم يزل[1] بره عندك): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون خاصاً في حق الله تعالى، فإذا كان الله تعالى لا يزال بره واصلاً إلى الخلق في كل ساعة، فمعصية من هذه حاله لها مدخل عظيم في القبح.

وثانيهما: أن يكون عاماً في حق الله تعالى وفي حق غيره، وهو أن كل من كان بره واصلاً إليك على الدوام فمعصيته تعظم لا محالة، سواء كان في حق الله أو حق غيره من المخلوقين.

(إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك): يشير إلى ما[2] في الدنيا فهو فانٍ، ولا بقاء لشيء منها إلا ما كان صلاحاً للآخرة من الأعمال الصالحة، وجميع أنواع البر كلها، والمثوى: موضع الإقامة والثوى.

(١) في (أ): لم لمن يزل، وهو تحريف، وما أثبته من (ب).
(٢) في (ب): يشير إلى أن ما ...إلخ.

(إن كنت جازعاً على ما نقل[1] من يديك): يشير إلى أن الجزع كله مذموم، وبيانه أنك لا يخلو جزعك، إما أن يكون على ما هو حاصل في يديك شحاً عليه وبخلاً أن يفوت، أو يكون جزعك على ما نقل من يديك، [فإن كان على ما نقل من يديك][2] من الأموال والأولاد وسائر النفائس:

(فاجزع على كل ما لم يصل إليك): لأنهما سيان في الفوات عن يديك، لا مزية لأحدهما على الآخر في ذلك، وإن كان جزعك على ما هو حاصل في يديك، فهو إساءة ظن بالله تعالى[3] وقلة ثقة بكرمه ومزيد إحسانه، فلا فائدة فيه كما قال.

(استدلل على ما لم يكن بما قد[4] كان): فيه وجوه:

أحدها: أن يكون مراده في الدنيا، وهو أن ما كان من الدنيا فهو زائل فانٍ، فهكذا ما يحصل منها من بعد، يكون حاله هكذا.

وثانيها[5]: أن يريد ذلك في خطوب الدهر وحوادثه، وهي لا تزال حادثة في كل أوان، فافعل فيما يحدث منها من الصبر وكظم الغيظ مثلما فعلت فيما مضى منها.

وثالثها: أن يكون ذلك بالإضافة إلى الله تعالى، وعلى هذا يكون مراده

(١) في (ب) وفي شرح النهج: تفلت.
(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٣) تعالى، زيادة في (ب).
(٤) قد، سقط من (ب).
(٥) في (ب): وثانيهما.

استدلل على لطف الله وحسن رعايته بالخلق بما فعل من ذلك فيما مضى، فهو لا محالة يفعل مثله فيما يستقبل، وهو يحتمل[1] لغير ما ذكرناه من المعاني، ولكنها مندرجة تحت هذا.

(**فالأمور أشباه**[2]): أي أن الأمور متشابهة يشبه بعضها بعضاً، ويستدل ببعضها على بعض.

(**لا تكونن ممن لا ينتفع**[3] **بالموعظة إلا إذا بالغت في إيلامه**): يحث في هذا على أن الإنسان ينتفع بالذكر القليل، وينهى عن أن يكون لا ينتفع إلا بالمبالغة في الإيلام، وكدّ القلوب وجرح الأفئدة بالزواجر الوعظية، والقوارع الوعيدية.

(**فإن العاقل يتعظ بالأدب**): أدنى الموعظة وأيسرها وأسهلها.

(**والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب**): وهذا تعريض بأن من هذه حاله في كونه لا ينتفع إلا بعظيم الموعظة، مشبه[4] للبهائم في أن انقيادها والانتفاع بها لا يكون[5] إلا بالضرب، ومن ينقاد بأسهلها فهو مشبه بالعاقل في ذلك، وبين العاقل والبهيمة من التفاوت بون[6] لا يدرك حده، ولا ينال أمره وقصده.

---

(١) في (ب): محتمل.

(٢) في نسخة: فإن الأمور متشابهة (هامش في ب)، وفي الاعتبار وشرح النهج: فإن الأمور أشباه.

(٣) في نسخة: لا تنفعه العظة (هامش في ب)، وكذا في شرح النهج، ونص العبارة في الاعتبار: ولا تكونن ممن لا ينتفع بالعظة إلا بما لزمه فآلمه.

(٤) في (ب): يشبه البهائم.

(٥) لا يكون، سقط من (أ).

(٦) أي بُعْدٌ.

(**اعرف حق من عرفه لك**[1]): أراد أن من جملة الإنصاف معرفة الحق لمن اعترف به لك، ولا تلتفت إلى حاله.

(**رفيعاً كان أو وضيعاً**[2]): سواء كان قدره مرتفعاً أو متضعاً فذاك بمعزل عنه.

(**استعد للموت**): خذ العدة لوقوعه وهجومه، فإنك لا تدري أي وقت يهجم عليك، وما هذا حاله خليق بإحضار عدته والتأهب لوقوعه.

(**اطّرح عنك واردات الهموم**): أزل عن نفسك جميع ما ورد عليك من المهمات كلها.

(**بعزائم الصبر**): بالجد في الصبر والإعتماد عليه.

(**وحسن اليقين**): على ما يحصل في ذلك من الأجر والثواب، وتعلق الباء في قوله: بعزائم الصبر تعلق الآلة، كما تقول: كتبت بالقلم، أو تعلق الأحوال أي اطرحها أعني الهموم معتزماً بالصبر.

(**من تعدى الحق ضاق مذهبه**): أي من خالف الحق ضاق عليه تصرفه في أموره كلها وذهابه فيها، ومنه قولهم: لفلان في الأمور مذهب حسن أي تصرف معجب.

(**من اقتصر على قدره كان أبقى له**): يعني من قصر نفسه على قدرها كان أبقى لما هو عليه من الزوال والتغير؛ لأن الجهل بالحال يؤدي

---

(١) العبارة في الاعتبار: اعرف الحق لمن عرفه لك.

(٢) في (أ): أو ضيعاً، وما أثبته من (ب) ومن الاعتبار.

إلى ذلك، ولقد أحسن من قال في ذلك:

مـن طـال فـوق منتهـى بسـطته
أعجـزه نيـل الدنـى بَلْـه القضـاء
مـن لم يقـف عنـد انتهـاء قـدره
تقـاصرت عنـه فسيحات الخطـاء

فهذا كله يشير إلى ما قلناه من تغير الحال عند جهل الإنسان بقدر نفسه، وسيأتي لأمير المؤمنين فيه كلام بالغ نشرحه في موضعه بمعونة الله تعالى.

(**أوثق سبب ما بين الله وبينك**[1]): يريد أن الأسباب والوُصَل وإن كانت كثيرة بينك وبين غيرك، لكن أحقها بالوثاق والربط هو السبب الذي بينك وبين الله، لما فيه من محمود العاقبة وجميل السلامة في الدنيا والآخرة، وكيف لا يكون أحق الأسباب بالإيثاق، وفيه صلاح الحال كله، والبغية المقصودة، المعول عليها.

(**ليس كل عورة تظهر**): أراد أن بعض العورات وإن حسن اطلاع غيرك عليها، فليس هذا حاصلاً في كلها، وإنما يكون ذلك في بعضها دون بعض.

(**ولا كل فرصة تصاب**): الفرصة: النهزة، وفي الحديث: «من فتح له باب خير فلينتهزه» أي يعاجله بالأخذ قبل فواته، فهكذا حال الفرصة

---

(١) في شرح النهج: وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه.

ينبغي معاجلتها قبل فواتها، وليس هذا في كل فرصة، فربما ساعد فيها القدر فأخذت، وربما كان الأمر على خلاف ذلك

(**فربما**[1] **أخطأ البصير قصده**): أكثر تصرفات البصير على نعت الصواب لموافقة المقادير، وربما خالفت المقادير فأخطأ ما قصده من ذلك.

(**وأصاب الأعمى رشده**): [وأكثر تصرفات الأعمى لا تجري على قانون الاستقامة، وربما أذعنت المقادير له فأصاب رشده][2]، وهو ما يطلبه من ذلك.

(**أخِّر الشر**): يريد تأنَّ فيه ولا تعجل على فعله، فالعجلة إنما تنبغي في أعمال الآخرة، فأما الشر فلا عجلة فيه.

(**فإنك إن شئت تعجلته**): يريد أنما كان يمكن فعله في كل حالة فلا حاجة به إلى العجلة.

(**قطيعة الجاهل**): يريد مقاطعته، وعدم الإتصال به.

(**تعدل صلة العاقل**): يشير إلى أن النفع بمقاطعة الجاهل يساوي ما يحصل من النفع بصلة العاقل؛ لأنه لا يحصل بمواصلة الجاهل إلا ضرر، كما لا يحصل بانتفاء خلطة العاقل إلا نقص، فلهذا كان قطيعة هذا توازي صلة هذا[3].

(**نعم حظ المرء القنوع**): يشير إلى أن الله تعالى ما رزق المرء

---

(١) في (ب): وربما.
(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٣) في (ب): ذاك.

من الحظوظ والعطايا أفضل ولا أعظم من القناعة، وسيأتي له في القناعة كلام غير هذا، نورده في موضعه بمشيئة الله.

(شر أخلاق المرء الحسد): يشير إلى أنه لا شر أعظم في الخلائق من الحسد، وحقيقته: أن تريد إزالة نعمة غيرك إليك فتكون لك دونه، فهذا هو الحسد المذموم، وقد أكثر الله من الوعيد على صاحبه، وفي الحديث: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[1]، وفي حديث آخر: «ما ذئبان ضاريان في زريبة أحدكم؛ بأسرع[2] من الحسد في حسنات المؤمن».

(الشح يجلب الملامة): يريد أنه أعظم أسبابها وأقواها، وفي الحديث: «أخوف ما أخاف على أمتي: شح مطاع، وهوى[3] متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[4].

(الصديق من صدق غيبه): أراد أن الصديق حقيقة من كان صادقاً في حال الغيبة، فيكون حاله في حضورك كحاله في حال غيبتك من النصيحة والمواساة والذب عن العرض.

---

(١) رواه من حديث عن أنس القاضي العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار ١/٤٨٩ الباب (٩١)، وعزاه إلى أمالي السمان، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه ابن ماجة، وحسنه السيوطي، وأبو يعلي عن أنس بلفظه. انتهى، وعزاه موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤/٥٦٨ إلى سنن ابن ماجة (٤٢١٠)، والدر المنثور للسيوطي ٦/٤١٩، والترهيب والترغيب للمنذري ٣/٥٤٧، وإتحاف السادة المتقين١/٢٩٤، ٨/٥٠، ٤٤٩، وتفسير القرطبي ٥/٢٥١ وعزاه إلى غيرها.

(٢) في (ب): بأسرع فساداً.

(٣) في (أ): أو هوى.

(٤) أورد قوله: ((أخوف ما أخاف على أمتي شح مطاع)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١/١٨٦ وعزاه إلى كنز العمال برقم (٤٣٨٦٣).

(الهوى شريك العمى): يعني أن العمى في البصيرة كما هو مهلك للإنسان، فهكذا أيضاً الهوى فإنه مشارك للعمى في هلاك المرء باتباعه وإيثاره.

(من التوفيق الوقوف عند الحيرة): التوفيق: هو اللطف الذي يكون معه موافقة رضاء الله تعالى، وسمي[1] توفيقاً من أجل ذلك، ومن حكم هذا اللطف هو التوقف عند التحير في الأمور العظيمة؛ لأن مع الوقوف السلامة، ومع التهور العطب.

(طارد الهمّ اليقين): يريد أن الهمّ إذا عرض لك وتراكم فلا طارد له من الأمور شيء سوى اليقين بما قدر الله تعالى[2] لك وعلم أنه لا يفوتك، وأنه لا محيص لك عنه، ومع هذا التحقق لا يبقي للهمّ وجه أصلاً.

(رب بعيد): يعني أن[3] من الأمور ما يستبعده الإنسان، ويحيّل وقوعه وحصوله، ومع ذلك فإن المقادير تقضي بوجوده وحصوله وأنه:

(أقرب من قريب): أي أقرب ما يستقربه الإنسان ويظن وقوعه.

(الغريب): على الحقيقة.

(من ليس له حبيب): يوده، ويحنو عليه ويتعطف دون غيره من سائر الغرباء، فمن ليس حاله هذه [فليس بغريب][4].

---

(١) في (ب): ويسمى.

(٢) تعالى، زيادة في (ب).

(٣) أن، سقط من (ب).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(**أوثق العرى التقوى**): يريد أن سائر العرى منقطعة بصاحبها إلا عروة التقوى، فإنه لا انقطاع لها ولا انفصام.

(**من أعتبك**): أي أرضاك من نفسه، وأعتبت فلاناً إذا أرضيته.

(**فهو منك**): أي موافق لك على ما أنت فيه، أو راعي لحقك منصف لك في إعطائك ما تستحق.

(**من لم يبالك**): يحتفل بأمرك ولا يطول بحالك، ولا يرعيك طرفاً.

(**فهو عدوك**): لأن هذه حالة العدو وحكمه.

(**قطيعة الجاهل**): قطع الوصل بينك وبينه، وسائر الأسباب.

(**مصلحة**): إصلاح[1] لحالك ومراعاة لجانبك، إذ لا خير في مواصلته.

(**بر الوالدين**): بجميع أنواع البر من المعروف، وإسداء الخير إليهما وإنصافهما بكل ممكن تجده.

(**كرم**): أي من كرم النفوس وجودتها.

(**المخافة**): يعني الخوف من عدو أو لصٍّ أو سَبُعٍ أو غير ذلك من أنواع المخافات كلها:

(**شر لحاف**[2]): أقبح ما تردَّى به الإنسان والأم للقلب من كل شيء؛ لأن مع الخوف تتغير أكثر الحالات، وتضيق فرائص الإنسان ويشذ نومه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**﴾[النحل:١١٢]، مبالغة في عظم ما أصابها ونالها من ذلك.

---

(١) في (ب): أصلح.
(٢) في (ب): شر لحاف.

(**لا خير في لذة**): أراد لا فائدة ولا جدوى في لذة.

(**تعقب ندماً**): لأن ما يحصل بعدها من الندم يوفي ويزيد على ما يحصل منها من اللذة ويربي على ذلك.

(**العاقل**): أراد العاقل حقيقة.

(**من وعظته التجارب**): التجربة هي: خبرة الأمور والدربة بأحوالها حتى صار عارفاً ماهراً فيها، فمن هذه حاله فهو العاقل دون غيره.

(**رسولك**): بأي رسالة كانت وإلى أي رجل كان.

(**تَرْجُمانُ عقلك**): الترجمان هو: الذي يفسر كلامك ويظهر معناه بلغة أخرى، وأراد أن الرسول هو الذي يُعَبِّرُ عن عقلك ويظهر مقصودك، ويبين عن[1] غرضك، فاختر من شئت يكون رسولاً لك، فهذه حاله.

(**ليس مع الاختلاف ائتلاف**): يعني أن كل ما وقع فيه مخالفة وتفرق كلمة وتشتت آراء، فلا وجه للموافقة فيه بحال.

(**ينبئ عن كل امرئ دخيلته**): الدخيل والدُّخْلُلُ هو: الذي يختص بالإنسان ويداخله في أموره كلها، وأراد أن كل من يختص بالإنسان فهو دليل عليه من جودة ورداءة.

(**رب باعث عن حتفه**): الحتف: الموت، وأراد رب من يبعث الموت على نفسه ويجره عليها، وترى[2] هذا كثيراً، ومنه قولهم: فلان باعث عن حتفه بظلفه.

---

(١) عن، سقط من (ب).
(٢) في (ب): ويرى.

(**رب هزل عاد جداً**): من الطلاق والحرية[1] وغير ذلك من الأمور؛ لأنه ربما وقع في أول الأمر أحاديث ليس لها وقع، ثم كان عاقبة الأمر الجد في ذلك وبلوغ غايته.

(**من أمن الزمان خانه**): يعني أن طبع الدهر هو الخيانة، فهو لا يزول عن طبعه وما هو من مقتضى ذاته، فإذا أمنه أحد فهو يرجع إلى طبعه الأول في المكر والخديعة والخيانة.

(**من[2] تعظَّم عليه أهانه**): يعني من صاوله ولم يجنح له أذله وصرعه لجنبه.

(**ليس كل من رمى أصاب**): جعل هذا كناية، وأراد به أن كل من توصل بسبب إلى غرض من الأغراض فليس يكاد يناله، وربما عرض دونه عارض فحال بينه وبينه.

(**إذا تغيَّر السلطان**): في العدل والقيام بالأمر، وإنصاف كل ذي حق حقه.

(**تغيَّر الزمان**): إما بفساد الرعية من جهة أنفسهم لما يلحقهم في ذلك من الضرر، وإما بتغير من جهة الله تعالى يسلطه الله عليهم، وفي الحديث: «خمس بخمس» قيل: يا رسول الله، وما خمس بخمس؟ فقال: «ما نقض قوم العهد إلا سلَّط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم

---

(١) في (أ): والحرب.

(٢) في الاعتبار: ومن، والعبارة في شرح النهج: ومن أعظمه أهانه.

الموت، ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس [الله][1] عنهم القطر»[2]. وإذا كان الأمر هكذا فلا يمتنع مع تغير الزمان أن يصيبهم الله بشيء من البلاوي عند تغير السلطان.

(**خير أهلك من كفاك**): أراد إما من كفاك نفسه فلم تشتغل به، وإما أن يريد من كفاك بعض أمورك وأعانك بها.

(**اعتذر[3] من اجتهد**): أراد أن كل من اعتذر إليك فقد بالغ في الاجتهاد في زوال العتب عنه، أو من اعتذر عن الإساءة فقد[4] بالغ في الاجتهاد في محو الذنب.

(**رأس الدين**): أعلاه وأكمله، كما قال (عليه السلام): «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس»[5].

(**صحة اليقين**): الإيقان بالله، والقطع بوجوده، والتصديق بما جاءت به رسله.

(**تمام الإخلاص**): في العبادة لله تعالى والوفاء بحقه.

---

(١) الله، زيادة في (ب).

(٢) رواه العلامة الزمخشري رحمه الله في الكشاف ٧١٩/٤، ورواه القاضي العلامة الحسين بن ناصر المهلا رحمه الله في مطمح الآمال ص٤١٥ وعزاه إلى الطبراني عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: .. وذكر الحديث، وهو فيه مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه، وعزاه المحقق في الهامش إلى الطبراني في الكبير ١٠٩٩٢/١، والمتقي الهندي في منتخبه ٤٣٦/٦.

(٣) في نسخة: أعذر، (هامش في ب)، وكذا في الاعتبار.

(٤) في (أ): قد.

(٥) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٧٦/٥ إلى الدر المنثور للسيوطي ٢٥٦/٣، ومصنف ابن أبي شيبة ٣٦١/٨، وقضاء الحوائج لابن أبي الدنيا ١٧، وتهذيب تأريخ دمشق لابن عساكر ٣٠١/٢، والضعفاء للعقيلي ٢٤٤/٢.

(**تجنب المعاصي**): البعد عنها ومجانبتها، فلا إخلاص لله فيما عمل لوجهه مع فعل المعاصي وارتكاب المناهي.

(**خير المقال**): أجوده عند الله، وأعلاه حالة عنده.

(**ما صدَّقه الفعال**): يريد ما كان مطابقاً له، فمن قال قولاً ثم صدقه فعله فذلك القول هو أنفس الأقوال وأعلاها وخيرها.

(**السلامة مع الاستقامة**): أراد أن الدين مهما كان راسخاً في النفس فالاستقامة حاصلة، ومهما كانت الاستقامة موجودة فالسلامة عن[1] الأخطار كلها موجودة أيضاً، ومع الاضطراب حصول الفشل والتغير في الحال، ولا سلامة مع ذلك، ولما نزل قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[هود:١١٢]، شق ذلك على الرسول (عليه السلام)[2] لما فيه من الصعوبة[3].

(**الدعاء مفتاح الرحمة**): يريد اللطف من الله للخلق، ولولا أنه مفتاح الرحمة لما أمر الله به عباده حتى قال: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[غافر:٦٠]، وندبهم إلى ذلك وحثهم عليه حتى قال: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[البقرة:١٨٦]، وفي الحديث: ((الدعاء يرد القضاء))[4]، وفي حديث آخر: ((الدعاء سلاح

(١) في (ب): من.

(٢) في (ب): (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٣) قال العلامة المفسر الزمخشري رحمه الله في الكشاف ٢/٤٠٧-٤٠٨ في تفسير قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ قال ما لفظه: وعن ابن عباس: ما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية. ولهذا قال: ((شيبتني هود والواقعة وأخواتهما))، وروي أن أصحابه قالوا له: لقد أسرع فيك الشيب، فقال: ((شيبتني هود)).

(٤) أخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص٣٣٦ رقم (٣٥٢) بسنده عن علي (عليه السلام) واللفظ في أوله: ((إن الدعاء يرد القضاء ...)) الحديث، وهو باللفظ الذي أورده المؤلف هنا في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥/٣٩ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٥/٣٠، وكنز العمال رقم (٣١١٨)، والترهيب والترغيب للمنذري ٣/٥٩٦، وكشف الخفاء ١/٤٨٦.

المؤمن))[1] شبهه بالسلاح؛ لأنه يصاول به كل من غالبه، ومن آدابه تربص الأوقات الشريفة، واستقبال القبلة، وأن يكون على وضوء وخفض الصوت، والتضرع والإيقان بالإجابة، وافتتاح الدعاء بذكر الله والصلاة على الرسول[2].

(**سل عن الرفيق قبل الطريق**): يعني إذا سافرت سفراً فاسأل أولاً عمن يرافقك فيها قبل سلوكها، فإن الرفيق لا بد منه في الطريق، وفي الحديث: ((الواحد شيطان، والاثنان شيطانان، والثلاثة رفقة))[3].

(**والجار قبل الدار**): وسل عن جيرانك قبل الشروع في شرائها، فإن كانوا صالحين وإلا فلا.

(**احتمل ممن أدل عليك**): فإن إدلاله عليك لأحد أمرين:

أما أولاً: فلما يظنه من سعة الخلق، ولين الجانب.

وأما ثانياً: فلما يعهد من كرم النفس وشرف الطبع، وكل هذه الأمور موجبة للاحتمال في الإدلال.

(١) أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام في المجموع ص١١٤ برقم (١٥١) بسنده عن علي (عليه السلام)، والحديث بلفظ: ((الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، وزين ما بين السماوات والأرض)) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص٣٣٧ رقم (٣٥٤) بسنده عن علي (عليه السلام). وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥/٣٨.

(٢) في (ب): على رسول الله. وعن آداب الدعاء، انظر كتاب رضاء الرحمن في الذكر والدعاء وتلاوة القرآن ٦٠-٧١ للسيد العلامة المجتهد علي بن محمد العجري رحمه الله تعالى، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٦/١٩٦-١٩٨.

(٣) أخرجه الإمام الهادي (عليه السلام) في الأحكام ٢/٥٥٤ بلاغاً ولفظ آخره فيه: ((الثلاثة جماعة))، وأورد بعضه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١٠/٤٨٣ وهو قوله: ((الواحد شيطان، والاثنان شيطانان)) وعزاه إلى صحيح ابن خزيمة ٢٥٧٠، ومصنف ابن أبي شيبة ١٢/٥٢٢، والترغيب والترهيب للمنذري ٤/٧١، وكنز العمال برقم (١٧٥٧١).

(واقبل عذر من اعتذر إليك): لأن اعتذاره عما فرط منه دلالة على ندمه على ذلك، وفي الحديث: «من لم يقبل العذر لم يرد عليَّ الحوض»[1].

(أطع أخاك وإن عصاك): لأن في ذلك دلالة على حسن الشمائل، وشرف الخلائق، وهذا كله في الطاعة التي لاخلل على الدين بها[2].

(خذ العفو من الناس): يعني ما سمحت به أنفسهم من غير إكراه لهم على ما يشق ويكره، وهو من محاسن الشمائل، ولهذا أمر الله به نبيه حيث قال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[الأعراف:١٩٩]، .

(إياك أن تذكر من الكلام قذراً): القذر: ما تستقذره النفس من هذه العقوبات، والقذر: الكلام الفاحش، وإنما حذر عن ذكره؛ لأن في ذكره ولوع اللسان به، وفيه أيضاً سقوط الحالة وركة النفس وهونها، والقياس هاهنا، ورود الواو في أن، وأن يقال: إياك وأن، كما مر في مواضع من كلامه، ولكن الواو حذفت عن أن ها هنا لما كان التقدير فيه: إياك عن أن تذكر أو من أن تذكر، وطرح حرف الجر يكثر في أن المخففة والثقيلة.

---

(١) الحديث بلفظ: ((من لم يقبل العذر من محق أو مبطل لا ورد عليَّ الحوض)) أخرجه الإمام الهادي إلى الحق في الأحكام ٢/٥٤٥ بلاغاً عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص٤٥٩ برقم (٦٠٦) بسنده عن علي (عليه السلام)، والحديث بلفظ: ((من اعتذر إليه فلم يقبل لم يرد عليَّ الحوض)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨/١٠٦ وعزاه إلى مجمع الزوائد للهيثمي ٨/٨١.

(٢) في (ب): فيها.

(وأن تكون مضحكاً): أراد وإياك أن تكون مضحكاً لجلسائك أو للناس لما في ذلك من ركة الهمة وسخف الطبيعة، وفي الحديث: «إن الرجل ليتكلم[1] بالكلمة ليضحك بها جلساءه فيهوى بها من الثريا إلى الثرى».

(وإن حكيت ذلك من غيرك): فإنه لا خير[2] فيه أيضاً؛ لأن يجري على لسانك لا محالة.

(عوِّد نفسك السماح): يعني إن كان السماح غريزة من الله فهي خصلة محمودة، وإن لم تكن غريزة فتعودها فإنها تأتي بكل خير، وفي الحديث: «السخي قريب من الله، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار»[3].

(تخيَّر من كل خلق أحسنه): معناه تبصَّر الخلائق كلها، فما رأيته يزينك فخذه واعمل عليه، كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[الأعراف:١٤٥]، وقال تعالى[4]: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[الزمر:١٨]، فالأحسن[5] من كل شيء هو: أفضله وأعلاه.

(فإن الخير عادة): يريد أن فعل الخير على حسب ما تعوده الإنسان فإن تعود خيراً فعله، وإن تعود شراً فعله.

---

(١) في (ب): يتكلم.

(٢) العبارة في (ب): فلا خير فيه أيضاً.

(٣) هو من حديث عن أبي هريرة رواه القاضي العلامة الحسين بن ناصر المهلا في مطمح الآمال ص٨٧، وعزاه إلى الترمذي.

(٤) تعالى، زيادة في (ب).

(٥) في (ب): والأحسن.

(إياك ومشاورة النساء): في أمورك في الدين والدنيا واقتباس الرأي منهنَّ في ذلك، فحذره من ذلك.

(فإن رأيهنَّ إلى أفنٍ): الأفن: مصدر قولك أفنه الله أفناً بسكون العين، والاسم منه: الأفَن[1] بتحريك العين، والأفن: ضعف الرأي والعقل جميعاً، ورجل مأفون أي ضعيف.

(وعزمهنَّ إلى وهن): الوهن: الضعف أيضاً، وأراد وما عزمن عليه فهو يؤول إلى الضعف والهوان.

(اكفف أبصارهنَّ بحجابك إياهنَّ[2]): يشير إلى أن أبصارهنَّ طوامح، ولا يكف أبصارهنَّ مثل الحجاب لهنَّ، فإن فيه خلاصاً عن تشوف أبصارهنَّ.

(فشدة الحجاب خير من الارتياب[3]): يعني فما يلحقهنَّ من الغم بشدة الحجاب خير من لحوق الريبة، وهي الخوف عليهنَّ من الفتنة وركوب الفاحشة.

(وليس خروجهنَّ بأضر من دخول من لا تأمنه[4] عليهنَّ): يشير بذلك إلى مصلحة الحجاب لهن، يعني فإذا كنت لا ترضى دخول أحد عليهنَّ لأجل الريبة، فهكذا حالهنَّ في الخروج أيضاً من غير تفرقة بينهما.

---

(١) في (ب): أفن.

(٢) في الاعتبار وشرح النهج: واكفف عليهن من أبصارهن ...إلخ.

(٣) في شرح النهج: فإن شدة الحجاب أبقى عليهن، وفي الاعتبار: فإن شدة الحجاب خير لهن من الارتياب.

(٤) في الاعتبار: لا يوثق به.

(فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل): لأن معرفتهنَّ بحال غيرك آنس به ولا حاجة إلى ذاك[1]، وكل هذا تبعيد عن الريبة، وتحرز في النزاهة، ومواظبة على الشهامة ومبالغة في الغيرة.

(ولا تُملِّكِ المرأة من أمرها ما جاوز نفسها): لأنها إذا مُلِّكت أمراً آخر فإنه يجرُّ إلى التسلط والشطارة، وهو خلاف ما هي مأمورة به من الستر والوقوف في قعر البيوت[2]، ومهما كانت لا تملك إلا ما يتعلق بإصلاح حالها في نفسها لا غير كان أقرب إلى الخِفارة[3] والستر عليها.

(المرأة ريحانة): يشير إلى أنها بمنزلة الريحانة المشمومة، فيجب أن تقتصر على التمتع بها، ولا تكون متمكنة من خلاف ذلك من أمر ولا نهي ولا تصرف في الأمور.

(وليست بقَهْرَمَانة): القَهْرَمَانُ: فارسي معرب، وهو الذي يملك التصرف في الأمور بالإيراد والإصدار عن رأيه.

(لا تَعْدُ بكرامتها نفسها): يعني احجرها عن أن تكون متكرمة على غيرها، وأقصر كرامتها على نفسها؛ لأن قصر كرامتها على نفسها فيه السلامة، وتعدي الكرامة فيه الريبة.

---

(١) في (ب): ذلك.

(٢) في (ب): بيتها.

(٣) أي حفظها من الفساد، من الخِفارة بالكسر في النخل وهو حفظه من الفساد، هذا إذا كانت الخاء مكسورة، فإن كانت مفتوحة أي: الخَفارة، فهي من الخَفَر، وهو شدة الحياء، ومن معاني الخفر أيضاً: المنع والحماية والاستجارة. (وانظر القاموس المحيط ص٤٩٤، ومختار الصحاح ص١٨٢)، وفي (ب): الختارة، فلعله من قولهم: خثرت نفسه كفرح أي استحيا، وخثر الرجل أي أقام في الحي ولم يخرج مع القوم إلى الميرة -أي الطعام-. (انظر القاموس المحيط ص٤٩٠).

(ولا تطمعها أن تشفع لغيرها): أي لا تكون طامعة في هذا منك؛ لأنه يكون فيه تشجيع لها على غير هذا واعتقاد أمر في نفسها.

(إياك والتغاير في غير موضع غَيْرَةٍ): الغيرة: الأنفة، وهي مصدر غار الرجل على أهله غيرة، وأراد التحذير عن وضع ذلك في غير موضعه، وهو أن يأنف في غير موضع الأنفة[1].

ثم علل[2] ذلك بقوله:

(فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم، والبريئة إلى الريب): لأن المرأة إذا رأت الرجل يأنف من[3] غير موضع الأنفة كان ذلك جرأة لها على اقتحام الريبة، ظناً منها وعملاً على أنه إنما ينكر ما لا ريبة فيه، ويترك ما فيه الريبة.

سؤال؛ أفليس إذا كان ينكر[4] ما لا ريبة فيه، ويغار في غير موضع الغيرة[5]، فغيرته في موضع الغيرة أحق، وإنكاره لما فيه الريبة أولى، فمن أين تكون الجرأة في ذلك والحال هذه؟

وجوابه؛ هو أن التغاير في غير موضعه جهل منه، وتوهمها لترك الإنكار لما فيه غيرة جهل منها أيضاً، فلا يؤمن أن يتولد هذا من ذاك.

(أقلل الغضب): لأن مع قلة الغضب فالإنسان مالك لأمره كله،

(١) في (أ): للأنفة.
(٢) في (ب): وعلل.
(٣) في (ب): في.
(٤) في (ب): منكراً
(٥) في (ب): الريبة.

ومع كثرته لا يملك أمره، وفي ذلك حصول الفساد وتغير الأحوال كلها، وفي الحديث: «الغضب توقد[1] في فؤاد ابن آدم من النار»[2] وفي حديث آخر: «أقرب ما يكون الشيطان إلى ابن آدم في حال غضبه».

(ولا تكثر العتاب في غير ذنب): لأن فيه إيحاراً[3] للصدور ووقعاً في النفوس حرجاً وضيقاً، ويحرك أموراً ساكنة.

(أحسن للمماليك[4] الأدب): أي ليكن الأدب لهم مقدراً بمقدار محكم لا يزيد فيفسد، ولا ينقص فيكون سبباً للجرأة على التهاون في الخدمة، وعلى الإقدام على ما نهوا عنه.

(وأحسن العفو عنهم إذا أجرموا مع العذل): يريد أن حسن العفو أنجع في الانكفاف إذا صاحبته الملامة لهم على ما فعلوه، وارتكبوه من الجرم؛ لأنهم يتوقعون ماهو أشد من ذلك وأعظم منه، فلا تجاوز ما ذكرته في حقهم.

(فإنه أشد من الضرب): أبلغ منه وأنفع؛ لأنهم لا يتوقعون حالة بعده.

(لمن كان له قلب): فطانة وفهم منهم، فأما من كان منهم على خلاف ذلك فقد جاوز الحد.

(١) في (ب): موقد.
(٢) له شاهد أخرجه من حديث الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص٥٥٧ رقم (٧٨١) بسنده عن الإمام علي (عليه السلام) واللفظ فيه: ((واتقوا الغضب فإنه جمرة تتوقد في جوف ابن آدم، ألا ترون إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه، فإذا أحس أحدكم بشيء من ذلك فليذكر الله سبحانه وتعالى))، وانظر مسند شمس الأخبار ٤٨١/١ الباب (٨٩).
(٣) في (ب): إيغاراً.
(٤) في الاعتبار: لمماليكك.

(وخف القصاص): في ضربهم من غير جرم وعلى غير ذنب.

(حيث[1] لا مناص): مخلص وهو يوم القيامة.

سؤال؛ كيف قال هاهنا: وخف القصاص، ولا قصاص بين الحر والعبد، ولا بين السيد وعبده؟

وجوابه: هو أن الغرض المقاصة في الآلام والأعواض بينهما، والشرع إنما أباح إيلامهم على ترك الخدمة والاهتمام بأمر السادة في ذلك، فأما إذا كان الأمر في الإيلام من غير جرم ولا تسهيل في الخدمة فالقصاص كائن لا محالة، والانتصاف واقع إذ لا وجه في ذلك.

(واجعل لكل امرئ منهم عملاً يأخذ به): وصف بكل[2] واحد منهم عملاً تكون عهدته عليه[3]، ويكون أمره مفوضاً إليه.

(فإنه أحرى أن لا يتواكلوا): يريد أن ذلك أقرب إلى أن كل واحد منهم لا يكل عمله إلى صاحبه، ويقول: هو يعمله دوني.

(في خدمتك): التي أردتهم من أجلها.

(أكرم عشيرتك): أقاربك الذين يلصقون بك وتعتزي إليهم.

(فإنهم جناحك الذي به تطير): استعارة رشيقة، يشير بذلك إلى أنهم بمنزلة جناح الطير[4] الذي به يملك التصرف لنفسه في جميع أحواله.

---

(١) في نسخة: حين (هامش في ب).

(٢) في (ب): لكل.

(٣) في (ب): إليه.

(٤) في (ب): الطائر.

(وأصلك الذي إليه تصير): من حيث كان استنادك إليهم، واعتمادك في الأمور كلها عليهم.

(فإنك بهم تصول): الصولة: القهر والغلبة، وأراد أنك تقهر بهم كل أحد.

(وبهم تطول): إما من الطَّوْلِ وهو: الكرم، فإن كرامتك إنما كانت بهم، وإما من الطُّول وهو: نقيض القصر، فإن علّوه على غيره إنما هو من أجلهم، ولهذا ترى كثيراً من الشعراء ما يفتخر[1] إلا بعشيرته وأهله في أكبر مفاخره، ولهذا قال بعضهم:

ولو أن قوماً لارتفاع قبيلة ... دخلوا السماء دخلتها لا أحجبُ

(وهم العدة): للشر والمكافحة للأعداء.

(عند الشدة): مواضع الشدائد والعظائم.

(أكرم كريمهم): اعترف له بالفضل، وارفع حاله وشرف أمره.

(وعد سقيمهم) في مرضه، وأظهر[2] الشفقة عليه.

(وأشركهم في أمرك وأمرهم): يشير إلى إيناسهم بالمشاورة في الأمر والمشاركة لهم في ذلك لما يكون فيه من تقرير خواطرهم وتأنيسهم واجتذاب خواطرهم وإعظام أمرهم.

فهذا[3] تمام هذه الوصية.

---

(١) في (أ): ما يفخر.

(٢) في (ب): وأكثر.

(٣) في (ب): هذا تمام الوصية.

وفي نسخة أخرى تكرير من قوله: **(واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك إلى آخرها)**: وليس فيها مخالفة لما سبق إلا في قوله:

(من ترك القصد جار): أي من ترك الطريق المستقيم مال عن الحق وعدل.

وقوله: **(قد يكون اليأس إدراكاً)**: للمقصود والبغية؛ لما فيه من سلامة الدين.

(إذا كان الطمع إهلاكاً): أراد إما مهلكاً للخلق، وإما ذا إهلاك لهم، وما عداه مذكور فيما أوردناه من هذه الوصية فلا فائدة في تكريره.

ثم قال في آخرها: **(واستعن بالله على أمرك كله)**: اطلب من جهته الإعانة، واللطف بك في كل أحوالك.

(فإنه أكرم معين): أعظم من يسمح بالإعانة، وأولاه بذلك.

(واستودع الله دينك ودنياك): أطلب منه أن يحفظ عليك دينك، وأمورك في الدنيا.

(وأسأله خير القضاء لك): أن يقضي لك بكل خير.

(في العاجلة): فيما تتعجله.

(والآجلة): وما يتأجل فيه.

(والدنيا والآخرة): وأسأله أن يصلحك في الدارين جميعاً.

(إنه قريب): لمن دعاه.

(مجيب): لمن ناداه.

(فعال لما يريد): من ذلك كله.

ثم أقول: لولا أن القرآن قد سبق بالإحاطة بالمصالح الدينية والأسرار الربانية، والحكم الأدبية والزواجر الوعظية، والقوارع الوعيدية، والأوامر المؤكدة، والنواهي المشددة، لكانت هذه الوصية هي الجامعة لهذه الأسرار؛ لاشتمالها على مثل ما ذكرناه، فكتاب الله سابق بذلك، وهي تلوه.

(٣٢) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

(وأرديت جيلاً من الناس): أرداه إذا جعله بصدد الردى، كما يقال: أقبره إذا جعل له قبراً، والجيل: الكثير من الناس، وغرضه أنك أوقعتهم في الردى، وأوردتهم المهالك.

(كثيراً، خدعتهم بغيِّك): الغيُّ: خلاف الرشد، وأراد بأمانيك وخدائعك وتسويفاتك ومواعيدك الكاذبة لهم في ذلك.

(وألقيتهم في بحر موجك[١]): استعار ذلك لما هم عليه من اضطراب الأمر، وتراكم الإزعاج والفشل.

(تغشاهم الظلمات): العمايات من كل جانب.

(وتتلاطم بهم الشبهات): لما استعار في حقهم الموج والبحر أردفه بما يليق به، فعقَّب ذكر البحر بغشيان الظلمات لكثرة سواده، وعقَّب ذكر الموج بتلاطم الشبهات لغلبة اضطرابه، ويسمى توشيح الاستعارة، وقد ذكر فيه لمعاً وفصوصاً في كلامه، ونبهنا عليها في مواضعها.

(فجاروا عن وجهتهم): الوجهة: الطريقة، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[البقرة:١٤٨]، أي طريقاً، فجاروا إن روي بالجيم فالغرض[٢] أنهم

(١) في شرح النهج: في موج بحرك.

(٢) في (ب): والغرض.

عدلوا عن طريقهم التي أوضحت لهم، وإن روي بالحاء[١] فالمراد أنهم وقفوا من أجل التحير عن سلوكها.

(ونكصوا على أعقابهم): النكوص: هو الرجوع، وأراد أنهم رجعوا عن الدين إلى خلافه، وتركوه وراء ظهورهم.

(وتولوا على أدبارهم): عن متابعة الحق وملازمته.

(وعولوا على أحسابهم): أراد أنهم اعتمدوا على حفظ مفاخر آبائهم في الجاهلية، فهذه حال من اتبعك من هؤلاء.

(إلا من فاء من أهل البصائر) الاستثناء من قوله[٢]: أرديت جيلاً من الناس، هذه صفتهم، إلا من رجع من أهل العلم، ونفذت بصيرته، والفيء هو: الرجوع، يشير بذلك إلى انقياد أهل الجهل[٣] لمعاوية؛ لأجل[٤] خدعه لهم ومكره بهم، ويشير إلى أن ناساً رجعوا عما هو عليه بتدارك الله تعالى لهم، وإنقاذه لهم عن وُرَطِ[٥] العمى، ومن أجل استبصارهم وعلمهم بمعرفة حاله.

(فإنهم فارقوك بعد معرفتك): بأنك خارج عن الدين، ناكص على عقبك.

(وهربوا إلى الله من موازرتك): الموازرة: المعاضدة والمعاونة،

(١) أي: فحاروا.

(٢) في (أ): قولك.

(٣) في (ب): الخمل.

(٤) في (ب): من أجل.

(٥) في (ب): ورطة.

وجعل فيئهم عنه هرباً إلى الله، تنبيهاً على أنه مُنْكِبٌ عن الطريق المستقيم، مستمر على المخالفة لله.

(إذ حملتهم على الصعب): إذ هذه معمولة لقوله: فارقوك وقت حملك لهم على الأمور العسيرة.

(وعدلت بهم عن القصد): ملت بهم عن الطريق المستقيمة، والقصد: هو العدل، أي الطريق ذات العدل والاستقامة.

(فاتق الله يا معاوية): مبالغة في النصح، وملاطفة في الفيء إلى الحق.

(في نفسك): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون الجار متعلقاً بقوله: اتق الله، ويكون معناه راقبه في نفسك أن تهلكها، وتوقعها في المكاره.

وثانيهما: أن يكون متعلقاً بمحذوف تقديره: فاتق الله، واجتهد في إصلاح نفسك.

(وجاذب الشيطان قيادك): القياد: الحبل الذي تقاد به الدابة، وأراد أنك لا تسلط الشيطان عليك ونازعه قيادك، واجذبه إليك كيلا يقودك به ويملكه عليك.

(فإن الدنيا منقطعة عنك): ذاهبة عن يدك.

(والآخرة قريبة منك): لأنك سائر إليها.

وما أحسن ما ختم به هذا الكلام من قوله في انقطاع الدنيا وقرب الآخرة، وما أوقع معناه.

(٣٣) ومن كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس[1] وهو عامله على مكة

قثم: اسم معدول عن قائم، واشتقاقه من قولهم: قثم له من المال إذا أعطاه عطية جيدة، ويقال للرجل إذا كان كثير العطاء: مائح قثم[2]، قال الشاعر:

مـاح البـلاد لنـا في أوليّتنـا ... على حشود الأعادي مائح قُثُمُ[3]

(أما بعد، فإن عيني بالمغرب كتب إلي): عين الإمام: هو الرجل الذي يستعمله؛ لأن يرفع إليه أعلام الأقطار والأقاليم وأخبارها.

(يعلمني أنه وُجّه إلى الموسم): يعني مكة.

---

(١) هو قثم بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي المتوفى سنة٥٧هـ، أمير، أدرك صدر الإسلام، ومر به النبي ﷺ فحمله، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قال ابن عبد البر: وروى عبد الله بن عباس، قال: كان قثم آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ، أي آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه، إلى أن قال: وكان قثم والياً لعلي (عليه السلام) على مكة. انتهى. استشهد قثم بسمرقند، وكان يشبه رسول الله ﷺ، وليس له عقب. (انظر الأعلام ٥/١٩٠، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١٦/١٤٠).

(٢) أي غرّاف.

(٣) البيت أورده الزمخشري في أساس البلاغة صـ٣٥٥، بدون نسبة إلى قائله، وابن منظور في لسان العرب ٣/٢٢ بدون نسبة لقائله أيضاً، وقوله هنا: حشود، في لسان العرب: حسود، وفي أساس البلاغة كما أورده المؤلف هنا.

(أناس من أهل الشام): من أصحاب معاوية.

(العمي القلوب): الذين أعمى الله قلوبهم عن بصر الحق ورؤيته.

(الصم الأسماع): الذين أصم الله أسماعهم عن سماع الحق وإدراكه.

(الكُمْهِ الأبصار): الذين لا أعين لهم في الحقيقة فيدركون بها الحق ويرونه.

(الذين يلتمسون[1] الحق بالباطل): إن كانت الراوية: يلتمسون فالمراد به يطلبون الحق بزعمهم بالتعلق بالباطل، يشير بهذا إلى خلافهم عليه ظناً منهم أنهم فيه على حق، وإن كانت الرواية: **(يلبسون)** فالمراد منه يخلطون الحق بالباطل، حتى لا يتميز حقهم من باطلهم.

(ويطيعون المخلوق في معصية الخالق): يشير إلى انقيادهم لمعاوية، وأمره مخالف لأمر الله من حيث كان متعدٍ بالحدود بالخدع والمكر وإعمال الحيل.

(ويحتلبون الدنيا درها): أي لبنها.

(بالدين): بما يظهرونه من التمسك بالدين وإظهار الحق والعمل عليه.

(ويشترون عاجلها): ما يحضر منها ويتعجلون حصوله.

(بآجل الأبرار المتقين): بما يكون مؤجلاً في الدار الآخرة للأبرار أهل التقوى والصلاح، وهو الثواب العظيم والدرجات العالية عند الله تعالى، فهذه الأماني كاذبة والتسويفات باطلة لا محالة.

---

(١) في شرح النهج: يلبسون.

(ولن يفوز بالخير إلا عامله): الذي كدَّ نفسه في تحصيله، وأبلى جسمه لله تعالى، وجدَّ في اجتهاده.

(ولا يُجزى جزاء الشر إلا فاعله): من مضاعفة العقاب والإهانة من جهة الله تعالى[1]، كما قال تعالى: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾**[الزلزلة:٧-٨]، وقوله تعالى: **﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾**[النساء:١٢٣]، وغير ذلك.

(فأقم على ما في يديك): أراد إما استقم على ما تحت يديك من الولايات والاجتهاد في تحصيل الخراجات المفوضة إليك، وإما اثبت على ما أمرت به من الطاعة لله تعالى[2] ولإمامك فيما وليت عليه مما في يدك.

(قيام الحازم): في أموره.

(الصليب[3]): في ذات الله تعالى وفي دينه.

(والناصح): الذي لايعتريه الغدر والخيانة في عمالاته كلها.

(اللبيب): العاقل لأمر الله وخطابه.

(والتابع لسلطانه): في جميع أوامره كلها من غير مخالفة منه في شيء منها.

(المطيع لإمامه): الفاعل لما يريده منه[4].

---

(١) تعالى، زيادة في (ب).

(٢) تعالى، زيادة في (ب).

(٣) في شرح النهج: الطبيب.

(٤) منه، سقط من (ب).

سؤال؛ هل من تفرقة بين الإمام والسلطان كما ذكره هاهنا؟

وجوابه؛ أما من جهة الشرع فلا فرق بينهما، فإن سلطان الإسلام هو الإمام، وهو المراد بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «السلطان ظل الله في الأرض»[1]، وفي حديث آخر: «السلطان ولي من لا ولي له[2]» وغرضه في هذه الأحكام هو الإمام، وأما العرف فظاهر، فإن السلطان يطلق على من له ولاية الحق وعلى[3] غير ذلك، ولهذا يقال: سلاطين الجور وأمراءوه، وقد أشار إلى التفرقة بينهما بقوله: التابع لسلطانه؛ لأن المتابعة قد تكون على الحق وعلى غير الحق، المطيع لإمامه لأن الطاعة أغلب أحوالها تستعمل في الحق.

(**وإياك وما يعتذر منه**): احذر[4] من كل أمر يفتقر إلى الاعتذار؛ لأن ما هذا حاله فهو متفق على قبحه، ولهذا فإنه مفتقر إلى الاعتذار، ولو كان حسناً ما افتقر إليه، وهذا من أبلغ الحكم وأعجبها.

(**ولا تكن عند النعماء بطراً**): البطر: الطغيان عند كثرة النعم.

---

(١) ورد بلفظ: ((إن السلطان ظل الله في الأرض)) أخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص٤١٣ رقم (٥١٠) بسنده عن كثير بن مرة، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢٧٤/٥، ٨٤/٣.

(٢) في نسخة: لها، (هامش في ب)، والحديث أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢٧٤/٥ وعزاه إلى مصادر عدة منها سنن أبي داود في النكاح ب(٢٠)، وسنن الترمذي (١١٠٢)، وسنن ابن ماجة(١٨٧٩) و(١٨٨٠)، ومسند أحمد بن حنبل ٢٥٠/١، ٤٧/٦، ٢٧٠، وسنن الدارمي ١٣٧/٢، والسنن الكبرى للبيهقي ١٠٦/٧، ١٤٨/١٠ وغيرها.

(٣) على، سقط من (ب).

(٤) في (أ): حذر.

(**ولا عند البأساء فشلاً**): البأس والبأساء: الحرب، والفشل: الخور والجبن، فإن هاتين الخصلتين من خصال اللئام: البطر عند النعمة، والجبن والخور عند لقاء الأبطال.

(٣٤) من كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر

لما بلغه توجده من عزله بالأشتر، ثم توفي الأشتر في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها:

(**وقد بلغني موجدتك**): وجد مطلوبه يجده وجوداً، ووجد ضالته وجداناً، ووجد في نفسه موجدة، وهو عبارة عما يلج في الصدر من الغم، وفي الحديث: «فلان يجد في قلبه موجدة علينا، قوموا بنا إليه».

(**من تسريح الأشتر إلى عملك**): التسريح: هو الإرسال، وأراد من إرسال الأشتر ليقوم مقامك في أعمالك كلها.

(**وإني لم أفعل ذلك**): يشير إلى عزله، وإقامة الأشتر مقامه.

(**استبطاء لك في الجهد**): الجهد بفتح الجيم وضمها هو: الطاقة، أي لأنك أبطأت في الاجتهاد فيما أنت [بصدده.

(**ولا ازدياداً لك في الجدّ**): ولا فعلت ذلك؛ لأن تزداد في جدك فيما أنت فيه][1] فيكون ذلك سبباً للموجدة في نفسك، واختلاطها بك.

(**ولو نزعت ما في يدك**): من الولايات وأزلتها.

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(**من سلطانك**): ونفوذ أمرك فيها بالقهر والسلطنة.

(**لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة**): أسهل حملاً، وأخف تعباً ومشقة.

(**وأعجب إليك ولاية**): لما يظهر فيها من الجمال، وحسن الهيئة والمنظر.

(**وإن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر**): يعني الأشتر من أمرائه.

(**كان رجلاً لنا ناصحاً**): في جميع أموره وعمالاته كلها، والنصح: خلاف الغش والغدر.

(**وعلى عدونا شديداً**): متشدداً في أموره كلها.

(**ناقماً**): نقمه إذا كرهه، ونقم عليه إذا عتب، وأراد أنه كان كارهاً للأعداء، عاتباً عليهم ما يفعلونه من العداوة.

(**فرحمه الله**): أوصل الله إليه الرحمة من عنده، وهي الثواب من جهة الله تعالى.

(**فلقد استكمل أيامه**): العمر الذي قدَّره الله له وحتمه.

(**ولاقى حمامه**): الحمام: الموت وقدره.

(**ونحن عنه راضون**): هذه الجملة الإبتدائية في موضع نصب على الحال، مثلها في قولك: جاء زيد والشمس طالعة.

(**أولاه الله رضوانه**): أي أعطاه، من قولهم: أولاني معروفاً من عنده.

(**وضاعف له الثواب**): جعله أضعافاً زائدة على مقدار المستحق تفضلاً وإحساناً من جوده.

(**فأصحر لعدوك**): المصاحر: الذي يقاتل عدوه في الصحراء ولا يخاتله، وأراد أظهر له نفسك وتكشف له.

(**وامض على بصيرتك**): على معرفتك بالحق وعلمك به.

(**وشمر لحرب من حاربك**): عن ساق الجد، والأمر بالتشمير هاهنا كناية عن الاجتهاد في الحرب للأعداء، والجد فيه من غير تهوين.

(**وادع إلى سبيل ربك**): إلى صراطه وطريقه بالنصرة والسيف.

(**وأكثر الاستعانة بالله**): إن كانت الرواية بالنون فالمراد اطلب[1] العون من الله تعالى، وإن كانت الرواية بالثاء[2] فالمراد به طلب الغوث من عند الله، واستغاثني فلان فأغثته إغاثة، والاسم منه الغياث.

(**يكفك ما أهمك**): ما أنت مهموم به من الأمور كلها.

(**ويعينك على ما ينزل بك**): يلطف لك فيما ينزل بك من المهمات العظيمة.

(١) في (ب): طلب.

(٢) أي الاستغاثة.

(٣٥) ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد قتل محمد بن أبي بكر بمصر رحمه الله تعالى

(**أما بعد، فإن مصر قد افتتح**): أعاننا الله تعالى حتى فتحناه، وصارت من جملة أعمالنا، وما ينفذ فيه أمر الله وأمرنا.

(**ومحمد بن أبي بكر رحمه الله[1] قد استشهد**): حيزت له الشهادة، ولقي الله تعالى[2] شهيداً.

(**فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً**): يقال: فلان نحتسبه ولداً إذا مات وهو كبير، فإن مات وهو صغير قيل: افترطه، وفي الحديث: «أسقاطكم أفراطكم».

(**وعاملاً كادحاً**): الكدح: جهد النفس في العمل وكدها فيه، من: كدح جلده إذا خدشه.

(**وسيفاً قاطعاً**): يقال: فلان سيف قاطع إذا كان ماضياً في أموره.

(**وركناً دافعاً**): أي عظيماً، من قولهم: سيل دفاع إذا كان يدفع ما قابله.

(١) قوله: رحمه الله، زيادة في شرح النهج.

(٢) تعالى، زيادة في (ب).

(وقد كنت حثثت الناس على لحاقه): للنصرة له والدفاع عنه.

(قبل الوقعة): واشتباك الحرب والتحامها.

(وأمرتهم بغياثه): بالإغاثة له والإسراع إلى نصرته.

(ودعوتهم سراً وجهراً): أراد أني كالمتهم على أعيان الملأ مرة، وخفية فيما بيني وبينهم مرة أخرى.

(وعوداً وبدءاً): وأعدت عليهم المراجعة بعد أن ابتدأتها، فتحزبوا عند ذلك أحزاباً، وتفرقوا فرقاً.

(فمنهم الآتي كارهاً): من غير رضا من نفسه.

(ومنهم المعتل كاذباً): يعني يعتل بعلة وهو كاذب فيها أنه معذور، وما له عذر يعذر به.

(ومنهم القاعد): من غير علة.

(خاذلاً): متقاعداً عن نصرة الحق وهو متمكن منها[1].

(أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً): لطفاً من عنده معجلاً لمخالفتهم لأمري، ونكوصهم عن نصرة دينه.

(فوالله لولا طمعي): الطمع: شدة الرغبة في مطلوب الطامع.

(عند لقاء[2] عدوي في الشهادة): شدة رغبتي فيها، وانقطاع نفسي في محبتها.

---

(١) في (ب): فيها.

(٢) في شرح النهج: لقائي.

(وتوطيني نفسي على المنية): وعزمي على موافاة الأجل ولقائه.

(لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء): هذا جواب القسم، وهو في الحقيقة جواب لولا، ولكنه مع لولا نازل منزلة جواب القسم وساد مسده، وأراد أنه لا يحب الدوام معهم.

(ولا يوماً[1] واحداً): على قلته وحقارته.

(ولا ألتقي بهم): ألاقيهم.

(أبداً): زماناً لا ينقطع.

---

(١) في (ب): يوماً، وقوله: ولا، سقط منها.

(٣٦) ومن كتاب له عليه السلام إلى عقيل بن أبي طالب[1]

(فسرحت إليه[2] جيشاً كثيفاً من المسلمين): الكثيف: الغليظ يقال: كثف الشيء كثافة إذا غلظ، وأراد جيشاً متكاثفاً لكثرة عساكره، وقد كان أرسله في هذه العساكر لحرب بعض البغاة وأظنه معاوية.

(فلما بلغه ذلك): يريد وصول العسكر[3] وخروج عقيل فيهم.

(شمر هارباً): جزعاً وفشلاً عن اللقاء.

(ونكص): على عقبيه، يعني رجع عما أراد.

(نادماً): على ما فعل من اللقاء، أومن استمراره على المخالفة لما رأى ما رأى.

(فلحقوه ببعض الطريق): تداركوه بعد توليته هارباً.

(وقد طفّلت الشمس للإياب): تطفيل الشمس: ميلها إلى الغروب، وإيابها: رجوعها إلى مكانها الذي تستقر فيه.

(فاقتتلوا شيئاً): أي اقتتالاً.

---

(١) في شرح النهج: ومن كتاب له (عليه السلام) إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل.

(٢) إليه، سقط من (أ).

(٣) في (ب): العساكر.

(كلا ولا): أي ليس بالقليل ولا بالكثير أي متوسطاً بين الأمرين، كما قال تعالى: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[النور:٣٥]، أي لا هي في مضحاة للشمس، ولا في مقنأة[1] للظل[2].

(فما كان): بعد الاقتتال الذي كان منهم.

(إلا كموقف ساعة): كساعة قليلة يوقف فيها.

(حتى نجا): عن القتل والأسر والسلب.

(حريصاً)[3]: في غاية الحرص على الذهاب، وانتصابه على الحال من الضمير في نجا.

(بعدما أخذ منه بالمُخنَّق): المخنّق بالتشديد هو: موضع الخنق من العنق، أورد هذا كناية عن شدة الحال التي بلغوها، وصعوبة الأمر هناك.

(ولم يبق معه غير الرمق): آخر النفس، ومنه عيش رمق أي يمسك الرمق لقلته.

(فلأياً بلأي): أي شدة بعد شدة وإبطاء، وانتصابه على المصدرية تقديره: لأى لأياً[4] أي اشتد شدة وإبطاء.

(ما نجا): ما هذه زائدة للإبهام أي شدة بعد شدة عظيمة كان نجاؤه.

---

(١) المقنأة: المكان الذي لا تصيبه الشمس، يقال: هذه الشجرة ليست في مضحاة ولا مقنأة. (وانظر أساس البلاغة ص٣٧٨).

(٢) في (ب): أي لا هي في مضحاة الشمس، ولا في مفيأة الظل.

(٣) في (ب) وشرح النهج: جريضاً، وقال ابن أبي الحديد في شرحه: أي قد غصّ بالريق من شدة الجهد والكرب. انتهى.

(٤) في (ب): لأياً لأياً.

(فدع عنك قريشاً): اترك أخبارهم وأحاديثهم.

(وتركاضهُم في الضلال): التفعال من أبنية المصادر الموضوعة للمبالغة كالتسيار والتضراب.

(وتجوْالهُم في الشقاق): التجوال: الاضطراب، ومنه: تجاول الفرسان.

(وجماحهم في التيه): جمح الفرس: إذا اشتد رأسه فلا يملك، وأراد بهذا كله إصرارهم على ماهم فيه من الضلال، وركوب الشقاق في مخالفته، يشير به إلى طلحة والزبير وعائشة ومعاوية ممن تحزب عليه من قريش.

(فإنهم أجمعوا على حربي): اجتمعوا عن آخرهم على شقاقي ومخالفتي.

(كإجماعهم على حرب رسول الله[ﷺ][1] قبلي): يريد في الاجتماع والتألب دون الحكم؛ لأن حرب رسول الله [ﷺ][2] كان كفراً وشركاً ونفاقاً، وحربه إنما هو فسق وبغي ومخالفة.

(فجزت قريشاً عني الجوازي): الجوازي: جمع جازية، وأراد إما الأرحام، وإما الخصال المحمودة، وإما الفعلات المذمومة على ما فعلوه معي وأسندوه إلي.

(فقد قطعوا رحمي): بما كان منهم من الشقاق والمخالفة، والحرب بيني وبينهم التي تؤذن بقطع الأرحام.

---

(١) سقط من (أ).

(٢) سقط من (أ).

(وسلبوني سلطان ابن أمي): أراد رسول الله ﷺ، وإنما عبّر عنه بابن الأم؛ لأمرين:

أما أولاً: فلأن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين كانت تربي رسول الله[ﷺ][1] في حجر أبي طالب فكانت كالوالدة له[2].

وأما ثانياً: فلأن أبا طالب وعبد الله أب رسول الله كانا أخوين من الأب والأم، وأم الأب أم، فلهذا قال: ابن أمي يشير إلى ما ذكرناه، وأراد بالسلطان الولاية بعد رسول الله كانت مستحقة له.

وزعم الشريف علي بن ناصر أنه أراد بقوله: ابن أمي، نفسه، وهذا بعيد لا يعهد مثله، والوجه فيه ما ذكرناه[3].

---

(١) سقط من (أ).

(٢) قال المولى العلامة المجتهد الكبير مجد الدين بن محمد المؤيدي في لوامع الأنوار ٣/٢٠٩-٢١٠ في ترجمة فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ما لفظه: أخرج الطبراني في الكبير والأوسط، وابن حبان، والحاكم عن أنس قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: ((رحمك الله يا أمي بعد أمي)) وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده، قال: ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلاماً أسود يحفرون فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال: ((الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي)). انتهى ما نقلته من لوامع الأنوار، وقال الإمام أبو العباس الحسني رحمه الله في المصابيح ص١٢٠ بعد ذكر وفاة فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين رضي الله عنها ونزول الرسول ﷺ في قبرها ودعاءه لها قال ما لفظه: وفي حديث ابن عباس أنه ﷺ ألبسها قميصه واضطجع معها في قبرها وقال: ((إني كنت يتيماً في حجرها فأحسنت إليّ)).

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦/١٥٢ تعليقاً على الراوندي الذي سبق أن شرح (نهج البلاغة) قبل ابن أبي الحديد، ما لفظه: وقال أيضاً - أي الراوندي- قوله: (سلطان ابن أمي) يعني نفسه أي سلطانه لأنه ابن أم نفسه، قال: وهذا من أحسن الكلام، ولا شبهة أنه على تفسير الراوندي لو قال: وسلبوني سلطان ابن أخت خالتي، أو ابن أخت عمتي، لكان أحسن وأحسن، وهذا الرجل قد كان يجب أن يحجر عليه، ولا يمكن من تفسير هذا الكتاب، ويؤخذ عليه أيمان البيعة ألا يتعرض له. انتهى بلفظه.

(وأما ما سألت عنه من رأيي في القتال): لأن عقيلاً سأل أمير المؤمنين عن رأيه في قتال أهل القبلة، فأجابه بقوله:

(فإن رأيي قتال المحلّين): بالحاء المهملة أي إن[1] الذي أذهب إليه، وأقوله بالحجة الواضحة، والدليل القاطع أن أقاتل من أحل قتالي وأباحه، وبغى عليَّ، وخالف أمري من هؤلاء.

(حتى ألقى الله): ألاقيه عند انقضاء أجلي بالشهادة في حربهم وقتالهم.

(لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة): أي أني لا أعتز باجتماع الناس إليَّ، وإنما عزتي بالله ونفوذ بصيرتي في ذلك.

(ولا تفرقهم علي[2] وحشة): ولا يزيدني بعدهم عني وحشة، ولا نكوصاً عما أنا فيه من قتالهم ومنابذتهم.

(ولا تحسبن أن ابن أبيك -ولو أسلمه الناس-): إنما قال: ابن أبيك، ولم يقل: ولا تحسبني ملاطفة في أدب[3] الخطاب، وتذكيراً للرحم الباعثة على المواصلة والنصرة، وتشجيعاً له على معاضدته في الخطوب العظيمة، ونظيره قول إبراهيم لآزر: ﴿يَاأَبَتِ﴾، وقول لقمان: ﴿يَابُنَيَّ﴾، وقول هارون: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾، وغير ذلك، وأراد ولا تظننَّ ابن أبيك عند إسلام الناس له وانقطاعهم عن نصرته وانفلاتهم عن يده.

(متضرعاً): ذليلاً خاضعاً.

(١) إن، سقط من (ب).
(٢) في شرح النهج: عني.
(٣) في (ب): في آداب.

(متخشعاً): إن كانت الرواية فيه[1] بالخاء المنقوطة، فالغرض بالخشوع هو: الخضوع والتصاغر، وإن كانت الرواية بالجيم[2]، فالغرض بالتجشع هو: أشد الحرص على الدنيا والبقاء فيها.

(ولا مقراً للضيم): أي ولا معترفاً بالظلم.

(واهناً): أي ضعيفاً من الوهن[3]، وهو: الضعف.

(ولا سلس القياد[4] للقائد): ولا سهلاً لمن أراد قياده.

(ولا وطيَّ الظهر للراكب): استعار هذا من الجمل الذي تكون فيه صلابة وخشونة، فلا ينجذب لمن يقوده بزمامه، ولا يتوطئ ظهره لمن أراد ركوبه.

(المقتعد): الذي يقعد عليه عند ركوبه له.

(ولكنه كما قال أخو بني سليم): سليم: قبيلة من قيس غيلان، وسُليم: قبيلة من غطفان.

(فإن[5] تسألني كيف أنت فإنني ... صبور على ريب الزمان صليب

يعز عليَّ أن ترى بي كآبة ... فيشمت عادٍ أو يساء حبيب)[6]

(١) فيه، سقط من (ب).
(٢) أي متجشعاً.
(٣) في (ب): والوهن هو: الضعف.
(٤) في شرح النهج: الزمام، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٥) في (ب): وإن، و في شرح النهج: فإن تسأليني.
(٦) ذكر ابن أبي الحديد أن هذين البيتين ينسبان إلى العباس بن مرداس السلمي، وذكر أنه لم يجدهما في ديوانه.

ولنذكر إعرابهما وموضع الشاهد منهما:

أما إعرابهما فهو[1] ظاهر، والكآبة: سوء الحال وشدة الحزن، والشماتة: الفرح ببلية العدو ووقوعه في المكاره، وقوله: أن ترى بي[2] في موضع رفع على الفاعلية ليعز.

وأما موضع الشاهد منهما: فإنما أوردهما تمثلاً[3] لما هو فيه من التجلد وإظهار حسن الحال، والصبر على المكاره، وإمضاء العزم على الاصطبار عند كل مساءة[4].

(١) في (ب): أما إعرابهما فظاهر.

(٢) بي، سقط من (ب).

(٣) في (ب): تمثيلاً.

(٤) في (ب): عند مساءة.

(٣٧) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

(فسبحان الله!): تنزيهاً له وبراءة له عما أنت فيه من خبث السريرة، وفساد العلانية وقبح الأعمال.

(ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة): تعجب من شدة ملازمته لما ابتدعه من جهة نفسه من الأهواء وضلال الآراء التي افتعلها بالمكر، وأعمل فيها رأيه بالخديعة.

(والحيرة المتّبعة): واتباعك للمذاهب[1] التي هي مواطن للحيرة والارتباك، وتعمقك فيها من غير بصيرة هناك ولا رأي مسدد.

(مع تضييع الحقائق): الحقائق: جمع حقيقة، وهي ما ينبغي للإنسان أن يحرسه عن الإهمال والضياع، وأراد أن معاوية مهمل لما يتوجه عليه حراسته من حقائق الدين والقيام بواجباته وامتثال أوامره، والانكفاف عن الوقوع في مناهيه.

(واطّراح الوثائق): الوثائق: جمع وثيقة وهي واجبات الدين ومهماته.

(التي هي لله طِلْبَةٌ): أي مطلوبة من جهة كونه آمراً بها وحاثًا على فعلها، وإرساله للرسل اعتناء بها.

(١) في (ب): المذاهب.

(وعلى عباده حجة): إن هم أتوا بها استحقوا الجنة، وإن هم أعرضوا عنها استحقوا النار، وحال معاوية لا يخفى في إهماله لهذه الأشياء وإعراضه عنها.

(فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته): اعلم أن معاوية لكثرة غدره وعظم محاله ومكره، لا[1] يزال تكرير أحاديث قتلة عثمان وأمره إغراقاً في مخالفة الحق، وإعراضاً منه عن المسالك الواضحة، واتخاذ ذلك طعناً في الدين ومخالفة لسبيل المؤمنين.

(فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك): يشير بكلامه هذا إلى أنه ليس من عثمان في ورد ولا صدر، وأن كلامه هذا ليس انتصاراً من أجل عثمان، وإنما هوتقرير لما هو فيه من البدعة والضلالة والبغي؛ لأن عثمان لا ينتفع بانتصاره له الآن، وإنما هو انتصار من أجل نفسه فلهذا قال: نصرته حيث كان النصر لك.

(وخذلته حيث كان النصر له): يريد أن خذلانك له ظاهر يوم كان محاصراً في داره، فتركت نصره، ولو نصرته ذلك اليوم؛ لكان النصر له؛ لأنه يكون تفريجاً لما هو فيه، فأما الآن فلا ينفعه نصرك بحال.

فانظر إلى كلامه هذا ما أشمله للمعاني، وأفحمه للأفئدة، وأقطعه للشغب واللجاج.

(١) في نسخة: ما (هامش في ب).

(٣٨) ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر

(من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى القوم): من هذه لابتداء الغاية، وهي في موضع رفع خبر لمبتدأ تقديره: هذا الكتاب من عبد الله، والخبر إلى القوم.

(الذين غضبوا لله): أي من أجل الله.

(حين عصي في أرضه): بارتكاب المناهي وإضاعة الحدود.

(وذَهِبَ بحقه): ذهب بكذا إذا أخذه، وأراد أنهم أخذوا بها كل جهة في تضييعها وإبطالها.

(فضرب الجور سرادقه): السرادق: هو الخيمة من القطن، واستعاره هاهنا لدخول الناس في الجور واندراجهم تحته.

(على البر والفاجر): المسلم والفاجر، والفاجر[1] يُظْلَمُ وَيَظْلِمُ، والمؤمن يُظْلَمُ ولا يَظْلِمُ.

(والمقيم والظاعن): والقاطن في بيته، والمرتحل عنه، وغرضه بذلك عمومه وشموله لكل أحد.

(١) في (ب): فالقاجر.

(**فلا معروف يستراح إليه**): أي يحث عليه ويفعل، فتستريح إليه قلوب المؤمنين الأولياء، وتطمئن أفئدتهم بفعله وتميل نفوسهم إليه.

(**ولا منكر يتناهى عنه**): ينهى كل واحد صاحبه عن فعله والإقدام عليه، فهذه حال أهل مصر على ما ذكره من الثناء عليهم في ذلك.

(**أما بعد، فإني قد بعثت إليكم عبداً من عباد الله**): ولياً من أوليائه، والبعث هو: الإرسال.

(**لا ينام أيام الخوف**): لشدة تيقظه وتحفظه من الأعداء، فيذهب نومه إذا كان خائفاً.

(**ولا يَنْكُلُ عن الأعداء**): ولا يجبن عن ملاقاة الأعداء.

(**ساعات الروع**): أحيان الفشل من شدة الخوف والفزع.

(**أشد على الفجار من حريق النار**): في هيبته وشدة انتقامه، وتسلطه عليهم بالقهر والتطاول، يشبه النار عند حريقها في سطواته[1] عليهم، وهو مالك بن الحارث.

(**أخو مذحج**): قد ذكرنا تفسير الأشتر فيما سبق، ومذحج[2]: قبيلة من اليمن.

(**فاسمعوا له**): قوله فيما يقوله من الدعاء إلى الله تعالى وإلى دينه.

---

(١) في نسخة: سطواتها. (هامش في ب).

(٢) مذحج بالفتح، والبعض يضم الميم أو يكسرها، وهي إحدى القبائل الكهلانية الكبرى، سميت باسم مذحج بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان، ولها بطون كثيرة داخل اليمن وخارجه تبلغ إلى أربعة وعشرين بطناً. (انظر معجم البلدان والقبائل اليمنية للمقحفي ص٥٧٦).

(**وأطيعوا أمره**): فيما يأمركم به من القيام بالواجبات، والمحافظة على حدود الله.

(**فيما طابق[1] الحق**): يريد أن سماع قوله، والطاعة له إنما هو في موافقة الحق لا غير، وفي الحديث: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[2].

(**فإنه سيف من سيوف الله**): شبهه في العزيمة الماضية، والحدة البالغة بمنزلة السيف، وإنما أضافه إلى الله؛ لأن مضاه في عزمه وتصلبه في أمره إنما كان من أجل الله وغضباً لدينه وانتصاراً له، فلهذا أضافه إليه لما له في ذلك من الاختصاص.

(**لا كليل الظُّبة**): الظُبة: طرف السيف، وأصلها ظبو[3]، لكنها حذفت الواو وأبدل منها التاء، قال الشاعر:

إذا الكماة تنحوا أن ينالهم ... حد الظبات وصلناها بأيدينا[4]

وكل حد السيف يكل كلولاً إذا لم يكن قاطعاً.

(**ولا نابي الضريبة**): يقال: نبا السيف إذا لم يعمل عند الضرب،

---

(١) في (ب): يطابق.

(٢) رواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله تعالى في أنوار التمام ٤٣٣/٥ وعزاه إلى الشفاء للأمير الحسين بن بدر الدين، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٥٨/١٦، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢٦٥/٧ إلى مصنف ابن أبي شيبة ٥٤٦/١٢، والدر المنثور للسيوطي ١٧٧/٢، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤٥/٣، ٢٢/١٠، وتأريخ أصفهان١٣٣/١.

(٣) في الأصل: ظبوة، وأصلحته من لسان العرب ٦٤١/٢، قال فيه: وأصل الظبة ظُبو بوزن صُرد فحذفت الواو وعوض منها الهاء.

(٤) لسان العرب ٦٤١/٢، ونسبه لبشامة بن حري النهشلي.

والضريبة هي: المضروبة بالسيف، وإنما برزت الياء في فعيل بمعنى مفعول لما كان غير مصحوب بموصوفه كما مر بيانه، وأراد أن سيفه لا ينبو عما ضرب به، يشير بذلك إلى أنه كامل في أمره، مُعْجِبٌ في أحواله كلها.

(فإن أمركم أن تنفروا): إلى جهاد أحد من[1] المخالفين له، وأهل العداوة في الدين.

(فانفروا): معه حيث أراد ووجه.

(وإن أمركم أن تقيموا): في مصركم وبلدكم.

(فأقيموا): فيها من غير مخالفة له في أمره.

(فإنه لا يقدم): في أمر من أموره.

(ولا يحجم): يتأخر عن إمضائه.

(ولا يؤخّر): شيئاً من الأمور.

(ولا يقدّم): شيئاً منها.

(إلا عن أمري): ما آمره به من ذلك.

(وقد آثرتكم به على نفسي): آثرت فلاناً بكذا إذا أوليته ذلك دونك وجعلته مختصاً به، ومنه قوله تعالى: **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾**[الحشر:٩].

(لنصيحته لكم): في أمور الدين وصلاح أحوالكم الدنيوية.

---

(١) من، سقط من (ب).

(وشدة شكيمته على عدوكم): الشكيمة: حديدة تجعل في فم الفرس تتصل بها فأس[1] اللجام، يقال: فلان شديد الشكيمة إذا كان عظيم الأنفة قوي النفس.

---

(١) فأس اللجام: الحديدة القائمة في الحنك. (مختار الصحاح ص٤٨٩).

(٣٩) ومن كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص

(**فإنك قد**[1] **جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ**): يريد أنك أسلست القياد في اتباعك لمعاوية، وجعلت دينك تبعاً لدنياه، فأصلحت له دنياه بفساد دينك وبطلان آخرتك، واتبعت بزعمك رجلاً.

(**ظاهر غيّه**): الغي: خلاف الرشد، وأراد أن مجانبته للرشد ظاهرة، لا تخفى على أحد.

(**مهتوك ستره**): هتك الستر: خرقه، وأراد أن الله تعالى مسبل لستر الدين على أهل الإيمان بإيمانهم، ومعاوية قد خرق هذا الستر بما كان منه من البغي[2] والفسوق.

(**يشين الكريم بمجلسه**): الشين: النقص، وقد شانه إذا نقصه، وأراد أنه إذا جالس الكرام وخالطهم نقصتهم خلطته.

(**ويُسفّه الحليم بخلطته**): سفهه إذا نسبه إلى السفاهة، وأراد أنه يكسب الحليم سفاهة باختلاطه به، ومرافقته له.

(**فاتبعت أثره**): تابعته في أقواله وأفعاله وسلكت سبيله.

---

(١) قد، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٢) في (ب): الغي.

(**وطلبت فضله**): أراد إما إفضاله وإنعامه عليك، وإما ما تفضل عليه من المتاع، ويزيد على كفايته، وهذا هو مراده، ويدل عليه ما بعده.

(**اتباع الكلب للضرغام**): يريد الأسد، ومثّله بالكلب لخسته وحقارته، ولما له به من المشابهة فيما ذكره.

(**يلوذ إلى مخالبه**): المِخْلَبُ: ظُفُر البرْثُن[1]، وأراد أنه يميل إلى ما يشب بمخلب الأسد من الفريسة فيأكله.

(**وينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته**): وهكذا حاله مع معاوية، فإنه لا غرض له[2] في اتباع معاوية إلا حطام الدنيا، والالتذاذ بلذاتها المنقطعة والتهالك في جمعها.

(**فأذهبت دنياك**): بانقطاعها عنك، وفواتها من يدك.

(**وآخرتك**) بما كان من إعراضك عنها؛ باتباع معاوية على فسقه وغيه.

(**ولو بالحق أخذت**): في اتباعي وترك مخالفتي ونزاعي.

(**أدركت ما طلبت**): من إحراز رزقك في الدنيا، والفوز برضوان الله في الآخرة.

(**فإن يمكّن الله منك ومن ابن أبي سفيان**): بالاستظهار عليكما، والتمكن من استئصال الشأفة وقطع الدابر.

(**أجزكما بما قدمتما**): من المخالفة والبغي والتمرد، وتغيير أحكام الله تعالى، وإيثار الدنيا وترك الآخرة.

---

(١) البراثن من السباع والطير كالأصابع من الإنسان، والمخلب: ظفر البرثن. (مختار الصحاح ص٤٥).
(٢) له، زيادة في (ب).

(وإن تُعجِزا): ولا أتمكن منكما.

(وتبقيا): في حياتي معجزين لي وبعد وفاتي أيضاً .

(فما أمامكما): أي فالذي أمامكما من خزي الله تعالى[1] وعذابه المعد لأعدائه والخارجين عن مراده وطاعته.

(شر لكما): أدخل[2] في الشر وأعظم في الويل مما هوقبله، كما قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى﴾[فصلت:١٦].

(١) تعالى، سقط من (ب).
(٢) في (ب): أوصل.

(٤٠) ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

(أما بعد؛ فقد بلغني عنك أمر): الأمر: واحد الأمور، ويستعمل عند إطلاقه في العظائم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾[النحل:٧٧]، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ﴾[القمر:٥٠]، وإنما أبهمه لعظمه.

(إن كنت فعلته): وكان صادقاً[1] ما قيل في ذلك، وما نقل عنك.

(فقد أسخطت ربك): أي صار ذا سخط عليك.

(وعصيت إمامك): بمخالفتك له في فعلك.

(وأخزيت أمانتك): ظهر الخزي على ما كنت مؤتمناً عليه وهي الخيانة فيه.

(بلغني أنك جردت الأرض): أراد إما قشرتها بقطع أشجارها، وتركها فضاء، وإما أن يريد بالجرد مجازاً، وجعله كناية[2] عن إذهاب ما فيها واستغراقه، وهذا هو مراده بدليل قوله:

(فأخذت ما تحت قدميك): من غلات الأراضي والعقارات والزروع وأنواع الثمار بالإتلاف والتبذير، وإنفاقها في غير وجهها، ووضعها في غير أهلها.

(١) في (ب): وكان صدقاً ما قيل فيك.
(٢) كناية، سقط من (ب).

(وأكلت ما تحت يديك): مما يرتفع إليك من الجبايات والخراجات، ومما يكون حاصلاً في يدك بالإنفاق في المأكل[1] والتنعم باللذات، وغير ذلك من الخضم والقضم[2].

(فارفع إليّ حسابك): كمية ما يرتفع إلى يدك، وكيفية خروج ما يخرج من ذلك ومعرفة ما يفضل.

(واعلم أن حساب الله): لك في ذلك، وعلمه بما أخذت ومقدار ما خنت فيه.

(أعظم من حساب الناس): أبلغ من محاسبة الناس بعضهم لبعض؛ لأنهم ربما جرى عليهم الغلط والنسيان والذهول عن بعض ذلك، أو عن أكثره، والله تعالى محيط بكل شيء، وعالم به، فلا تخفى على علمه خافية [سبحانه وتعالى][3].

(١) في المأكل سقط من (ب).
(٢) الخضم: الأكل بجميع الفم، والقضم: الأكل بأطراف الأسنان.
(٣) زيادة في (ب).

(٤١) ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله عبد الله بن عباس[1]

(أما بعد؛ فإني كنت أشركتك في أمانتي): أراد فيما أنا مؤتمن عليه من حفظ أموال المسلمين، والتعهد لمصالحهم والقيام عليها[2].

(وجعلتك شعاري وبطانتي[3]): الشعار من الثياب: ما يمس الجسد، وأراد أني جعلتك من خاصتي وبطانتي.

(ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك): الأهل: هم العشيرة والأقرباء، يشير إلى أنه لم يكن في إخوته وبني الأعمام أثبت منه في الأمور، ولا أوثق منه في الديانة.

(في نفسي): فيما أعرفه ويسبق إلى خاطري واعتقده.

(لمواساتي): من أجل مواساتي، جعل نفسك أسوة لي في الشدائد والعظائم.

(١) قوله: عبد الله بن عباس، سقط من شرح النهج لابن أبي الحديد، هذا وقد اختلف الرأي فيمن كتب له هذا الكتاب، انظر عن ذلك شرح ابن أبي الحديد ١٥/١٦٩-١٧٢، وانظر لوامع الأنوار٣/١١٠-١١١.
(٢) في (ب): بها.
(٣) قوله: وبطانتي، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(وموازرتي): معاونتي[1] بالنفس والمال من جهتك.

(وأداء الأمانة إليّ): مما ائتمنتك عليه من أمور المسلمين، وأموالهم فتؤديها إليّ كما وليتك إياها.

(فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كَلِبَ): اشتد شره، ومنه قولهم: كلب الشتاء اشتد برده.

(والعدو قد حرب): اشتد غضبه، وكلب وحرب بكسر العين.

(وأمانة الناس قد حزبت[2]): أي قلّت والحزب: القليل من الشيء، ويقال للطائفة من الرجال: حزب.

(وهذه الأمة قد فتكت): خدعت ومكرت.

(وشغَرَت): أراد إما بعدت عن الحق، من قولهم: منهل شاغر عن القرية إذا كان بعيداً، وإما ارتفعت عن العمل بالحق، من قولهم: شغر الكلب برجله إذا رفعها ليبول.

(قلبت لابن عمك ظهر المِجَنّ): هذا يقال لمن بدا منه خلاف ما يعهد من أخلاقه من الغلظة بعد اللين، والجفاء بعد المودة، وهذا هو مراده هاهنا.

(ففارقته): بنت عنه وأوحشته.

(مع المفارقين): المباينين له.

---

(١) في (ب): ومعاونتي.

(٢) في شرح النهج: خزيت.

(وخذلته): بما كان من جهتك من الخيانة وتأخرت عن نصرته بتأخرك عن أداء الأمانة.

(مع الخاذلين[1]): مع الذين خذلوه، وتألبوا عليه بالعداوة والحرب.

(فلا ابن عمك آسيت): جعلته أسوتك، وأعنته بنفسك.

(ولا الأمانة أديت): ولا ما ائتمنك عليه أديته إليه على الوجه المرضي أداؤه.

(وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك): يريد ومع ما فعلته من الخيانة ما أردت وجه الله بالجهاد الذي كان منك، وإبلاءك ما أبليت فيه.

(وكأنك لم تكن): فيما أتيته وفعلته من هذه الخيانة.

(على بينة من أمرك): على أمر واضح، وبصيرة نافذة فيما تأتي وتذر.

(وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة): ترصد لها الحيل، وتعمل لها المكائد.

(عن دنياهم): لتخدعهم عنها، وتسلبهم إياها.

(وتنوي غرتهم عن فيئهم): الغرة بالكسر: الغفلة، وأراد وتقصد غفلتهم لتأخذ فيئهم وتكون مستولياً عليه.

(فلما أمكنتك الشدة): شد يشد شدة إذا حمل حملة واحدة، وقد تقدم في كلام لزياد بن أبيه: لأشدَّن عليك شدة.

---

(١) بعده في (ب) وفي شرح النهج: وختنه مع الخائنين.

(في خيانة الأمة): بما أخذته من أموالهم، واقتطعته من خراجهم.

(أسرعت الكرة): الكر: خلاف الفر، وأراد عاجلت في الرجوع، واجتهدت في إيثاره.

(وعاجلت الوثبة): أمعنت نفسك في معاجلتها مخافة الفوات.

(واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم): الاختطاف: أخذ الشيء في سرعة وعجلة، وأراد أنه عاجل في أخذ ما قد أُحْرِزَ من الأموال[1].

(المصونة لأراملهم): صان الشيء إذا حجزه عن الإهمال من أجل صلاح أراملهم، وسد خَلّتهم بها[2].

(وأيتامهم): ومن أجل الضعفاء الذين مات عنهم آباؤهم، وتركوهم عالة.

(اختطاف الذنب الأزلّ): ذئب أزل إذا كان خفيف الوركين.

(دامية المعزى الكسيرة): الدامية من كثرة الجرب، والكسيرة: المكسور[3] أحد أطرافها، وإنما مثّل ذلك؛ لأن الذئب إليها أسرع أكلاً من غيرها؛ لهزالها وضعفها واقتداره عليها.

(فحملته إلى الحجاز): مكة ونواحيها، والمدينة وما حولها، وسمي حجازاً؛ لأنه حاجز بين نجد وتهامة.

---

(١) في (ب): من أموال المسلمين.

(٢) الخَلّة بالفتح: الحاجة والفقر.

(٣) في (ب): المكسورة.

(رحيب الصدر بحمله[1]): الرحيب: الواسع، ومنه رحبة الدار وهو: فناؤها، ورحبة المسجد أي متوسع الصدر من غير ضيق يلحقه.

(غير متأثم من أكله): معتقداً أنه لا يلحقك في ذلك إثم بأخذه وأكله، ولا لوم من جهة الله تعالى.

(كأنك -لا أبا لغيرك-): قد ذكرنا أن قولك: لا أبا لك كلمة يراد بها المدح، فقال هاهنا: لا أبا لغيرك صرفاً لها عن وجهها في المدح إلى غيره.

(حدرت على أهلك): الحدر هو: الإرسال من فوق، وغرضه هاهنا سهولة الأمر فيه.

(تراثك من أبيك وأمك): ميراثك منهما من غير حرج عليك فيه.

(فسبحان الله!): براءة لله تعالى عما لا يليق به، وتنزيهاً له عن أفعالك هذه.

(أما تؤمن بالمعاد!): تصدق بالرجوع إلى القيامة، وأما هذه للتنبيه.

(أما تخاف من نقاش الحساب!): من المناقشة في الحساب، والتحفظ على القليل والكثير، والحقير والجليل.

(أيها المعدود كان عندنا[2] من ذوي الألباب): تشهير له بندائه، وإعلان بحاله، وتحقيق بزواله عن حالته التي كان عليها، بقوله: كان، وإخراج له عما يتسم به أهل اللب والفطانة، وإدخال له بما فعل في أهل الجهل.

---

(١) بحمله، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٢) في (ب): عندنا كان من ذوي ...إلخ.

(**كيف تسيغ طعاماً وشراباً**): تعجب من حاله في إساغة الطعام والشراب.

(**وأنت تعلم**): حقيقة لا شك فيه، وقطعاً لا ريب في حاله بما يظهر من الأدلة والبراهين.

(**أنك تأكل حراماً، وتشرب حراماً**): غصباً لا حق لك فيه.

(**وتبتاع الإماء**): الجواري النفيسة.

(**وتنكح النساء**): الحرائر، فأنت في جميع أحوالك هذه تدفع هذه الأثمان وتنقد هذه المعاوضات[1].

(**من مال[2] اليتامى، والمساكين، والمؤمنين، والمجاهدين**): فكل واحد من هذه الأصناف وغيرها له حق في المال الذي أخذته لا محالة، وهم:

(**الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال**): جعلها فيئاً لهم، وأعطاهم إياها، وجعلها مصروفة فيهم.

(**وأحرز بهم هذه البلاد!**): بجهادهم عليها بالسيف حتى صارت حقاً لهم، ومحرزة برماحهم، لا ينالها أحد سواهم، ولا يأخذ خراجها أحد غيرهم.

(**فاتق الله**): راقبه في جميع أحوالك كلها.

(**واردد إلى هؤلاء القوم**): الذين وصفت لك حالهم في الإيمان، والضعف، والمسكنة.

(١) في (أ): المقاوضات.

(٢) في شرح النهج: أموال.

(**أموالهم**): التي غصبتها عليهم، وأخذتها خيانة لهم.

(**فإنك إن لم تفعل**): ما أمرتك به من ذلك، وحثثتك على فعله وإتيانه.

(**ثم أمكنني الله منك**): مكنني من الانتصاف منك، وأقدرني عليك، من المكنة وهي: القدرة.

(**لأعذرنَّ إلى الله فيك**): لا أبلغن حالة في النصفة يعذرني الله تعالى فيها من أجلك.

(**ولأضربنَّك بسيفي**): المشهور المعروف بذي الفقار.

(**الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار**): يشير بما ذكره إلى أنه على الحق، وأن من خالفه على الباطل، مستحق للوعيد بالنار لا محالة، وليس في هذا دلالة على عصمته؛ لأن هذه الحالة أعني المخالفة لإمام الحق والقطع بهلاك المخالف له، والسالّ للسيف في وجهه حاصلة لغيره ممن لا يُدَّعَى عصمته؛ فلهذا لم يكن ذلك دليلاً على كونه معصوماً.

(**والله لو أن الحسن والحسين**): مع عظم قدرهما، وقربهما من الرسول، وارتفاع حالهما عند الله تعالى، وأنهما سيدا شباب أهل الجنة بنص أبيهما[1].

(١) يشير المؤلف (عليه السلام) إلى الحديث المشهور: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما)) رواه الإمام الهادي إلى الحق في مجموع رسائله ص٥٣-٥٤ في كتاب معرفة الله عز وجل، و ص١٩٥ في كتاب أصول الدين، وأخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٤٤/١ بسنده عن ابن عمر، ٢٣٥/٢ بسنده عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بلفظ: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))، وأخرجه باللفظ المذكور أولاً الموفق بالله في الاعتبار ص٦٦٣ برقم (٥٢٩) عن ابن عمر، وأخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في مناقبه ٢٥٠/٢ رقم (٧١٦) بسنده عن مالك بن الحسن بن أبي الحويرث، عن أبيه، عن جده، =

(فعلا مثل الذي فعلت): من الخيانة، وأخذ المال الذي لا عذر لك في أخذه ولا شبهة.

(ما كانت عندي لهما هوادة): تهوين في الأمر، ولا مصالحة لهما ولاميل إليهما فيما فعلاه من ذلك، وفي الحديث: «أسرعوا المشي بالجنازة، ولا تهوّدوا كما تُهَوِّد اليهود»[1] لأنهم يهونون في السير ويدبون دبيباً.

(ولا ظفرا مني بإرادة): فيما طلباه من ذلك، ولا حللت من ذلك عقدة.

(حتى آخذ الحق منهما): ما كان مستحقاً عليهما لغيرهما.

(وأزيح الباطل من مظلمتهما): فيه روايتان:

أحدهما: أريح بالراء، أي أرد الباطل فيما ظلماه[2]، وأخذاه من غير حقه، من قولهم: أرحت على الرجل حقه إذا رددته عليه.

والحديث فيه أيضاً بأرقام (٦٨٧، ٧١٢، ٧٢٣) عن أبي سعيد الخدري.
وأخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من تأريخ دمشق ص ٧٩-٨٣ تحت الأرقام (١٣٨-١٤٣) عن بريدة الأسلمي، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وجهم، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٦٩/٤ إلى مصادر كثيرة منها: سنن الترمذي برقم (٣٧٦٨)، وسنن ابن ماجة ١١٨، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩٠/١١، ومسند أحمد بن حنبل ٣/٣، ٦٢، ٦٤، ٨٢، والمستدرك للحاكم النيسابوري١٦٦/٣، ١٦٧، والمعجم الكبير للطبراني ٢٥/٣، ٢٨، و٢٧٢/١٩، ومجمع الزوائد١٧٨/٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ومصنف ابن أبي شيبة٩٦/١٢، ٩٧، والبداية والنهاية لابن كثير٥١/٢، ٣٥/٨، والدر المنثور ٢٦٢/٤، وغيرها. (انظر الموسوعة).

(١) أورده في مختار الصحاح ص٧٠١، وقريباً منه أورده من أثر لعمران بن حصين رضي الله عنه ابن الأثير في النهاية ٢٨١/٥ في مادة هَوَدَ، فقال ما لفظه: وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: ((إذا مت فخرجتم بي، فأسرعوا المشي، ولا تهودوا كما تهوّد اليهود والنصارى)).

(٢) في (ب): فيما ظلما.

وثانيهما: بالزاي وغرضه أبعد الباطل من ظلمهما الذي ظلماه، من قولهم: زاح الشيء[1] يزيح إذا بعد وذهب.

(وأقسم بالله رب العالمين): العالمين: جمع عالم، وهم[2] اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين، وفيه تعريض بحاله حيث كان ظالماً لمن هذه حاله من الخلائق.

(ما يسرني أن ما أخذت[3] من أموالهم حلال لي، أتركه[4] ميراثاً لمن بعدي): يريد أنه ما يسرني أن الذي أخذته من هذه الأموال حلال لي[5] لا تبعة علي فيه أخلفه ميراثاً بعدي، فهذا لا يسرني فضلاً عن أن تكون هذه الأموال فيئاً للمسلمين لا أملكها لا أنا ولا أنت، فالغم علي فيها أكثر لكوني مطالباً بها.

(فضحّ رويداً[6]): أي ضياحاً رويداً، وأراد هون على نفسك الحال ولا تعجل.

(فكأنك قد بلغت المدى): غاية أجلك ومنتهى عمرك.

(ودفنت تحت الثرى): حيث لا ينفع مال ولا عشيرة.

(١) في (ب): الباطل.

(٢) في (ب): وهي.

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: أخذته.

(٤) في نسخة: أخلفه، (هامش في ب).

(٥) لي، سقط من (ب).

(٦) فضح رويداً، قال ابن أبي الحديد: في شرح النهج: ١٦٩/١٦ عند شرح هذه الكلمة ما لفظه: كلمة تقال لمن يؤمر بالتؤدة والأناة والسكون، وأصلها الرجل يطعم إبله ضحى، ويسيرها مسرعاً ليسير فلا يشبعها، فيقال له: ضحّ رويداً انتهى.

(وعرضت عليك أعمالك): نشرت عليك دواوينها، وقرئت عليك صحائفها.

(بالمحل): في الموضع، وهو: يوم القيامة في العرصة.

(الذي ينادي فيه الظالم[1] بالحسرة): على ما فعل من الأفعال وغصبه من الأموال.

(ويتمنى المضيع): الذي أضاع أوقاته، وفرط في حياته.

(الرَّجعة): الرد ليعمل صالحاً، كما قال تعالى: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾[المؤمنون:٩٩-١٠٠].

(ولات حين مناص!): المناص: الملجأ، وأراد ليس الوقت وقت فرار وتأخر، ولقد بالغ في عتاب ابن عباس وشدد النكير عليه، وخشن له في القول، وأغلظ عليه في الوعيد؛ لما يعلم من حسن بصيرته وشدة ورعه، وتحرزه في أمور الديانة، واتقاد قريحته في العلم، ولما بلغه الكتاب على ما اشتمل عليه من الخشونة والمبالغة في العتاب وإظهار اللائمة، لم يتمالك في الإذعان والانقياد، ورد المال، وإظهار الندم عمَّا فعل من ذلك، والاعتذار إلى أمير المؤمنين كرم الله وجهه في هذه الزلة، وهكذا يكون حال أهل البصائر النافذة، ومن يرده الله بتوفيقه، وحقيق بمن كان حاله كحال ابن عباس في التقدم في العلم وإحراز الفضل أن يتداركه الله بالتوفيق من عنده، فما قصد أمير المؤمنين بما فعل؛ إلا تشنيعاً للقضية عليه لفضله وتمييزه، وليكون ذلك وازعاً لمن يكون في درجته عن اقتحام مثل هذه الشبه، والورود على مثل هذه الموارد الضنكة القبيحة عند الله.

---

(١) في (ب) وفي شرح النهج: الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة.

(٤٢) ومن كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي[1]، عامله على البحرين

كل نهر عظيم فهو: بحر، ولهذا يقال لدجلة وسيحون وجيحون: بحور، وإن كانت أنهاراً جارية، قال الشاعر:

سـره مالـه وكـثرة مـا يمـ ... لك والبحر معرضاً والسدير[2]

يعني الفرات، والبحران اللذان ذكرهما: واديان في اليمن، يقال لهما: الحسا والقطيف، وقيل: غيرهما، والله أعلم بذلك.

(أما بعد، فإني قد وليت النعمان بن عجلان[3]

---

(١) هو عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، أبو حفص، ربيب رسول الله ﷺ، ولد بالحبشة في السنة الثانية من الهجرة الأولى، وتزوج رسول الله ﷺ أمه أم سلمة سنة أربع من الهجرة، فنشأ في حجره، وعلمه أدب الأكل، شهد مع علي (عليه السلام) الجمل، واستعمله (عليه السلام) على فارس والبحرين، وتوفي سنة٨٣هـ، وقد حفظ عن رسول الله ﷺ الحديث وروى عنه. (انظر شرح ابن أبي الحديد ١٦/١٧٣، ولوامع الأنوار ٣/١٤٨).

(٢) لسان العرب ٢/١١٩ ونسبه لعدي وقال في شرحه: السدير: نهر، ويقال: قصر وهو معرّب وأصله بالفارسية رسه دِلّة أي فيه قباب مداخله.

(٣) هو النعمان بن عجلان الزرقي الأنصاري، كان سيداً في قومه، وهو الذي خلف على خولة زوجة حمزة بن عبد المطلب رحمه الله بعد قتله، قال ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب: كان النعمان هذا لسان الأنصار وشاعرهم، وهو القائل يوم السقيفة:

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم ... عتيق بن عثمان حلال أبا بكر

وأهل أبو بكر لها خير قائم ... وإن علياً كان أخلق بالأمر

وإن هوانا في علي وإنه ... لأهل لها من حيث يدري ولا يدري

(انظر شرح ابن أبي الحديد ١٦/١٧٤).

الزرقي[1] على البحرين): جعلت أمرهما إليه، وأوليته العقد والحل فيهما.

(ونزعت يدك): أزلت ولايتك فيهما.

(بلا ذم لك): في ولايتك، ولا خيانة لاحقة بك في عمالتك.

(ولا تثريب عليك): لا عتب لا حق بك، ولا تأنيب، والثرب: شحم رقيق يغشى الكرش والمعاء، ومعناه إزالة الثرب؛ لأنه إذا ذهب كان ذلك أمارة على غاية الهزال، فضرب مثلاً للتقريع الذي بلغ الغاية في تمزيق العرض وإهداره، قال الشاعر:

فعفوت عنهم عفو غير مُثَرِّبٍ ... وتركتهم لعقاب يوم سرمد[2]

(فلقد أحسنت الولاية): في وضعك لها مواضعها، وإعطاها حقها.

(وأديت الأمانة): أوصلت ما اؤتمنت عليه على وجهه، وقمت فيه بحكمه.

(فاقبل): إلينا وَزُلْ عن عملك الذي كان تحت يدك بأمرنا.

(غير ظنين): متهم فيما أنت فيه، ولا بخيل بما كان من حقوقه.

(ولا ملوم): على تفريط كان هنالك منك ولا خيانة.

(ولا متهم): في أمر من أمور الولاية.

(ولا مأثوم): في جناية[3] في يد ولا لسان.

---

(١) الزرقي، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٢) البيت أورده الزمخشري في أساس البلاغة ص ٤٤ ونسبه لتبع، وأورده ابن منظور في لسان العرب ١/٣٥٢ ونسبه لبشر، قال: وقيل: هو لتبع.

(٣) في (ب): في خيانة.

(فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل[1] الشام): معاوية وأصحابه، وإنما كانوا ظلمة إما لأنهم ظلموا أنفسهم بتعاطيهم البغي والمخالفة، وإما لما أخذوه من البلاد والجبايات على غير وجهه وصرفوه في غير أهله، فهم ظالمون لا محالة، فلهذا سماهم ظلمة.

(وأحببت أن تشهد معي): حربهم وقتالهم، وتكون معي في المشاهد كلها والمواطن المشهودة.

(فإنك ممن أستظهر به على جهاد العدو): أجعله ظهيراً وعمدة ألجأ إليها عند الشدائد، والحاجات المهمة والأمور العظيمة.

(وإقامة عمود الدين): عن أن يكون مضطرباً، وأن يكون فيه اعوجاج، وما ذكره مجاز، والحقيقة جري أحكام الشريعة على مجاريها، وتقريرها على قواعدها.

---

(١) أهل، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٤٣) ومن كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني

وهو عامله على أزدشير خرته[1]، وأزدشير خرَّة وهو اسم قرية:

(بلغني عنك أمر): على أيدي النقلة ولم يتحققه أمير المؤمنين، ولهذا أتى بإن، وهي موضوعة للشك، وهذا فيه دلالة على جواز الإنكار مع غلبة الظن، إذا كان[2] هناك قرائن مؤذنة بذلك.

(إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك): صار ذا سخط عليك.

(وأغضبت إمامك): أي صار غاضباً عليك.

(أنك تقسم فيء المسلمين): أن هذه هي المصدرية في الأسماء، وهي في موضع رفع، إما بدلاً، وإما عطف بيان على قوله: أمر.

(الذي حازته رماحهم وخيولهم): أحرزوه بالقوة بالخيل والرجال.

(وأريقت عليه دماؤهم): باستشهاد من استشهد منهم عليه.

(فيمن اعتامك): أي اختارك، من قولهم: اعتام الشيء إذا اختاره، والعيمة هي: خيار المال.

(١) في شرح النهج: أردشير خرّة، وهي كورة من كور فارس.
(٢) كان، زيادة في (ب).

(من أعراب قومك): أجلافهم، وأهل الغباوة منهم.

(فوالذي فلق الحبة): شقها بنصفين.

(وبرأ النسمة): خلق النفس.

(لئن كان ذلك حقاً): يشير إلى ما ذكره من الأمر الذي بلغه عنه.

(لتجدنَّ بك[1] علي هواناً): ليهوننَّ عندي أمرك، وينزلنَّ قدرك.

(ولتخفَّنَّ عندي ميزاناً): انتصاب ميزان يكون على التمييز، من باب قولهم: طاب زيد نفساً.

(فلا تستهن بحق ربك): الاستهانة من الهوان، وأراد فلا تهونه.

(ولا تصلح دنياك بمحق دينك): أي ولا يكن همك إصلاح دنياك وتسديدها بما يكون مَحْقاً عليك في الدين وتغييراً في حاله.

(فتكون من الأخسرين أعمالاً): من الذين خسروا أعمالهم بإحباطها بالسيئات، وإسقاط أجورها باقتحام الموبقات.

(ألا وإن حق مَنْ قِبَلَكَ): من في جهتك.

(وقِبَلَنا): ومن في جهتنا.

(من المسلمين): أهل الدين والصلاح.

(في قسمة هذا الفيء سواء): مستوية لا فضل لأحد منهم على الآخر، وفي هذا دلالة على أن رأيه (عليه السلام) كان التسوية في العطاء،

(١) في شرح النهج: لك.

كما كان رأي أبي بكر قبله، وأما عمر فكان[1] رأيه التفضيل في العطاء على مقادير الحقوق في الدين، وعلو المراتب في الإسلام[2].

(يردون عندي عليه): يأخذونه.

(ويصدرون عنه، والسلام[3]): ويذهبون به في قضاء حوائجهم، ويصرفونه في مآربهم كلها.

(١) في (ب): وكان.

(٢) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١١١/٨.

(٣) والسلام، زيادة في (ب).

(٤٤) ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه

وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه:

(وقد عرفت أن معاوية كتب إليك يستزلُّ لبك): يريد استزلالك في لبك ويطلب ذلك منك.

(ويستفلُّ غربك): الغرب: حد السيف، وأراد يكفه ويرده عن حده كالاًّ.

(فاحذره): عن[1] أن يخدعك بأمانيه، ويستزلك بأكاذيبه.

(فإنما هو الشيطان): أراد إن كنت تعرف الشيطان فهو معاوية بعينه لا مخالفة بينهما في حال.

(يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه): كما يفعل الشيطان.

(ومن[2] عن يمينه وعن[3] شماله): كما حكى الله ذلك عن إبليس بقوله: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ﴾ [الأعراف:١٧].

(ليقتحم غفلته): تقحيم النفس إدخالها في الأمر من غير روية

(١) عن، سقط من (ب).

(٢) من، سقط من شرح النهج.

(٣) عن، سقط من (أ).

وثبات، وأراد يقتحم على الإنسان في حال كونه غافلاً.

(ويستلب غرته): أي يستلبه في حال كونه مغتراً بما يقع فيه من ذلك، أي يخدعه ويمكر به.

(وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة): أي فجأة لا عن تدبر وروية.

(من حديث النفس): التي لا يلتفت إليها ولا يعول عليها.

(ونزغة من نزغات الشيطان): النزغ من جهته هو: الإفساد والإغواء.

(لا يثبت بها نسب): أي لا يكون لاحقاً بمن ألحق به[1].

(ولا يستحق لمكانها[2] إرث): لبطلانها وفسادها شرعاً، وقد كان أبو سفيان ادَّعى زياداً في عهد عمر بن الخطاب، وزعم أنه ولد له، وحاكم إلى عمر، فلم يقض عمر له بشيء من ذلك[3].

(والمتعلق بها): يريد بهذه الدعوة الباطلة.

---

(١) قال السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله في أنوار التمام ٢٩٩/٣: قال في حاشية الهداية ناقلاً عن كتاب الشجرة: لا خلاف أن مجرد الوطء لا يثبت به نسب، وما يحكى عن معاوية في استلحاقه زياداً فقد أجمع المسلمون على إنكاره وبطلانه، لقوله ﷺ: ((ليس رجل ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر))، وفي حديث: ((فالجنة عليه حرام))، وفي حديث: ((عليه لعنة الله)) وكذلك قالت عائشة لمعاوية حين ادعى زياداً: ركبت الضلعاء أي الداهية، والأمر الشديد، والسوءة الشنيعة أي البارزة. انتهى.

(٢) العبارة في شرح النهج: ولا يستحق بها إرث، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٣) أعلام نهج البلاغة -خ- وعن زياد بن أبيه وأخباره والدعوة التي استلحق بها انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٩/١٦-٢٠٤.

(كالواغل): بالغين المنقوطة، وهو: الذي يهجم على الشربة ليشرب معهم وليس منهم.

(المدفّع): بالعين المهملة، وهوالذي لا يزال مدفوعاً في صدره، محاجزاً عن[1] الكون من جملة الشربة.

(والنوط): وهو ما يعلّق بعد تمام الحمل من قدح، أو غير ذلك.

(المذبذب): لأنه أبداً لا يزال يتقلقل إذا حثَّ الجمل ظهره واستعجل في سيره.

(فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد بها ورب الكعبة): أراد أن كلام أمير المؤمنين على زعم زياد موهم للشهادة على أبي سفيان بالدعوة له.

(ولم يزل): ذلك.

(في نفسه): يريد كلام أمير المؤمنين ونقله عن أبي سفيان ما نقله، فما كان بعد ذلك إلا أياماً قليلة.

(حتى ادّعاه معاوية): يباعد تلك المقالة التي ذكرها أمير المؤمنين.

---

(١) العبارة في (ب): محاجزاً على الكون معهم، وليس من جملة الشربة.

(٤٥) ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري

وهو عامله على البصرة[1]، الرواية فيه حُنيف -بضم الحاء-.

[*بسم الله الرحمن الرحيم*][2]

(أما بعد، يا ابن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة): الفتية: جمع فتى، قال الله تعالى: **﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾**[الكهف:١٠].

(دعاك إلى مأدبة): المأدبة: ما كان طعاماً من غير وليمة، والوليمة: كالعرس، والإعذار وهو: طعام الختان وغير ذلك.

(فأسرعت إليها): من غير سؤال عن حالها، ومعرفة بحقيقتها، وطيب مكسبها.

(تستطاب لك الألوان): يُطْلَبُ لك أطيبها فيقدَّم نحوك.

(وتنقل إليك الجفان): أراد إما واحدة بعد واحدة لاختلافها وتباين أطعمتها، وإما تقدم هذه وتؤخر هذه ترفهاً بالمعايش، وتأنقاً في اللذات.

---

(١) في شرح النهج: ومن كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(فكرعت): في حياضها، والكروع: هو تناول الماء بالفم من غير واسطة الكف.

(وأكلت): من ألوانها ومختلفات أنواع طيباتها.

(أكل ذئب نهم): النهم: بلوغ الغاية في حفظ الشيء وضبطه، وفلان منهوم على كذا إذا كان مولعاً به، وفي الحديث: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا»[1] وإنما أضاف النهم إلى الذئب؛ لأنه مولع بكثرة الافتراس.

(أو ضيغم قرم): الضيغم: اسم من أسماء الأسد، وسمي بذلك لشدة ضغمه لما يفترسه من الحيوانات، والقرم: شدة شهوة اللحم، وإنما شبهه بهذين الحيوانين؛ لكثرة ولوعهما بأكل اللحوم.

(وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم، غنيهم مدعو[2]، وفقيرهم مجفو): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أو لم تعلم أنهم في ولائمهم هذه يدعون الأغنياء ويتركون الفقراء، ومن هذه حاله[3] فإن إجابته مكروهة من أجل ذلك.

---

(١) الحديث بلفظ: ((منهومان لا يشبعان: منهوم دنيا، ومنهوم علم)) أخرجه من حديث طويل الإمام أبو طالب في أماليه ص٢٢٤ رقم (١٨١) بسنده عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال، فذكر الحديث بطوله، وهو فيه أيضاً بنفس اللفظ ص٢٠٥ رقم(١٤٤)، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨/٦٣٢ إلى العلل المتناهية لابن الجوزي١/٨٦، ٨٧، والدرر المنتثرة للسيوطي١٦٢.

(٢) في (ب): يدعى، والعبارة في نسخة وشرح النهج: عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو.

(٣) في (ب): حالته.

وثانيهما: أن يكون مراده أنه لا غرض لهم[1] في هذه الولائم إلا الرياء والسمعة والذكر، ومن هذه حاله فإنه لا يجب إجابة دعوته، ولا ينبغي لأحد من أهل الدين حضورها، ولهذا فإنهم يتركون الفقراء ويدعون الأغنياء من أجل ذلك.

ووجه آخر أهم مما ذكرته كله وهو: أنك إذا دعيت إلى وليمة قوم:

(فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقْضَم): المقضم: بمقدم[2] الأسنان، وأراد ما تأكله من هذه المآكل.

(فما اشتبه عليك علمه): ولم تدر حاله، ومن أي وجه حصل مكسبه، وانقدحت الشبهة فيه.

(فالفظه): إن كان حاصلاً في فِيْكَ، أو أراد فاتركه إن لم تكن قد تناولته.

(وما أيقنت بطيب وجوهه): بكونه مأخوذاً من أوجه طيبة لا حرج في أخذها وتناولها.

(فنَلْ منه): أي خذ مقدار الكفاية منه من غير حاجة إلى الزيادة.

(ألا وإن لكل مأموم إماماً): ألا هذه للتنبيه، وأراد أن كل مأموم فلا بد له من إمام.

(يقتدي به): في جميع عباداته، وأحوال دينه.

---

(١) لهم، سقط من (ب).

(٢) في (ب): مقدم.

(ويستضيء بنور علمه): في ظلمات الجهل، وقتام الغباوة، وحنادس الضلالة.

(ألا وإن إمامكم): يشير إلى نفسه.

(قد اكتفى من دنياه بطِمْرَيْه): الطمر: الثوب الخلق، وأراد إزاراً ورداء من غير زيادة.

(ومن طُعمه بقرصيه): ومما يطعم من ملاذ الدنيا وطيباتها برغيف بكرةٍ، ورغيف عشياً من غير زيادة.

(ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك): لصعوبته ومشقة الحال فيه، وكونه منافراً للنفوس في غاية الكراهة له.

(ولكن أعينوني بورع): عن الأمور المحرمة والملاذ القبيحة.

(واجتهاد[1]): في الطاعة لله، والانقياد لأمره.

(فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً): الكنز: الادخار، والتبر: ما كان من الذهب غير مضروب، فإذا ضرب فهو عين، ولا يقال ذلك في الفضة، وبعضهم يطلقه عليها.

(ولا ادخرت من غنائمها وفراً): ادخره إذا خبأه، والغنيمة: ما يؤخذ من الكفار، والوفر: المال الكثير، سمي بذلك؛ لوفوره وكثرته.

(ولا أعددت): أراد إما للتجمل، وإما أراد من زينة الدنيا ولذاتها.

---

(١) في شرح النهج: ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد.

(**سوى بالي ثوبي طِمْرآ**[1]): انتصاب طِمْراً على المفعولية لأعددت، أي ولا أعددت طمراً للتجمل إلا بالي ثوبي هذا من غير زيادة.

سؤال؛ كيف قال هاهنا: سوى بالي ثوبي، وقال فيما تقدم: قد قنع من الدنيا بطمريه، فما وجه ذلك؟

وجوابه؛ لعله تارة يلبس الرداء، وتارة يلبس الإزار، فعبَّر على ما يقتضيه الحال من لباسه لأحدهما دون الآخر.

(**بلى**): تصديق لكلام محذوف منفي تقديره: أليس قد كان في أيديكم شيء من الأموال، فقال[2] مصدقاً له: بلى:

(**قد كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء**): فدك[3]: قرية قريب[4] من المدينة نحلها رسول الله [ﷺ][5] فاطمة (عليها السلام)، وأعطاها

(١) بعده في شرح النهج: (ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منها إلا كقوت أتان دَبِرَةٍ، ولهي في عيني أوهى من عفصة مَقِرَةٍ).

(٢) في (ب): قالوا.

(٣) قال أبو العباس الحسني رضي الله عنه في المصابيح: أخبرنا علي بن سليمان البجلي، بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه: أن فدكاً تسع قريات متصلات حد منها مما يلي وادي القرى، غلتها في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، لم يضرب عليها بخيل ولا ركاب، أعطاها النبي ﷺ فاطمة عليها السلام قبل أن يقبض بأربع سنين وكانت في يدها تحمل غلاتها وعبد يسمى جبير وكيلها، فلما قبض رسول الله ﷺ أنفذ أبو بكر رجلاً من قريش بعد خمسة عشر يوماً، فأخرج وكيل فاطمة عليها السلام منها.

وقال أبو العباس أيضاً في المصابيح: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحديدي بإسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وأعطاها فدكاً. انتهى. (انظر المصابيح ص٢٦٥، وانظر الاعتصام ٢٥١/٢).

(٤) في (ب): قرية.

إياها، وكانت مما لم يوجف عليه بخيل ولا بركاب[1]، فكان رسول الله يأخذ منها لخاصة نفسه ما يحتاجه، ثم أعطاها بعد ذلك فاطمة[2].

وقوله: (من جميع ما أظلته السماء)، تعريض إلى ما كان منهم من الاستئثار عليه بالخلافة وبغيرها.

(**فشحَّت عليها نفوس قوم**): يشير إلى ما كان من تيم وعدي وبني أمية، وإنما عدى شحَّت بعلى؛ لأن الشح في معنى الحرص، فإن فاطمة عليها السلام أخبرت بأن أباها نحلها إياها، فمنعها أبو بكر ذلك[3]، وكان هذا من أقوى ما يذكر في مطاعن خلافته مع ما كان من حديث الميراث[4]،

(٥) زيادة في (ب).

(١) في (ب): ولا ركاب.

(٢) قال الإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) في الاعتصام ٢٥٠/٢ ما لفظه: لا يختلف آل محمد ﷺ أن فدكاً مما أفاء الله على رسوله ﷺ من غير إيجاف عليها بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول الله ﷺ ملكاً، وأن النبي ﷺ أنحلها فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

قال: وفي شرح التجريد: والأصل في ذلك ما صح من الأخبار المتواترة أن فدكاً لما أجلي عنها أهلها من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب صارت لرسول الله ﷺ.

قال: وأخرج البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ عن عمر بن الخطاب قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة ينفق على أهله منها نفقة سنة ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله عز وجل. انتهى.

(٣) عن أخبار فدك انظر الاعتصام للإمام القاسم بن محمد ٢٥٠/٢-٢٦٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠٩/١٦-٢٨٦، والمصابيح لأبي العباس الحسني ص٢٦٣-٢٦٦.

(٤) قال الإمام القاسم في الاعتصام: قال أبو العباس الحسني في المصابيح: أخبرنا أحمد بن سعيد بن عثمان الثقفي بإسناده عن عائشة أن فاطمة والعباس سلام الله عليهما أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من النبي ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا نورث ما تركناه صدقة)) فهجرته فاطمة (عليها السلام) فلم تكلمه حتى ماتت ودفنها علي (عليه السلام) ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر.

قال أبو العباس رضي الله عنه: الذي طلباه ميراثاً سهمه من خيبر، فأما فدك فقد كانت لفاطمة (عليها السلام) حياة رسول الله ﷺ كما قدمنا وهو وجه الحديث. انتهى. (انظر الاعتصام ٢٥١/٢-٢٥٢، والمصابيح ص٢٦٦).

وغير ذلك من المطاعن، فإنها لما ادَّعتها قال لها أبوبكر: ائتيني برجلين أو برجل وامرأتين، فقد قيل: إنها جاءت بأمير المؤمنين فأبى ذلك[1]، ولعله كان يذهب إلى بطلان الحكم بالشاهد واليمين للمدَّعي، وفاطمة تذهب إلى جواز ذلك[2].

قلت: وفي الخبر الذي رواه أبو بكر. قال الإمام القاسم في الاعتصام ٢٦٤/٢ بعد سياقه لعدد من الروايات في قضية فدك ومنع فاطمة (عليها السلام) منها ما لفظه: وقال الهادي (عليه السلام) في حديث: ((إنا لا نورث ما تركناه صدقة)): ولو سألنا جميع من نقل من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هل روى أحد منكم عن أحد من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل ما روي عن أبي بكر من هذا الخبر لقالوا: اللهم، لا. ثم جاءت بعد ذلك أسانيد قد جمعها الجهال لحب التكثير بما لا ينفع عن عائشة وعن عمر، فنظرنا عن ذلك إلى أصل هذه الأحاديث، فإذا عائشة تقول: سمعت أبا بكر، وإذا عمر يقول: سمعت أبا بكر، وإذا هذه الأسانيد المختلفة ترجع إلى أصل واحد. انتهى. إلى أن قال الإمام القاسم ما لفظه: قلت: وأجمع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الأنبياء يورثون لقوله تعالى: ﴿وورث سليمان داود﴾ وقوله تعالى: ﴿فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ ومن الباطل حمل القرآن على خلاف ظاهره بغير دليل، والله بصير بالعباد. ولو كان حقاً ما رواه من تقدم ذكرهم عن أبي بكر لما رد عمر بن عبد العزيز فدكا على أولاد فاطمة عليها وعليهم السلام، وكان من أعلم الناس بالحديث ورجاله وعلله. انتهى. (وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد).

(١) قال الإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) في الاعتصام ٢٥٠/٢ ما لفظه: وقال الهادي (عليه السلام): لما ادعت فاطمة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنحلها فدكاً، ونزع أبو بكر عاملها وطلبها شهوداً جاءت بعلي والحسن والحسين (عليهم السلام) وأم أيمن رضي الله عنها يشهدون لها، فقال أبو بكر: لا أقبل شهادتهم لأنهم يجرون المال إلى أنفسهم، وأم أيمن امرأة لا أقبلها وحدها. انتهى. وانظر عن قضية فدك ومناقشة حكم أبي بكر في ذلك كتاب الأساس في عقائد الأكياس للإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) ص١٥٧-١٥٩.

(٢) قال العلامة المجتهد الكبير مجد الدين المؤيدي رضي الله عنه في لوامع الأنوار ٧٨/٢-٧٩ ما لفظه: قال الإمام محمد بن عبد الله (عليه السلام): وحكى الإمام عز الدين، عن الإمام يحيى (عليه السلام) [قلت أي الإمام يحيى بن حمزة (عليه السلام)] نقلاً من كتابه المسمى التحقيق في الإكفار والتفسيق ما نصه: والمختار عندنا أمران:

الأول: أن الذي ادَّعت فاطمة (عليها السلام) كان حقًا، ثم قال ما حاصله: إنه يشهد لها أمير المؤمنين (عليه السلام) وأم أيمن، فقال أبو بكر: رجل مع رجل، أو امرأة مع امرأة، ثم قال أبو بكر: إن الله إذا أطعم نبيه طعمة فهي للخليفة من بعده، فلما أقر بالملك لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) =

(وسخت عنها نفوس آخرين): يشير إلى نفسه وفاطمة والحسن والحسين، وإنما عدَّاه بعن؛ لأن السخاوة متضمنة لانقطاع الرغبة عن الشيء المسخو به، فلهذا عدَّاه بعن؛ لأنهم لما رأوا من كثرة المطالبة فيها أهملوها وتركوها.

(ونعم الحكم الله): بين الخلائق، أو فيما ندَّعي من فدك وغيرها.

(وما أصنع بفدك وغير فدك): استفهام وارد على جهة التقرير عند النفوس، وفيه معنى التعجب، وأراد وما تنفعني فدك وأضعافها من الدنيا.

(والنفس مظانها في غد جدث): الجدث: القبر، قال الله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً[1]﴾[المعارج:٤٣]، ومظنة الشيء: موضعه الذي يظن حصوله فيه[2]، وأراد أن القبر مكانها وموضعها لا موضع لها سواه.

(ينقطع في ظلمته آثارها): فلا يوجد لها أثر بعد صيرورتها فيه.

وإقراره مقبول، قالت: ويحك يا ابن أبي قحافة، ترث أباك ولا أرث أبي، فاحتج بالخبر، ثم ذكر إعراضها عنه، ورجوعها إلى قبر أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وتمثلها بالأبيات المشهورة:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت تعلمها لم تكثر الخطب

إلى آخرها، وهذه المناظرة ظاهرة لا يمكن إنكارها.

ثم قال: الأمر الثاني: أنها صادقة فيما ادعته؛ لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشرها بالجنة، وأن منزلها ومنزل أمير المؤمنين حذاء منزله، وساق أحاديث شأنها وكمالها وأحاديث: ((فاطمة مني يريبني ما يريبها، ويؤذيني ما يؤذيها))، فكيف لا تكون صادقة في تلك الدعوى، وقد شهد بصدقها أمير المؤمنين، ولا يشهد إلا بالحق، ولا يقول إلا الحق. انتهى باختصار.

(١) سراعاً، سقط من (أ).

(٢) في (ب): فيها.

(وتغيب أخبارها): فلا يسمع لها بخبر، وأراد امحاء جميع رسومها وأعلامها.

(وحفرة): أي ومظانها حفرة.

(لو زيد في فسحتها): لوبلغت كل غاية في السعة والفسحة.

(وأوسعت[1] يدا حافرها): وكان غرض الحافر لها توسيعها[2].

(لأضغطها الحجر والمدر): الضغط: هو الزحم، يقال: اللَّهُمَّ، ارفع عنا هذه الضغطة، وفي الحديث: «إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد[3]» يريد سعد بن معاذ.

(وسد فرجها التراب المتراكم): الفرجة: الخلل في الشيء، وأراد أنها وإن فسحت في نفسها فإنها تزدحم بالأحجار المهيلة، وتسد ما فيها من الخلل بالتراب المحثي فيها.

(وإنما هي نفسي): أراد لا أملك سواها، ولا أمارس إلا إياها.

(أروضها بالتقوى): أعالجها بالرياضة كما يعالج المُهْرَ[4] المروض بمراقبة الله تعالى وخوفه، والانكفاف عن محرماته، والمواظبة على القيام بواجباته.

---

(١) في (ب): وأوسعنها.
(٢) في (ب): ترشيقها.
(٣) في (ب): لنجا منها سعد بن معاذ، وقوله: يريد سعد بن معاذ، سقط منها، وانظر الحديث في سيرة ابن هشام ١٥٨/٣.
(٤) المُهْرُ: ولد الفرس.

(لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر): أراد يوم القيامة كما سماه الله الفزع الأكبر[1]، إذ لا فزع أطمَّ منه.

اللَّهُمَّ، نجنا من أهواله وعظائمه بكرمك الواسع.

(وتثبت على جوانب المزلقة[2]): المزلقة والمزلق: موضع لا يثبت عليه قدم يقال: مكان زلق، قال الله تعالى: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾[الكهف:٤٠]، أي أرضاً ملساء لا ثبات فيها، وإنما قال: على جوانب المزلق مبالغة في الاستقرار والثبوت؛ لأن المزلقة لا تثبت في وسطها قدم فضلاً عن جوانبها، فإذا كانت قدمه ثابتة على طرف المزلقة كانت في غاية الرسوخ[3] والاستقامة والثبوت، وكثيراً ما يرمز إلى مثل هذه الأسرار في كلامه، ويتفطن لها أولو البصائر.

(ولو شئت لاهديت الطريق إلى لباب هذا القمح): لباب كل شيء: خلاصته[4] ونقاوته، وأراد خلاصة البر ومخ الحنطة.

(ومصفى هذا العسل): وأعلا هذه الأعسال عندكم.

(ونسائج هذا[5] القز): والثياب الغالية المنسوجة من القز، يريد أعلا الإبريسم من الديباج وغيره.

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾[الأنبياء:١٠٣].
(٢) في شرح النهج: المزلق، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٣) في (ب): في غاية الثبوت والرسوخ والاستقامة.
(٤) في (أ): خاصته.
(٥) في (ب): هذه.

(ولكن هيهات): هيهات: اسم من أسماء الأفعال دال على الخبر، والغرض منه بَعُدَ ذلك، ولكن هذه الاستدراك[1] عما ذكره من قبل، والمعنى بَعُدَ الإيثار مني لهذه الأشياء.

(أن يغلبني هواي): فأكون منقاداً له.

(ويقودني جشعي): الجشع بالجيم هو: الحرص، وأراد أني غير مغلوب للهوى، ولا سلس القياد للحرص.

(إلى تخيّر الأطعمة): انتقاء أطيبها، وأعلاها فآكله، وأغتنم قضمه.

(ولعل بالحجاز أو اليمامة[2]): اليمامة: اسم لجارية كانت تبصر على مسافة ثلاثة أيام، يقال لها: الزرقاء، يقال: أبصر من زرقاء اليمامة، واليمامة: قرية أيضاً[3]، وكانت تسمى الجو فسميت باسم هذه الجارية وغلبت عليها.

(من لا طمع له في القرص): لشدة الفقر والحاجة.

(ولا عهد له بالشبع): لا يكاد يذكر الشبع، ولا يخطر بباله لقلته وندوره.

(أو أبيت مبطاناً): البطنة: هي الامتلاء من العيش، وفي الحديث: «البطنة تذهب الفطنة»[4] والمبطان: وصف للمبالغة، وهو: كثير الشبع.

---

(١) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: للاستدراك.

(٢) في شرح النهج: أو باليمامة.

(٣) وهي دون المدينة في وسط الشرق عن مكة على ستة عشر مرحلة من البصرة وعن الكوفة نحوها. (وانظر القاموس المحيط ص١٥١٤).

(٤) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣٢٣/٤ إلى كشف الخفاء ٣٣٩/١، والأسرار المرفوعة لعلي القاري ١٥٣.

(وحولي بطون غرثى): الغرث: الجوع.

(وبطون[1] حرى): رجل حران وامرأة حرى أي عطشى، والحِرة بالكسر: العطش، ومنه المثل: أشد العطش حرة على قرة، إذا عطش في يوم بارد.

(أو أن أكون كما قال القائل):

وحسبك داءٌ[2] أن تبيت ببطنة ... وحولك أكباد تحنُّ إلى القدِّ

ولنذكر إعرابه وموضع الشاهد منه.

أما إعرابه فهو ظاهر:

أن: في موضع رفع خبر لحسبك[3]، وداءً: نصب على التمييز، وإن رفعت داء على أنه خبر لحسبك، وأن في موضع رفع عطف بيان على داء أو بدل منه.

---

(١) في (ب): وأكباد حرى، و في شرح النهج: أو أكباد حرى.

(٢) في شرح النهج: وحسبك عاراً، والبيت ينسب لحاتم الطائي(انظر شرح النهج لابن أبي الحديد٢٨٨/١٦)، وهو من أبيات وأولها:

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ... ويا ابنة ذي الجدين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلاً فإني لست آكله وحدي

قصياً بعيداً أو قريباً فإنني ... أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

كفى بك عاراً أن تبيت ببطنة ... وحولك أكباد تحن إلى القد

وإني لعبد الضيف ما دام نازلاً ... وما من خلالي غيرها شيمة العبد

(راجع المصدر المذكور).

(٣) في (أ): بحسبك.

والقدُّ: جلد تحرقه العرب في الجدب، ويستفون رماده.

وأما موضع الشاهد منه: فإنما أورده تمثلاً به لما له في حالته التي هو عليها من المناسبة والملائمة في الإيثار على نفسه، والمواساة لغيره.

(أأقنع من نفسي بأن يقال: أمير المؤمنين): استفهام فيه معنى التعجب، والمعنى في هذا كيف يطلق عليَّ هذا اللقب، ويضاف إليَّ هذا الاسم، وأتسمى بإمرة المؤمنين والرئاسة لهم، ويأمر رسول الله بتلقيبي[1] به[2]، وكيف أنال هذه الحالة، وأترقى إلى هذه الدرجة العالية.

(ولا أشاركهم في مكاره الدهر): يعني وأنا غير مشارك لهم فيما يأتي به الدهر من الحوادث المكروهة، والجملة[3] السلبية في موضع نصب على الحال من الضمير في أقنع، والمعنى أقنع غير مشارك لهم.

(أو أكون[4] أسوة لهم في جشوبة العيش): الأسوة: ما يتأسى به الحزين ويتعزى به، والجشوبة: غلظ العيش وجرزه، والمعنى في هذا كله أني لا أكون أمير المؤمنين وراعياً لهم، ولا يصدق عليَّ إطلاق هذا اللقب إلا مع مشاركتهم في المكاره، والتأسي بهم في غلظ العيش وجشوبته.

(فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات): لأن أكون مشتغلاً بالمأكولات الطيبة، أخضمها وأقضمها وأن أكون:

---

(١) في (ب): بتلقيني.

(٢) أخرج الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١/١٤١ بسنده عن بريدة الأسلمي قال: ((أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن نسلم على علي بن أبي طالب (عليه السلام) بيا أمير المؤمنين)).

(٣) في (أ): والجملية.

(٤) في (ب): وأن أكون.

(كالبهيمة المربوطة همها علفها): لا هم لها سوى أكل ما يؤتى لها به من العلف حيث كانت مربوطة غير مرسلة.

(أو المرسلة): حبلها على غاربها من غير ربط.

(شغلها تقممها): التقمم: جمع البهيمة للمرعى والنبات بمقمتها وهي: شفتها.

سؤال؛ أراه قال في المربوطة: همها علفها، وقال في المرسلة: شغلها تقممها؟

وجوابه؛ هو أنها إذا كانت مربوطة فلا شغل لها تشتغل به، وإنما غايتها هو الهم لما تأكله ولما يوضع بين يديها من الأعلاف والحشائش، فأما إذا كانت مرسلة فهي مشتغلة لا محالة بإصلاح حالها فيما تجده، وتهتدي إليه من رزقها وتأخذه بمقمتها، وتستولي على إحرازه بها.

(تكترش من أعلافها): أي تجمع في الكرش، ومن هاهنا للتبعيض، أي تأخذ ما يكفيها من بعض الأعلاف.

(وتلهو): بالأكل وطلب المتاع لها.

(عما يراد بها): من التكاليف العظيمة، وتحصيل الأعباء المهمة.

(أو أترك سدى): عطفاً على قوله: ليشغلني أكل الطيبات، أي أترك مهملاً من غير هم وشغل[1]، كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة:٣٦].

---

(١) في (ب): ولا شغل.

(**أو ألهو عابثاً**[1]): أو أكون مشتغلاً باللهو من غير حاجة وأرب.

(**أو أجر حبل الضلالة**): على غير بصيرة من أمري، ولا طريقة رشد.

(**أو أعتسف طريق المتاهة!**): الاعتساف هو: الأخذ على غير طريق، والمتاهة: هو التحير، والمتاهة: مفعلة من التيه.

(**وكأني بقائلكم يقول**): عند معرفته بحالي وتحققه بسيرتي في ذلك، وعلمه بمأكلي ومشربي.

(**إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب**): في الخشونة، ورقة العيش، وهونه وركته.

(**فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران**): أي حبسه، والقرن: المثل بالكسر، من قولهم: ما يقعدني عنك إلا شغل أي ما يحبسني، وأراد فقد حبسه الهزال والضعف عن أن يقاتل قِرْناً مثله.

(**و منازلة الشجعان**): المنازلة: من النزول، وذلك يكون في الحرب، وهو أن يقتحم كل واحد عن فرسه، ويتجالدون بالسيوف على الأقدام، قال:

ودعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل

(**ألا وإن الشجرة البريّة**): النابتة في البراري.

(**أصلب عوداً**): الصلابة: القوة، وأراد أن عودها صليب ليس دهساً[2].

---

(١) في شرح النهج: أو أهمل عابثاً.

(٢) الدهس: النبت لم يغلب عليه لون الخضرة. (القاموس المحيط ص٧٠٥).

(**والروائع**[1] **الخضرة**): أي والأشجار الرائعة، يريد المعجبة، من قولهم: راعني الشيء أي أعجبني، ومنه الأروع من الرجال، وغرضه أن المخضرة من الأشجار المعجبة التي يبدو لها رونق وطلاوة، ويظهر لها رواء ونضارة.

(**أرق جلوداً**): يريد أنها تتخدش بأدنى مس، ويزول رونقها بأدنى تغير.

(**والنابتات العذية**[2]): يعني والأشجار النابتة بماء المطر دون غيره من الأمواء.

(**أقوى وقوداً**): الوَقود بالفتح هو: ما يوقد من حطب وغيره، والوُقود بالضم هو: المصدر.

(**وأبطأ خموداً**): يريد أن خمودها لا يكاد يذهب؛ لقوتها وصلابة عودها، وأراد من هذا كله بياناً لحاله، وأنه وإن كان على ما ذكر من القوت اليسير وأكل الطعام الخشن، فإن بنية جسمه قوية، وعظامه أقرب إلى الصلابة والشدة، فلا يضرها ذلك، وما ذكر من تنويع الأشجار تمثيل لحاله[3]، وبيان لصفاته في ذلك.

(**وأنا من رسول الله [ﷺ]**[4] **كالصنو من الصنو**[5]): يعني أن منزلته ومكانه من رسول الله مكان الصنو من صنوه في الدنو والمقاربة، فإذا خرج

---

(١) في شرح النهج: والرواتع.

(٢) في (ب): الغذية.

(٣) في (ب): بحاله.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة في (ب).

(٥) في شرح النهج: كالضوء من الضوء.

غصنان من أصل واحد فكل واحد منهما صنو، وأراد أنه هو ورسول الله ﷺ غصنان خرجا من أصل واحد، فهو منه بمنزلة الصنو من صنوه من غير مخالفة، وهذا ظاهر فإن عبد الله وأبا طالب لأب وأم أخوين[1]، ثم إن أبا طالب كفل رسول الله بعد جده عبد المطلب ورباه في حجره[2]، فهو بمنزلة الولد له؛ [لأنه ابن أخيه، ولأنه كفله ورباه فهو بمنزلة الولد له][3]، فلهذا قال أمير المؤمنين: إنه من الرسول بمنزلة الصنو من الصنو يشير إلى ما ذكرناه.

(والذراع من العضد): يريد أن الذراع متصل بالعضد لا حاجز بينهما ولا حائل، وهذا يضرب به المثل في شدة الاتصال.

قالت امرأة من العرب ترقص ولدها:

يا بكر بكرين يا خِلْبَ[4] الكبد ... أصبحت مني كذراع من عضد[5]

(والله لو تظاهرت العرب على قتالي): تظاهروا أي تعاونوا، وصار كل واحد منهم ظهراً للآخر يستند إليه عند الحوادث الكريهة، قال الله تعالى: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[البقرة:85]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً﴾[التوبة:4]، والمظاهرة: المعاونة.

(١) وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران، من بني مخزوم، وقوله: أخوين، هكذا في النسخ بالنصب، وهو خبر لكان واسمها محذوفين والتقدير: كانا أخوين.

(٢) خبر عناية وتربية أبي طالب بن عبد المطلب بعد أبيه عبد المطلب لرسول الله ﷺ مشهور، وانظر المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني ص١١٦-١٢٧، وسيرة ابن هشام ١/١٢٠-١٢٢ تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٤) أي يا قطعة من الكبد، من خلب النبات واستخلبه إذا قطعه.

(٥) أورده ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦/٢٩٠، بدون نسبة لقائله.

(لما وليت عنها): فراراً، وذلة وجبناً.

(ولو أمكنت الفرص من رقابها): الفرص: جمع فرصة وهي: النهزة[1]، يقال: فلان ينتهز الفرص أي يغتنمها ولا تفوته، وأراد أني لو تمكنت من رقابها لاغتنمت فرصها.

(لسارعت إليها): من غير تلبث ولا ترتب[2] في حالها، وأراد بذلك من كان من العرب مرتداً عن الدين أو باغياً[3] عليه، مخالفاً بالفسق والخروج والتمرد.

(وسأجهد في أن أطهر الأرض): أطلب الاجتهاد، ولا أوثر عليه شيئاً حتى أنقي وجه الأرض، وأزيل عنه ما يطخيه[4] ويكدره.

(من هذا الشخص المعكوس): يعني معاوية ومن قال بقوله وذهب إلى مذهبه في المخالفة والبغي، وإنما وصفه بالعكس؛ لأن العكس هو: رد الشيء مقلوباً، فإنه كان في أول حاله في أيام الرسول (عليه السلام) على حالة مستقيمة في الدين، وكان من جملة رواة الحديث، ثم انعكس أمره بعد ذلك بالفسق والبغي والخروج على أمير المؤمنين.

(والجسم المركوس): الركس: القذر، وفي حديث الاستجمار أنه

(١) في (ب): النصرة، وهو تحريف.

(٢) أي: ولا تثبت.

(٣) في (ب): أو باعثاً.

(٤) أي يظلمه ويغطي نوره، ومنه الحديث: ((إن للقلب طخاء كطخاء القمر)) أي ما يغشيه من غيم يغطي نوره. (انظر نهاية ابن الأثير ٣/١١٧).

أوتي بروثة فرمى بها وقال: «إنها ركس»[1]، وأراد الجسم الخبيث من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[المائدة:٤١].

(حتى تخرج المذرة[2] من بين حب الحصيد): المذرة: الحبة الفاسدة، ومنه بيضة مذرة أي فاسدة، والمذر: الفساد والتغير، والحصيد: المحصودمن الزرع وهو الجيد الذي قد حضر استحصاده، وهو البالغ في الجودة، وأراد حتى يتميز الجيد من الردي والصحيح من الفاسد، والإشارة بما قاله من ذلك إلى تطهر الأرض من أهل الزيغ في العقائد، التاركين لأحكام الدين، والماحين لرسومه وأعلامه.

(إليك عني يا دنيا): إليك هذه اسم[3] من أسماء الأفعال في معنى الأمر، أي ارجعي عني وابعدي، كما تقول: إليك زيداً أي خذه، وعندك عمراً أي الزمه، وعني متعلق بما دل عليه إليك من الفعل، كما نصب الظاهر في قولك: عليك زيداً وإليك عمراً.

(فحبلك على غاربك): الغارب: من الجمل ما بين السنام والعنق، يقال: فلان حبله على غاربه، استعارة له من إلقاء خطام البعير على غاربه ليذهب حيث شاء، وقولك: حبلك على غاربك، كلمة كانت العرب يطلّقون بها نساءهم في الجاهلية، والمراد بها اذهبي حيث شئت، ثم شرع في الإسلام الطلاق الصريح، وبقيت هذه كناية إذا نوى بها الطلاق الآن كانت طلاقاً.

---

(١) نهاية ابن الأثير ٢/٢٥٩، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣/٦٠٤.
(٢) في (ب): المذرا، وأشار في هامشها إلى أنه في نسخة: المذرة، و في شرح النهج: المدرة.
(٣) في (ب): إليك هذا الاسم ...إلخ.

(قد انسللت من[1] مخالبك): خلصت وخرجت، والمخالب: جمع مخلب وهو ظُفُرُ البُرْثُن[2] في سباع الوحش كالأسد والنمر، وهو[3] المنقار الذي يخلب به في سباع الطير كالصقر والشاهين، وغير ذلك، فكل واحد منهما مخلب في حقه.

(وأفلت من حبائلك): أفلت بمعنى فلت وتخلص، والحبائل[4]: جمع حبالة وهي الشبكة للصيد.

(واجتنبت الذهاب في مداحضك): جانبت المضي والسير في المزالق، ومنه دحضت رجله إذا زلقت وزلت، أخبريني حين أسألك:

(أين القوم[5] الذين غررتهم): الغرر[6]: المكر والخديعة.

(بمداعيك!): فيه روايتان:

أحدهما: بالياء بنقطتين من أسفلها، وهوجمع مدعاة إلى اللهو واللعب، وسائر أنواع الطرب.

وثانيهما: بمداعبك بالباء بنقطة من أسفلها جمع مدعبة، وهي الدعابة والمزاح، والمعنى فيهما متقارب.

---

(١) في نسخة: عن (هامش في ب).
(٢) وجمعه البراثن وهي من السباع والطير كالأصابع من الإنسان، (وانظر مختار الصحاح ص٤٥).
(٣) هو، سقط من (ب).
(٤) في (أ): والحابل.
(٥) في شرح النهج: القرون، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٦) في (ب): الغر.

(**أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك!**): الفتنة: الاختبار والامتحان، والزخرف: الذهب في الأصل ثم شبه به كل مموه مزور، والمزخرف: المزين، وأراد أن الله تعالى جعلها في حقهم بلوى واختباراً لهم وامتحاناً، فكان سبباً[1] للضلال والهلاك.

(**هاهم**): ها هذه للتنبيه، مثلها في قولك: هاذاك، كما[2] قال تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[يوسف:٣١]، والضمير هاهنا[3] منفصل راجع إلى من[4] تقدم من القرون والأمم.

(**رهائن القبور**): موثقين بأعمالهم لا يفك رهنهم إلا بأدائها كاملة [عند الله تعالى][5].

(**ومضامين اللحود**): قد ألصقوا إليها.

(**والله لو كنت شخصاً مرئياً**): شبحاً يرى ويدرك بالحاسة الناظرة.

(**أو قالباً حسيّاً**): القالب بالفتح: ما يطبع على مثاله وحذوه، ومنه قالب النعل، وأراد أنك لو كنت مما يحتذى على مثاله ويحسه الراؤون له.

(**لأقمت حدود الله عليك**): أراد بالحد التعزير والأدب؛ لأن من[6] يَغُرُّ ويخدع لا يستحق إلا الأدب والتعزير، ويحتمل أن يكون مراده

(١) في (ب): سبب.
(٢) كما، سقط من (أ).
(٣) في (ب): بها هنا.
(٤) في (ب): ما.
(٥) سقط من (ب).
(٦) في (ب): ما.

الحد بالقتل؛ لأنها لا محالة قاتلة لمن سبق من الأمم، ملقية لهم في المهالك العظيمة والمتالف المردية.

(**في عباد**): من خلق الله.

(**غررتهم بالأماني**): الكاذبة.

(**وأمم**): الأمة: الجماعة من الناس.

(**ألقيتهم في المهاوي**): جمع مهواة وهي: الحفرة العميقة يقع فيها الجاهل بها.

(**وملوك**): من الجبابرة.

(**أسلمتهم**): من الاستسلام وهو: الانقياد.

(**إلى التلف**): إلى الهلاك المتلف.

(**وأوردتهم موارد البلاء**): المورد: الموضع الذي يورد منه الماء، وقد استعاره هاهنا في نقيضه من الهلاك والردى.

(**إذ لا ورد ولا صدر!**): الورد هو: الوصول إلى الماء، والصدر: هو الصدور عنه بالارتواء، وهو هاهنا كناية عن عدم الحيلة في الأمر، يقال: فلان لا يملك في هذا الأمر ورداً ولا صدراً، هذه إذ معمولة لما قبلها من الفعل، وهو قوله: أسلمتهم إلى التلف وقت لا حيلة لهم ولا تصرف.

(**هيهات!**): بَعُدَ ما يرجى منك من الخير وفيك لراحته، وبرهان ذلك وعلامته هو أن:

(**من وطئ دحضك**): الدحض هو: المكان الزلق، وأراد أنه من تمكن

منك، وتوطن في حالك[1].

(زلق): أي زلت به رجله فلم تثبت ولم تستقر.

(ومن ركب لججك): اللجة هو[2]: معظم الماء، وأراد ومن ركب سفن لججك.

(غرق): في بحارك.

(ومن ازور عن حبالك[3]): ازورَّ عن الشيء إذا مال عنه وعدل، وغرضه مال عن الاصطياد بحبالك.

(وفق): للنجاة في أمره وللسعادة في عمله.

(والسالم منك): والذي سلم من خدعك وغرورك، وكان بمعزل عن كذبك وأباطيلك.

(لا يبالي أن ضاق به مُنَاخه): غير ملتفت على[4] ضيق مجلسه، وضنك موضعه، والمناخ: موضع الإناخة، واستعاره لموضع الاستقرار والكون في الأماكن.

(والدنيا عنده): بالإضافة إليه.

(كيوم حان انسلاخه): مثل يوم قد ذهب أكثره، وصار منسلخاً بورود الليل عليه.

(١) في (ب): حلالك، فلعله من المحلة وهو المكان الذي ينزل به.
(٢) في (ب): هي.
(٣) في (ب) وشرح النهج: حبائلك.
(٤) في (ب): عن.

(اغربي عني!): أي تباعدي بالغين المنقوطة والراء المهملة.

وفي بعض النسخ: **(اعزبي)**: بالعين المهملة، والزاي المنقوطة، وهوتصحيف لا وجه له.

(فوالله لا أذل لك): أخضع وأكون في غاية الهوان لك.

(فتستذليني): أي فأكون ذليلاً عندك، ونصبه على أنه جواب للنفي في قوله: لا أذل لك.

(ولا أسلس لك القياد): القياد: الحبل الذي يقاد به الحيوان، وأراد ولا أرخيه لك.

(فتقوديني): به عند إرخائه، ولكن أملكه حذراً[1] من ذلك.

(وايم الله): جمع يمين، وقد مر تفسيره.

(يميناً أستثني فيها[2] بمشيئة الله): إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾[الكهف:٢٣]، وانتصاب يميناً إما على المصدر[3] كأنه قال: أحلف حلفاً، وإما على التمييز أي وايم الله من الأيمان العظيمة، والمعنى فيه: ولا تقولنَّ قولاً من الأقوال كبيراً كان أو صغيراً إلا متلبساً بمشيئة الله تعالى قائلاً فيه: إن شاء الله، فلهذا قال أمير المؤمنين: أستثني بمشيئة الله، يشير إلى هذا الأدب من الله لرسوله ﷺ.

(١) في (ب): حذاراً.
(٢) فيها، زيادة في (ب)، و شرح النهج.
(٣) في (ب): المصدرية.

(**لأروضنَّ**[1] **نفسي رياضة**): لأسوسنَّها سياسة في أكلها وشربها، وقد تقدم رياضتها بالتقوى، فرياضتها في المطعم هو أن:

(**تهش معها**): الضمير للرياضة، وتهش أي ترتاح، من قولهم: فلان يهش إلى سماع الشعر أي يرتاح له.

(**إلى القرص**): الواحد من الخبز.

(**إن قدرت عليه**): بشرط أن تكون قادرة عليه أيضاً.

(**مطعوماً**): أي طعاماً، وانتصابه على التمييز أي مّما تتطعم.

(**وتقنع بالملح**): أي وتكون قانعة بالملح من غير زيادة إن وجدته أيضاً.

(**مأدوماً**): أي إداماً، وانتصابه على الوجه الذي ذكرناه في مطعوماً، ويجوز أن يكونا منصوبين على الحال من القرص وبالملح، أي في حال كون القرص مطعوماً، وفي حال كون الملح مأدوماً به.

(**ولأدعنَّ مقلتي**): المقلة: عبارة عن شحمة العين الجامعة لسوادها وبياضها.

(**كعين ماء**): كالعين التي ينبع منها الماء ويستقر فيها.

(**نضب معينها**): غار ماؤها وذهب، وأراد لأبكينَّ حتى استفرغ دموعي كلها حتى لا أبقي منها شيئاً من خشية الله، وخوفاً من عذابه.

(**مستفرغة دموعها**): استفرغ الإناء إذا أذهب[2] ما فيه وصار فارغاً.

---

(١) في (ب)، و شرح النهج: لأروضنَّ، كما أثبته، وفي (أ): لأروض.
(٢) في (ب): ذهب.

(**أتمتلئ السائمة من رعيها**): السائمة هي: الأنعام التي تهمل على رءوسها[1] من غير راعٍ لها، والرعي هو: النبات المرعي.

(**فتبرك**): للاستراحة عند الشبع، والبروك إنما هو في الإبل خاصة.

(**وتشبع الربيضة**): وهي الغنم، برعائها.

(**من عشبها**): وهو الحشيش.

(**فتربض**): والربوض للغنم والبقر.

(**ويأكل عليٌّ من زاده فيهجع!**): الهجوع: النوم ليلاً، وأراد ويأكل عليٌّ من زاده قرير العين ناعم العيش لذيذ النوم، لا يكدر ذلك مكدر، ولا ينغصه منغص.

(**قرَّت إذاً عينه**): عما يسوءها ويزيل لذتها.

(**إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة**): إذا كان متابعاً بعد تكرير السنين والأيام على الرياضة للنفس، وتأديبها على التقوى.

(**بالبهيمة الهاملة**): وهي المرسلة لترعى ليلاً ونهاراً من غير راعٍ[2] لها، ولا حافظ يكلأها[3] ويحفظها.

(**والسائمة المرعية!**): والتي هي غير معلوفة.

(**طوبى**): من الطيب كالكوسى من الكيس، لكن قلبت ياؤها واواً لانضمام ما قبلها، وهي فعلى بضم الفاء، وأراد الطيب حاصل.

---

(١) في (ب): رأسها.
(٢) في (أ): راعي.
(٣) في (ب): يكلأوها.

(لنفس أدت إلى ربها فرضها): أوصلت إليه ما افترض عليها على الوجه الذي افترضه عليها، وفعلته فعلاً مطابقاً مرضياً.

(وعركت بجنبها بؤسها): البؤس: الضر والشدة يقال: بئس الرجل يبئس بؤساً إذا اشتدت حاجته وفقره، وأراد وقلبت[1] جنبها في المضرة والحاجة تقرباً إلى الله تعالى، وطلباً لثوابه وفوزاً برضاه.

(وهجرت في الليل غمضها): الغمض: قلة النوم، وأراد أزالت نومها في عبادة الله وقياماً بحقه، وداومت على ذلك.

(حتى إذا غلب الكرى): يريد النوم.

(عليها): غشيها واستولى بجنده على حواسها.

(افترشت أرضها): يشير إلى أن الأرض صارت مهاداً لها من غير توطئة فراش، ولا تقرير قاعدة للنوم.

(وتوسدت كفها): لا وساد لها سواها، وغرضه من هذا كله خفة الحال وعدم الرفاهية عند النوم، وفي الحديث: «أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان له فراش من أدم حشوه ليف، طوله ذراعان، وعرضه ذراع وشبر أو نحوه»[2].

(في معشر): جماعة من الناس.

(أسهر عيونهم): أذهب نومها وأزال هجودها.

---

(١) في (ب): قلبت، بغير الواو.

(٢) روى قريباً منه الإمام الموفق بالله (عليه السلام) في الاعتبار ص١١٧ برقم (٧٤) عن أنس قال: دخلت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو في عباءة يهنأ بعيراً له ورداءه (صلى الله عليه وآله وسلم) أربع أذرع وشبر في ذراع، وضجاعه من أدم حشوه ليف.

(ذكر[1] معادهم): ما يذكرون من أمر القيامة، وذكر العودة إلى الله تعالى.

(وتجافت جنوبهم عن مضاجعهم[2]): التجافي هو: الارتفاع والتنحي عنها، أعني المضاجع، وهي[3] الفرش ومواضع الاستراحة للنوم، وفي الحديث: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء منادٍ ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، ثم يرجع فينادي: ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل»[4].

وعن أنس بن مالك أن ناساً كانوا من أصحاب رسول الله يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة، [فنزلت فيهم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[السجدة:١٦]، وقيل: هم الذين يصلون صلاة العشاء الآخرة][5] لا ينامون عنها[6].

(وهمهمت بذكر ربهم شفاههم): الهمهمة: تردد الصوت في الصدر.

---

(١) في نسخة وشرح النهج: خوف.

(٢) في شرح النهج: وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم.

(٣) في (ب): وهو.

(٤) رواه العلامة الزمخشري رحمه الله في الكشاف ٥١٨/٣-٥١٩ من حديث وبقيته بعد قوله: ((وهم قليل)). ((ثم يرجع فينادي: فليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء، فيقومون وهم قليل، فيسرحون جميعاً إلى الجنة، ثم يحاسب سائر الناس))، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢٩١/١ إلى تفسير ابن كثير ٧٥/٦، ٣٦٦، والمطالب العالية لابن حجر رقم(٤٦٢٧).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٦) الكشاف ٥١٩/٣.

(وتقشعت بطول الاستغفار[1] ذنوبهم[2]): قشع السحاب وانقشع إذا زال وتفرق، وأراد أن الله تعالى أزال عنهم الذنوب وقشعها بما كان من جهتهم من العناية، والاستغفار لربهم والتضرع إليه.

(١) في (ب) وشرح النهج: استغفارهم.

(٢) بعده في شرح النهج: ((﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفف أقراصك، ليكون من النار خلاصك)).

(٤٦) ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

(أما بعد، فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين): أطلب تكون ظهراً لي، وأستند إليه على إقامة حدود الله، وتأدية واجباته والقيام بفروضه.

(وأقمع به): قمعه إذا ردَّه وكفَّه عما أراد.

(نخوة): العظمة والتكبر.

(الأثيم): كثير الآثام.

(وأسد به أفواه الثغر المخوفة[1]): الثغر هو: موضع المخافة من فروج المدينة والبلدان، والسد للأفواه من الثغور من باب الاستعارة.

(فاستعن بالله): اطلب منه الإعانة.

(على ما أهمك): من أمور الدين والدنيا.

(واخلط الشدة بضغث من اللين): الضغث: الحزمة الصغيرة من حطب أو حشيش، وفي المثل: إنها لضغث على إبَّالة[2]، قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ﴾[ص:٤٤]، وأراد تأديبه في سيرته بأن يمزج بين لين

(١) في شرح النهج: وأسد به لهاة الثغر المخوف.

(٢) الإبالة: الحزمة من الحشيش والحطب. (وانظر لسان العرب١ /٨).

الأخلاق وشدتها، ولقد أحسن من قال:

ولا خير في حلم إذا لم تكن لـه   بوادر تحمي صفوه إن يُكَدَّرا[1]

(وارفق ما كان الرفق أرفق): يريد أن الرفق إنما يستحسن في مواضع يدريها العاقل، ويتفطن لها الذكي.

(واعتزم بالشدة حين[2] لا تغني عنك إلا الشدة): عزمت على الشيء واعتزمت عليه إذا قطعت على فعله، وأراد اعتمد على فعل الشدة في المواضع التي لا يقوم غيرها مقامها.

(واخفض للرعية جناحك[3]): أي ضعه عن الارتفاع، من خفض الطائر جناحه إذا كسره للوقوع.

(وألِنْ لهم جنابك[4]): الجناب هو: الجانب، وغرضه سعة الخاطر واحتمال الأذى عنهم.

(اس[5] بينهم في اللحظة والنظرة): اللحظة هي[6]: النظرة بمؤخر العين، والنظرة هي: المرة من المقابلة.

(والإشارة): بيدك وعينك، وغير ذلك مما يفهم منه.

---

(١) لسان العرب ١/١٧٤ ونسبه للنابغة.

(٢) في (ب): حيث.

(٣) بعده في شرح النهج: وابسط لهم وجهك.

(٤) في نسخة وفي شرح النهج: جانبك.

(٥) في (ب) وشرح النهج: وآس.

(٦) في (ب): هو.

(والتحية): أي ولتكن التحية مستوية بينهم من جهتك[1]، كل هذا تفعله معهم:

(كيلا[2] يطمع العظماء في حيفك): في أن تميل معهم.

(ولا ييأس الضعفاء من عدلك): ينقطع رجاؤهم، والمعنى في هذا هو أنه إذا ساوى بينهم فيما ذكر عرف العظماء حقهم، فلا يطمعوا من جهتك بالحيف معهم وإعطائهم أكثر من حقهم، ولا ييأس أهل المسكنة من[3] أن تعدل بينهم فتنقصهم عن حقهم، وقد تقدم هذا في خطبة قد ذكرت.

---

(١) من جهتك، سقط من (ب).

(٢) في نسخة وشرح النهج: حتى لا.

(٣) في (ب): بين.

(٤٧) ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن مُلجَم لعنه الله وأخزاه

[بسم الله الرحمن الرحيم][١]

(**أوصيكما بتقوى الله**): المراقبة بالإتيان بأوامره، والانكفاف عن مناهيه، وحقيقتها آيلة إلى أنه لا يفقدك حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك.

(**وألاّ تبغيا[٢] الدنيا**): تطلباها، وترغبا في تحصيلها، وجمعها وادّخارها.

(**وإن بغتكما**): طلبتكما وأرادتكما، فإن طلبكما لها شغل وغرور، وطلبها لكما مكر وبور.

(**ولا تأسفا على شيء منها**): يشتد حزنكما على أمر من الأمور منها.

(**زوي عنكما**): قبض وأخفي لمصلحة لا تعلمانها.

(**وقولا بالحق**): في تعلق الباء وجهان:

أحدهما: أن تكون للآلة كما تقول: كتبت بالقلم، ونجرت بالقَدُوْم،

(١) زيادة في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) في (ب): ولا تبغيا.

وأراد أن يكون الحق آلة في قولهما، حتى لا يمكنهما القول إلا به، كما لا يمكن الكتابة إلا بالقلم.

وثانيهما: أن تكون للحال، ويكون المعنى وقولا ملتبسين[١] بالحق في جميع أحوالكما كلها.

(**واعملا للأجر**): أي من أجل الأجر، ولا يكون عملكما رياء ولا سمعة، ولا مخالفاً[٢] لمراد الله وثوابه.

وفي نسخة أخرى: (**واعملا للآخرة**): أي من أجل الآخرة وثوابها ونعيمها، كما قال تعالى: **﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ﴾**[الأحزاب:٢٩].

(**وكونا للظالم خصيماً[٣]**): أي ذوي خصام وإنكار، ورداً له عما هو فيه من الظلم.

(**وللمظلوم عوناً**): أي ذوي عون له على أخذ حقه وإيصاله إليه.

سؤال؛ القياس في قوله: خصيماً وعوناً التثنية لكونهما خبرين عن مثنى، فأراه ترك تثنيتهما هاهنا؟

وجوابه: أما قوله: عوناً؛ فلأنه مصدر، وهو على حذف مضاف، أي ذوي عون، كما تقول: الزيدان رضى والعمران زور، وأما قوله: خصيماً فإنما ترك التثنية فيه؛ لأن فعيلاً وفعولاً مما يستوي فيه الواحد والاثنان

(١) في (ب): متلبسين.

(٢) في (ب): ولا مخالفة.

(٣) في شرح النهج وفي نسخة أخرى: خصماً.

والجمع فيه، قال الله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[ق:١٧]، وقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[التحريم:٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:١٦].

(**أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي**): ممن يتوجه عليَّ نصحه، وتجب عليَّ موعظته، وتعريفه بما يجب عليه، من ولد وأهل والإخوان من المسلمين الذين يسمعون كلامي ويبلغهم كتابي هذا.

(**بتقوى الله ونظم أموركم**): انتظامها وجمع الشمل فيها.

(**وصلاح ذات بينكم**): أحوال ما بينكم من المعاملات في المعاوضة والأمانات، وإيفاء الحقوق، والألفة والمحبة والقيام بطاعة الله تعالى في كل الأحوال.

(**فإني سمعت جدكما ﷺ يقول: «إصلاح[1] ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»**)[2]: وإنما كان ذلك لأمرين:

أما أولاً: فلأن في إصلاح ذات البين إصلاح القلوب والسرائر، ومتى صلحت كانت هذه الأعمال البدنية أقرب إلى الصلاح والسداد.

---

(١) في نسخة وشرح النهج: صلاح.

(٢) أخرجه الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص١٢٨ رقم(٩٨) بسنده عن عبد الله بن جندب عن أبيه، وهو فيه من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله، والحديث بلفظ: ((إن صلاح ذات البين أفضل من الصلاة والصيام)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣/٣٤٤ وعزاه إلى البداية والنهاية لابن كثير ٧/٣٢٨، وأخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص٣٢٥ بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي (عليهم السلام)، من وصية أمير المؤمنين أيضاً. (وانظر تخريجه فيه).

وأما ثانياً: فلأن ذات البين عبارة[1] عمَّا ذكرناه من معاملات الخلق فيما بينهم، وما ذكره من الصلاة والصيام معاملة فيما بينهم وبين الخالق، وما هذا حاله فالأمر فيه أخف والحال فيه أسهل، فلأجل هذا كان إصلاح ذات البين أفضل لما ذكرناه.

(**الله الله في الأيتام فلا تُغبُّوا أفواههم**): الغب: أن ترد الإبل الماء يوماً وتدعه يوماً.

قال الكسائي: أغببت القوم إذا جئتهم يوماً وتركت يوماً[2]، وعن هذا يقال: زر غباً تزدد حباً، يريدون أنه في الزيارة في كل أسبوع يوماً، وأراد هاهنا إطعامهم كل يوم.

(**ولا يضيعوا بحضرتكم**): أي وأنتم حاضرون، لا يقع في حقهم تسهيل.

(**الله الله في جيرانكم**): والجار هو: من يكون بالقرب[3] من دارك.

وحد ذلك: ما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله) فإنه أمر منادياً ينادي على باب المسجد: «ألا إن أربعين داراً جار، أربعون هكذا، وأربعون هكذا، وأومئ إلى أربع جهات»[4]، وفي الحديث: «الجيران ثلاثة، : فجار له حقوق ثلاثة: وهو الجار المسلم ذو الرحم، وجار له حقان: وهو الجار

---

(١) عبارة، سقط من (ب).

(٢) لسان العرب ٢/٩٥١.

(٣) في (ب): في القرب.

(٤) ورد منه قوله: ((إن أربعين داراً جار)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف٣/٣١ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٦/٣٠٦، والمعجم الكبير للطبراني١٩/٧٣، وانظر تصفية القلوب للمؤلف (عليه السلام) ص٤٠٤.

المسلم، وجار له حق واحد، وهو الجار المشرك، فله حق الجيرة لا غير»[1].

(**فإنهم وصية نبيكم**): يشير إلى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمنَّ جاره»[2]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا رميت كلب جارك فقد آذيته».

(**ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه يورثهم**[3]): كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[4]، وفي الحديث: «لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه»[5].

---

(١) الحديث بلفظ: ((الجيران ثلاثة: فجار له حق، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فصاحب الواحد جار مشرك لا رحم له، فحقه حق الجوار، وصاحب الحقين جار مسلم لا رحم له، وصاحب الثلاثة جار مسلم ذو رحم، وأدنى حق الجوار ألا تؤذي جارك بقتار قدرك، إلا أن تقتدح له منها))، رواه مرفوعاً ابن أبي الحديد في شرح النهج١٧/١٠-١١ من رواية جابر، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥١٦/٤، وتصفية القلوب للمؤلف ص٤٠٣.

(٢) رواه في مسند شمس الأخبار ١٧٦/٢ في الباب (١٤٣)، عن أنس (وانظر تخريجه فيه)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٨/١٧، وللحديث مصادر جمة انظرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٠٦/٨.

(٣) في (ب) وشرح النهج: أنه سيورثهم.

(٤) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٨/١٧ من حديث عن عبد الله بن عمر، وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص٤٦٥ رقم(٦١٨) بسنده عن أبي أمامة، واللفظ في أوله: ((لم يزل جبريل ...)) الحديث، ورواه القاضي العلامة علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار ١٧٥/٢ الباب (١٤٣) عن أبي أمامة (انظر تخريجه فيه)، وللحديث مصادر كثيرة انظرها في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف١٤٢/٩.

(٥) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣١٥/٧ إلى مجمع الزوائد للهيثمي ٧٥/٨، وإتحاف السادة المتقين ٣٠٦/٦، والترغيب والترهيب للمنذري ٥٨٤/١، وللحديث شاهد بلفظ: ((والذي نفسي بيده لا يسلم العبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ويأمن جاره بوائقه)) قالوا: يا رسول الله، وما بوائقه؟ قال: ((غشمه وظلمه)) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج١٨/١٧ عن ابن مسعود مرفوعاً، وهو بلفظ: ((الرجل لا يكون مؤمناً حتى يؤمن =

(**الله**[1] **الله في القرآن**): يريد في إقامة حقه وتلاوته حق تلاوته، وتعظيمه، ورفع منزلته.

(**لا يسبقكم إلى العمل به غيركم**): أراد أن تكونوا أول من دعا إلى امتثال أوامره والانكفاف عن مناهيه، والانزجار بوعيداته كلها، والعمل بمقتضياته.

(**الله**[2] **الله في الصلاة**): في المحافظة على أوقاتها والحث عليها وإتمام ركوعها وسجودها، وتمام هيئتها، وفي الحديث: «مثل الذي لا يتم صلاته كمثل الحامل حملت حتى إذا دنا نفاسها أملصت[3]، فلا هي ذات حمل، ولا هي ذات ولد»[4]، وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[الماعون:٤-٥]، يريد أنهم ينقرونها نقراً من غير خشوع ولا إخبات، ولا استيفاء أركان، يعبث أحدهم بلحيته، ويكثر التثاؤب[5] والالتفات يمنة ويسرة، ولا يخطر على باله تعظيم من يناجيه، ويقوم بين يديه.

جاره بوائقه» رواه من حديث في مسند شمس الأخبار ١٧٦/٢ (وانظر تخريجه فيه)، ورواه الإمام أحمد بن سليمان (عليه السلام) في أصول الأحكام من باب ما تضمن به النفس بلفظ «لا يكون الرجل مؤمناً حتى يأمن جاره بوائقه».

(١) في شرح النهج: والله الله، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) في شرح النهج: والله الله، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(٣) أملصت أي أسقطت.

(٤) الحديث بلفظ: ((يا علي، مثل الذي لا يتم صلاته كحبلى حبلت، فلما دنا نفاسها أسقطت، فلا هي ذات حمل، ولا هي ذات ولد))، أخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص٣٠٨ رقم(٢٩٥) بسنده عن علي (عليه السلام)، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣٦٣/٩، ٢٠٠/١٠، وكما في أمالي أبي طالب أخرجه الإمام أحمد بن عيسى في أماليه ص١٠٤ بسنده عن علي (عليه السلام).

(٥) تثاءب وتثأب: أصابه كسل وفترة كفترة النعاس. (القاموس المحيط ص٧٩).

(فإنها عمود دينكم): يشير إلى قوله صلى الله عليه وآله: «الصلاة عماد الدين، فمن هدمها فقد هدم الدين»، وفي حديث آخر: «لا خير في دين لا صلاة فيه».

(الله الله في بيت ربكم): يريد الكعبة وكل مسجد فهو بيت الله، ولكنها أشرفها وأعظمها، ولهذا جعلت مثابة للناس وأمناً، ومطافاً للخلق يطوفون حولها تعظيماً لحالها، وتشريفاً لقدرها.

(لا تخلوه ما بقيتم): عن الحج والاعتمار، والتطوف حوله.

(فإنه إن ترك): عن القصد إليه وتعظيمه بالحج والقيام بالمناسك كلها.

(لم تناظروا): في الهلاك وإنزال العذاب عليكم، وفي الحديث: «إذا ترك هذا البيت أن يؤم لم[1] يناظروا»[2].

(والله الله في الجهاد): الجهد هو: الطاقة، وأراد إبلاغ الطاقة وبذل الوسع في حق الله تعالى.

(بأموالكم): إنفاقها بالصدقات لوجه الله تعالى، أو في إعزاز دين الله بذلها في الجهاد.

---

(١) في (ب): لما تناظروا.

(٢) هو جزء من حديث أخرجه الإمام زيد بن علي عليهما السلام في المجموع الحديثي والفقهي ص٩٠ برقم (٦٨) بسنده عن أبيه عن جده، عن علي (ع) قال: قال رسول الله (ص): ((لا تزال أمتي يكف عنها البلاء ما لم يظهروا خصالاً: عملاً بالربا، وإظهار الرشا، وقطع الأرحام، وقطع الصلاة في جماعة، وترك هذا البيت أن يؤم، فإذا ترك هذا البيت أن يؤم لم يناظروا))، وأخرج هذا الحديث بلفظه الإمام أبو طالب في أماليه ص٥٥٦ برقم (٧٧٩) بسنده عن أبي خالد الواسطي رضي الله عنه قال: حدثني زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي (ع)، قال: قال رسول الله (ص)، فذكر الحديث السابق بلفظه.

(وأنفسكم): تعريضها للقتل بسبب أن تكون كلمة الله هي العليا.

(وألسنتكم): بقول الحق، ولا تأخذكم في الله لومة لائم؛ بقول الحق ولو على أنفسكم.

(وعليكم بالتواصل): التواصل: تفاعل من المواصلة بالخير والإحسان، وبذل المعروف واصطناعه.

(والتباذل): من المباذلة، وهو: أن يبذل كل واحد منكم معروفه لأخيه ما كان قادراً عليه.

(وإياكم والتدابر): من المدابرة وهو: التولي والإعراض عن المواساة والإعانة.

(والتقاطع): يقطع كل واحد أخاه عن معروفه وإحسانه.

(لا تتركوا الأمر بالمعروف): الحظ عليه والحث.

(والنهي عن المنكر): المنع منه بكل ممكن تجدون[1] إليه سبيلاً باللسان واليد والقلب، وفي الحديث: «القلب إذا لم ينكر المنكر نكس فجعل[2] أعلاه أسفل»[3] يريد إما أنه يصير بمنزلة من لا قلب له لعدم انتفاعه به،

---

(١) في (ب): بكل ممكن ممن تجدون...إلخ.

(٢) في (ب): فيجعل أعلاه أسفله.

(٣) أخرج مثله من حديث للإمام علي (ع) الإمام زيد بن علي عليهما السلام في المجموع الحديثي والفقهي ص٢٧٥ برقم (٦٦٨) والحديث فيه بلفظ: حدثني زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي (ع) قال: ((أول ما تغلبون عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأيديكم ثم بألسنتكم، ثم بقلوبكم، فإذا لم ينكر القلب المنكر وتعرّف المعروف نكس فجعل أعلاه أسفله)).

وإما أن يريد أن الله تعالى يخذله، فمن أجل خذلانه ينقلب حاله في ذلك، فيصير منكراً للمعروف[1] معترفاً بالمنكر مبالغة في ذلك وزيادة فيه.

(فيُوَلَّى عليكم شراركم): فَيُوَلَّى إما منصوب؛ لأنه جواب النهي بالفاء، وإما مرفوع على الاستئناف[2] فهو يولي، وغرضه أن الله يسلِّط عليكم شراركم بالقهر والاستيلاء عليكم، والضيم.

(ثم تدعون): بعد ذلك لكشف ما أنتم فيه من البلاء والضر.

(فلا يستجاب لكم): عقوبة على فعلكم ومكافأة على ما ضيعتموه من تضييع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

(يا بني عبد المطلب): تشهير وإعلان بحالهم.

(لا ألفينَّكم): ألفاه إذا وجده، قال الشاعر:

فألفيتـــه غـــير مســـتعتب ولا ذاكـــر الله إلا قليـــلا[3]

(تخوضون دماء المسلمين): تقتلون الجاني وغير الجاني.

(خوضاً): تأكيد ومبالغة في شأنهم في ذلك.

(تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين): يريد تسفكون دماء المسلمين على غير وجهها، وتعتذرون بقتلي، يريد أن الغيظ والحنق والتشفي تحمل على الزيادة في القتل في أقارب القاتل وأهله، حتى لا يبقى

(١) في (ب): فصير منكر المعروف ومعترفاً بالمنكر.
(٢) في (ب): الاستثناء، وهو خطأ.
(٣) لسان العرب ٦٧٥/٢، ونسبه لأبي الأسود الدؤلي.

منهم مخبر، وهذه كانت عادة العرب قديماً وحديثاً، إذا قتل منهم رئيس المبالغة في قتل قاتله، وإهدار دماء أهله وأقاربه كما كان في قتل بني بكر لكليب، وما فعله فيهم أخوه، فأراد (عليه السلام) النهي عن ذلك والكف عنه بقوله:

(ألا لا يقتلنَّ[1] بي إلا قاتلي): من غير زيادة في ذلك كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾[البقرة:١٧٨]، وكيف لا يكون ذلك وهو الذي شرع أمثلة العدل ليحتذى عليها وأوضح مسالك الحق ليهتدى إليها.

سؤال؛ أراه قال: (يا بني عبد المطلب) هاهنا، ولم يقل: يا بني هاشم، مع كون هاشم أجمع لكثير من بطون قريش؟

وجوابه؛ هو أن غرضه هاهنا ذكر من يعنيهم القتل، ويلحقهم عاره ويتعلق بهم ثأره، فلا جرم ذكر بني[2] عبد المطلب لما كانوا أقرب رحماً وأكثر تلاصقاً بالرحم الماسة والقرابة الخاصة.

(انظروا إذا أنا مت): تفكروا في الأمر بعد موتي.

(من ضربته هذه): يحكى أن أمير المؤمنين خرج ليلة لتهجده فضربه ابن ملجم[3] الملعون على قرنه، فجاءه الطبيب فأدخل رية على رأس المجس فخرج دماغه على رأس المجس، فقال الطبيب: يا أمير المؤمنين،

(١) في شرح النهج: ألا لا تقتلن.
(٢) بني، سقط من (أ).
(٣) ابن ملجم، سقط من (أ).

اعهد عهدك؟ فإن عدو الله قد بلغ[1]، يريد أنه قد بلغ فيك[2] مبلغه في إنفاد روحك وإهراقه.

(فاضربوه ضربة بضربة): يشير إلى المماثلة في القصاص من غير زيادة في ذلك.

(ولا يمثل[3] بالرجل): في القتل.

وروى ما سمعه عن رسول الله [ﷺ][4] أنه قال: ((**إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور**))[5].

ويحكى أنه (عليه السلام) لما رأى عمه حمزة قد مُثِّلَ به يوم أحد، فرآه مبقور[6] البطن قد أُكِلتْ كبده، فقال: ((أما[7] والذي أحلف به

(١) الرواية في أمالي أبي طالب ص ١٢٧-١٢٨ برقم (١٠٠) بسنده عن عمر بن تميم وعمرو بن بكار واللفظ فيها: أن علياً (عليه السلام) لما ضرب جمع له أطباء أهل الكوفة فلم يكن فيهم أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هاني السكوني، وكان متطبباً صاحب كرسي يعالج الجراحات، وكان من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في بيعة عين التمر فسباهم، وأن أثير لما نظر جرح أمير المؤمنين (عليه السلام) دعا برية شاة حارة، فاستخرج عرقاً منها فأدخله في الجرح ثم استخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك، فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك. انتهى. وانظر الروضة الندية ص٢٢٧.

(٢) فيك، سقط من (أ).

(٣) في شرح النهج: ولا تمثلوا.

(٤) زيادة في (ب).

(٥) لفظ الجملة من أولها في شرح النهج: (فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور)).

(٦) في (ب): منقور.

(٧) أما، سقط من (ب).

لئن أظفرني الله بهم لأمثلنَّ بسبعين فنزلت الآية: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ....﴾ إلى آخرها[النحل:١٢٦]))[1].

سؤال: كيف جاز قتل الحسن بن علي[2] لابن ملجم لعنه الله قصاصاً، ولأمير المؤمنين يومئذٍ أولاد صغار، ومذهبكم أنه لا يجوز استيفاء القصاص إلا إذا كبروا؟

وجوابه عند أصحابنا من وجهين:

أما أولا: فلأنه حكموا بردته؛ بقول الرسول (عليه السلام): ((أشقى الأولين عاقر ناقة ثمود، وأشقى الآخرين قاتلك يا علي))[3] وأشقى الناس لا يكون إلا كافراً.

وأما ثانياً: فلأنه كان ساعياً في الأرض بالفساد، ولافساد أعظم من قتل أمير المؤمنين، فقتله عندهم إنما كان من جهة هذين الوجهين، لا بالقصاص، والظاهر من كلام أميرالمؤمنين أنه فاسق وليس[4] كافراً، وأن قتله إنما كان على جهة القصاص لا غير.

(١) أخرج نحوه المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٨٧/٢ بسنده يبلغ به إلى ابن عباس قال: لما رأى رسول الله ﷺ ما فعل بحمزة رضوان الله عليه يوم أحد قال: ((لئن أمكنني الله من قريش لأمثلن بسبعين منهم، فنزلت: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ قال: بل نصبر يا رب)) فلم يمثل ونهى ﷺ عن المثلة. انتهى.

(٢) في (ب): كيف جاز للحسن بن علي قتل ابن ملجم لعنه الله.

(٣) الحديث بلفظ: ((أشقى الأولين عاقر الناقة، وأشقى الآخرين الذي يطعنك يا علي)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٤٣/١ وعزاه إلى الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ١ : ٢٣، وللحديث مصادر كثيرة قد سبق ذكر بعضها في تخريج حديث نحوه، وانظر الروضة الندية للبدر الأمير ص٢٢٣-٢٢٥.

(٤) في (ب): أنه فاسق لا كافر.

(٤٨) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

(وإن البغي والزور يوتغان المرء في دينه): الإيتاغ: الإهلاك، يقال: فلان يوتغ دينه بالإثم إذا أهلكه.

(ودنياه): أي وهما يهلكان حاله في الدنيا، ويكدران ما هو عليه، وهذان الوصفان يختصان بمعاوية[١] لما هو عليه من المخالفة لأمير المؤمنين، وتزويره في أقواله وأفعاله.

(ويبديان خلله عند من يعيبه): ويظهران نقصه ومعائبه عند من يريد نقصه.

(وقدعلمت أنك غير مدرك ما قُضي[٢]): يعني وأنت تعلم قطعاً ويقيناً أنك لا تقدر بالتحيل ولا بالقوة ما قدر الله.

(فواته): منك، وقضي بامتناعه عليك، ولا لك قدرة على تحصيله وإيجاده.

(وقد رام أقوام أمراً بغير الحق): يريد طلب قوم ولاية أمر الأمة[٣] بغير حق لهم في ذلك من الله، ولا من جهة رسوله.

(١) في (أ): معاوية.
(٢) في (أ): ما مضى، وما أثبته من (ب)، ومن شرح النهج.
(٣) الأمة، سقط من (ب).

(فتأولوا على الله): أول وتأول بمعنى، وهو: صرف الظاهر إلى غير وجهه لوجه ما، وفيه معنيان:

أحدهما: أن يريد أنهم تأولوا القرآن تصديقاً لما قالوه، كقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾**[النساء:٥٩]، فقالوا لمن نصبوهم: أنتم أولوا الأمر بنص الله.

وثانيهما: أن يكون غرضه أنهم حلفوا[١] على الله تعالى وتحكموا عليه بالأيمان، وفي الحديث: ((من يتألَّ على الله تعالى يكذِّبه))[٢] أي من يقسم على الله متحكماً لم يصدقه فيما حلف عليه، وخيب مأموله.

(فأكذبهم الله): إما على الوجه الأول فبقوله: **﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**[البقرة:١٢٤]، وإما على الثاني فبقوله: ((يكذبه الله)).

(فاحذر يوماً): يريد يوم القيامة.

(يغتبط فيه من حَمِدَ[٣] عاقبة عمله): الغبطة هي: حسن الحال، أي يحسن حال من كانت عاقبة أعماله فيه محمودة من أهل الدين، والصلاح والخير.

(ويندم): فيه.

(من أمكن الشيطان من قياده): من تمكن الشيطان من جذب زمامه.

(فلم يجاذبه): يملكه عليه ويأخذه من يده مخافة أن يملكه عليه.

(١) على هذا الوجه تكون الجملة المشروحة: فتألوا على الله، من التألي وهو الحلف.
(٢) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨/٦١٠ إلى الدر المنثور للسيوطي ٢/٢٢٥، وهو بلفظ: ((من تألَّ على الله أكذبه الله))، رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٧/١٢.
(٣) في شرح النهج: أحمد.

(**وقد دعوتنا إلى حكم القران**): أي بما كان منك من الخديعة والمكر بالدعاء إلى كتاب الله تعالى وحكمه.

(**ولست من أهله**): الضمير إما للقرآن أي لست من أهل القرآن؛ لأن أهله الذين يعملون بأحكامه ويحلون حلاله ويحرمون حرامه، وإما للحكم أي ولست أهلاً لحكمة لمخالفتك له في كل أمورك وأحوالك.

(**ولسنا إياك أجبنا**): بما كان من كفنا للحرب والمقاتلة، واستئصال الشأفة لك.

(**ولكن**[1] **أجبنا القران إلى حكمه**): لما دعينا إليه فأجبناه محتكمين[2] لأمره، واقفين عنده.

(١) في شرح النهج: ولكنا.

(٢) في نسخة: متحكمين (هامش في ب).

(٤٩) ومن كتاب له عليه السلام إلى غيره[1]

(**أما بعد؛ فإن الدنيا مشغلة عن غيرها**): المشغلة هي: الشغل، وأراد أنها ذات شغل عن الآخرة، فمن كان همه الدنيا لاجرم اشتغل بها عن طلب الآخرة، وإرادتها والعمل لها[2].

(**ولم يصب صاحبها منها شيئاً**): من لذاتها ونعيمها.

(**إلا فتحت له حرصاً عليها**): الحرص: أشد الرغبة في الشيء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف:١٠٣].

(**ولهجاً بها**): ولوعاً وكثرته طلباً لها.

(**ولن يستغني صاحبها بما**[3] **نال منها عما لم يبلغه منها**): يعني أن كل ما لم يدركه الإنسان ولا يناله منها فهو مفتقر إليه، وما قد أحرزه منها لا يكفيه عما لم يدركه.

(**ومن وراء ذلك**): ما أدركه وما لم يدركه منها.

(**فراق ما جمع**): من حطامها ومتاعها.

(١) في شرح النهج: ومن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية أيضاً.

(٢) في (ب): بها.

(٣) في شرح النهج: بما نال فيها.

(ونقض ما أبرم): ما أحكمه من أموره وأتقنه بالموت وذهابه عنه، وانقطاعه عن يده وانفلاته عنه.

(ولو اعتبرت بمن مضى): من الأمم الماضية، والقرون الخالية كيف تفرق ما جمعوه، وبطل عنهم ما توهموه، من إخلادهم إلى الدنيا، وانقطاعهم إليها.

(حفظت ما بقي): من عمرك وتداركته في فعل الأعمال الصالحة وإحرازها، أو يريد لو اتعظت بمن مضى؛ لكنت أحفظ على ما بقي في الاتعاظ والانزجار به.

(٥٠) ومن كتاب له [عليه السلام][1] إلى أمرائه على الجيوش

[بسم الله الرحمن الرحيم][2]

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالح): المسالح: جمع مسلحة وهي: الثغر والمرقب، قال الشاعر:

بكل قياد مسنِفة عنود أضرَّبها المسالح والغِوار[3]

والمسنفة: بكسر النون هي: الفرس التي تقدم[4] الخيل في سيرها، وبفتحها: الناقة التي يُشَدُّ عليها بالسِناف وهو: الحبل.

(أما بعد؛ فإن حقاً على الوالي أن لا يغيِّره على رعيته فضل ناله): أراد أن الحق الواجب لله تعالى على من تولى أمر هذه الأمة وتصرف عليهم، أن الله تعالى إذا خصه بفضل وأعطاه كرامة من عنده لم يتغير عمَّا كان عليه قبل ذلك، من التواضع والرفق والنصيحة.

(ولا طَوْلٌ خُصَّ به): أي ولا يغيره ما خصه الله به من الكرم والطَّوْل،

(١) زيادة في شرح النهج.
(٢) زيادة في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٣) لسان العرب ٢/١٧٩ ونسبه لبشر، والغوار بكسر الغين أي كثرة الغارات بها.
(٤) في (أ): الذي يتقدم.

عن أن يزيده ذلك رفقاً وتواضعاً لهم.

(وأن يزيده ما قسم الله له من نعمه): وأن يكون ما أمده الله به من النعم وخوله من العطاء.

(دنوّاً من عباده): قرباً منهم.

(وعطفاً على إخوانه): عوداً عليهم بالمصلحة، ورجوعاً عليهم بالمنفعة، من قولهم: عطفت الناقة على بوِّها[1] إذا رجعت عليه بالإرامة[2].

(ألا وإن لكم عندي): المتوجه من حقكم، والواجب علي لله من أجلكم.

(ألا أحتجز دونكم سراً): أي لا أمنعه بل أفضيه إليكم وأطلعكم عليه.

(إلا في حرب): إلا ما كان مصلحة في تدبير الحرب، ومصالح الجيوش، فإنه لا ينبغي إفضاؤه إلى كل أحد؛ لما في ذلك من المصلحة في الأمر العام وهو الجهاد.

(ولا أطوي دونكم أمراً): أسرُّه، ويكون مطوياً لا يعلم بحاله.

(إلا في حكم): فإن إخفاءه مصلحة لما يرجع إلى الخصومة والتنازع فيها، وفي هذا دلالة على أن الحاكم لا ينبغي منه أن يكون مفتياً، وإنما يحكم في القضية بما أداه إليه رأيه فيها.

---

(١) البوُّ: ولد الناقة ساعة أن تضعه أو إلى أن يفصل عن أمه، وفي (ب): على ولدها.

(٢) رئمت الناقة ولدها ترأمه رأماً ورأماناً عطفت عليه ولزمته، والناقة رؤوم ورائمة ورائم: عاطفة على ولدها، وأرأمها عليه: عطفها فترأمت هي عليه تعطفت، ورأمها ولدها الذي ترأم عليه. (انظر لسان العرب ١/١٠٩١).

(ولا أؤخر لكم حقاً[1] عن محله): محل الدين: أجله، ومحل الهدي: موضعه الذي يُنْحَرُ فيه، وأراد لا أؤخره عن موضعه الذي يستقر فيه.

(ولا أقف به[2] دون منقطعه): يعني ولا أقطعه قبل وقت انقطاعه، وغرضه من هذا كله الوفاء بما يجب الوفاء به من حقوقهم، وإتمامها وإكمالها لهم.

(وأن تكونوا عندي في الحق سواء): لا فضل لأحدكم على الآخر في ذلك، ضعيفاً كان أو قوياً.

(فإذا فعلت ذلك): من نفسي لكم والتزمته.

(وجبت لله عليكم النعمة): بما هداكم إليه من الأحكام، وتعليمكم ما لا تعلمون من سنن من كان قبلكم.

(ولي عليكم الطاعة): بما وفيت به من الحقوق لكم.

(وألاّ تنكصوا عن دعوة): ترجعوا على أعقابكم عند دعائي لكم، وتتأخروا عن مرادي.

(ولا تفرطوا في صلاح): تهاونوا في إصلاح حال تقدرون على إصلاحه وتحققون وجوبه عليكم.

(وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق): الغمرات: جمع غمرة وهي: الماء الكثير، وأراد أنكم تجاوزا في الوصول إلى الحق الأمور الصعبة والأهوال العظيمة.

---

(١) في (ب): أمراً.

(٢) في نسخة: بكم (هامش في ب).

(فإن أنتم لم تستقيموا لي[1] على ذلك): الذي أشرت إليه من امتثال الأمر[2] والمناصحة في كل شيء.

(لم يكن أحد أهون عليَّ ممن اعوجَّ منكم): أراد أنه قد بلغ في الهوان كل غاية من أجل اعوجاجه عن الاستقامة على ما قلته والميل عنه.

(ثم أعظم له العقوبة[3]): التعزير البالغ والإهانة العظيمة، وفي هذا دلالة على جواز التعزير عند مخالفة الإمام لما يأمر به من أوامر الدين ومصالح الشرع.

(ولا يجد عندي فيها رخصة): أي ولا أتركها طلباً للرخصة في ذلك.

(فخذوا هذا من أمرائكم): أي الذي أشرت إليه ممن كان أميراً عليكم فهو حق واجب عليهم لكم.

(وأعطوهم من أنفسكم): ما فرض الله عليكم من طاعتهم، والامتثال لما أمروا به، وهو:

(ما يصلح الله به أمركم[4]): في الدين وجهاد أعداء الإسلام.

(١) لي، زيادة في (ب)، وفي شرح النهج.

(٢) في (ب): الأوامر.

(٣) في (ب): في العقوبة.

(٤) بعده في نسخة وشرح النهج: والسلام.

(٥١) ومن كتاب له عليه السلام إلى عماله على الخراج

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج): والخراج: هو عبارة عما يؤخذ على هذه الأراضي التي تجعل في يدي أهلها على خراج يؤدونه، افتتحها عمر وجعلها على هذه الصفة[1]، وهي سواد العراق، وهي ما بين عُبَّادان إلى الموصل في الطول، وما بين القادسية إلى حلوان في العرض[2]، واستمر ذلك بعد عمر فلم يغيره أمير المؤمنين.

(أما بعد؛ فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه): من الأهوال العظيمة كالموت والقبر والإفضاء إلى القيامة، وغير ذلك من الفجائع.

(لم يقدّم لنفسه ما يحرزها): عن هذه المخافات؛ لأنه إذا كان آمناً لها لم تخطر له على بال ولا هو في شيء منها.

(واعلموا أن ما كلفتم يسير): بالإضافة إلى نعم الله تعالى عليكم، وبالإضافة إلى ما يستحقه من التعظيم.

(وأن ثوابه): الذي جعله الله جزاء عليه.

(كثير): بغير نهاية لا يعلم حاله إلا الله.

(١) انظر عن الخراج وكيفية وضعه الاعتصام ٢/٢٩٣-٢٩٤ للإمام القاسم بن محمد (عليه السلام).

(٢) انظر المصدر السابق ٢/٢٩٤.

(ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف): يريد لو فرضنا فرضاً على جهة التقدير أنه لا يستحق في مقابلة هذه المناهي من البغي والعدوان شيء من العقوبات المخوفة.

(لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه): لكان ما وعد الله على اجتنابه من الثواب العظيم ما لا يعذر أحد في ترك طلبه، فكيف به وقد أوعد عليه هذه العقوبات العظيمة، وفي كلامه هذا دلالة على أن لطلب النفع موقعاً عظيماً في النفوس لا يخفى حاله، وينبغي المواظبة على تحصيله، وتشير إليه العقول، ويدل على أن توقي الضرر أدخل في الاجتناب من طلب النفع لا محالة، ولهذا لو لم[1] يكن في ذلك إلا فوات النفع فكيف بحاله وقد اختص بضرر عظيم لا يقوم له شيء، فهو بالانكفاف لا محالة أحق.

(فأنصفوا الناس): حقوقهم.

(من أنفسكم): وأعطوهم إياها سمحة من جهتكم.

(واصبروا لحوائجهم): أي من أجل قضائها وإنفاذها.

(فإنكم خزان الرعية): تحفظون ما أعطوكم من أموالهم.

(ووكلاء الأمة): يشير إلى العامل على الصدقة هو وكيل صاحب المال، وأمينه على ما دفعه إليه، ولهذا فإن القول هو قوله على ما دفعه إليه.

(وسفراء الأئمة): الذين يختلفون بين الإمام ورعيته، ويسفرون في حوائجهم فيأخذون من الرعية ما أعطوهم، ثم يؤدونه إلى الإمام.

---

(١) لم، سقط من (ب).

(ولا تحسموا أحداً عن حاجته): بالسين منقوطة من أسفلها، أي لا تقطعوه بما يشغله عنها، وفيه رواية أخرى: بالشين المنقوطة من أعلاها[1] أي ولا تغضبوه ولا تؤذوه عن حاجته.

(ولا تحبسوه عن طلبته): الطلبة: ما يطلب، أي ولا تمنعوه عن إدراك مطلوبه وإحرازه.

(ولا تبيعنّ للناس[2] في الخراج): لا تكلفوهم إذا طلبتم منهم الخراج.

(كسوة شتاء): يتوقون به البرد عند شدته.

(ولا صيف): ولا ما يتوقون به الحر عند فورته.

(ولا دابة يعتملون عليها): كالبقر للحرث والزراعة، والإبل للحمل، والدواب التي للاعتمال والاضطراب، فأما ما عدا ذلك من الدواب كالخيل[3] والسوائم، وغير ذلك مما لا مضرة عليهم في بيعه فيؤخذ منه.

(ولا عبداً): للخدمة يضر بصاحبه فقده.

(ولا تضربنّ أحداً سوطاً لمكان درهم): حاصل كلامه هذا أن طلب الخراج فيه سهولة من جهة الشرع ورفاهية لما ذكره من هذه الآداب، وتقرير هذه الوظائف، ولكن إن أعطى صاحب الخراج قُبِلَ منه وإلا فضربه حرام، لا يحل لمكان آدائه .

---

(١) أي: ولا تحشموا.

(٢) في شرح النهج: الناس.

(٣) في (ب): فأما عدا ذلك كالخيل والسوائم ...إلخ.

(ولا تمسنّ مال أحد من الناس): لما ورد عن الرسول: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه»[1].

(مصلٍ ولا معاهد): من أهل الصلاة والإسلام فإنه قد أحرز ماله بإسلامه، ولا معاهد من أهل الذمة كاليهود والنصارى، فإن هؤلاء لا يحل شيء من أموالهم لأحد.

(إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً): في أيدي البغاة عند قتالهم، ولهذا قال:

(يعدى به على أهل الإسلام): يتعدى عليهم بالقتال به، ويبغي عليهم:

(فإنه لا ينبغي للمسلم[2] أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام): فيكون سبباً للقوة والاستظهار على المسلمين، ولا يُتْرَكُ في أيديهم.

(فيكون[3] شوكة عليه): أي قوة.

(ولا تدّخروا أنفسكم نصيحة): ولكن ابذلوها لله تعالى[4] ولرسوله، وللأئمة ولسائر المسلمين، فالدين هو النصيحة.

(١) رواه الإمام أحمد بن سليمان (عليه السلام) في أصول الأحكام في باب من يقتل حداً، ورواه القاضي العلامة علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار ٢/٢٦٢-٢٦٣ الباب (١٦٣) وعزاه إلى أمالي أبي طالب، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه أبو داود، والبيهقي في الشعب، وابن قانع، وأبو نعيم، عن أبي حرة الرقاشي، عن عمه حرة الرقاشي، وعبد الرزاق، عن الحسن مرسلا بلفظه. انتهى، قلت: وهو بلفظ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه» في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٧/٣٦٣ وعزاه إلى السنن الكبرى للبيهقي ٦/١٠٠، ٨/١٨٢، وسنن الدارقطني٣/٢٦، ومجمع الزوائد للهيثمي٤/١٧٢، وتلخيص الحبير لابن حجر٣/٤٥، والتمهيد لابن عبد البر١/٢٠٢، وكنز العمال برقم (٣٩٧)، وكشف الخفا٢/٩٦، قلت: ورواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام ٤/٥١٩.

(٢) في (ب): لمسلم.

(٣) في (ب): فيكون ذلك ...إلخ.

(٤) تعالى، زيادة في (ب).

(ولا الجند حسن سيرة): أي ولا تكتموا الجند تعليم حسن السيرة.

(ولا الرعية معونة): أي وأعينوا الرعية بما أمكن في أمورهم.

(ولا دين الله قوة): ولا تدخروا عنه ما يكون قوة في حاله.

(وأبلوا في سبيل الله): أي أعطوا، من قولهم: أبلاه الله بلاءً حسناً إذا أعطاه، ومنه قولهم: أبليته معروفاً أي أعطيته.

(ما استوجب عليكم): ما طلب وجوب الإعطاء فيه، وهي الأمور المفروضة في الأموال، وقد عرفها وأعلم بها.

(فإن الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم): أي وضع صنائع ونعماً عندنا وعندكم، يعني معاشر الأئمة بما فضلهم، وأوجب طاعتهم، ومعاشر الرعية بما رزقهم، وأعطاهم من الخيرات.

(أن نشكره بجهدنا): أي من أجل أن نؤدي شكره على حد طاقتنا.

(وأن ننصره ما بلغت قوتنا): ننصر دينه مقدار القوة في ذلك.

(ولا قوة): لنا على ذلك الذي أوجبه علينا.

(إلا بالله): بتقوية الله لنا، وإعانته ولطفه بنا.

(العلي): المتعالي بنعمه، أو المتعالي عن شبه الممكنات بذاته.

(العظيم): فلا يمكن وصفه، أو لا يمكن بلوغ غاية شكر نعمه [جلّ وعلا][1].

(١) زيادة في (ب).

(٥٢) ومن كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى[1] الصلاة

وإنما فعل ذلك ليعلم أنه لم يبق شيئاً من معالم الدين إلا أوضحه، ولا طريقاً في تعليم الخير إلا سلكه، ولقد أبان لمن تحقق وأبصر، ورمز إلى المواعظ لمن اتعظ واعتبر.

(**أما بعد؛ فصلوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس مثل مربض العنز**): اعلم أن المعتمد في تقرير الوقت المشروع للصلاة، ما رواه ابن عباس عن الرسول أنه قال: «أمّني جبريل عند باب البيت مرتين، فصلّى بي الظهر حين زالت الشمس، وصلّى بي العصر حين صار ظلُّ كلِّ شيء مثله، وصلّى بي المغرب حين أفطر الصّائم، وصلّى بي العشاء حين غاب الشّفق الأحمر، وصلّى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، ثم عاد فصلّى بي الظهر حين صار ظلُّ كلِّ شيء مثله، وصلّى بي العصر حين صار ظلُّ كلِّ شيء مثليه، وصلّى بي المغرب كصلاتي بالأمس، وصلّى بي العشاء حين ذهب ثلث الليل، وصلّى بي الصبح حتى كاد حاجب الشمس يطلع، ثم قال: يا محمّد، الوقت ما بين

(١) معنى، زيادة في (ب) وشرح النهج.

هذين الوقتين[1]» فهذه هي الأوقات المشروعة من جهة الرسول للصلاة.

فأما أمير المؤمنين فقد اختار هاهنا أموراً على قدر المصلحة نذكرها ونظهر وجهها، فبدأ بالظهر تأسياً بجبريل، فقدَّر فيها رجوع الشمس مثل مربض العنز في ناحية المشرق[2]، فاختار إدخال نصف الذراع في الوقت، ووجهه ما ورد عن الرسول: «أبردوا عن الصلاة بالظهر، فإن شدة الحرِّ من فيح جهنم»[3]، فالإبراد سنة على هذا خاصة في الحجاز، فإن الحرَّ فيه شديد.

(١) الوقتين، زيادة في (ب)، والحديث أورده الإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) في الاعتصام ٣٢١/١ وعزاه إلى المنتخب للإمام الهادي (عليه السلام) حيث قال ما لفظه: وفي المنتخب: أجمعوا جميعاً يعني المحدثين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم ذكر الخبر المذكور في المنتخب وهو فيه باختلاف في بعض لفظه عما هنا، والمعنى واحد، واللفظ في آخره: ((ثم التفت إليَّ جبريل (عليه السلام) فقال: يا محمد، هذا وقت الأنبياء من قبلك، الوقت فيما بين هذين الوقتين))، قال الإمام القاسم: قال -أي الهادي في المنتخب: وروى هذا الحديث من أهل العراق أبو بكر بن أبي شيبة وغيره، ورواه عبد الرزاق عن سفيان الثوري، وابن أبي سبرة عن عبد الرحمن بن الحارث قال: حدثني حكيم بن حكم عن نافع بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)...الخبر -يعني المتقدم المذكور في المنتخب- قال الهادي: وقد جاء هذا الحديث من وجوه شتى لم نذكرها لئلا يطول الكلام. انتهى كلام الهادي (عليه السلام) في المنتخب. ثم ساق الإمام القاسم رواية أخرى للخبر وعزاها إلى شرح التجريد للمؤيد بالله (عليه السلام) بسنده عن ابن عباس وذكر مخرجيها من أصحاب الحديث. انتهى. (انظر المصدر المذكور ٣٢١/١-٣٢٥، وانظر سيرة ابن هشام ١٦٠/١، تحقيق عمر محمد عبد الخالق).

(٢) في (ب): الشرق.

(٣) الحديث بلفظ: ((إن شدة الحر من فيح جهنم، فإذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة)) في الاعتصام للإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) ٣٣٣/١ وعزاه إلى البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي عن أبي ذر رحمه الله، وهو بلفظ: ((أبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣٣/١، وعزاه إلى سنن ابن ماجة (٦٧٩)، والكامل لابن عدي ١٣٣٥/٤، وبلفظ: ((أبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم)) وعزاه إلى البخاري ١٤٢/١، ومسلم في المساجد (١٨١) وللحديث شواهد عدة وروايات مختلفة انظرها ومصادرها في الموسوعة.

(**وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء**): ليس فيها اصفرار.

(**حية**): لم يضعف ضوؤها.

(**في عضو من النهار**): أي في بعض كثير منه.

(**حين يسار فيه**[1] **فرسخان**): [ستة أميال][2] يأتي نصف بريد ؛ لأن البريد أربعة فراسخ، والفرسخ: ثلاثة أميال، فيأتي الفرسخان ستة أميال من اثني عشر، وهي البريد، فكلامه في العصر يدل على بعض تأخر ليس بالكثير.

(**وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم**): يعني حين تغيب الشمس، ولا خلاف أن وقت وجوبها متعلق بغروب الشمس، ولكن الخلاف إنما هو في أمارة[3] الغروب.

(**ويدفع الحاج**[4]): يسير[5] من عرفة إلى مزدلفة، فإنه أيضاً يتعلق بالغروب.

(**وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق**): يريد الأحمر.

(**إلى ثلث الليل**): يشير إلى أن وقت اختيارها إلى ثلث الليل.

(**وصلوا بهم الغداة**): يعني صلاة الصبح.

(**والرجل يعرف وجه**[6] **صاحبه**): يشير إلى أن الإسفار[7]

---

(١) في نسخة وشرح النهج: فيها.
(٢) ما بين المعقوفين زيادة في (ب).
(٣) في (ب): أمارات.
(٤) في شرح النهج: ويدفع الحاج إلى منى.
(٥) في (أ): يشير.
(٦) وجه، سقط من (ب).
(٧) أسفر الصبح: أضاء وانكشف.

هو المستحب، كما ورد عن الرسول[1] ﷺ: «أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر»[2]، وقد ورد أنه كان في آخر عمره [يداوم][3] على التغليس بها، ثم لأصحابنا وللفقهاء في هذه الأوقات اضطراب عظيم، وليس من همنا ذكره.

(**وصلوا بهم صلاة أضعفهم**): يريد في صلاة الجماعة، كما جاء عن الرسول: «صلوا بهم صلاة أضعفهم»[4].

(**ولا تكونوا فتانين**): تفتنون الناس بإطالة الصلاة عليهم جماعة، والفتنة: البلوى، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾[الدخان:١٧].

---

(١) في (ب): عن النبي.
(٢) رواه ابن الأثير في النهاية ٢/٣٧٢ وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف١/٥٢١ إلى سنن الترمذي (١٥٤)، وسنن النسائي (المجتبى) ١/٢٧٢، ومسند أحمد بن حنبل ٤/١٤٢، ١٤٣، ٥/٤٢٩، والسنن الكبرى للبيهقي ١/٤٥٧، والمعجم الكبير للطبراني ٤/٢٩٥، ومصنف ابن أبي شيبة١/٣٢٠،وإلى مصادر أخرى انظرها هناك..
(٣) زيادة من هامش في (ب) حيث أثبتها هناك، وظنن عليها بقوله: ظ.
(٤) الحديث بلفظ: ((صل بهم صلاة أضعفهم)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥/٥٣٣ وعزاه إلى الكنز العمال برقم (٢٢٨٧٢)، والمطالب العالية لابن حجر٤٢٣، والطبقات الكبرى لابن سعد٧/٢٧.

(٥٣) ومن عهد [له عليه السلام][1] كتبه للأشتر النخعي حين ولاه مصر وأعمالها، لما اضطرب أمر محمد بن أبي بكر رضي الله عنه وهو أطول عهد كتبه، وأجمعه للمحاسن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين): اسم الله مكتوب في صدر كل كتاب من كتبه، وكل وصية من وصاياه، ولكنها أسقطت لما كانت مجموعة في كتاب واحد، وكيف لا وهو أحق الناس بالعمل على السُّنة وملاحظة أدبها.

(مالك بن الحارث الأشتر): يحتمل أن يكون تلقيبه بالأشتر؛ لانقلاب جفن عينه، ويحتمل أن يكون ذلك أخذاً له من لقب الديك، فإنه يسمى أشتر، وإنما لقب بذلك وصفاً له بالشجاعة، وتشبيهاً[2] له في لقط الرجال في الحرب[3] بالديك في لقط الحبوب وانتقائها.

ويحكى أن الطرمّاح دخل يوماً على معاوية، وكان من أصحاب أمير المؤمنين، فقال له معاوية: قل لابن أبي طالب: إني قد جمعت

(١) زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٢) في (ب): تشبيهاً، بغير الواو.
(٣) في (ب): بالحرب.

من العساكر بعدد حبات جاورس[1] الكوفة، وها أنا قاصده، فقال له الطرمّاح: إن لعلي ديكاً أشتر يلتقط جميع ذلك، فانكسر معاوية لكلامه[2].

(في عهده إليه حين ولّاه مصر): جعله أميراً فيها ووالياً على أمورها.

(جبوة[3] خراجها): الجبوة والجباوة هو: أخذ الخراج، والواو فيهما على غير قياس، والوجه فيهما الياء.

(وجهاد عدوها): من كان معادياً لها.

(واستصلاح أهلها): القيام فيهم بما يصلحهم في أمور الدين والدنيا.

(وعمارة بلادها): بالعدل فيهم والسيرة الحسنة.

(أمره بتقوى الله): اتّقاه في ملاحظة أمره ونهيه.

(وإيثار طاعته): آثرته بكذا إذا جعلته أحق به، وأراد إيثارها على كل شيء من الأعمال.

(واتباع ما أمر به): فعله والاحتكام له.

(في كتابه من فرائضه وسننه): مما أوعد على تركه بالعقاب،

(١) الجاورس: هو حب الدخن. تمت من الجوهري (هامش في (أ)، و(ب)، ونسخة أخرى) فلعله تفسير من المؤلف.
(٢) أعلام نهج البلاغة -خ- للشريف علي بن ناصر الحسيني، وشرح نهج البلاغة لميثم بن علي البحراني ٥/١٢٧، منشورات دار الثقلين بيروت - لبنان (ط١ سنة١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) والرواية فيه مع اختلاف يسير.
(٣) في شرح النهج: جباية.

وهو الفرض، وما لم يكن حاله كذلك وهو عبارة عن السنة، والفرض والواجب أمر واحد، ومن خالف في ذلك فخلافه متعلق بالعبارة لا غير.

(**الذي**[1] **لا يسعد أحد إلا باتباعها**): امتثالها والإتيان بها، والسعادة هي: إحراز الجنة.

(**ولا يشقى أحد إلا مع جحودها**): إنكارها.

(**وإضاعتها**): إهمالها وإطراحها، والشقاوة: الخسارة بالوقوع في النار.

(**وأن ينصر الله بيده**): في تغيير المنكر.

(**وقلبه**): بأن يكون كارهاً له.

(**ولسانه**): بالنهي عنه والذم لمن فعله.

(**فإنه جلَّ اسمه قد تكفَّل بنصر**[2] **من نصره**): حيث قال تعالى[3]: **﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾**[الحج:٤٠].

(**وإعزاز من أعزَّه**): برفع درجته، وإعلاء كلمته وإنفاذها.

(**وأمره أن يكسر نفسه**[4] **عند الشهوات**): كسر النفس: وضعها عن العلو وإنزالها عند[5] السمو، ومخالفتها في كل ما تريده وتهواه.

---

(١) في نسخة وشرح النهج: التي.

(٢) في نسخة: بنصرة (هامش في ب).

(٣) تعالى، سقط من (ب).

(٤) في نسخة وشرح النهج: من نفسه.

(٥) في (ب): عن.

(**ونزعها عند الجمحات**[1]): كفها عند تقحمها والوثبات لها على ما يهلكها، ثم تلا قوله تعالى: (ف**﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾**)[يوسف:٥٣]: في جميع حالاتها.

(**﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾**)[يوسف:٥٣]: بالتدارك بالألطاف الخفية، والحماية عن الشر بالتوفيقات المصلحية.

واعلم: أن رياضة النفس هي من أهم المقاصد، وأجل المطالب بتصفيتها عن الأخلاق المذمومة؛ لتكون واصلة إلى سعادة الأبد، ونعيم السرمد.

(**ثم اعلم يا مالك**): ناداه باسمه على جهة الملاطفة.

(**أني قد وجهتك إلى بلاد**): مصر وأعمالها.

(**قد جرت على أهلها دول قبلك**): الدول: جمع دولة بالفتح، وهي: ما يتداوله[2] الناس بينهم مرة لهذا ومرة لذاك.

(**من عدل وجور**): يريد من استقامة طرقهم في العدل، واعوجاجها في الجور.

(**وأن الناس ينظرون من أمورك**): أفعالك وأحوالك كلها.

(**في مثل ما كنت تنظر فيه من أمر**[3] **الولاة قبلك**): من المعاملة وحسن السيرة، وطيب المعاشرة، وغير ذلك من الأحوال.

---

(١) في شرح النهج: وينزعها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء.

(٢) في (أ): ما تداوله.

(٣) أمر، سقط من (ب)، وفي شرح النهج: أمور.

(**ويقولون فيك ما كنت تقوله فيهم**): من الثناء الحسن أو خلافه.

(**فإنما[1] يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسنة[2] عباده**): من الثناء الحسن والذكر الجميل، وفي الحديث: «لو أطيع الله من وراء سبعين باباً لأظهره الله»[3] وهكذا حال المعصية.

(**فليكن أحب الذخائر إليك**): الذخيرة: واحدة الذخائر، وهو[4]: ما يخبأ.

(**العمل الصالح[5]**): إما الذي أصلح حال صاحبه في القيامة، أو[6] الصالح الذي يصلح للقبول عند الله تعالى.

(**فاملك هواك**): أراد لا تكون سيقة له، ولا يكون مالكاً لك فتهلك.

(**وشحّ بنفسك عمّا لا يحل لك**): أراد اقبضها عن فعل ما لا يحل فعله، ولا تبذلها فيه.

(**فإن الشح بالنفس**): وهو منعها.

---

(١) في شرح النهج: وإنما.

(٢) في شرح النهج: ألسن.

(٣) له شاهد رواه من حديث طويل عن أنس بن مالك، القاضي العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار ١/٣٩٢ الباب (٦٦)، ولفظ الشاهد فيه: ((ولو أن عبداً اتقى الله في بيت في جوف بيت إلى سبعين بيتاً، على كل بيت باب من حديد، لألبسه الله رداء عمله، حتى يتحدث به الناس وحتى يزيدوا))، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه الحاكم في تأريخه عن أنس انتهى.

(٤) في (ب): وهي.

(٥) في شرح النهج: ذخيرة العمل الصالح.

(٦) في (ب): وإما.

(**الإنصاف منها فيما أحببت و[1]كرهت**): أراد أنك إذا ملكتها وشححت عليها فقد انتصفت منها في مرادها ومكروهها.

(**وأشعر قلبك الرحمة للرعية**): اجعل الرحمة شعاراً له تلاصقه في حالاته كلها.

(**والمحبة لهم**): الشفقة والحنو عليهم.

(**واللطف بهم**): في جميع أمورهم.

(**ولا تكوننّ عليهم سبُعاً ضارياً**): في معاملتك لهم، التي من طبعها[2] العداوة والافتراس.

(**تغتنم أكلهم**): تجعل أكلهم بمنزلة الغنيمة التي لا تبعة[3] في أخذها.

(**فإنهم صنفان**): يريد على تفاوت أخلاقهم وبيان طرقهم، لا ينفكون عن نوعين:

(**إما أخ لك في الدين**): وإن كانت رتبتك فوق رتبته، فأنتما سواء من جهة الأخوة في الدين.

(**وإما نظير لك في الخلق**): مماثل لك في الطبائع والسجايا.

(**يفرط منه[4] الزلل**): يتقدم منه، ومنه الفارط وهو: الذي يتقدم القوم لطلب الماء.

---

(١) في شرح النهج: أو.

(٢) أي السباع.

(٣) أي لا ذنب ولا حرج.

(٤) في شرح النهج: منهم.

(**وتعرض لهم العلل**): في أجسامهم ومقاصدهم وأغراضهم.

(**ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ**): ويعرض لهم الزلل والخطأ في تصرفاتهم عمدها وخطئها، وفي الحديث: «الناس كإبل مائة، لا تجد فيها راحلة»[1].

(**فأعطهم من عفوك**): عن زللهم.

(**وصفحك**): عن خطأهم.

(**مثل الذي تحبُّ أن**[2] **يعطيك الله من عفوه وصفحه**): يريد اجعل حالهم بالإضافة إليك على مثل حالك بالإضافة إلى الله تعالى، فإذا[3] كنت تحبُّ عفوه وصفحه مع استغنائه عنك، فهم أيضاً يحبُّون عفوك وصفحك، مع افتقارك إليهم في أكثر الأمور.

(**فإنك فوقهم**): بما جعل لك من الولاية عليهم، والتصرف في أمورهم.

(**ووالي الأمر عليك فوقك**): يريد والإمام الذي ولاَّك مَالِكٌ لتصرفك أيضاً.

(**والله فوق من ولاَّك**): وهذه الفوقية هي فوقية القهر والسلطنة، والاحتكام والولاية، لا فوقية الجهة في جميع مواقعها هاهنا.

(**وقد استكفاك أمرهم**): طلب منك، والضمير لله تعالى[4] أو للإمام، أن تكون كافياً فيما يحتاجون إليه من أمور دينهم.

---

(١) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٤٥/٢ بسنده عن أبي هريرة مع اختلاف يسير في بعض لفظه، وهو في نهاية ابن الأثير ١٥/١ . وقال في شرحه: يعني أن المرضيّ من الناس في عزة وجوده كالنجيب من الإبل القوي على الأحمال والأسفار الذي لا يوجد في كثير من الإبل.

(٢) في شرح النهج: مثل الذي تحب وترضى أن ...إلخ.

(٣) في (ب): فإن.

(٤) تعالى، زيادة في (ب).

(**وابتلاك بهم**): امتحنك بالتصرف عليهم واختبرك في ذلك.

(**لا تنصبن نفسك لحرب الله**): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد لا تفعل شيئاً من المعاصي التي تكون مؤدية لحرب الله تعالى، نحو أكل الربا، فإن الله تعالى أوعد عليه بالمحاربة، كما قال تعالى[1]: ﴿**فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[البقرة:٢٧٩].

وثانيهما: أن يكون غرضه لا تحاربنَّ أولياء الله من المؤمنين وأهل الصلاح، فتكون في الحقيقة محارباً لله بحرب أوليائه[2].

(**فإنه لا يَدَى لك بنقمته**): أي لا طاقة لك بعقوبته، وإنما حذفت النون للإضافة، واللام هاهنا مقحمة مؤكدة للإضافة.

(**ولا غنى لك عن عفوه ورحمته**): أي لا يعقل لأحد غناء من دون رحمة الله وعفوه لكل مخلوق، فكل غنى ليس فيه رحمة من الله ولا عفو فهو باطل كذب.

(**ولا تندمنَّ على عفو**): عن عقوبة عن جريمة لأحد من الخلق، فإن الله تعالى قد ندب إليه مطلقاً، ولا حالة يمكن قبحه فيها.

(**ولا تبجحنَّ بعقوبة**): التبجح: إظهار التكبر والفرح بما أصابه من تلك العقوبة، وأراد لا تفرح بذلك.

(**ولا تُسْرِعنَّ إلى بادرة**): البادرة: ما تسرع النفس إليه.

---

(١) تعالى، سقط من (أ).

(٢) يشير المؤلف (عليه السلام) إلى الحديث القدسي: ((من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة)) أخرجه من حديث طويل المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٢٠٤/٢ بسنده عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل (عليه السلام)، عن الله تبارك وتعالى قال: فذكر الحديث بطوله.

(**وجدت عنها مندوحة**): المندوحة: السعة، وأراد لا تعجل إلى ما تدعو إليه النفس من بوادر السوء من[1] فعل أو قول، ما دام لك عنها سعة في تركها، والتغاضي عنها.

(**ولا تقولن: إني مؤمر أمر[2] فأطاع**): يعني لا تحدثك نفسك وتزين لك الإسراع إلى البوادر، وتوقع[3] في نفسك أن تقول: أنا أمير على ما تحت يدي من هذه الولاية، وأمير على هذه الرعية، فلا بد لهم من الانقياد لي في كل ما أمرت به.

(**فإن ذلك إدغال في القلب**): إفساد له وإبطال لقاعدة أمره.

(**ومنهكة للدين**): إضعاف له، يقال: نهكته الحمى إذا أضعفت قواه وحواسه.

(**وتقرّبٌ من الغِيَر**): دنو من حوادث الدهر ونوازله.

(**وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك**): يريد وإذا وجدت في نفسك وانقدح في فؤادك[4] لما ترى من العظمة والإمرة والحالة الجليلة بالسلطنة، ونفوذ الأمر لك[5]:

(**أبّهة**): العظمة والكبر.

(**أو مَخيلة**): خُيَلاء في حالك.

---

(١) من، سقط من (ب).
(٢) أمر، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٣) في (ب): ويقع.
(٤) في نسخة أخرى: مرادك.
(٥) لك، سقط من (ب).

(**فانظر إلى عِظَم ملك الله فوقك**): تفكّر في نفوذ ملك الله عليك وقهره لك وسلطانه عليك.

(**وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك**): وأنه[1] قادر من تدبيرك وتصريفك على ما لا يمكنك القدرة عليه من جهة نفسك.

(**فإن ذلك**): التفكر.

(**يُطَامِنُ إليك**): يخفض إليك.

(**من طِمَاحِكَ**): الطماح: علو النفس وارتفاعها[2]، وهو مثل الجماح.

(**ويكف عنك من غَرْبِك**): غرب الشيء: حدّه، وأراد يكفُّ حدَّة النفس وشرتها[3].

(**ويفيء إليك ما[4] عزب عنك من عقلك**): فاء الشيء إذا رجع، وأراد يرجع إليك[5] ما بَعُدَ من فهمك، وينبِّهك على خطئك في ذلك.

(**وإياك ومساماة الله في عظمته**): الترفع عليه في عظم كبريائه، من قولهم: سما إذا ارتفع وعلا، و[6]إياك والعلو عليه والتكبر في ذلك.

(**والتشبه[7] به في جبروته**): والمشابهة له فيما اختص به، وجعله رداءً له وهو الكبرياء.

---

(١) في (ب): فإنه.
(٢) وارتفاعها، سقط من (ب).
(٣) شرتها أي غلبة حرصها.
(٤) في نسخة وشرح النهج: بما.
(٥) في (أ): إليه.
(٦) في (أ): أو.
(٧) في (ب): والتشبيه.

(فإن الله يُذِلُّ كلَّ جبَّار): بما ادَّعى[1] من تجبُّره وتكبُّره.

(ويُهِينُ كل مختال!): أهانه إذا أذلَّه، وأراد يُهِيْنُ كلَّ من تكبَّر وتعاظم.

ثم إنه شرع في نوع آخر من الأدب، بقوله:

(أنصف الله): من نفسك في أداء حقوقه الواجبة عليك، وفروضه اللازمة.

(وأنصف الناس من نفسك): بأداء حقوقهم التي هي واجبة عليك.

(ومن خاصَّة أهلك): من يقرب إليك من أهلك وعشيرتك[2].

(ومن لك فيه هوى من رعيتك): يريد ومن تميل إليه ولك به اختصاص وميل، واتركهم في الحق على سواء ولا تميل[3] عن الحق لأجل اختصاصهم بك.

(فإنك إلاَّ تفعل): ما أمرتك به فيهم من الإنصاف للحق منهم.

(تظلم): لا محالة من كان له حق عندهم.

(ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه): مخاصماً له على مخالفته لما نهى عنه من الظلم.

(دون عباده): أي يتولى خصومته بنفسه دونهم؛ لأن الأمر لله ذلك اليوم.

(ومن خاصمه الله): كان خصيماً له.

---

(١) في (ب): ادعاه.

(٢) في (ب): وعترتك.

(٣) في (ب): ولا تمل.

(أدحض حجته): حجة داحضة أي باطلة منقطعة عن الحق.

(وكان لله حرباً): لا ينزع عن محاربته.

(حتى ينزع): يقلع عما هو فيه من الظلم.

(ويتوب): يرجع إلى الله تعالى.

(وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله): إزالتها وتحويلها.

(وتعجيل نقمته): عقوبته وعذابه.

(من إقامة على ظلم)[1]: سواء كان ذلك ظلماً في عِرْضٍ، أو ظلماً في حق، أو مال، أو غير ذلك من أنواع الظلامات، ولهذا نكَّره أي ظلماً أي ظلم كان.

(وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق): لما ورد في الحديث: «خير الأمور أوساطها»، ولأن الوسط أقرب إلى جانب الإنصاف من غير إفراط في الأمر ولا تفريط فيه.

(وأعمَّها في العدل): أجمعها لمعانيه، وأشملها لمقاصده.

(وأجمعها لرضاء الرعية): فإن في رضاهم صلاح الأمر، وقوام قانونه.

(فإن سُخْطَ العامة يُجحف برضاء الخاصة): الإجحاف: الإذهاب، ومنه سيل جحاف أي يذهب بكل شيء، وأراد أن العامة مهما سخطت عليك تغير الأمر، ورضا الخاصة لا وقع له مع ذلك لذهابه عند سخط العامة.

---

(١) بعده في النهج: فإن الله سميع دعوة المضطرين، وهو للظالمين بالمرصاد.

(وإن سُخْطَ الخاصة يغتفر مع رضاء العامة): الغفر: التغطية، ومنه المغفر، وغفر الله ذنوبه إذا غطاها وسترها، وأراد أن أهل البطانة والخاصة إذا غضبوا فإنه لا يضر مع كون العامة راضين.

(وليس أحد أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء): لأنهم يسألون الكثير ولا يقنعهم.

(وأقل معونة له[1] عند البلاء): لنكوصهم وإعراضهم.

(وأكره للإنصاف): من أنفسهم الحق.

(وأسأل بالإلحاف): يريد الإلحاح، وألحف السائل في سؤاله إذا ألح، وعن هذا قيل: ليس للملحف مثل الرد[2].

(وأقل شكراً عند الإعطاء): لما يظهر في نفوسهم من استقلاله، وازدراء النعمة عليهم.

(وأبطأ عذراً عند المنع): يريد أنهم إذا منعوا عن العطاء فهم أبطأ الناس وأعظمهم تأخراً عن العذر عند منعهم، وحرمانهم عن المعروف والإحسان.

(وأضعف صبراً عند ملمات الدهر): ألم الخطب إذا خالط وعظم، وأراد أنهم لا يصبرون عن الخطوب العظيمة، والنوازل الكريهة.

(من أهل الخاصة): الأقارب والعشيرة، والبطانة من الأصحاب والأخدان.

---

(١) له، زيادة في (ب)، وشرح النهج، وقوله: عند البلاء، في شرح النهج: في البلاء.

(٢) مختار الصحاح ص٥٩٣.

(وإنما عمود الدين): الذي يستقيم به.

(وجماع المسلمين): معظم أمرهم، ومجتمع رأيهم.

(والعدة لأعداء الملة): والأمر الذي يعد ويهيأ لمن كان عدواً للدين والإسلام.

(العامة من الأمة): هم العامة من الأمة، فإنهم الأساس للدين، وعليهم تدوار عموده.

(فليكن إليهم صغوك): صغا إلى كذا إذا مال إليه، ومنه قولهم: صغت النجوم إذا مالت عند غروبها، وأراد الإصغاء إلى أحاديثهم، والتفطن لما تقوله من غير إعراض عن ذلك.

(وميلك معهم): أراد أنك تكون مصاحباً لهم في أكثر حالاتك.

(وليكن أبعد رعيتك منك): أقصاهم مكاناً، وأكثرهم تأخراً.

(وأشنأهم عندك): أبغضهم إليك، والشناءة: هي البغض.

(أطلبهم لمعايب الناس): المعاب والمعيبة: العيب، وهو ما يكون فيه الذم واللوم.

(فإن في الناس عيوباً): وفي الحديث: «إذا أراد الله بعبد خيراً بصَّره عيوب نفسه»[1].

---

(١) الحديث بلفظ: ((إذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيب نفسه)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١/٢٣٤، وعزاه إلى المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٤/٣٢٠، وإتحاف السادة المتقين ٩/٦١٤.

ولما قدم سلمان على عمر رضي الله عنه، قال له: ما الذي بلغك عني مما تكرهه؟ فاستعفى، فألحَّ عليه.

فقال له: سمعت أنك تجمع بين إدامين على مائدتك، وأن لك حلتين: حلة بالليل، وحلة بالنهار.

فقال: وهل بلغك غيرهما؟

قال: لا، فقال: أما هذان[1] فقد كفيتكهما، فالعيوب كثيرة في الخلق.

(**الوالي أحق من سترها**): لأمرين:

أما أولاً: فلأن ذلك من حسن الرعاية، وقد استرعي وهذا من أعظمها.

وأما ثانياً: فلما في ذلك من المصلحة؛ لأنه إذا كان هو الساتر لها مع قدرته وقهره فغيره بذلك أحق وأولى.

(**فلا تكشفنَّ عمَّا غاب عنك منها**): بَعُدَ عنك خبره، ولم يظهر لك أمره.

(**فإنما عليك تطهير ما ظهر لك**): بالحدود المشروعة، والآداب المفوضة إلى آراء الولاة، ومصالح استصوابهم في الزيادة والنقصان.

(**والله يحكم على ما غاب عنك**): بما قد شرع من الوعيد العظيم عليها، والعقوبة في الآخرة.

(**فاستر العورة ما استطعت**): بقدر إمكانك وقوتك على ذلك، وفي الحديث: «أنا ستار، فمن ستر على أحد من خلقي سترت عليه».

---

(١) في (ب): هذين.

(**يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك**): من العيوب التي تلام عليها، وعن هذا قال بعضهم:

لا تَكْشِفَنْ عن[1] مساوى الناس ما ستروا
فيكشف الله ستراً من مساويكا

(**أطلق عن الناس عقدة كل حقد**): الحقد: الضغن الكامن، وأراد هاهنا أطلقه عن قلبك بإظهار البشاشة في وجهك، والسرور في قلبك.

(**واقطع عنك[2] سبب كل وتر**): وتره حقه إذا نقصه إياه، قال تعالى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[محمد:٣٥]، والموتور هو: المقتول الذي لم يؤخذ بدمه، واستعاره من ذلك، وغرضه قطع التذكار لما سلف من الجرائم، والذحول[3] المتقدمة.

(**وتغاف[4] من كل ما لا يضح[5] لك**): مما يوجب الحد، أويوجب التعزير والأدب، وفي الحديث أنه جاءه رجل فقال: يا رسول الله، إنّي قبَّلتُ امرأة فأعرض عنه، وقال: «توضأ وصلِّ معنا».

(**ولا تعجلنَّ إلى تصديق ساع**): بمكر أو وشاية.

---

(١) في (ب): لا تكشفنَّ، وقوله: عن سقط منها، والبيت أورده ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٧/ ٣٨ بدون نسبة لقائله وأوله فيه: لا تلتمس من ... إلى آخره، وبعده فيه:

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكِرُوا
ولا تَعِبْ أحداً منهم بما فيكا

(٢) عنك، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٣) الذَحْلُ: الحقد والعداوة، يقال: طلب بِذَحْلِه أي بثأره، والجمع ذحول (مختار الصحاح ص٢٢٠)

(٤) في شرح النهج: وتغاب، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٥) في (ب): يصلح.

(فإن الساعي غاش): لك لا محالة بإيصاله إليك معائب الناس، ونقصهم عندك.

(وإن تشبه بالناصحين): لك لأنه في الظاهر يريد نصحك بما أهدى إليك من ذكر معائب الناس، وهذا هو الغش بعينه لما فيه من الفساد والرذالة[(١)].

(لا تدخل[(٢)] في مشورتك بخيلاً): يريد إذا جمعت جمعاً من إخوانك للاستشارة فيما يعرض من أمورك وإصلاح حالك وقوام دولتك، فلا يكن من جملتهم بخيل في معروفه وفضله، فإنه لا محالة.

(يعدل بك عن الفضل): إما عن أفضل الأمور وأعلاها، وإما عن الإحسان والمعروف، وكله نقص وخطأ.

(ويعدك الفقر): من أجل بخله وضنته، فلا يزال يتوهم الفقر، ويعمل عليه.

(ولا جباناً): الجبن: الخور والفشل، وأراد ولا تدخل من يغلب عليه الجبن والفشل، فإنه لا محالة:

(يضعّفك عن الأمور): أي يقل جسرتك على الأمور المهمة، ويفتّرك عن مقاساة الشدائد العظيمة مما يكون زيادة في قدرك، وعظماً في أمرك.

(ولا حريصاً): الحرص: التهالك في الحفظ والضنّة.

---

(١) في (أ): والرذلة، و في (ب): الرداءة، وما أثبته من نسخة أخرى.

(٢) في شرح النهج: ولا تدخلنّ.

(يزين لك الشره بالجور): يحسن في عينيك الحرص، فيكون ذلك سبباً في التسرع إلى الجور.

(فإن البخل والجبن والحرص): وغير ذلك من المساوئ.

(غرائز شتى[(١)]): طبائع وشيم وخلائق.

(يجمعها سوء الظن بالله): لأن من وثق بالله وبعطائه وخيره جاد بكل ما تحويه يده، اتكالاً على عوض الله وخيره، ومن أساء الظن بالله أقدم على هذه الخلائق[(٢)].

(شر وزرائك من كان وزيراً للأشرار قبلك[(٣)]): الوزير: هو الذي يتحمل الأثقال وينهض بالأعباء، وغرضه هو أن أبعدهم عن الحق وأعظمهم شراً عليك، من مارس[(٤)] الظلمة قبلك، وكان متحملاً لأثقالهم، فمن هذه حاله لا تعدم مضرة من جهته.

(ومن شركهم في الآثام): بدخوله معهم فيها، واتخاذهم إياه ذريعة إلى المآثم والمظالم.

(فلا يكوننّ لك بطانة): لفساد دينه وإهلاك آخرته بما فعل من ذلك لغيره.

(فإنهم أعوان الأثمة): أعوانهم على تحصيل الآثام وكسبها.

---

(١) شتى، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٢) في (ب): الأخلاق.

(٣) في (ب) وشرح النهج: شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيراً.

(٤) تمرس بالشيء، وامترس: احتك به. (القاموس المحيط ص٧٤١).

(وإخوان الظلمة): المؤاخين لهم على أخذ المظالم وخضمها وقضمها، فإن فعلت ذلك كنت شريكاً لهم.

(فأنت واجد منهم): في الظلم والإثم.

(خير الخلف): بعدهم وأفضلهم في السيرة، وأحرزهم في الديانة.

(ممن له مثل آرائهم ونفاذهم): في الأمور، وحسن تدبيرهم وإتقان سياستهم.

(وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم[(١)]): الآصار: جمع إصر، والأوزار: جمع وزر، وهي: الأعباء والأثقال عليهم[(٢)]، فهؤلاء خير الخلف بعد السابقين لهم.

(ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه): يكون عوناً له وقوة لعضده، وردفاً[(٣)] له عند حاجته إليه في ذلك.

(ولا آثماً على إثمه): ولا يكون عوناً له فيما يكسبه من المآثم والأوزار.

(أولئك أخف عليك مؤونة): لسهولة الحال فيهم، وقلة أثقالهم.

(وأحسن لك معونة): في تدبير الأمور والإرشاد إلى الطاعة، والقربة إلى الله تعالى.

(وأحنى عليك عطفاً): الحنو: هو الشفقة، والعطف: الرحمة، وأراد أعظم عليك رحمة وشفقة.

---

(١) بعده في شرح النهج: وآثامهم.

(٢) عليهم، سقط من (ب).

(٣) الرِّدف بالكسر: الراكب خلف الراكب، وكل ما تبع شيئاً، والردف أيضاً: المعاون. (وانظر القاموس المحيط ص١٠٤٩-١٠٥٠).

(وأقل لغيرك إلفاً): يريد[(١)] أنهم لا يألفون غيرك، ولا يخالطون سواك.

(فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك[(٢)]): عند المخاضة في الأمور المهمة في الأوقات الخالية والساعات الخفية.

(وحفلاتك): وعند المحافل العظيمة، والمشاهد المجتمعة.

(ثم ليكن آثرهم عندك): أحقهم بالإيثار والتمكن وعلو المنزلة.

(أقولهم بمرّ الحق لك): أنطقهم بالحق، وإن كان مرّاً على من سمعه؛ لأن من هذه حاله فهو ناصح لله ولك.

(وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه): وأكثرهم تأخراً عنك في الأمور التي كره الله لأوليائه فعلها والتلبس بها.

(واقعاً ذلك[(٣)] من هواك حيث وقع): يعني افعل ذلك وواظب عليه سواء كان مخالفاً لهواك أو موافقاً له، وانتصاب واقعاً على الحال من فعل مقدر تقديره ما فسرنا به كلامه، ومن هذه لابتداء الغاية.

(والصق بأهل الورع والصدق): كن لاصقاً بهم في جميع أحوالك وتقلباتك، وأكثر المخالطة لهم حتى كأنك ملاصق لهم.

(ثم رُضْهُمْ على ألاّ يطروك): أدبهم بأدبك واجعلهم مرتاضين على ترك المدح لك، وإنما قال: رضهم، ولم يقل: انههم يشير بذلك إلى حسن الممارسة وجودة السياسة لما في النهي من الخشونة والانزواء مع الوحشة.

---

(١) في (ب): ويريد.

(٢) في (ب) وشرح النهج: لخلواتك.

(٣) في نسخة: ذاك (هامش في ب).

(ولا يبجحوك بباطل لم تفعله): التبجح: الفرح والسرور، وأراد ولا يدخلون عليك المسرة بالأباطيل والأكاذيب تقرباً إليك.

(فإن كثرة الإطراء): المدح.

(تحدث الزهو): الخيلاء والفخر.

(وتدني من العزة): التكبر والأنفة.

(ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء): يعني لا يكونان بالإضافة إلى تعظيمك وقربك وإنصافك وإدنائك وجميع تصرفاتك، على السوية من غير تفرقة بينهما، ولا فضل لأحدهما على الآخر.

(فإن في ذلك): يشير إلى المساواة لهما.

(تزهيداً لأهل الإحسان في إحسانهم): ترغيباً لهم عنه، لأنهم موقعون في أنفسهم عدم ثمرته وإبطال فائدته، فيدعوهم ذلك إلى تركه وترك التعلق به لما ذكرناه.

(وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة): التدريب[1]: بدال بنقطة[2] من أسفلها هو العادة، يقال: فلان له دُرْبَةٌ بالخير أي عادة، وبذال بنقطة من أعلاها هو: الحدة في الأمر، من قولهم: فلان ذرب اللسان أي حديده، والأول هو الوجه، وهو سماعنا في الكتاب، وأراد إما يكثر اعتيادهم لها، وإما يزيدهم حدة فيها وجرأة عليها.

(١) في (ب): التدرب.

(٢) في (ب): منقوطة.

(وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه): من ذلك يعني خصهم بحكم ما خصوا به أنفسهم من أحكام الإحسان أو بأحكام الإساءة.

(واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن والٍ برعيته): أراد أن الذي يدعو الوالي إلى أن يكون محسناً للظن بالرعية، وإلى عدم التهمة لهم في جميع أحوالهم وأمورهم.

(من إحسانه إليهم): لأنه إذا كان محسناً عليهم دعاه ذلك إلى تحسين الظن بهم والمحبة لهم.

(وتخفيفه المؤونات[1] عليهم[2]): يعني ولا تحملهم الأمور الصعبة، ولا تكلفهم الأشياء الشاقة.

(وترك استكراهه إياهم على ما ليس قِبَلَهم[3]): أي ولا يكرههم على أخذ ما لا يتعلق بهم ولا يكون متوجهاً عليهم، فإن هذه الأمور كلها تكون داعية إلى حسن ظنه بهم، وسلامة خاطره وقلبه في حقهم.

(فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك): يعني فاجتهد في تحصيل ما يكون سبباً في حسن ظنك بهم.

(فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً): يريد أن حسن الظن يسد عنك أبواباً كثيرة في المحتملات، لو اجتهدت في العناية في سدها وعلاجها لكان ذلك يحصل بنَصَبٍ عظيم ومكابدة شديدة، وحسن الظن يرفع ذلك عنك، ويغلق عنك تلك الأبواب والاحتمالات.

(١) في نسخة أخرى: المؤديات.

(٢) في نسخة: عنهم (هامش في ب).

(٣) في (ب) وشرح النهج: على ما ليس له قبلهم.

(وإن أحق من حسُنَ ظنك به): من كان ظنك في حقه صالحاً لا ميل فيه ولا اعوجاج في طريقه.

(لمن حسُنَ بلاؤك عنده): هو الذي أحسنت إليه وأعطيته وأوليته المعروف؛ لأنه يقع منه موقعاً عظيماً.

(وإن أحق من ساء ظنك به): من كان ظنك سيئاً في حقه.

(لمن ساء بلاؤك عنده): هو الذي حرمته إحسانك ومنعته معروفك.

(ولا تنقض سنة صالحة): تبطل العمل بها وتمحو رسمها[1] بإهدارها.

(عمل عليها[2] صدور هذه الأمة): الصدور: جمع صدر وهو العالم النحرير، وأراد أهل الصلاح من هذه الأمة المتقدمون في أوائلها، فإن عملهم عليها هو الحق.

(واجتمعت بها الألفة): يعني كانت سبباً في الألفة واتفاق الكلمة وجمعها.

(وصلحت عليها الرعية): وكانت سبباً في صلاح الرعية وجمع شملهم.

(ولا تحدثنّ سنة تضر بما مضى[3] من تلك السنن): تبطلها وتفسدها.

(فيكون الأجر لمن سنها): فعلها ودعا إليها.

(والوزر عليك): يعني الإثم متعلق بك.

---

(١) في (ب): رسومها.
(٢) في شرح النهج: بها، وكذا في نسخة ذكره في ها مش (ب).
(٣) في نسخة: بماضي تلك السنن (هامش في ب)، وفي شرح النهج: تضر بشيء من ماضي تلك السنن.

(بما نقضت منها): في إبطالها وتغييرها، وأراد في جميع هذا[1] كله ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم؛ فإنه لا سبيل لأحد إلى نقضه وإبطاله، وكيف لا وإجماعهم قاطع فيما تعلق به[2]، فيكون ما عداه خطأ وضلالة، وبدعة وجهالة.

(أكثر[3] مدارسة العلماء): أراد إما الوقوف معهم والدرس عليهم، وإما أن يريد مناطقتهم في المسائل ومراجعتهم عليها، فإن مجالسة العلماء زيادة في الدين وإصلاح للبصيرة، وبعد عن الزلل، وتذكر لأحوال الآخرة.

(ومثافنة الحكماء[4]): المثافنة: المجالسة والقعود معهم، أخذاً لها من ثفنة البعير، وهو ما يقع على الأرض من أعضائه كالصدر والركبتين وغيرهما.

سؤال؛ من هم العلماء، ومن هم الحكماء، حتى فرق بينهما ها هنا؟

وجوابه؛ هو أن الحكماء هم الزهاد؛ لأنهم أحكم الناس، لأنهم آثروا الآخرة على الدنيا وأعرضوا عن الفاني، وقيل: هم العالمون العاملون بما علموا، فمن جمع إلى العلم العمل به فهو الحكيم بعينه.

(في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك): في معاملاتهم ومقدار ما يؤخذ منهم من الأموال في الضيق والسعة والرخاء والقحط، وغير ذلك من الأمور المصلحة للأحوال.

---

(١) في (ب): ذلك.
(٢) في (ب): بهم.
(٣) في شرح النهج: وأكثر.
(٤) في شرح النهج: ومناقشة الحكماء.

(وإقامة ما استقام به الناس قبلك): من الخلفاء في أمر الرعية، واعتمد ذلك في سيرتك معهم ومعاملتك لأحوالهم، فإن فيه صلاحاً لما أنت فيه.

ثم أردف ما ذكره بالرعية وبيان طبقاتهم بقوله:

(واعلم أن الرعية طبقات): يريد أنهم وإن اشتركوا في الرعاية وأنهم تحت حكم الله تعالى وحكمك، فهم على أنواع مختلفة وطبقات متفاوتة.

(لا يصلح بعضها إلا ببعض): أي أن كل واحد من هذه الطبقات صلاح في الطبقة المخالفة.

(ولا غنى ببعضها عن بعض): يريد أن كل واحد[1] منها مفتقر إلى الأخرى كما قال تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾[الزخرف:٣٢]، فكل واحد منهم يعود بالمنفعة على صاحبه من غير عناية منه لذلك ولا إرادة.

(فمنها جنود الله): وهم عساكر الإسلام وأهل الإيالة[2]، وإنما قدمهم على سائر الطبقات لما يحصل للإسلام بسببهم من القوة والأبهة العظيمة، ولما يقع في نفوس أعدائه من أجلهم من الخيفة والمهابة، فإن بهم قوام الدين وشدة أمره.

(ومنها كُتّاب العامة والخاصة): فأما العامة فهم الزرعة وأهل الحرف والصناعات، وأما الخاصة فهم البطانة والشعار المتولي من أهل دولته، والحافظين لأمره، والمتولين لإصلاح أحواله.

---

(١) في (ب): واحدة.

(٢) الإيالة: السياسة، آل الملك رعيته إيالاً ساسهم، وعلى القوم أولى وإيالاً وإيالة: ولي، والمال: أصلحه وساسه. (القاموس المحيط ص١٢٤٤)

(ومنها قضاة العدل): الحكام والمتولين للفصل لشجار الخلق وقطع لجاجهم ودفع خصوماتهم، العادلين في أحكامهم من غير حيف ولا ميل فيها.

(ومنها عمال الإنصاف والرفق): أراد الكتاب والعمال على الخراج والصدقات وكُتّاب الشروط وغير ذلك.

(ومنها أهل الجزية): وهم الذين أقروا على أديانهم مع التزام الجزية، إذا كانوا أهل كتب نحو اليهود والنصارى.

(والخراج من أهل الذمة): وهو ما يؤخذ من أموالهم على جهة الخراج مما يضطرب[1] فيه من هذه الأموال.

(ومسلمة الناس): الضعفاء والمساكين، والمسلمين من الأمة.

(ومنها التجار): المضطربين في البلدان لزيادة الأموال ونمائها.

(وأهل الصناعات): العائدين بهذه الارتفاقات على الناس من أجل صناعاتهم.

(ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة): وإنما أخرهم لضعفهم، وازدراء الأعين لهم، ولهذا سماهم الطبقة السفلى إشارة إلى ما ذكرناه من حالهم.

(وكل قد سمى الله سهمه): وكل من ذكرت من هؤلاء قد أعطاه الله تعالى حظه من ماله.

---

(١) أي يتجر فيه.

(ووضع على حده وفريضته): يعني أنه أعطاه ما يستحقه من ذلك على قدر حاله وحاجته.

(في كتابه أوسنة[1] نبيه [صلى الله عليه وآله][2]): يعني تحديد نصيبه مذكور في الكتاب أو في السنة.

(عهداً منه عندنا محفوظاً): الضمير للرسول أي عهده إلينا، وعهده محفوظ عندنا لا نخالف في ذلك.

(فالجنود بإذن الله): بأمره في تجنيدهم وعلمه بما فيهم من النفع للإسلام.

(حصون الرعية): يلجأون إليهم عند النوائب، ويحرزون بهم أنفسهم عن أعداء الله وأعداء الإسلام.

(وزين الولاة): لما يحصل لهم فيهم من الجمال وحسن الهيئة والمنظر ونفوذ الأمر.

(وعز الدين): عن أن يضام أو تبطل قاعدة من قواعده، وتمحى رسومه وأعلامه.

(وسبل الأمن): طرق الأمان للخلق، وحراس الإسلام وحفظته.

(وليس تقوم الرعية إلا بهم): إذ لا سبيل إلى حفظ الرعية إلا بقوة الجند وشدة أمرهم وحالهم.

---

(١) في (أ): وسنة.

(٢) زيادة في شرح النهج.

(ثم لا قوام للجنود): لا تنتظم أحوالهم ولا تستقيم صورتهم[1].

(إلا بما يخرج الله لهم من الخراج): فرضه من هذه الحقوق في جميع الأموال وأصنافها، ما أخرجت الأرض مكيلاً أو غير مكيل، وما وصف على هذه النقود وأموال التجارة، وغير ذلك من أصناف الأموال.

(الذي يتقوون به في[2] جهاد عدوهم): يصرفونه في السلاح والكراع[3] وآلة الحرب.

(ويعتمدون عليه فيما أصلحهم[4]): مما يحتاجون إليه من ذلك.

(ويكون من وراء حاجتهم): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن يكون ذلك زائداً على مقدار الكفاية لما يحصل في ذلك من التقوي؛ لأن مقدار الكفاية من غير زيادة لا تحصل به قوة ولا نهضة أصلاً.

وثانيهما: أن يريد أن يكون ذلك مهيئاً معداً، حتى إذا ندب إليه الحاجة كان حاصلاً من غير طلب.

(ثم لا قوام لهذين الصنفين): يعني الجند والرعية.

(إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكُتَّاب): فهؤلاء أيضاً الحاجة إليهم ماسة والنفع بهم كثير.

---

(١) في (أ): صورهم.

(٢) في شرح النهج: على، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب)، وقوله هنا: يتقوون، في شرح النهج: يقوون.

(٣) الكراع: الخيل.

(٤) في شرح النهج: يصلحهم.

(**لما يحكمون من المعاقد**): يبرمون من هذه العقود من المعاوضات والأنكحة والإجارات وغير ذلك.

(**ويجمعون من المنافع**): بحفظ أموال الناس وضبطها حذراً من النزاع وخيفة من التظالم والتشاجر.

(**ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها**): يعني الحكام في حكوماتهم وأحوال الشهادات التي يسمعونها، والعمال بالإضافة إلى ما تحت أيديهم من الجبايات والخراجات العظيمة، والكتاب بالإضافة إلى كتابة الشروط وحفظها للأموال.

(**ولا قِوَامَ لهم جميعاً**): من جميع من[1] ذكره من الجند، والرعية، والقضاة، والعمال، والكتاب.

(**إلا بالتجار وذوي الصناعات**): فالتجار يخوضون البر والبحر في تأدية المنافع من بلد إلى بلد، بحيث لا يمكن ذلك إلا بتصرفهم وعنايتهم، وأهل الصناعات عنايتهم وجهدهم في تحصيل هذه الارتفاقات للخلق، بحيث لا تنقام لهم صورة إلا معهم.

(**فيما يجتمعون عليه من مرافقهم**): يعني من تحصيل هذه المنافع بالاجتماع من جهتهم.

(**ويقيمونه من أسواقهم**): لأن إقامة الأسواق لا تقوم إلا بأهل الحرف والصناعات.

(١) في (ب): ما.

(**ويكفونهم عن الترفق[1] بأيديهم**): يعني أن أهل الصناعات فيهم كفاية في صناعتهم عن أن يكون المنتفع بها هو المتولي لعملها، وهم كفاة في ذلك.

(**مما لا يبلغه[2] رفق غيرهم**): يعني بحيث لا يمكن غيرهم أن يبلغ مبلغهم في ذلك، وهذا ظاهر لا يمكن دفعه، فإن أهل كل صناعة قد مهروا في تلك الصناعة، وحصَّلوا علومها والاطلاع على دقائقها بحيث لا يمكن حصول تلك الصناعة على وجهها ممن ليس من أهلها.

(**ثم الطبقة السفلى**): وهم[3] آخر الطبقات، وأضعفهم حالاً، وأنزلهم قدراً.

(**من أهل الحاجة**): يعني الفقر، فإنه هو الحامل على الحاجة لهم إلى غيرهم.

(**والمسكنة**): وخمول القدر وركة الهمة.

(**الذين يحق رفدهم**): مواساتهم وإعطائهم.

(**ومعونتهم**): وإعطاءهم ما يستعينون به على حاجاتهم ومصالحهم.

(**وفي الله لكل سعة**): يعني وفي كرم الله تعالى وفضله وسعة جوده ما يسع الكل من هذه الطبقات، ويقيم حالته ويستغني به عن غيره.

(**ولكل**): من هؤلاء الذين ذكرناهم.

(١) في (ب) وشرح النهج: من الترفق.
(٢) في (ب): ولا يبلغه، وأشار في الهامش إلى أنه في نسخة: مما لا يبلغه.
(٣) في (ب): وهي.

(على الوالي حق بقدر ما يصلحه): نظر خاص معه تصلح أحواله وتستقيم أموره، وليس يخفى ما يختص كل واحد من هذه الطبقات من النظر في مصالحه، فليس النظر في أحوال العلماء وأهل الفضل مثل النظر في أحوال الحاكة، والحدادين وسائر أهل الصناعات، وهكذا فإن أهل[1] كل طبقة يخالف نظرهم سائر الطبقات، ولا استمداد لبعضها من بعض.

(فول[2] من جنودك): من رعيتك وأهل أمانتك.

(أنصحهم في نفسك): أعظمهم نصحاً لك ولمن وليته عليه، وأدخلهم في ذلك مراقبة.

(لله ولرسوله ولإمامك): فإن هذه الخصلة من أعظم ما يراعى في الولاة.

(وأنقاهم[3] جيباً): أكثرهم أمانة، يقال: فلان نقي الجيب إذا كان غير خائن في أموره.

(وأفضلهم[4] حلماً): أعلاهم في الحلم، وهو الانكفاف عند الغضب عن المحرمات.

(ممن يبطئ عند[5] الغضب): لا يعاجل إليه ويتأخر عنه.

(ويستريح إلى العذر): يقبله إذا قيل له، وإنما قال: يستريح إليه مبالغة

---

(١) أهل، سقط من (ب).

(٢) قبله في شرح النهج: (وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل).

(٣) في شرح النهج: وأطهرهم، وكذا في نسخة (هامش في ب).

(٤) في (ب): وأكثرهم.

(٥) في شرح النهج: عن، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

في قبوله؛ كأنه بحصول الاعتذار إليه عن الخطيئة يحصل له لذة ومسرة يستريح إليهما.

(ويرأف بالضعفاء): يكون في قلبه لهم رأفة ورحمة ورقة وتعطف.

(وينبو على الأقوياء): يرتفع حكمه عليهم ولا يُهِنْ ولا يضعف من أجلهم في ذات الله تعالى.

(ممن لا يثيره العنف): يحرك غضبه غلظته وقساوة قلبه وجرز أخلاقه.

(ولا يقعد به الضعف): عن استيفاء الحقوق وإبلاغها غايتها.

(ثم الصق بذوي الأحساب[1]): خالط واتصل بأهل الرئاسة ومن كان له حسب فاخر.

(وأهل البيوتات الصالحة): أهل التقوى والصلاح والعفاف والديانة، والبيوتات: جمع بيوت جمع بيت، ولا يجمع جمع الكثرة إلا بالألف والتاء، وذلك نحو دورات وطرقات وغيره، وهو: عبارة عن القبيلة والجماعات المجتمعة.

(والسوابق الحسنة): والعنايات المرضية في الدين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[يونس:٢]، أي سابقة حسنة، وسميت المسعاة الجميلة قدماً لما كان السبق بالقدم، كما سميت النعمة يداً لما كان إعطاؤها باليد.

(ثم أهل النجدة): أراد الصق نفسك بأهل النجدة: أهل النفاسة في الحرب.

---

(١) في شرح النهج: بذوي المروءات والأحساب.

(والشجاعة والسخاء والسماحة): وغير ذلك من الخصال المحمودة وشرائف الخصال العالية.

(فإنهم جماع الكرم[1]): منتهاه وغايته ومجتمعه.

(وشعب من المعروف[2]): وأنحاء وأودية من المعروف والإحسان.

(ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما): يشير إلى كثرة الحنو والتعطف على هؤلاء، ويأمر بإصلاح أمورهم وأحوالهم كلها، وأن ينزّلوا منزلة الأولاد في البر والكرامة.

(ولا يتفاقمنَّ في نفسك شيء قويتهم به): ولا يعظمنَّ في نفسك ويكبرنَّ، من قولهم: تفاقم الخطب إذا عظم وكثر، فإن ذلك يقلُّ من حق من هذه حاله[3].

(ولا تُحقِّرنَّ لطفاً تعاهدتهم به): أي ولا تستقل شيئاً يكون عوناً لهم على أمورهم.

(وإن قلَّ): أي وإن كان حقيراً فهو عند الله كثير، وفي الحديث: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، لا تحقرنَّ من المعروف ولو أن تلقى أخاك بوجه منطلق»[4].

(١) في شرح النهج: فإنهم جماع من الكرم.

(٢) في شرح النهج: العرف.

(٣) في (ب): حالته.

(٤) الحديث بلفظ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرّغ من دلوك في إناء المستقى، ولو أن تكلّم أخاك ووجهك إليه منبسط» أخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص٥٢٢ برقم (٧٠٨) بسنده يبلغ به إلى أبي جُرَيّ الهجيمي، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨١/٧-٨٢.

(فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك): في كل أمورك عن اجتهاد في ذلك.

(وحسن الظن بك): ويدعوهم ذلك إلى حسن المعاملة والظنون الصادقة الحسنة فيك.

(ولا تدع تفقد لطيف أمورهم): أصغرها وأحقرها وأقلها قدراً عندك وعندهم.

(اتكالاً على جسيمها): أعلاها وأعظمها، والاتكال: هو الاعتماد، وفلان يتكل على كذا أي يعتمد عليه.

(فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به): يشير إلى أن اليسير من جهة الوالي له موقع عظيم تقر به نفسه، ويطمئن إليه خاطره، وينشرح به صدره.

(وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه): يريد ولما عظم من إحسانك وجليل امتنانك محل ومكان لا غنى لهم عنه.

(وليكن آثر رءوس جندك عندك): أعلاهم حالة وأحقهم بالأثرة والنفع من عظماء الجند وأكابرهم وأهل المكانة منهم.

(من واساهم في معونته): الضمير في واساهم لمن قدم ذكرهم من أهل الشجاعة والنجدة؛ فإنه في ذكرهم وذكر حكمهم، من جعلهم أسوته فيما يستعين به على نفسه ومن تحت يده وجعل لهم قسطاً منه.

(وأفضل عليهم من جدته): وأعطاهم مما يجد من جهة نفسه.

(بما يسعهم ويسع من وراءهم): بما يكون فيه كفاية لهم وكفاية لما يموّنون من ورائهم.

(من خُلُوفِ أهليهم): الخلوف: جمع خلف وهو: من يخلف عليه الرجل من أهله ويموِّنه.

(حتى يكون همُّهم همّاً واحداً في جهاد العدو): يشير أنه إذا فعل هذه الآداب مع من ذكرنا حاله من أهل النجدة، لم يتفرق همهم، مرة في طلب القوت وهم العيال، ومرة في جهاد الأعداء، فإذا كُفِيْتِ عنهم هذه المؤن أقبلوا على همٍّ واحد هو جهاد عدو الإسلام ونفع الله بهم.

(فإن عطفك عليهم): بالإحسان والتفقد والتعاهد بما ذكرته.

(يعطف قلوبهم عليك): بالمودة والنصيحة وحسن الظن بك، والعطف: هو الميل بالشفقة، ويقال للناقة: تعطف على البوِّ إذا كانت مائلة[1] مشفقة عليه.

(ولا تصح[2] نصيحتهم إلا بحيطتهم): أي ولا يحصل لك التمكن من نصيحتهم لك وإشفاقهم عليك إلا بالشفقة والتحنن على ما يحوطونه ويشفقون عليه من الأهلين والأولاد.

(على ولاة أمورهم): ما يلونه من المهمات في أنفسهم.

(وقلة استثقال دولتهم[3]): يعني ولا تستثقل بقاء أيامهم ودوام أمرهم ودولتهم.

(١) مائلة، سقط من (ب)، والبوّ: ولد الناقة ساعة أن تضعه، أو إلى أن يفصل عن أمه.
(٢) في (ب): ولا تحصل.
(٣) في شرح النهج: دولهم.

(وترك استبطاء انقطاع مدتهم): يعني واترك الاستبطاء لانقطاع أيامهم، ولا تستعجل ذلك من نفسك.

(وافسح في آمالهم): أوسع فيما يرجونه من جهتك، ويحبون وصوله من عندك.

(وواصل في[1] حسن الثناء عليهم): مرة بعد مرة؛ ليكون ذلك فضلاً على الاستمرار.

(وتعديد ما أبلى الله ذوي البلاء منهم[2]): يعني وعدد ما أعطى الله أهل الصبر منهم والابتلاء من حسن الثناء ومزيد الذكر، وجميل الأحدوثة في المواقف المشهودة والمشاهد المجتمعة.

(فإن كثرة الذكر بحسن[3] أفعالهم): لما فعلوه من بذل الأرواح والسماحة بالمهج لوجه الله تعالى.

(تهز الشجاع): تحرك نشاطه على فعل أمثال ذلك، وتحمله على الازدياد منه.

(وتحرِّض الناكل[4]): وتجرِّئ الجبان على القتال والإقدام عند الحرب، والناكل: هو المتأخر عن القتال.

(ثم اعرف لكل امرئ منهم بلاء ما أبلى): يريد أن واحداً منهم إذا فعل مكرمة في الدين من قتال عدو أو إقداماً في حرب أو إصابة في رأي

(١) في شرح النهج: من.
(٢) في شرح النهج: وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم.
(٣) في شرح النهج: لحسن.
(٤) بعده في شرح النهج: إن شاء الله.

أو غير ذلك من البلاءات في الإسلام الحسنة، فاعرف ذلك له في نفسك وتحققه واذكره به، وأشهر أمره في ذلك، ولا تكتم له كل خصلة محمودة فعلها.

(**ولا تضم[1] بلاء امرئ إلى غيره**): يعني إذا فعله على انفراده فلا تضم غيره معه؛ فإن ذلك يوقع في نفسه ويكسر همته عن فعل أمثاله، مع ما فيه من الكذب والتقول والافتراء.

(**ولا تقصرنّ به دون غايته[2]**): يريد وإذا كان يستاهل مدحاً عظيماً وإشادة في ذكره كثيرة فلا تحسده[3] ذلك، ولا تنقصه عما أعطاه الله؛ فإن ذلك عطية من جهة الله تعالى، فلا يقصر دون الوصول إلى غايتها، فإنه حقيق بذلك يستاهله.

(**ولا يدعوك[4] شرف امرئ أن تعظّم من بلائه ما كان صغيراً**): يعني أن بعض الجند وإن كبر مكانه عندك وعظم قدره في نفسك، وكانت عنايته قليلة في الدين وجهاد العدو؛ فليس كبر مكانه مما يكبِّر ما كان صغيراً من عنايته، ولا يزيد مكانه عند الله مع كونها حقيرة.

(**ولا ضعة امرئ**): كونه وضيعاً مستحقراً في العيون.

(**إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً**): فلا يدعوك صغر قدره إلى استحقار ما فعله مع عظمه عند الله وشدة حاله في موقعه الذي وقع فيه،

(١) في شرح النهج: ولا تضُمَّنَّ، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٢) في (ب) وشرح النهج: ولا تقصرنّ به دون غاية بلاءه.
(٣) في (ب): فلا تحسِّره.
(٤) في (ب) وشرح النهج: ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم ...إلخ.

ولهذا فإن الله تعالى لم ينس صنيع بلال وصهيب وغيرهما من الموالي، وخباب بن الأرت وكثير من ضعفاء المسلمين فيما فعلوه في بدر، وأثنى عليهم الثناء العظيم، ولم يحتقر أقدارهم في ذلك، وأعطاهم الجنة مع رضوانه الأكبر.

ولقد بالغ أمير المؤمنين في الوصية بحال هؤلاء، وأنزلهم هذه المنازل الكريمة، وما ذاك إلا لعظم[1] موقعهم في الدين، وشرف مكانتهم[2] في العناية فيه.

(**واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب**): ومن جملة ما تراعيه من الآداب أن الأمور التي تقهرك، وأمر مضلع إذا كان قاهراً لصاحبه، والضلع: العرج، فاردده إلى من هو أعلم بحاله، وأقدر على إصداره منك.

(**ويشتبه عليك من الأمور**): فلا تدري كيف تصيره، ولا تعلم حاله في إيراده وإصداره.

(**فقد قال الله سبحانه[3] لقوم أحب إرشادهم**): يشير إلى الصحابة رضي الله عنهم، فإن الله خاطبهم خطاب من يريد الرشاد بهم، حيث قال، ثم تلا هذه الآية:

(﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾)[النساء:٥٩]: بامتثال أوامر الله والانكفاف عما نهى عنه ورسوله[4].

(١) في (ب): لعظيم.
(٢) في (ب): مكانهم.
(٣) سبحانه، زيادة في شرح النهج.
(٤) ورسوله، سقط من (ب).

(﴿وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾)[النساء:٥٩]: يعني المتولين لإصلاح[1] أحوالكم والقيام بأموركم.

(﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾)[النساء:٥٩]: من أمور الدين ولم تعلموا حاله وحكمه.

(﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾)[النساء:٥٩]: تعالى[2].

(﴿وَالرَّسُولِ﴾).

(**فالرد إلى الله أن نأخذ بمحكم كتابه**[3]): يعني إن اعتاص على أفهامكم أمر من الأمور الدينية فلم يمكنكم اقتباسه من أفهامكم واجتهاده بآرائكم الصائبة، فارجعوا به إلى كتاب الله، فإنه شامل لحكمه، لا يغيب عنه، كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨].

(**والرد إلى الرسول الأخذ بسنته**): يعني فإن لم تجدوه في الكتاب لغموضه ودقة استنباطه منه فردوه إلى السنة.

(**الجامعة**): للأحكام كلها، أو الجامعة لكتاب الله تعالى[4].

(**غير المفرقة**): التي لا تفريق[5] فيها ولا تناقض في شيء من أحكامها لما في كتاب الله تعالى.

(١) في (ب): من إصلاح.
(٢) تعالى، سقط من (ب).
(٣) في (ب) وشرح النهج: فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه.
(٤) تعالى، زيادة في (ب).
(٥) في (ب): لا تفرق.

سؤال؛ فيمَ هذا التنازع الذي ذكره الله، وكيف يكون الردُّ إلى الكتاب والسنة، وهل فيه إشارة إلى بطلان العمل على القياس[1]؟

وجوابه؛ أما التنازع فيحتمل أن يكون في المقدرات التي لا مجال للقياس فيها وهي أكثر العبادات، فإن معظمها محكمات من جهة الشارع، لا اهتداء لنا إلى معانيها، ولا تجري فيها الأقيسة، ويحتمل أن يكون ذلك في جميع الأحكام كلها.

وأما كيفية الردِّ فما كان مقدراً فالحكم فيه موكول إلى الكتاب والسنة ونصوصهما، وما يجري من جهتهما، ولا أصل لها سواهما، إذ لا يعلم التقدير إلا بأمر غيبي، وليس ذلك إلا ما يكون من لفظ الشارع واقتراحه[2]، وما كان من الأحكام غير مقدر فهو موكول إليهما أيضاً، بالنظر في ظواهرهما ونصوصهما وأخذ الحكم من ذلك.

قوله: هل في الآية إشارة إلى ردِّ القياس وإنكاره؟ فهو فاسد؛ لأن العمل بالقياس مردود إلى الكتاب والسنة وأخذه منهما، فكيف يقال: إن فيها إشارة إلى بطلانه.

ثم ذكر حال القضاء وما يجب مراعاته فيه، بقوله:

(**ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك**): يريد أنه لابد للناس من حاكم يفصل شجارهم، ويقطع مواد خصوماتهم، ويوصِّل إلى كلٍ

(١) في (ب): بالقياس.
(٢) من معاني الاقتراح: ارتجال الكلام، واستنباط الشيء من غير سماع، والاجتباء، والاختيار، والتحكم. (انظر القاموس المحيط ص٣٠٢).

حقه[1]؛ لأن تركَ ذلك يؤدي إلى دوام التخاصم ويثير التظالم بين الخلق، وهو من أهم قواعد الشريعة وأعلاها بالمحافظة والمراقبة، فاختر له أحق الناس بالفضل من الرعية التي تحت يدك، وأعلاهم همة في الدين، وأعظمهم:

(**في نفسك**): بالإضافة إليك وإلى فراستك فيه وتفكرك في حاله، لا تكليف عليك سوى ما ينقدح في نفسك من ذاك.

(**ممن لا تضيق به الأمور**): ينزعج ويفشل عند ازدحام الأحكام والأقضية وتشاجر الخصوم وكثرة الدعاوي فتضيق نفسه.

(**ولا تمحكه الخصوم**): المحك هو: اللجاج، يقال: محكته فامحك كما يقال: خاصمته فخصمته.

(**ولا يتمادى في الزلة**): يعني أنه إذا زلَّ فليس يتمادى فيها[2] بالإصرار، بل لا يتمالك في تداركها والرجوع عنها.

(**ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه**): الحصر هو: العي، وأراد أنه لا يعيا عن الرجوع إلى الحق إذا تحقق ذلك وتيقنه.

(**ولا تشرف نفسه على طمع**): يعني ولا تتطلع نفسه إلى تحصيل الأطماع، من قولهم: أشرفت على[3] كذا إذا كان مطلعاً عليه، والغرض أنه بعيد عن الورود في المطامع.

(**ولا يكتفي**): في قضائه وحكمه.

---

(١) في (ب): ويوصل إلى كل جهة.

(٢) في (ب): بها.

(٣) في (ب): إلى.

(**بأدنى فهم دون أقصاه**): بسابق النظر والفهم من دون أن يكون تابعاً لمنتهى ذلك وغايته بالتدبر والتفهم والإبلاغ.

(**أوقفهم في الشبهات**): أكثر توقفاً في الأمور المشتبهة.

(**وآخذهم بالحجج**): أي وأقطعهم عند ظهور الحجة الواضحة.

(**وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصوم**[1]): البرم هو: السآمة والملل، وأراد أنه لا يكون سائماً بمراجعة أهل الخصومات مالاً لها؛ لأن ذلك يؤدي إلى تغير حاله وطيشه وفشله.

(**وأصبرهم على تكشف**[2] **الأمور**): بالملمات والدواهي العظيمة، وأراد عند ظهورها وبدوها، يقال: كشفته فانكشف وكاشفته بالعداوة إذا بدأته بها، وفي الحديث: «لو تكاشفتم ما تدافنتم»[3] أي لو أظهر بعضكم لبعض عيبه.

(**وأصرمهم عند اتضاح الحكم**): أفصلهم للقضية، وأقطعهم للجاج الخصوم عند قيام البينة، ووضوح الحجة، والمعنى في هذا أنه لا يقدم من غير بصيرة، وإذا حصلت البصيرة فهو غير متردد في الإنفاذ لقضائه وحكمه.

(**ممن لا يزدهيه إطراء**): أي لا يستخفُّه مدح.

(**ولا يستميله**): إلى الحكم بالباطل.

(**إغراء**): من يغري، وحث من يحثه على ذلك.

(**أولئك قليل**): يريد المستحقين لهذه الأوصاف العاملين على ما قلته

---

(١) في شرح النهج: الخصم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) في (ب): وأصبرهم بكشف الأمور... إلخ.

(٣) النهاية لابن الأثير ١٧٦/٤ وقال في شرحه: أي لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه.

من هذه الوظائف، ولقد صدق (عليه السلام) في مقالته هذه، فإن أكثر أئمة الزمان يعدم فيهم مراعاة هذه الصفات فضلاً عن حكامهم وولاة أمر حكمهم.

(**ثم أكثر تعاهد قضائه**): تفقده مرة بعد أخرى، والمطالعة لأحكامه الصادرة من جهته وإنفاذاته، وراقبها بعين كالية.

(**وأفسح له في البذل**): أمدَّه[1] من جهتك بالعطاء وارزقه رزقاً غامراً له.

(**ما يزيح علته**): أي يزيلها عن الرشوة والتباعد عن الأطماع الباردة والتهور فيها.

(**وتقل معه حاجته إلى الناس**): يريد أنك إذا أعطيته عطاء فاضلاً لم يحتج إلى أحد من الخلق في قليل ولا كثير.

(**وأعطه من المنزلة لديك**): من رفع المكانة وإشادة المنزلة من جهة[2] نفسك.

(**ما لا يطمع فيه أحد[3] من خاصتك**): الضمير في قوله: فيه له معنيان:

أحدهما: أن يكون عائداً إلى الحاكم، وأراد ما لا يطمع أحد من الخاصة في السعاية به إليك، ويأمن ذلك.

وثانيهما: أن يكون عائداً إلى نفس المعطي، وغرضه وأعطه من الإنصاف ما لا يطمع فيه أحد من الخاصة فيكون له مثل حقه.

(**ليأمن بذلك**): ليكون على ثقة وأمن من وقوع إنصافك له

(١) في (ب): أفده.

(٢) جهة، زيادة في (ب).

(٣) في شرح النهج: غيره، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

ورفع منزلته عندك.

(**اغتيال الرجال[1]**): غدرهم ومكرهم به من حيث لا يشعر ولا يدري.

وفي نسخة أخرى: (**اغتياب الرجال**): أي أن يغتابوه بحضرتك وفي وجهك؛ لما يرون من شدة إنصافك له وارتفاع درجته عندك، فلا ينطقون فيه بما يكرهه منهم.

(**فانظر في ذلك نظراً بليغاً**): الإشارة بقوله: في ذلك يريد أمر القضاء؛ لأنه يتكلم فيه، ويحتمل أن يكون عاماً لجميع ما أسلفه من الآداب كلها، والأول هو الوجه.

(**فإن هذا الدين قد كان أسيراً**): يشير إلى ما كان قبل النبوة من أمر الجاهلية، يعني لا حكم له[2].

(**في أيدي الأشرار**): من حكّام الجاهلية نحو عامر بن الظرب[3] وغيره من الكهان، نحو شق[4] وسطيح[5] وغيرهما.

(١) في شرح النهج: اغتيال الرجال له عندك.

(٢) وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٦٠/١٧ ما لفظه: ثم قال: (إن هذا الدين قد كان أسيراً) هذه إشارة إلى قضاة عثمان وحكامه، وأنهم لم يكونوا يقضون بالحق عنده، بل بالهوى لطلب الدنيا. وأما أصحابنا فيقولون: رحم الله عثمان! فإنه كان ضعيفاً، واستولى عليه أهله، وقطعوا الأمور دونه، فإثمهم عليهم، وعثمان بريء منهم. انتهى.

(٣) هو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدواني، رئيس من الجاهليين، كان رئيس مضر وحكمها وفارسها، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً ولا بحكمه حكماً، وهو أحد المعمرين في الجاهلية. (انظر الأعلام ٢٥٢/٣).

(٤) هو شق بن صعب بن يشكر بن رهم القسري البجلي الأنماري الأزدي، المتوفى سنة٥٥ق.هـ، كاهن جاهلي. (المصدر السابق ١٧٠/٣).

(٥) هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدي بن الذئب من بني مازن من الأزد، المتوفى نحو سنة٥٢ق.هـ. كاهن جاهلي غساني، من المعمرين، يعرف بسطيح، كان العرب يحتكمون إليه ويرضون بقضائه. (المصدر السابق ١٤/٣).

(يعمل فيه بالهوى): من غير هدى من الله بنبي ولا كتاب منير من عنده.

(وتطلب به الدنيا): حطامها والرئاسة فيها نحو ما كان من حديث الحمس[1]، وما كان من وضع القيافة في بني مدلج، ونحو البحيرة والسائبة والوصيلة[2] والحامي[3] وغير ذلك من الجهالات والضلالات،

(١) ذكر ابن هشام حديث الحمس في السيرة النبوية ١/١٣١ فقال ما لفظه: قال ابن إسحاق: وقد كانت قريش لا أدري أقبل الفيل أم بعده ابتدعت رأي الحمس رأياً رأوه وأداروه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحرمة، وولاة البيت، وقطان مكة وساكنها فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم، وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم، فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها ونحن الحمس، والحمس: أهل الحرم، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم، بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم. انتهى، ثم استطرد الكلام في ذلك.
(انظره في المرجع السابق١/١٣١-١٣٤ تحقيق عمر محمد عبد الخالق (ط١) ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار الفجر. القاهرة).

(٢) وقد ذكر الله عز وجل ذلك في سورة المائدة الآية١٠٣ فقال سبحانه: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ صدق الله العظيم. قال العلامة المفسر جار الله الزمخشري رحمه الله في تفسيرها في الكشاف١/٧١٧ ما لفظه: كان أهل الجاهلية إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، وإذا لقيها المعيي لم يركبها، واسمها البحيرة، وكان يقول الرجل: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها. وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبداً قال: هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث، وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم، وإذا ولدت ذكراً فهو لآلهتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، وإذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: من حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى، ومعنى ﴿ما جعل﴾ ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك، ولكنهم بتحريمهم بما حرموا ﴿يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا، ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارها. انتهى.

(٣) والحامي، سقط من (ب).

حتى جاء الله بالنور والضياء بالرسول والقرآن، فأمات هذه البدع ومحاها، وأحيا ما اندرس من السنن وأعلاها.

ثم ذكر حال العمال على جباية الخراجات، بقوله:

(ثم انظر في أمور عمالك): جباة الخراج إليك والكتّاب وأهل الديوان وحفّاظ الجيوش، ومن كان مستعملاً على عمل من الأعمال لك.

(فاستعملهم اختياراً): من جهة نفسك لما ترى من صلاحيتهم لتلك الأعمال ومطابقتهم لإتقانها وعملها.

(ولا تولهم محاباة): مصانعة لهم ومداهنة وميلاً عن الحق في ذلك.

(وأثرة): الأثرة هي: الاسم من الاستئثار، وأراد وإيثاراً لهم على ذلك العمل من غير استحقاق، ومحبة لا ستبدادهم به.

(فإنهم أجماع[1] من شعب الجور والخيانة): الأجماع جمع جمع، ويروى:

(جماع): أخذاً له من قوله (صلى الله عليه وآله): «الخمر جماع الآثام[2]»، وأراد أنهم مجموعون من شعب الجور والخيانة، يشير بذلك إلى أنهم مطبوعون على ذلك مجبولون عليه، فما أحوجهم إلى المراقبة لأحوالهم والمطالعة[3] لتصرفاتهم.

(١) في شرح النهج: فإنهما جماع ...إلخ.
(٢) في (ب): الإثم.
(٣) في (ب): والمراقبة.

(وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء): فاختر منهم وتحرى[1] ممن[2] كان له تجربة في ذلك وحياء، فلعل من يكون بهذه الصفة بمنعة عن التهور في المطامع والوقوع في المآثم بالخيانة، والإقدام على الأمور المحظورة.

(من أهل البيوتات الصالحة): ممن يشار إليه بالصلاح من القبائل وأهل المنازل الرفيعة.

(والقدم في الإسلام المتقدمة): ومن له عناية في الدين وقدم راسخة.

(فإنهم أكرم أخلاقاً): عن أن تتطرق إليهم التهمة.

(وأوضح أعراضاً[3]): عرض واضح إذا كان نقياً، وأراد أنهم أبعد عن الخيانة فيما اعتملوا عليه من الولايات.

(وأقل في المطامع إسرافاً[4]): أراد وإن بدا منهم يوماً مطمع من المطامع فهو قليل لا إسراف فيه، لما يحذرون من اللوم ويخافون من الفضيحة.

(وأبلغ في عواقب الأمور نظراً): يعني وأنظارهم فيما يؤمل من العواقب بالغة في الجزالة والحصافة[5] مبلغاً عظيماً.

(ثم أسبغ عليهم الأرزاق): أفضلها على مقدار كفايتهم وأوسعها عليهم.

(١) في نسخة: وتوخَّ (هامش في ب).
(٢) في (ب): من.
(٣) في شرح النهج: وأصح أعراضاً.
(٤) في شرح النهج: إشرافاً.
(٥) في (ب): والحصانة.

(فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم): في القيام بأعمالهم التي يختصون بها وزيادة في عظم حالهم؛ لما يحصل بالقوة من الشيار[1] والأُبهة.

(وغنى لهم[2] عن تناول ما تحت أيديهم): ويكون فيه استغناء عن الخيانة فيما هم فيه؛ لأن أكثر ما تحصل به الجرأة على الخيانة لمن هذه حاله، هو الفقر إليه والحاجة الماسة من أجله.

(وحجة عليهم إن خالفوا أمرك): ومبالغة في وجوب الحجة عليهم مع المخالفة فيما أؤتمنوا عليه من ذلك، إذ لا عذر لهم في ذلك مع الغنى والتمكن والبسطة في الرزق.

(وثلموا[3] أمانتك): بالخيانة التي هي خلاف الاستقامة، والتي هي ثلم في الدين والأمانة.

(ثم تفقد أعمالهم): راقب ما وضعت لهم من تلك الأعمال وأرصدتهم لحفظها وأخذها.

(وابعث العيون): الحراس وأهل الحفظ.

(من أهل الصدق والوفاء[4]): ممن لا يكذب فيما ينقله إليك من أفعالهم، ولا يخون عهداً فيما قلته له من أجلهم، وعهدته إليه من إبلاغ أسرارهم إليك.

(١) في (أ): السيار، بدون تنقيط، وفي (ب): الشنار، وهو تصحيف، والشيار بالياء: الحسن، والجمال، والهيئة، واللباس، والزينة. (انظر القاموس المحيط ص٥٣٩).
(٢) لهم، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٣) في (ب) وشرح النهج: أو ثلموا.
(٤) في (ب) وشرح النهج: من أهل الصدق والوفاء عليهم.

(**فإن تعاهدك[1] في السر لأمورهم**): تفقدك لها في الخفية والاطلاع عليها سراً.

(**حدوة لهم**): بعث لهم عليها وحث على حفظها وصيانتها.

(**على استعمال الأمانة**): التي تحت أيديهم لك واستصحابها ومدوامتها، وكفاً لهم عما يخطر لأحد منهم على باله من خلاف ذلك.

(**والرفق بالرعية**): أي وحث على الرفق بالرعية؛ لأن أحوالهم إذا كانت على هذه الهيئة من المراقبة[2] كان ذلك أدعى إلى ما ذكره، وأبعد من الخيانة وعن تطرق التهمة.

(**وتحفظ من الأعوان**): من الخدم والجند والكتاب وسائر أعوان الدولة، وغرضه أنه يملك حذره في ذلك ويراقب أحوالهم.

(**فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة**): فيما اعتملته عليه من العمالات، أو في غيرها مما يتعلق بالدولة والرعية في مال أو خان في أي وجه من الخيانات.

(**اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك**): يشير إلى أن العمل في ذلك على سابق الرأي، وأول الظن[3] لا وجه له؛ لأنه يطرق خللاً عظيماً، ويؤدي إلى بطلان النظام واختلال أحوال العمال، ولابد في ذلك من غلبة ظن قوية تكون حاصلة من جهة العيون بأخبار مختلفة، بحيث لا يتطرق إليهم التواطؤ في ذلك.

---

(١) في نسخة: فإن بتعاهدك (هامش في ب).
(٢) في (ب): في المراقبة.
(٣) في (ب): وأول النظر.

(**اكتفيت بذلك شاهداً**): على صحة ما جنى، ولم يراع قيام البينة العادلة وتعديل الشهادة عند الحاكم، بل ذلك يكون[1] كافياً في الإقدام على الأدب عليه.

(**فبسطت عليه العقوبة**): أذقته وبالها.

(**في بدنه**): بالضرب وصبٍّ جلدات النكال عليه.

(**وأخذته بما أصاب من عمله**): يعني أنك تخمِّن الأمر في مقدار ما خان في تلك الولاية وأتلف من أموال الله، فتأخذه به وتقتطعه من ماله.

ويحكى أن عمر بن الخطاب استعمل خالد بن الوليد في بعض الولايات، فاتهمه في الخيانة[2] فيها، فضرب بسهام الرأي في ذلك، فرأى أنه قد استغرق في تلك الولاية نصف ماله فقاسمه في نصفه، حتى لقد أخذ منه فردة نعله ونصف عمامته[3]، حراسة لأموال الله عن الإهمال، ومراقبة للولاة بالأعين الكالية.

(**ثم نصبته**): بعد ذلك.

(**بمقام المذلة**): الصغار والمهانة.

---

(١) في (ب): بل يكون ذلك.
(٢) في (ب): بالخيانة.
(٣) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١/١٨٠ ما لفظه: عزل عمر خالداً عن إمارة حمص في سنة سبع عشرة، وأقامه للناس، وعقله بعمامته، ونزع قلنسوته عن رأسه وقال: أعلمني من أين لك هذا المال؟ وذلك أنه أجاز الأشعث بن قيس بعشرة آلاف درهم، فقال: من الأنفال والسهمان، فقال: لا والله لا تعمل لي عملاً بعد اليوم، وشاطره ماله، وكتب إلى الأمصار بعزله، وقال: إن الناس فتنوا به، فخفت أن يواكلوا إليه، وأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع. انتهى.

(ووسمته بالخيانة): علمته للناس بأنه خائن في عمالته حتى لا يعتمل على عمل قط، ولا يؤمن في قليل ولا كثير.

(وقلدته عار التهمة): جعلته بمنزلة القلادة في عنقه، وكل ذلك مبالغة في الأمر، وحفظ للدولة ومراعاة لأحوال السياسة والإيالة.

ثم عقب ذلك بذكر الخراج والتعهد لأحواله، بقوله:

(وتفقد أمر الخراج): وهو عبارة عن جميع الأموال المأخوذة من الخلق من أموال المصالح وغيرها، ثم هو ضربان:

فالضرب الأول من ذلك:

أموال المصالح وهي الفيء، والأموال المضروبة[1] للخراج، والجزية، واللقط، والأموال التي لا مالك لها، فهذه كلها مصروفة في مصالح الدين، في العلماء، وإصلاح الطرقات، وبناء المساجد، وأرزاق القضاة، وما تكون مصلحته راجعة إلى جملة الدين، وهل يعطى الفقير الذي لا مصلحة فيه؟ فيه تردد للنظر، وقد كان ابن عمر يعطيه.

الضرب الثاني من ذلك:

أموال الفقراء وهي عبارة عن الزكوات، والفطر، والكفارات، والنذور المطلقة، فهذه لا يجوز صرفها في المصالح، وإنما هي مصروفة في الأصناف الثمانية التي ذكرها الله في كتابه، ولها أحكام مخصوصة ليس هذا موضع ذكرها.

---

(١) في (ب): المصروفة.

(بما يصلح أهله): بما يكون نظراً في صلاح أهله، وتعهد لأحوالهم من أجله.

(فإن في[1] صلاحه): بالحفظ والصيانة.

(وصلاحهم): بالتخفيف[2] والرفق في أحوالهم.

(صلاحاً لمن سواهم): من الجند والديوان بحفظ بيضة الإسلام.

(ولا صلاح لمن سواهم): من الجند والضعفاء والمساكين وغيرهم من أهل الخراج.

(إلا بهم): بسبب قوتهم وإصلاح أحوالهم[3].

(لأن الناس كلهم): من أجناد الإسلام وأعوانه وسائر الفقراء والمساكين وغيرهم ممن له حظ في الخراج ونصيب فيه.

(عيالٌ على الخراج): ثقل عليه وَكلٌّ.

(وأهله): ومن يؤخذ الخراج منه.

(وليكن نظرك في عمارة الأرض): يعني اجعل أهم أنظارك في عمارة البلدان والأراضي بالقوة لأهلها.

(أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج): في تحصيله وكثرته.

---

(١) في، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٢) في (ب): بالتحقيق.
(٣) في (ب): حالهم.

(**لأن ذلك لايدرك إلا بالعمارة**): يعني أن كثرة الخراج وقوته لا يدرك إلا بالعمارة للأرض[1].

(**ومن طلب الخراج من غير[2] عمارة أخرب البلاد**): يريد أن الوالي إذا كان همه تحصيل الخراج على أي وجه كان من غير نظر في عمارة الأراضي وتقويتها، فإن ذلك إخراباً للأرض وإفساداً لها؛ لأنهم إذا كانوا يطلبون الخراج من أهله من غير عمارة ضعفوا بأخذ أموالهم وهانوا عن عمارة الأرض، فيكون ذلك سبباً في خرابها لا محالة، وهذه عادة كثير من الظلمة وأهل الجور، يطلبون ما في الأيدي[3] من غير التفات حتى تهلك الأرض، وتبطل عمارتها، ويهلك أهلها فقراً وهزالاً بما يلحقهم من الظلم في ذلك.

(**وأهلك العباد**): بالظلم والجور.

(**ولم يستقم أمره إلا قليلاً**): لأمرين:

أما أولاً: فلإسراع الله تعالى له بالعقوبة وتعجيل النقمة بما كان منه من الظلم والجور.

وأما ثانياً: فلأن قوامه ودوامه إنما هو بما يحصل من الخراج وقوة أهله، فإذا بطل الخراج وضعف أهله فلا بقاء له بحال، فلهذا قال: لم يستقم أمره إلا قليلاً.

---

(١) في (ب): بعمارة الأرض.

(٢) في شرح النهج: بغير، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٣) في (ب): ما في أيدي الناس.

(**فإن شكوا ثقلاً**): يعني الموظف[1] عليهم الخراج من الرعية زيادة تثقل عليهم أداؤها وتضعف أحوالهم.

(**أو علة**): أصابت الزرع من المصائب المتلفة له والناقصة لأحواله كالبرد والدود أو غير ذلك من الآفات.

(**أو انقطاع شرب**): يريد فيما كان شربه بالعيون والآبار فينقطع الماء عنه.

(**أو بالّة**): يعني[2] إما جعله كناية عن الماء القليل قدر ما يبل، ولهذا يقال: لا تبل فلان عندي بالّة أي لا يصيبه مني خير ولا ندى، وإما أن يريد السحب البالّة، والأمطار تكون قليلة، فيضعف الزرع لأجلها.

(**أو إحالة أرض**): تحولها عما كانت عليه من الصلاح للزراعة، ثم فسر ما حولها غير ذلك بقوله:

(**اغتمرها غرق**): أي علاها ودام عليها حتى أهلكها.

(**أو أجحف بها عطش**): أذهبها وأزال ما زرعته.

(**خففت عليهم[3]**): الخراج المطلوب منهم ورفعته.

(**بما ترجو أن يصلح به أمرهم**): يريد أن التخفيف على قدر الحال في ذلك، فإن اقتضى رفع الكل أو رفع البعض كان ذلك على قدر ما يراه الوالي مصلحاً لأحوالهم وأمورهم.

---

(١) أي المقدر عليهم الخراج.

(٢) يعني، سقط من (ب).

(٣) في شرح النهج: عنهم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(ولا يثقلنّ عليك شيء خففت به المؤونة عنهم[1]**)**: أراد ولا يصعبنّ عليك إزالة ما تزيله عنهم من المطالب وتخففه عنهم من الغرامات والمؤن.

(فإنه ذخر): كأنك ذخرته عندهم وخبيَّة خبأتها في أيديهم.

(يعودون به عليك): يرجعون بها إليك، وينفقونها:

(في عمارة بلادك): إصلاح أحوالها وتهيئتها للزراعة والقوة.

(وتزيين ولايتك): لأن البلاد إذا كانت عامرة وأهلها في دعة ورخاء وبُلَهْنِيَةٍ[2] من العيش وأمن من السبل؛ فإن ذلك كله يزين الوالي ويحسِّن ظن الخلق فيه.

(مع استجلابك حسن ثنائهم): بما فعلته معهم من التخفيف والرفق.

(وتبجّحك باستفاضة العدل عليهم[3]**)**: يعني وظهور ما يظهر من جهتك من النشاط والفرح بما أسبلته عليهم من ستر عدلك.

(معتمداً): فيما فعلته من رفع المطالب وإزالة الغرامات.

(أفضل[4] **قوتهم)**: أعظم ما يتقوون به ويكون سبباً في قوة أمرهم.

(بما ذخرته[5] **عندهم من إجمامك لهم)**: خبأته عندهم من ترفيهك

(١) في (ب): عليهم.
(٢) هو في بُلَهْنِيَةٍ من العيش بضم الباء أي سعة ورفاهية. (انظر القاموس المحيط ص١٥٢٤).
(٣) في (ب) وشرح النهج: فيهم.
(٤) في شرح النهج: فضل.
(٥) في شرح النهج: ذخرت، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

وإراحتك لهم عن هموم المطالب وعموم الغرم، يقال: فرس جامٌّ إذا كان متروكاً عن السير[1]، مقيماً على الراحة.

(والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم): وواثقين بما ألفوه من بسط العدل من جهتك إليهم.

(في رفقك[2] **بهم)**: وبالرفق الواصل إليهم من عندك والرحمة لهم في ذلك، فطابت خواطرهم إلى ذلك، واطمأنوا إليه، وانشرحت به صدورهم.

(فربما حدث من الأمور): العظيمة والنوائب الهائلة.

(ما إذا عوّلت فيه عليهم): الذي إذا طلبتهم لأجله من الأموال العظيمة والخراجات الكثيرة.

(من بعد): يعني من بعد ما قد فعلت ما فعلته من التخفيف والرفق.

(احتملوه طيبة أنفسهم به[3]**)**: حملوه ودفعوه على طيب من أنفسهم وثلج من خواطرهم، لا يتضررون به لقوتهم وعمارة أوطانهم.

(فإن العمران محتمل ما حمّلته): يريد أن البلدان والأقاليم وسائر الأقطار كلها إذا كانت قوية عامرة، فهي محتملة لما حمّلتها من الخراجات الواسعة لا تحتفل[4] بها، ولا تشغر[5] بما دفعوه من ذلك.

(١) عن السير، سقط من (ب).
(٢) في (ب) وشرح النهج: ورفقك بهم.
(٣) به، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٤) أي لا تبالي.
(٥) أي ولا تنقص، من قولهم: شغر السعر إذا نقص.

(وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها): الإعواز: الفقر والإملاق، وأراد أنهم إذا كانوا فقراء عوزين محتاجين ضعفوا عن عمارة الأرض، فلهذا كان ذلك سبباً في خرابها ودمارها.

(وإنما يعوز أهلها): يكون السبب في فقرهم.

(لإسراف أنفس الولاة على الجمع): لتجاوزهم الحد في الجمع والادخار للأموال وكسبها من غير حلها، هذا إذا كانت الرواية بالسين المنقوطة[1] من أسفلها، فأما من رواه بالشين منقوطة[2] من أعلاها، فالغرض إقبالهم على جمع الأموال، من قولهم: فلان مشرف على أمره إذا كان مقبلاً عليه بإصلاحه.

(وسوء ظنهم بالبقاء): يعني أنهم موطنون نفوسهم على الزوال والذهاب فلا يلتفتون إلى العاقبة للأمر في ذلك.

(وقلة انتفاعهم بالعبر): بالمواعظ، هذا على رواية من رواه بالعين المهملة، فأما[3] من رواه بالغين المنقوطة[4]، فالغرض به تغيرات الدهر وحوادثه أي لا يحتفلون بها، ولا يكتزون[5] من أجلها، ولقد بالغ في تعليم كيفية أخذ الخراج من أهله مخافة تجرِّي[6] الظلم في حق الخراج،

(١) في (أ): منقوطة.
(٢) أي لإشراف.
(٣) في (أ): وأما.
(٤) أي بالغير.
(٥) في (ب): ولا يكترثون.
(٦) في (ب): مخافة أن يجري ...إلخ.

ومحافظة على الترفيه بالرعية والرفق بأحوالهم، رعاية من كان همه خوف الله وإشادة قوانين العدل، ووضع موازين القسط، ورفقاً بالأمة وحماية لهم.

ثم أردف ذلك بذكر أحوال الكتَّاب، بقوله:

(ثم انظر حال[1] كتَّابك): يعني الذين يكتبون الرسائل ويصدرون الأجوبة، مما يرد من العمال والأسرار وأحوال الحوادث في الأقاليم والبلدان وغير ذلك، مما يستدعيه أمر الكتابة.

(فولِّ على أمورك): فيما يكون متعلقاً بها.

(خيرهم): أفضلهم في الدين والتقوى.

(واخصص رسائلك[2] التي تدخل فيها مكايدك وأسرارك): الكيد هو: الخدع، والمكايد: المخادع والمراصد، ومنه قولهم: عرف فلان ما يكاد به أي ما يخدع به ويرصد له، وأراد ها هنا تخصيص الرسائل التي تُضَمِّنُها مراصد الحرب، ومكايدها وأسرارك التي تضمرها لمصالح دولتك وإصلاح أمرك.

(بأجمعهم لوجود[3] صالح الأخلاق): بالذي تجتمع فيه الخلائق المرضية والشمائل الشريفة.

(١) في (ب) وشرح النهج: في حال.
(٢) في (ب): برسائلك.
(٣) في (ب): بوجوه.

(**ممن لا تبطره الكرامة**): يخرج بها عن الحد، والبطر: المرح وشدة الاختيال.

(**فيجترئ بها عليك**): فيكون سبباً للإقدام في الأمور المكروهة عليك.

(**في خلاف لك**): فيما يخالفه[1] من أمرك الذي أمرته به.

(**في ملأ**): في مجمع من[2] الخلق ومحفل من محافلهم.

(**ولا تقصّر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك**): يعني ولا يتهاون بأمرك تقصيراً منه وتغافلاً عن إيراد المكاتبات الواصلة من العمال؛ لأن في تأخيرذلك ضرراً عظيماً وخللاً في الدولة بإغفال ذلك.

(**وإصدار جواباتها على الصواب عنك**): من غير مخالفة لرأيك فيما يصدره من الأجوبة.

(**وفيما يأخذ لك**): على الرعية والولاة من الحل والعقد والقبض والبسط.

(**ويعطي عنك**[3]): من الجوائز والإنعامات والذمم والعهود والأمانات، فإن الكتاب هم حفظة الأسرار، وبأيديهم ملاك الأمور ومقاليد الدولة.

(**ولا يُضعِف عقداً اعتقده لك**): ولا يهوّن ما أخذ[4] لك من العقود، ويبلغ فيها كل مبلغ من تأكيدها والتحفظ فيها والمبالغة في وثاقها.

---

(١) في (ب): يخالفك.

(٢) من، سقط من (ب).

(٣) في شرح النهج: منك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٤) في (ب): أخذه.

(**ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك**): وإذا عقد عليك عقداً من ذمة أو وفاء بأمر، أو غير ذلك فلا يتأخر عن إطلاقه لمن هو له، فأنت أحق الناس بالوفاء بالعهد وأصونهم للميثاق.

(**ولا يجهل مبلغ قدر**[1] **نفسه في الأمور**): يعني وليكن عالماً بمنتهى قدره في الأمور فيما يأتي منها وما[2] يذر، وفيما يكون له[3] التصرف فيه، وفيما لا يكون كذلك.

(**فإن الجاهل بقدر نفسه**): [في الأمور][4] الذي لا يعرف حالها في الإقدام والإحجام والأخذ والترك.

(**يكون بقدر**[5] **غيره أجهل**): لأن نفسه أخص، فإذا جهلها فغيرها أدخل لا محالة في الجهالة، ومهما جهل حالك لم يكن داخلاً في مرادك ولا كان على وفقه، وفي ذلك ما لا يخفى فساده وضرره عليك.

(**ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك**): الفراسة في الشيء هي: الخبرة بحاله والانتقاد لأمره، يعني وإذا اخترت واحداً منهم للكتابة فلا تختره على تفرسك في حاله.

(**واستنامتك**): الاستنامة: السكون والاطمئنان إلى الشيء، يقال: استنام إليه إذا سكن واطمأن، ومنه النوم.

---

(١) قدر، سقط من (ب).

(٢) ما، زيادة في (ب).

(٣) له، سقط من (ب).

(٤) زيادة في (ب).

(٥) في (ب): لقدر.

(وحسن الظن منك): بأحوالهم وما يبدونه من حسن سيرهم وطرائقهم.

(فإن الرجال يتعرفون فراسات[1] الولاة بتصنعهم): التصنع: تكلف حسن السمت وإظهار جميل الحال، وغرضه أن الرجال يزورون الولاة ويتطلعون على خلائقهم بما يظهرونه لهم من حسن الهيئة في أول الأمر بإظهار السمت الحسن.

(وحسن خدمتهم[2]): ليخبروا كنه حالهم.

(وليس وراء ذلك من النصيحة شيء والأمانة[3]): وليس يفعلونه نصحاً وإنما غرضهم الاختبار، فلا ينبغي للوالي أن يغتر بمثل ذلك ولا ينخدع به.

(ولكن) استدراك عما[4] نفاه أولاً.

(اختبرهم بما[5] ولوا للصالحين قبلك): يعني وإذا أردت الامتحان الصادق في حقهم فامتحنهم بما قد كانوا تولوا لأهل الصلاح قبل دولتك.

(فاعمد): في التولية والاستخدام.

(لأحسنهم[6] في العامة أثراً): لمن كانت آثاره حسنة جميلة،

(١) في شرح النهج: يتعرضون لفراسات

(٢) في شرح النهج: وحسن حديثهم.

(٣) في (ب) وشرح النهج: وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء.

(٤) في (ب): لما.

(٥) في (ب): عما.

(٦) في (ب) وشرح النهج: لأحسنهم كان في العامة أثراً.

محمودة طرائقه، وإنما قال: في العامة؛ لأنهم لسان العالم وعنهم حصول الخبرة الصادقة والفراسة المؤكدة.

(وأعرفهم بالأمانة وجهاً): وأكثرهم علماً ومعرفة بالوجوه التي تحتملها الأمانات وتؤدى عليها[1].

(فإن ذلك): يريد ما قدمه من حسن النظر والتفرس في أحوال الكتّاب والتعهد لأحوالهم كلها.

(دليل على نصيحتك لله): بامتثالك لأمره، وحسن رعايتك لخلقه[2] واحتياطك في ديانتك، وبلوغك أقصى الجهد في رعاية أمورهم.

(ولمن وُلّيت أمره): ولإمامك الذي مكّنك من هذه الولاية، فعملت فيها على ما يريده منك ويرجوه من حالك.

(واجعل لرأس كل أمر من أمورك): يحتمل أن يكون هذا عاماً في جميع أحوال الدولة، وأراد أن إيالات الدولة كثيرة وأمورها متشعبة، فاجعل على كل نوع من أنواعها من يصلحه ويقوم به، ويحتمل أن يكون خاصاً في الكتّاب، وغرضه أن أنواع الكتابة كثيرة منتشرة فاجعل على كل نوع من أنواعها ومرتبة من مراتبها.

(رأساً منهم): يعني الكتّاب يدري بأحوالها ويتعهد أمورها.

(لا يقهره كبيرها): فيضعف عن إتقانه وضبطه.

(١) في (ب): إليها.

(٢) في (ب): لحقه.

(ولا يتشتت عليه كثيرها): فيغيب عنه ويغفل عن مهماته ويتقاصر عن إدراكه.

(ومهما كان في كتَّابك من عيب فتغابيت عنه): يريد وتحقق أنه مهما اطلعت على عيب ومكر في كتَّابك، فتغافلت عنه وأغضيت عن إنكاره وتغييره:

(ألزمْتَه): كان الله هو الملازم لك والآخذ عليك في ترك إنكاره وتغييره.

ثم أخذ في ذكر الوصية بالتُّجَّار، بقوله:

(استوص بالتجَّار وذوي الصناعات): مفعولا استوص محذوفان تقديرهما: استوص بالتجار[1] نفسك فيهم خيراً، وفي الحديث: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهنَّ عوارٍ عندكم»[2].

(وأوص بهم خيراً): أي وأوص الولاة بهم خيراً.

(المقيم): يريد من التجُّار؛ لأن منهم من يقيم في بلده لا يخرج منها أبداً، وإنما تقلباته كلها فيها إيثاراً للدعة وشهوة للراحة وعجزاً عن الأسفار.

---

(١) قوله: بالتجار، زيادة في (ب).

(٢) الحديث هو جزء من خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع أورده ابن هشام في السيرة النبوية ٤/٢٧٥-٢٧٦، وابن أبي الحديد في شرح النهج١/١٢٦-١٢٧، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١/٥١٦ إلى آداب الزفاف ١٤٩، وقوله هنا: ((عوار)) في المصادر المذكورة: ((عوان))، وأشار في هامش سيرة ابن هشام إلى أن في بعض الروايات: ((عوار)) بالراء المهملة جمع عارية.

(منهم والمضطرب بماله): المختلف بالأموال في الأقاليم والأقطار لطلب الأرباح والفوائد.

(والمترفق بيديه[1]): الارتفاق باليد هو: العمل بها والانتفاع بسببها؛ لأن أكثر أعمال المحترفين من ذوي الصناعات تكون بأيديهم.

وفي نسخة أخرى: **(ببدنه)** بالنون، وهو أن يؤجر نفسه للمنافع العظيمة كالرعاية وحفظ الأموال وغير ذلك مما لايكون فيه عمل باليد.

(فإنهم مواد المنافع): يمدون الخلق بما يأتون به من البلدان، ويكتسبونه[2] من أقاصي الأرض وأطرافها.

(وأسباب المرافق): الانتفاعات كلها.

(وجلاَّبها من المباعد): والجالبون لها من الأماكن البعيدة.

(والمطارح): جمع مطرح وهو: المكان البعيد، واطَّرحه أي أبعده، والطَرَحُ بالتحريك: البعيد من الأمكنة، قال الأعشى:

تبتني الحمد[3] وتسمو للعلى
وتُرَى نارك من ناء طَرَحْ[4]

أي بعيد.

---

(١) في شرح النهج: ببدنه.

(٢) في (ب): ويكتسبونها.

(٣) في (ب): للحمد.

(٤) البيت في لسان العرب ٢/٥٧٨ ورواية الشطر الأول فيه:

تبتني الحمد وتسمو للعلى

وقد أصلحته منه، وهو في النسخ: يبتني الحمد ويسمو للعلى

(في برك وبحرك، وسهلك وجبلك): وإنما أضاف هذه الأمور إليه لاستيلائه عليها وكونها في ولايته وتحت أمره وحكمه، فلهذا أضافها إليه.

(وحيث لا يلتهمُ الناس لمواضعها): يعلمون بها فيؤدونها ولكنهم يتصلفون[1] على أدائها وتحصيلها، وفي نسخة أخرى: **(يلتئم[2] الناس)**: أي يجتمعون على أدائها وتحصيلها.

(ولا يجترئون عليها): لما في أماكنها من المخافة والوحشة، وطرو الآفات الكثيرة، فلهذا تأخروا عن أدائها، واجترى التجار عليها طلباً للفوائد.

(فإنهم سلم لا تُخاف بائقته): يعني التجار سلم إما ذوو سلم أي مسالمة، وإما على جهة المبالغة كقولك: رجل رضى وعدل، لكثرة ما يحصل منهم من المسالمة، وكف الشرور من جهتهم، والبائقة: الداهية، فإنها مأمونة من نفوسهم، لا يخشاها أحد من جهتهم.

(وصلح لا تخشى غائلته): إما وذوي[3] صلح، أو على طريق المبالغة، والغائلة: الشر والخديعة والمكر.

(وتفقد أمورهم بحضرتك): يريد في البلد التي أنت فيها.

(وفي حواشي بلادك): أطرافها ونواحيها البعيدة، والحاشية هي: طرف الثوب وجانبه.

---

(١) الصلف: مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً فهو رجل صلف وقد تصلّف. (مختار الصحاح ص٣٦٨).

(٢) وكذا في شرح النهج، أي يلتئم.

(٣) في (ب): ذوي.

(واعلم -مع ذلك-): الذي أمرتك به وحققته لك من حالهم، وما ينبغي من مراعاة جانبهم من الرحمة والشفقة عليهم.

(أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً): على نفسه وأهله وولده وغيرهم.

(وشحاً قبيحاً): بخلاً لا يمكن وصفه.

(واحتكاراً للمنافع): ما ينتفع به الناس في الأقوات نحو الحنطة والشعير والزبيب والتمر وغير ذلك من أنواع المأكولات، يدخرونها من أجل التربص[1] لغلاء أثمانها، وكلامه ها هنا دال على أن الاحتكار كما يكون في الأقوات فقد يكون في غيرها كالزعفران والفلفل وغير ذلك؛ لأنه عمم المنافع من غير تخصيص لبعضها عن بعض، وأن حكم الاحتكار جار فيها كلها.

(وتحكماً في البياعات): لا يريد أن يبيع شيئاً من هذه إلا بحكمه وهواه من غير مراقبة للدين ولا مراعاة لأمر الله في ذلك.

(وذلك باب مضرة[2]): الإشارة إلى الاحتكار لما فيه من المضرة بالمسلمين وسائر الخلق.

(للعامة): يشير إلى عموم مضرته بالخلق أجمع، لا يختص واحداً دون واحد.

(وعيب للولاة[3]): مدخل للطعن عليهم عظيم لما يلحق بسببه من المضرة.

---

(١) التربص: الانتظار، والمتربص: المحتكر. (مختار الصحاح ص٢٢٩).

(٢) في (ب): باب مضر.

(٣) في شرح النهج: على الولاة، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب)، وبعده في شرح النهج: فامنع من الاحتكار فإن رسول الله ...إلخ.

(**فإن رسول الله [ﷺ][1] منع منه**): يشير إلى قوله (عليه السلام): ((من احتكر أربعين يوماً فقد برئ الله منه))[2]، وفي حديث آخر: ((المحتكر ينتظر اللعنة، والمنفق ينتظر الرحمة))[3].

واعلم: أن الاحتكار إنما يكون حراماً على فاعله، مستحق للنكير، باعتبار أمور ثلاثة:

أما أولاً: فبأن يكون زائداً على قوته وقوت من تحت يده.

وأما ثانياً: فبأن يكون بالمسلمين إليه حاجة ماسَّة.

وأما ثالثاً: فبأن لا يكون موجوداً إلا معه، فإن كان يوجد معه ومع غيره وبذله غيره حتى استغني عنه، فلا يكون بذلك محتكراً، فإن امتنعوا كلهم كان حكمهم حكم[4] واحد[5] في الإنكار والوعيد.

(**وليكن البيع سمحاً**[6]): من غير غلاء فيضر بالمشتري، ولا رخص فيضر البائع.

---

(١) زيادة في شرح النهج.

(٢) الحديث بلفظ: ((من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برئ من الله وبرئ الله منه)) رواه الإمام أحمد بن سليمان (عليه السلام) في أصول الأحكام (تحت الطبع بتحقيق الأستاذ العلامة عبد الله حمود العزي) ورواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام في تتمة الاعتصام ٥٤/٤ وعزاه إلى أصول الأحكام، وأمالي الإمام أحمد بن عيسى، والشفاء وقال: وأخرجه رزين، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣٦/٨.

(٣) أوله وهو قوله: ((المحتكر ينتظر اللعنة)) هو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٦٦١/٨ وعزاه إلى المعجم الكبير للطبراني ٤٢٧/١٢، ومجمع الزوائد للهيثمي ١٩١/٩، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤٢٥/٩ وإلى غيرها.

(٤) حكم، سقط من (ب).

(٥) في (ب): كان حكمهم واحداً.

(٦) في (ب) وشرح النهج: وليكن البيع بيعاً سمحاً.

(**بموازين قسط وعدل**[1]): لا حيف فيها بزيادة ولا نقصان.

(**وأسعار**): وجري أسعار.

(**لا تجحف بالفريقين من البائع والمشتري**[2]): أي لا تضر بهما جميعاً، وإنما بالغ في أمر البيع بالكيل والوزن، وحرم الاحتكار؛ لأن الله أنزل فيهما سورة وافتتح أولها بالويل، حيث قال: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[المطففين:١]، وعقب ذلك بالوعيد العظيم بالبعث بقوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾[المطففين:٤]، وذكر اليوم الهائل بقوله: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[المطففين:٥]، وهو يوم القيامة، وذكر المحاسب بقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[المطففين:٦].

(**فمن قارف حُكْرَة**): خالطها ولابسها، والمقارفة: المخالطة.

(**بعد نهيك إياه**): بعد أن سمع المنع في ذلك من جهتك وبلغه ذلك ليتحقق جرمه.

(**فنكِّل به**): اجعله نكالاً وعبرة لغيره يُتَمَثَّلُ بها وتكون وازعة له.

(**وعاقب**): أدِّب وعزِّر.

(**من غير إسراف**): تجاوز حد[3] في جنس العقوبة، بأن تكون مخالفة لعقوبة من سلف من الأفاضل في الصدر الأول، نحو جدع الأنف واصطلام الشفة[4]، فإن مثل هذا لا وجه له، أو في مقدار العقوبة

---

(١) في شرح النهج: بموازين عدل.

(٢) في شرح النهج: والمبتاع، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٣) حد، سقط من (ب).

(٤) جدع الأنف: أي قطعه، واصطلام الشفة: أي استئصالها.

فيكون الضرب بالغاً مبلغ الحد، فهذا أيضاً لا وجه له، وفي الحديث: ((من ضرب الحد فهو من المعتدين))[1] يريد من[2] ضرب الحد من غير حد.

وعن أمير المؤمنين: أنه مر برجل يبيع الزعفران وقد أرجح، فقال له: أقم الوزن، ثم أرجح بعد ذلك، كأنه أمره التسوية ليعتادها[3]، ويرجح بعد ذلك ما شاء.

وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول له: اتق الله، وأوف الكيل، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن[4].

ثم عقب ذلك بذكر حال أهل المسكنة، بقوله:

(**ثم الله الله في الطبقة السفلى**): وإنما كرر ذكرهم مبالغة في الاهتمام بهم والتعهد لأمورهم.

(**من الذين لا حيلة لهم**): لايستطيعون التحيل لاكتساب المعيشة، ولا يهتدون لها.

(**والمساكين**[5] **والمحتاجين**): أهل الفاقة والفقر.

---

(١) رواه الإمام أحمد بن سليمان (عليه السلام) في أصول الأحكام من باب التعزير، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من ضرب حداً في غير حد فهو من المعتدين))، وهو بلفظ: ((من بلغ حداً في غير حد فهو من المعتدين)) رواه العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله في أنوار التمام ١٤٩/٥ عن الضحاك، وعزاه إلى الجامع الكافي لأبي عبد الله العلوي، والشفاء للأمير الحسين بن بدر الدين.

(٢) من، زيادة في (ب).

(٣) الكشاف ٧٢٠/٤.

(٤) المصدر السابق ٧٢٠/٤.

(٥) قوله: والمساكين، زيادة في (ب)، والعبارة في شرح النهج: من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى.

(**والبؤسى**): إما ذوي البؤسى وهي ضد النعمى، وإما جمع بأس وبؤسى نحو وجع ووجعى.

(**والزمنى**): جمع زَمِن وهم: المرضى وأهل الزمانة.

(**فإن في هذه الطبقة**): الذين[1] سميت لك.

(**قانعاً ومعتراً**): القانع هو: السائل، من قولهم: قنعت إليه إذا خضعت له، والمعتر هو: المتعرض من غير سؤال، وقيل: القانع هو الراضي بما عنده من غير سؤال، والمعتر هو: المتعرض بالسؤال[2].

(**فاحفظ لله**[3] **ما استحفظك من حقه فيهم**): الحفظ: الحراسة، والحفظ: المراقبة، وأراد واحرس من أجل الله وراقبه ما طلب منك من الحق في حفظ هؤلاء وحراستهم، ومنه قولهم: استحفظته كذا إذا طلبت منه حفظه.

(**واجعل لهم قسماً من بيت مالك**[4]): نصيباً يغنيهم من أموال المصالح، وفي هذا دلالة على جواز إعطاء الفقراء من بيت المال الذين لا مزية لهم على الفقر، وهو ظاهر كلامه ها هنا.

(**وقسماً من غلات صوافي الإسلام**): الصوافي: جمع صافية وهو: الأراضي المغتنمة من أيدي الكفار.

---

(١) في (ب): التي.

(٢) الكشاف ١٦٠/٣.

(٣) في شرح النهج: واحفظ الله.

(٤) في نسخة: من بيت مال الله، (هامش في ب).

(**في كل بلد**): حيث كانوا من بلدان الإسلام، وحيث كانت الصافية في جهتهم أو في غيرها.

(**فإن للأقصى منهم**): للأبعد.

(**مثل الذي للأدنى**): الأقرب بالإضافة إما إليك، وإما بالإضافة إلى هذه الصواقي، فإن أحداً لا يختص بها دون أحد، بل هم فوضى[1] فيها.

(**وكل**): من هؤلاء الذين ذكرت لك حالهم وحققت لك أوصافهم.

(**قد استرعيت حقه**): طلب منك رعاية حقه، والطالب لها هو الله لا إله غيره.

(**فلا يشغلنك عنهم نظر**[2]): يلهينك عن أحوالهم والتعهد لها نظر في غيرها.

(**فإنك لا تعذر بتضييع التافه**): يعني الحقير.

(**لإحكامك الكثير المهم**): يعني أن الأمور كلها تحتاج إلى تفقد وتعهد صغيرها وكبيرها، ولا يكفي شيء منها عن شيء؛ لاستوائها كلها في كونها مطلوبة من جهة الله تعالى.

(**فلا تشخص همك عنهم**): أي لا تغيِّب[3] عنهم اهتمامك بهم، وعنايتك من أجلهم.

---

(١) قوم فوضى أي متساوون

(٢) في شرح النهج: بطر.

(٣) في (ب): أي لا تغيث.

(**ولا تصعِّر خدك لهم**): الصعر: الميل في الخد خاصة من الكبر، قال الله تعالى: ﴿**ولا تصاعر**[1] **خَدَّكَ لِلنَّاسِ**﴾[لقمان:١٨].

(**وتفقد أمور من لا يصل إليك**[2]): لحقارة أمره ورثة هيئته.

(**ممن تقتحمه العيون**): تزدريه وتصغِّره ولا ترى له حقاً.

(**وتحقره الرجال**): تذله وتستخف بحاله.

(**ففرِّغ لأولئك ثقتك**): فوجه إليهم من تفرغه عن مزدحم الأشغال من أهل الثقة والديانة والصلاح والأمانة.

(**من أهل الخشية**): لله والمراقبة له.

(**والتواضع**): لعظمته وجلاله.

(**فليرفع إليك أمورهم**): كلها دقيقها وجليلها فتصفحها وانظر فيها نظراً ثاقباً.

(**ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه**): بإقامة العذر عنده، وما يكون فيه خلاص لك عن[3] عهدة ذلك عند موتك أو في يوم القيامة.

(**فإن هؤلاء من بين الرعية**): من أجل ضعفهم ومسكنتهم، ونزول هممهم وأقدارهم.

---

(١) هكذا في النسخ، وهو على قراءة نافع.

(٢) في (ب) وشرح النهج: من لا يصل إليك منهم.

(٣) في (ب): من.

(أحوج إلى الإنصاف من غيرهم): لأمرين:

أما أولاً: فلأن إنصافهم يكون خالصاً لوجه الله تعالى لا غرض فيه دنيوي، ولا صنيعة فيه لآدمي.

وأما ثانياً: فلأجل ما هم عليه من ركة الحال وضعف الأمر، فلأجل هذين الوجهين[1] كانوا أحق بالإنصاف من جهتك.

(وكل): ممن ذكرت لك وسميته ووصفت حاله.

(فأعذر إلى الله): فأقم عذرك عنده.

(في تأدية حقه إليه): الذي فرض الله له وفرضه عليك من ذلك.

(وتعهد أهل اليتم): الذين مات آباؤهم، وخلفوهم عيلة لا أموال لهم، فحقوقهم حاصلة في بيت المال، ومؤونتهم متعلقة بك.

وفي الحديث: «من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك عَيْلَةً فإليّ»[2].

(وذوي الرقة): يعني الشيوخ الذين بلغوا في السن غاية، يرق لهم كل أحد رآهم.

(ممن لا حيلة له): فيوكل إلى حيلته.

---

(١) الوجهين، سقط من (ب).

(٢) له شاهد رواه العلامة المفسر الزمخشري رحمه الله تعالى في الكشاف ٣/٥٣١-٥٣٢ من حديث عن النبي ﷺ قال: ((ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾، فأيما مؤمن هلك وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ))، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٩/٢٨١.

(ولا ينصب للمسألة نفسه): أي ولا يظهر نفسه بأن يجعلها منصوبة للسؤال.

(وذلك): الذي ذكرته لك.

(على الولاة ثقيل): لعظمه وصعوبة الأمر فيه.

(والحق كله ثقيل): على كل أحد من الخلق.

(وقد يخففه الله على أقوام): مخصوصين بالتوفيق من عنده، ومقصودين بالصلاح من جهته.

(طلبوا العاقبة): المرضية عند الله تعالى، حيث قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الأعراف:١٢٨].

(فصبّروا أنفسهم): على المكاره طلباً لوجه الله وابتغاءً لمرضاته.

(ووثقوا بصدق موعود الله لهم): الموعود ها هنا إما بمعنى الوعد على غير رأي سيبويه، وإما بمعنى شيء موعود به على رأيه؛ لأنه لا يقول بأن المصدر يأتي على وزن مفعول، وإن أتى بوزن فاعل كالعاقبة والدالة.

(واجعل لذوي الحاجات منك قسماً): أي وقتاً تسمع فيه شكواهم، وتجيبهم عن فتاويهم.

(تُفرّغ لهم فيه شخصك): عن ازدحامات الأشغال.

(وتجلس لهم فيه مجلساً عاماً): لا يختص به أحد منهم دون أحد، بل يكونون فوضى فيه.

(فتتواضع فيه لله الذي خلقك): بما يكون من جهتك فيه من الإقبال عليهم والإنصاف من نفسك لهم وقضاء حوائجهم، والإصغاء إلى جميع أحاديثهم، وإجابتهم عن كل واحد منها جواباً شافياً فيه قضاء لأغراضهم، وإبقاءً لما قد توجه عليك من حقهم.

(وتقعد عنهم جندك وأعوانك): من يكون متعلقاً بالدولة من هؤلاء.

(من أحراسك وشُرَطِك): الحرس: خدم السلطان، الواحد منهم: حرسي، والشرط: الأسافل من الخلق، وقد يطلق على الرؤوساء أيضاً، وهو من الأضداد، الواحد منهم شرطي.

قال أبو عبيدة: وإنما سموا شرطاً؛ لأنهم أُعِدّوا[1] لمنافع الدولة، والشريط: حبل يُعَدُّ مفتولاً من الخُوص[2].

(حتى يكلمك متكلمهم[3]): يواجهك بكلامه.

(غير متعتع[4]): التعتعة في الكلام هي: التردد من حصر أو عي أو فشل أو دهشة، يروى: مُتَعْتِع بكسر التاء اسم فاعل أي ذا تعتعة، وبفتحها[5] اسم مفعول إذا تعتعه غيره.

---

(١) قول أبي عبيد هذا ذكره في مختار الصحاح ص٣٣٤.

(٢) الخُوصُ: ورق النخل، الواحدة خُوصة. (مختار الصحاح ص١٩٢).

(٣) العبارة وشرحها في (ب) (هكذا: حتى يكلمك مكلمهم): الأسافل من الخلق، يواجهك بكلامه.

(٤) في شرح النهج: متعتع.

(٥) أي مُتَعْتَع.

(فإني سمعت رسول الله [صلى الله عليه وآله][1] يقول في غير موطن «لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي»): التقديس: التطهير، وأراد لن تطهر أمة عن الدنس والعيب، يضام فيها الضعيف فلا يؤخذ له حقه من القوي.

(«غير متعتع[2]»): فشل ولا قلق.

(ثم احتمل الخُرْق): الجهل.

(منهم والعيَّ): الفهاهة والحصر، والخُرْق على وزن فُعْل.

(ونح عنك الضيق): إما ضيق الصدر؛ لأنه يتعذر معه استيفاء الحوائج، وإما البخل.

(والأنفة[3]): الكبر والخيلاء.

(يبسط الله عليك بذلك): يريد الذي فعلته معهم مما ذكرته.

(أكناف رحمته): جوانبها، والكنف: الجانب.

(ويوجب لك ثواب طاعته): ويعطيك ثواب ما فعلته من هذه الطاعة، وحصلته من هذه القربة.

---

(١) زيادة في شرح النهج وفي (ب).

(٢) في شرح النهج: متتعتع، والحديث بلفظ: «لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها من قويها حقه غير متعتع»، رواه الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص٥٣٠ رقم (٤٦١) وقال محققه في تخريجه: ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٨/٥، ٢٠٩، عن بريدة من حديث طويل، وقال: رواه البزار، والطبراني في الأوسط، وعن جابر عزاه إلى الطبراني في الأوسط، وأورده في موسوعة أطراف الحديث٢٧٨/٧ بألفاظ متقاربة وعزاه إلى مجمع الزوائد، وكشف الظنون٥١٠/٢، والترغيب والترهيب٦١١/٢، وكنز العمال (٥٦٠٩)، والبيهقي٩٤/١٠، والطبراني ٣٨٩/١٩ وغيرها. انتهى.

(٣) في شرح النهج: ونح عنهم الضِّيق والأَنَفَ.

(وأعط ما أعطيت هنيئاً): يريد أن عطيتك تكون سمحة بها نفسك، من غير تكدير ولا صَخَب[1] في الإعطاء ولا ملالة ولا تقتير.

(وامنع من منعت في إجمال وإعذار): يعني وإذا منعت من العطية فليكن منعك من غير أذية، ولكن أجْمِل العذر في ذلك، فإن إجمال العذر يكتب الله به الأجر عوضاً عما كان من الحسنة إذا كان العذر صادقاً.

ثم أردفه بذكر خاصة أحواله ومراعاتها، بقوله:

(ثم أمور من أمورك): لا تغفل عن حفظها ومراقبتها.

(لا بد لك من مباشرتها): تعهدها حالة بعد حالة، ومرة بعد مرة.

(منها إجابة عمالك): بما يرد من جهتهم من السؤالات و[2] الحوادث في الأقطار والأقاليم، فإنه لا يزال منها حادثة تحدث تحتاج إلى جواب منك فيها من المعضلات والحوادث والمشكلات.

(بما يعيا عنه كتابك): يريد عهدك الأول الذي عهدته له في أول مرة فإنه إنما يتضمن جملة، وليس فيه شيء من هذه التفاصيل المتجددة في كل يوم، أو يريد كُتّابَكَ جمع كاتب، فإنهم لا يطلعون على مثل هذه الأمور، وهذا أحسن.

(ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك): فراغها لهم وقضاء حوائجهم فيها.

(بما تحرج به صدور أعوانك): أي تضيق؛ لأنهم لا يطيقونه

(١) الصَّخَبُ محركة: شدة الصوت.

(٢) في (ب): من الحوادث.

ولا يقدرون على علاجه، والمعنى أن هذه الأشياء لا يتولاها إلا أنت دون الكتّاب والأعوان لعدم هدايتهم إليها وقصور أفهامهم عن إتقانها.

(وأمض لكل يوم عمله): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أنك لا تحيل عمل يوم إلى يوم آخر، فيؤدي ذلك إلى ازدحام الأشغال عليك وتراكمها على قلبك، فلا تأمن جري الزلل لكثرتها وازدحامها.

وثانيهما: أن يكون مراده أنك إذا وطنت نفسك على أن لكل يوم عملاً كان ذلك أقرب إلى الإخلاص في الأعمال لوجه الله تعالى وأعظم في الازدياد، رغبة في الثواب، ترى أنك لا تمهل ليوم آخر بعده، كما قال (عليه السلام): «يا أنس، صلِّ صلاة مودع، ترى أنك لا تصلي بعدها شيئاً»[1].

(فإن لكل يوم ما فيه): من خير وشر وفساد وصلاح، فلا تدخل عمل يوم في يوم آخر.

(واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت): يشير إلى أني قد وقّت لكل[2] عمل وقتاً، لكني أقول: اجعل أعلاها أفضلها عندك

(١) أخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص٣٠٢ برقم (٢٨٠) بسنده يبلغ به إلى الإمام علي (عليه السلام) قال: دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المسجد فإذا هو بأنس بن مالك يصلي، قال: «يا أنس، صلِّ صلاة مودع، ترى أنك لا تصلي بعدها شيئاً، واضرب ببصرك موضع سجودك حتى لا تعرف من عن يمينك ولا من عن يسارك، واعلم أنك بين يدي من يراك ولا تراه».

(٢) في (ب): يشير إلى أنك وقّت لكل...إلخ.

ما كان متعلقاً لله تعالى[1] من جهة نفسك من العبادات الفاضلة، والأوراد المباركة في الأوقات الشريفة المتقبلة.

(وأجزل تلك الأقسام): واجعل أجزل الأقسام التي قدرتها لك لله تعالى خالصاً لا يشاركه فيها غيره من الأعمال، من المناجاة والابتهال إليه في إصلاح عملك وقضاء حوائجك من جهته.

(وإن كانت كلها لله، إذا صلحت فيها النية): يريد أن جميع قواعد الولاية كلها وجميع هذه الآداب التي أشار إليها إنما هو من الجهاد[2] وانتظام أحوال الأمة، وجري أوامر الله على قواعدها واستقامتها على حدودها[3]، وهذه الأمور كلها لله تعالى[4] عند صلاح النية فيها وسداد القصد من أجله، وعند هذا تكون من جملة الأعمال المقربة إلى الله تعالى.

(وسلمت فيها الرعية): عن الظلم وفساد أحوالهم واختلال قواعدهم.

وفي نسخة أخرى: **(وسلمت فيها الرغبة)**: يعني وخلص القصد ولم يشبه شائب يكدره.

(وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك): أراد وليكن من جملة خواص الأعمال الخالصة لله:

(إقامة فرائضه): من الصلاة والصيام وغير ذلك من العبادات المفترضة.

(١) تعالى، زيادة في (ب).
(٢) في (ب): الاجتهاد.
(٣) في (ب): على حذوها.
(٤) تعالى، زيادة في (ب).

(التي هي له خاصة): لا تتعلق بغيره، وفي الحديث: «ما تقرب إليَّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم[1]»، وإقامتها إتيانها على الوجه المأمور به من الإخلاص فيها، وأدائها على الخضوع والتذلل والخشوع.

(فأعط الله من بدنك): من أعمال[2] الطاعة المتعلقة بالأبدان نحو الصلاة والصيام والحج.

(في ليلك): ما يكون مختصاً به منها.

(وفي نهارك): ما يكون مختصاً به.

(ووفِّ ما تقربت به[3] من ذاك[4]): اجعله وافياً وائتِ به كما أمرك الله به.

(كاملاً): بشروطه وحدوده.

(غير مثلوم): ساقط بعض أركانه.

(ولا منقوص): من إيفائه بشرطه الذي يكون واقعاً عليه.

(بالغاً من بدنك ما بلغ): يعني أده على ما ذكرته، وإن بلغ في نقص بدنك واختلاله كل مبلغ، فإن ذلك يكون أدخل في الإثابة وأعظم في الجزاء من الثواب عليه.

(وإذا قمت في صلاتك للناس): بأن تكون إماماً لهم فيها وداعياً لهم إليها.

(فلا تكوننَّ منفراً): بتطويلها وصعوبة الأمر فيها.

(١) في (أ): عليه.
(٢) في (ب): أعمالك.
(٣) في شرح النهج: ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك.
(٤) في (ب): من ذلك.

(ولا مضيعاً): لأوقاتها وحدودها وشروطها، ولا يكوننَّ منك فيها إفراط في أمرها فتنفر عنها، ولا تفريط فتخل بها.

(فإن في الناس من به العلة): من مرض وعجز وسلس بول[1] وغير ذلك من العِلل.

(وله الحاجة): إلى الخروج في قضاء مآربه وحوائجه أو يكون حاقناً أو حاقباً[2] فيريد الخروج لقضاء الحاجة.

(وقد سألت رسول الله [ﷺ][3] حين وجّهني إلى اليمن كيف أصلّي بهم؟): في التطويل والتقصير والإطالة وعدمها.

(فقال: «صلِّ بهم كصلاة أضعفهم»[4]): يعني مثل صلاة الضعفاء الذين يريدون التخفيف لأجل ضعفهم وهوانهم.

(«وكن بالمؤمنين رحيماً»): كثير اللطف والرفق بهم في جميع أحوالهم كلها.

(وأما بعد هذا؛ فلا تُطوِّلَنَّ احتجابك من[5] رعيتك): يريد ومن جملة الآداب المرعية في الولاية إزالة تطويل الحجاب عن أهل الحوائج من الرعية.

---

(١) يقال: فلان سَلِسَ البول إذا كان لا يستمسكه.

(٢) الحاقن: هو الذي حُبس بوله، والحاقب: الذي احتاج إلى الخلاء فلم يتبرز فانحصر غائطه. (انظر النهاية لابن الأثير١/١١١، ٤١٦).

(٣) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٤) انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥/٣٣٢-٣٣٣.

(٥) في شرح النهج: عن.

(فإن احتجاب الولاة عن الرعية): غيبتهم عنه، وضرب الحجب والحراس على أبوابهم.

(شعبة من الضيق): نوع من أنواع الحرج والمشقة.

(وقلة علم بالأمور): المتعلقة بالولاة من التعهد والتفقد، وكفِّ أيدي الطغاة وزمِّ الأفواه عن التعلق بالأطماع، والاطلاع على أكثر الأحوال ومراقبتها، وفي هذا فساد لاخفاء به.

(والاحتجاب منهم): الضمير للرعية.

(يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه): يعني فلا يتصل إليهم شيء من علوم أحوال الرعية.

(فيصغر عندهم): الضمير للولاة.

(الكبير): الأمر الكبير لجهلهم بكيفية وقوعه وإحاطتهم بحقيقة حاله، فلا يعلمونها.

(ويعظم الصغير): لمثل ذلك فلا يدري بكيفية وقوعه.

(ويحسن القبيح، ويقبح الحسن): للجهل بحال وقوعهما، فلا يعلم حالهما.

(ويشاب الحق بالباطل): أي يخلط أحدهما بالآخر، وكل هذا إنما ينشأ من غيبة الولاة عن الرعية وعدم افتقادهم لأحوالهم واطلاعهم عليها.

(وإنما الوالي بشر): من جملة الخلق.

(**لا يعرف ما توارى به الناس عنه من الأمور**): يعني أن كل ما غاب عنه الإنسان وتوارى عنه بصره وإدراكه له فإنه لا يعرف كنه حاله ولا حقيقة أمره، وإنما يعرف ذلك من الأمور بالاطلاع عليها ومشاهدتها ومراقبة أحوالها، فمن لايرى الشيء لا يمكنه معرفة حاله بحال.

(**وليس**[1] **على الحق سمات**): علامات وأمارات ظاهرة مكشوفة.

(**يعرف**[2] **بها ضروب الصدق من الكذب**): أنواع كل واحد من هذين.

(**وإنما أنت**): في احتجابك عن الخلق واستتارك عنهم.

(**أحد رجلين**): لا ثالث لهما.

(**إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق**): أعطيت كل ذي حق حقه، وسخت به نفسك وسمحت به.

(**ففيم احتجابك**): لأي وجه يكون؟ وما الداعي إليه؟

(**من واجب حق**[3] **تعطيه**!): فهل هو امتناع من حق واجب تعطيه أهله؟

(**أو فعل كريم تسديه**!): أو هل[4] هو من أجل فعل حسن تجعله صنيعة إلى غيرك؟ فكل هذا يمنع منه الحجاب، فلا فائدة فيه على هذا الوجه.

---

(١) في شرح النهج: وليست، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) في شرح النهج: تعرف.

(٣) حق، سقط من (ب).

(٤) هل، سقط من (ب).

(**أو مبتلىً بالمنع**): أو أنت رجل قد بلي بالشح الخالع[1].

(**فما أسرع كف الناس عن مسألتك**): امتناعهم منها وإعراضهم عنها.

(**إذا أيسوا من بذلك**): من إعطاء معروفك.

(**مع أن أكثر**[2] **حاجات الناس إليك**): معظم حوائجهم منك ليس من أجل إعطاء ولا منع، فيكون الحجاب حاصلاً منك، وإنما هو:

(**ما لا مؤونة فيه عليك**): ثقل ولا كَلّ[3] عليك.

(**من شكاة مظلمة**): فتنتصف لصاحبها ممن ظلمه.

(**أو إنصاف في معاملة**[4]): بقطع الشجار فيها وإبطال المخاصمة.

(**ثم إن للوالي خاصة وبطانة**): ناس يختصون به وينزلون منه منزلة البطانة، وهو ما يلي الجسم من الثياب كالشعار.

(**فيهم استئثار**): استبداد بالحقوق والأموال.

(**وتطاول**): على الخلق اعتماداً على قهر الدولة وعلو الولاية.

(**وقلة إنصاف**[5]): من أنفسهم للخلق تعاظماً وتكبراً على قبول الحق وإعطائه.

(**فاحسم مادة أولئك**): امنع ما يمدهم.

---

(١) أي الشديد.

(٢) أكثر، زيادة في (ب)، وشرح النهج.

(٣) أي ولا إعياء.

(٤) في (ب) وشرح النهج: أو طلب إنصاف في معاملة.

(٥) في شرح النهج: وقلة إنصاف في معاملة.

(**بقطع أسباب تلك الأحوال**): التي تكون سبباً في ذلك، وتكون وصلة إليها، وحاصل الأمر في قطع مادتهم، إما بإزالتهم عن التعلق بك، وإما بقطع مواد ذلك، فبانقطاع تلك الأسباب يزول المحذور من ذلك.

(**ولا تقطعنَّ لأحد من حاشيتك وخاصتك[1] قطيعة**): يعني إذا أدررت لأحد من هؤلاء إدراراً أو وصلته[2] بصلة فلا تقطعها من غير سبب موجب للقطع، لما في ذلك من إيحار الصدور.

(**ولا يطمعن منك في اعتقاد عُقْدة تضر بمن يليها من الناس**): يعني ولا تعقدنَّ عقداً ولا تذمنَّ ذمة لأحد من خاصتك يكون فيها ضرر على أحد من المسلمين ممن يكون متصلاً بها ويليها.

(**في شرب**): نحو أن تعطيه ذمة على أن يسقي له ضيعته من النهر الفلاني، وفيه إضرار بمن يليه ممن يكون له فيه حق الشرب لِضَياعه[3] وعقاراته.

(**أو عمل مشترك**): كأن يكونا معاً مشتركين في شركة عنان[4] أو مفاوضة[5] مما يضطربان فيه على سواء، فتعطي أحدهما عقداً وذمة[6]

(١) في شرح النهج: وحامتك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٢) في (ب): ووصلته.
(٣) الضياع: جمع ضيعة وهي العقار. (مختار الصحاح ص٣٨٦).
(٤) شركة العنان: أن يشتركا في شيء خاص دون سائر أموالهما، كأنه عنَّ لهما شيء فاشترياه مشتركين فيه. (مختار الصحاح ص٤٥٨).
(٥) تفاوض الشريكان في المال اشتركا فيه أجمع، وهي شركة المفاوضة. (المصدر السابق ص٥١٥).
(٦) في (ب): أو ذمة.

على أنه لايتصرف مع الآخر، فيكون في هذا إضرار بالشريك من جهة أنهم:

(**يحملون مؤونته على غيرهم**)، لأن العمل كله صار على الشريك الآخر[1] من غير معاونة، وهذا هو الحيف والميل.

(**فيكون مهنأ ذلك لهم دونك**): يريد أن فائدة ذلك وهنآءة عيشه لهم من غير أن يكون لك فيه شيء.

(**وغبته[2] عليك**): عاقبته تختصك[3] دون غيرك، ومغبة كل شيء عاقبته، وفي رواية أخرى: (**وعيبه عليك**): أي ذمه ونقصه.

(**في الدنيا**): بالذم واللوم على ظلمك لغيرك.

(**وفي الآخرة**): بالعقاب وسخط الله.

(**وألزم الحق من لزمه**): يعني من كان عليه حق لغيره ألزمته أدائه وتسليمه، وخروجه منه إلى صاحبه وأهله.

(**من القريب**): خاصتك، وأهل دولتك، ومن يتعلق بك.

(**والبعيد**): منك من سائر الناس وجميع الرعية.

(**وكن في ذلك**): يعني إعطاء الحق صاحبه.

(**صابراً**): لله تعالى على مشقة ذلك وعلاجه.

(١) الآخر، سقط من (ب).
(٢) في (ب) وشرح النهج: وعيبه عليك.
(٣) في (ب): تخصك.

(**محتسباً**): ذلك لوجه الله تعالى وابتغاء رضوانه.

(**واقعاً ذلك من قراباتك وخاصتك[1] حيث وقع**): يريد وإن بلغ ذلك سخط أهلك ومن يقرب إليك، فإن رضاء الله أبلغ من رضاهم وأحق.

(**وابتغ عاقبته**): آخر أمره وغايته من ثواب الله وعظيم أجره.

(**بما يثقل عليك منه**): بتحمل ما يتعب نفسك من أجل ثقله، واصبر عليه:

(**فإن مغبة ذلك محمودة**): عاقبة الصبر عليه لما فيها من الفوز بالجنة، وجوار الله في دار كرامته التي اصطفاها لأوليائه.

(**وإن ظنت بك الرعية حيفاً**): ميلاً عليهم[2] في الخراج، وظلماً لهم فيما يؤدونه من الأموال.

(**فأصحر لهم بعذرك**): أظهر لهم عذرك في ذلك ظهوراً واضحاً، والإصحار: الإظهار، وسميت الصحراء لظهورها وانكشافها.

(**وأعزل[3] عنك ظنونهم**): أزلها عنك، وأذهبها عن التعلق بك.

(**بإصحارك**): إظهارك للعذر لهم.

(**فإن في ذلك إعذاراً**): إبلاغاً في العذر إليهم.

(**تبلغ به حاجتك**): مقصدك ومطلوبك.

---

(١) وخاصتك زيادة في (ب)، وهي في شرح النهج: وخواصك.

(٢) في (ب): عنهم.

(٣) في شرح النهج: واعدل.

(**من تقويمهم على الحق**): بإسقاط عذرهم وتوجه اللوم عليهم إذا لم يقبلوه.

(**ولا تدفعنَّ صلحا دعاك إليه عدوك**): يعني إذا طلب العدو مسالمة فيما بينك وبينه بعقد الصلح فلا تردنّه.

وفي الحديث: «أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لما دعاه المشركون إلى صلح الحديبية، أجابهم إلى ذلك مع ما كان فيه من الميل على المسلمين والتحكم من جهة أهل الشرك، وكان عقده بين[1] الرسول وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين، وأنها عيبة مكفوفة من غير إسلال ولا إغلال[2]»، أي لا سرقة ولا خيانة، فكانت عاقبته أبرك عقبى على المسلمين.

(**لله فيه رضاً**): يريد ليس فيه نقص على الدين، ولا ترك لشعاره وأبهته.

(**فإن في الصلح دعة لجنودك**): خلاص عن مشقة الحرب وتحمل أثقالها وسلامة عن القتل والقتال وكفاً عنه.

(**وراحة من همومك**): بتدبيرها وتقرير قواعدها.

(**وأمناً لبلادك**): عن تغيرها وفسادها، فإن هذه الأمور كلها من عواقب الحرب وأحكامها، وغير ذلك من الهموم العظيمة والأخطار الكثيرة، وإهراق الدماء وبذل الأموال.

(**ولكن الحذر كل الحذر**): أي خذ الحذر من نفسك والحذر من عدوك، والتحرز غاية التحرز.

---

(١) في (ب): من.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٠٦-٢٠٧، تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

(**من عدوك بعد صلحه**): يشير إلى أنك إذا عقدت هدنة وصلحاً بينك وبين من تحاربه من الأعداء، فلا تهونَنَّ في الحزم من العدو، ولا يغرنَّك بما عقده من الصلح.

(**فإن العدو ربما قارب ليتغفَّل**): يريد أن العدو قارب الأمر بالصلح أو قاربك، واختلط بك بالهدنة؛ ليخبر حالك، ويأخذ غفلتك، وينكث على غرتك، فاحذره في أيام الصلح وكن على وجل من أمره وحاله.

(**فخذ بالحزم**): بالتحرز في أمورك كلها.

(**واتهم في ذلك حسن الظن**): يعني إذا راودتك نفسك على تحسين الظن فاتهمها في ذلك فإنما هو خدعة.

ثم أردف ذلك بالذمم والعهود ومراعاتها، بقوله:

(**وإن[1] عقدت بينك وبين عدو لك عقدة**): في صلح أو هدنة أو غير ذلك من العقود اللازمة والعهود المؤكدة.

(**أو ألبسته منك ذمة**): على أهل أو مال، واستعار اسم اللباس من أجل ذلك؛ ليكون ذلك دالاً على الشمول والإحاطة، مبالغة في ذلك.

(**فحط عهدك بالوفاء**): عن الخيانة والمكر والخديعة، وصنه عن تهمة الغدر[2].

(**وارع ذمتك بالأمانة**): إما من الرعاية وهي: الحياطة، وإما من المراعاة

(١) في (ب): فإن.

(٢) في (ب): الغرر.

وهي: المراقبة والحراسة، وكان قياسه، وراع ذمتك إذا كان من المراعاة، لكنه حول إليه.

(**واجعل نفسك جُنَّة**): الجُنَّة: ما كان يستر من ثوب أو درع أو قميص.

(**دون ما أعطيت**): تكون نفسك ساتره لك عن كشفه وإباحته وإهداره، وهذا من لطيف الكلام وبليغه.

(**فإنه ليس شيء من فرائض الله**): التي فرضها على عباده، وأكدها على خلقه.

(**الناس عليه[1] أشد اجتماعاً**): أعظم التئاماً وأكثر اتفاقاً.

(**مع تفريق[2] أهوائهم**): في كل جهة.

(**وتشتت آرائهم**): في كل موضع.

(**من تعظيم الوفاء بالعهود**): تأكيدها والمواظبة على فعلها، ولقد تمدح الله تعالى[3] بذلك حيث قال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾[التوبة:١١١]، وافتتح الله سورة المائدة بالأمر بذلك حيث قال: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[المائدة:١].

(**وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم**): من الذمم والعهود والمواثيق وأكدوها، وأكرهوا نفوسهم على الوفاء بها، واقتحموا العظائم من أجل حرمها، وخاضوا غمرات الموت من دون ذلك، حتى أن رجلاً منهم

(١) عليه، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(٢) في شرح النهج: تفرق.

(٣) تعالى، زيادة في (ب).

ليذهب أهله وولده وماله من أجل الوفاء بذمته وعقده، وإذا اخترمت له ذمة أو أبيح له حمى أو جوار اقتحم كل عظيمة من دون ذلك، حتى يبلغ فيه مبلغه، فهم على ذلك من:

(دون المسلمين): يعني هم أهل الشرك مؤكدون لذلك فضلاً عن المسلمين، فهم أحق بذلك وأولى.

(لما استوبلوا من عواقب الغدر): استوخموا منه ما يكون في آخر الأمر منه واستثقلوا ذلك، واللام: في لما استوبلوا متعلقة بقوله: لزم أي لزموا الوفاء من أجل استيخامهم لعاقبته.

(فلا تغدرنَّ بذمتك): بالخيانة والخديعة.

(ولا تخيسنَّ بعهدك): تنكثنَّ، من قولهم: خاس بعهده إذا نكث فيه.

(ولا تختلنَّ عدوك): أي تخدعه، والمخاتلة: المخادعة.

(فإنه لا يجترىء على الله إلا جاهل): الاجتراء هو: الإقدام على الشيء من غير بصيرة ولا خبرة بحاله، وأراد أنه لا يقدم على الله في مخالفة أمره والوقوع في مناهيه إلا جاهل بحاله وبعظم قدرته على نكاله والانتقام منه.

(شقي): الشقاوة: خلاف السعادة.

(وقد جعل الله عهده وذمته أمناً): ما شرع من العقود والمواثيق أمراً يأمن به كل أحد ممن عقد في حقه.

(أفضاه بين العباد برحمته): أظهره بين عباده رحمة من جهته، ولطفاً بهم، وصلاحاً لأحوالهم.

(وحريماً[1] يسكنون إلى منعته): المنعة: بالتحريك: جمع[2] مانع مثل كافر وكفرة، والمنعة بالسكون هو: المنع، وأراد أن الله تعالى جعل العقد شيئاً محترماً لا يمكن تخطيه ولا مخالفته، ومن فعل في حقه فهو ساكن النفس إليه، مطمئن القلب إلى ما تضمنه واشتمل عليه، وإلى منعته، من قولهم: فلان في عز ومنعة أي لا يضام له جانب.

(ويستفيضون إلى جواره): فاض الخبر واستفاض إذا ظهر وعلا، وأراد أنهم يظهرون أمورهم ويستندون إليه ويعتمدون في كل أحوالهم عليه.

(فلا إدغال): المداغلة: الفساد والمخادعة.

(ولا مدالسة): التدليس هو: التزوير.

(ولا خداع فيه): مخادعة في العقد الذي يُعْقَدُ.

(ولا تعقد عقداً تجوّز فيه العلل): يعني إذا عقدت فلا تعقد عقداً يكثر فيه الالتواء والتعلل، أو يريد إذا عقدت عقداً فلا تعقده على الاستثناءات الكثيرة والشروط، وإنما يكون منبرماً مقطوعاً عن هذه الأشياء كلها.

(ولا تعولنَّ على لحن القول): أي لا تتكلم بكلام يفهمه عنك من تخاطبه، ويخفى على غيره ممن سمعه، وأراد ها هنا لا تعدل عن الصواب.

(بعد التوكيد): الوثاقة في العقود والعهود.

(والتوثقة): وهي تفعله من الوثاقة.

---

(١) في نسخة: وحرماً (هامش في ب).

(٢) في (ب): هو جمع مانع.

(ولايدعونَّك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله تعالى[1]): يعني وإذا ضاق صدرك وحرجت نفسك من أمر عارض، وقد أعطيت فيه عهد الله وذمته على نفسك، ودعتك:

(إلى طلب انفساخه بغير الحق): فلا تفعل شيئاً من ذلك.

ثم علل ذلك، بقوله:

(فإن صبرك على ضيق ترجو انفراجه[2]): من جهة الله بلطف من عنده وتيسير أمر من جهته.

(خير من غدر): بمخالفة ما أعطيت من العقود على ألا تخالفه.

(تخاف تبعته): ما يتبع من العقوبة من الله من أجله.

(وأن تحيط بك من الله): تشملك وتستولي عليك.

(فيه طِلْبَة): يطلبك الله من أجله طِلْبة.

(لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك): أي لا ينهض منها عثارك في الدنيا ولا في الآخرة، ففي الدنيا بالهلاك، وفي الآخرة بالعقوبة.

(إياك والدماء وسفكها): إهراقها على غير وجهها وفي غير حلها.

(بغير حلها): من غير أن يكون ثَمَّ وجه مبيح لإهراقها من عدوان أو بغي أو ردة أو قصاص[3] أو غير ذلك، وفي الحديث: «لا يحل دم امرئ

---

(١) تعالى، سقط من (أ).

(٢) في شرح النهج: فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته.

(٣) في (أ): أو قصاصاً.

مسلم إلا بإحدى ثلاث:

كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بنفس»[1].

(فإنه ليس شيء أدعى لنقمة): عقوبة.

(ولا أعظم لتبعة): وهو ما يتبع من ضرر[2] العقوبات لأجل ما تقدم من المعصية.

(ولا أحرى بزوال نعمة): أحق بزوال النعم وإبطالها.

(وانقطاع مدة): يريد ذهاب العمر وانقطاعه.

(من سفك الدماء بغير حقها): من إهراقها من غير حق ولا بصيرة في ذلك يكون معذوراً عند الله بها.

(والله تعالى مبتدئ للحكم بين العباد فيما تسافكوا[3] من الدماء): إهراقوه على غير وجهه[4] من بغي بعضهم على بعض وغدر بعضهم ببعض.

---

(١) رواه الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان (عليه السلام) في أصول الأحكام (تحت الطبع) في باب من يقتل حدًا، مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه، وقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد في المغني٢٠/٢/٤٩، وللحديث مصادر كثيرة وشواهد عدة انظرها ومصادرها الكثيرة في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٧/٣٥٠-٣٥١، والحديث بلفظ: «لا يحل دم امرئ يؤمن إلا في إحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق» رواه العلامة أحمد بن يوسف زبارة رحمه الله في أنوار التمام ٥/١٣٦ وعزاه إلى شرح التجريد، وأصول الأحكام، والشفاء، وقال: وهو في البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود.

(٢) في نسخة: من جرم، (هامش في ب).

(٣) في (ب): فيما تسافكوا فيه ...إلخ، وفي نسخة: تسافكوه، (هامش في ب).

(٤) في (ب): وجه.

وفي الحديث: «أول ما يقضى بين الناس في الدماء»[1].

(إلى يوم القيامة): يعني من أول قتيل قتل وهو قابيل إلى أن يقيم الله القيامة عليهم.

(فلا تقوينَّ سلطانك): تشددنَّ قواعده وتشيد أركانه.

(بسفك دم حرام): بإهراق دم على غير وجهه.

(فإن ذلك مما يضعفه): يهون أمره عند الله تعالى[2].

(ويوهيه[3]): إما من الوهي وهو الضعف، قال الله تعالى: ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[الحاقة:16]، أو من الوهن وهو الضعف أيضاً، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾[مريم:4].

(بل يزيله): يذهبه، وفي الحديث: «لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا»[4].

---

(1) الحديث بلفظ: ((إن أول ما يقضي الله به يوم القيامة بين العباد أمر الدماء)) رواه العلامة ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح النهج ١١١/١٧، وهو باللفظ الذي أورده المؤلف هنا في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤٨/٤ وعزاه إلى البخاري ٣/٩، ومسلم في القسامة ٢٨، والنسائي ٨٤/٧، والسنن الكبرى للبيهقي٢١/٨، والمعجم الكبير للطبراني ٢٣٤/١٠ وعزاه إلى غيرها انظرها فيه.

قلت: ورواه في مسند شمس الأخبار ٢٧٣/١ الباب (٤٤)، وعزاه إلى مسند الشهاب، وعزاه العلامة الجلال في تخريج أحاديث شمس الأخبار إلى النسائي من حديث عن ابن مسعود، قال: وحسنه السيوطي.

(2) تعالى، زيادة في (ب).

(3) في شرح النهج: ويوهنه.

(4) رواه في أنوار التمام ١٥٩/٥ وعزاه إلى النسائي عن بريدة، ولفظ أوله فيه: ((قتل المؤمن ...))الحديث، وهو بلفظ: ((لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم)) رواه العلامة الزمخشري في الكشاف ٥٨٣/١.

(وينقله): إلى غيرك كما كان مع غيرك من قبلك، وفي الحديث: «لو أن أهل السماوات والأرض اشتركوا في قتل مؤمن لعذبهم الله»[1].

(ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد): يعني وإن قتلت مؤمناً متعمداً فلا عذر لك عندي ولا عند الله في تسليمك للقتل لأوليائه.

(لأن فيه قود البدن): تسليم البدن للقتل والانقياد لحكم الله تعالى وحكمهم في القتل.

(وإن ابتليت بخطأ): وإنما جعله بلوى لكثرة ما يفرط من الولاة في ذلك.

ويحكى أن عمر تهدد مومسة[2] فألقت جنيناً، فجمع الصحابة واستشارهم، فقال عبد الرحمن: أنت مؤدب ولا شيء عليك، فالتفت إلى أمير المؤمنين فقال له: (إن لم يجتهد فقد غشَّك، وإن اجتهد فقد أخطأ، أرى أن عليك الغُرة)[3]، فأما الإثم فمحطوط عنه لا محالة؛ لأنه إنما قصد بذلك وجه الله تعالى والتقرب إليه في كل ما يفعله من ذلك مصلحة للخلق وكفاً لهم عن المعاصي، وعن هذا قال الفقهاء: إن جناية الإمام والحاكم غرمها في بيت المال.

---

(1) رواه في أنوار التمام ١٥٩/٥ بلفظ: ((لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار)) وعزاه إلى الترمذي، عن أبي الحكم البجلي، قال: سمعت أبا هريرة، وأبا سعيد الخدري يذكران، فذكره.

(2) المومسة: المرأة الفاجرة، والجمع المومسات والمواميس. (انظر القاموس المحيط ص٧٤٨).

(3) الغُرَّة: العبد والأمة، وفي الحديث: ((قضى رسول الله ﷺ في الجنين بغُرَّة)) وكأنه عبَّر عن الجسم كله بالغرة، والغرة عند الفقهاء ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبيد والإماء. (انظر مختار الصحاح ص٤٧١، والنهاية لابن الأثير٣٥٣/٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد١٧٤/١).

(وأفرط[1] عليك سوطك ويدك): يريد تجاوزت الحد فيما تفعله بيدك وتؤدب بسوطك.

(بعقوبة): فزادت على حدها ومبلغها، فإن ذلك كله فيه الدية.

(فإن في الوكزة): وهي ما كان بطرف الأصابع، وقيل: بِجُمْع الكف.

(فما فوقها): من الجنايات.

(مقتلة): يريد أنها قاتلة فما فوقها، ولهذا فإن موسى وكز القبطي فقتله بها.

(فلا تطمحنَّ بك نخوة سلطانك): طمح مثل جمح، والغرض منه التعدي ومجاوزة الحد.

(أن تؤدي[2] إلى أولياء المقتول حقهم): يريد وإن كنت ذا سلطان وأبهة ودولة فلا يتطاولنَّ بك سلطانك ويعلو بك أمرك عن أداء ما جنت يدك وسوطك من دية من تقتله إلى أوليائه وورثته.

ثم عقَّب ذلك بذكر ذم الإعجاب وغيره من الآداب، بقوله:

(وإياك والإعجاب بنفسك).

اعلم: أن حقيقة العجب راجعة إلى تكبر يحصل في الإنسان بتخيل كمال في علم أو عمل، فإن كان خائفاً على زواله فهو غير معجب، وإن كان فارحاً بكونه نعمة من الله تعالى[3] فهو غير معجب أيضاً،

(١) في (ب): أو فرط، وفي نسخة: أو أفرط، (هامش في ب).
(٢) في (ب) وشرح النهج: عن أن تؤدي.
(٣) تعالى، سقط من (ب).

وإن كان ناظراً إليه من حيث أنه صفة له متكبر به غير ملتفت إلى إمكان زواله، ولا إلى كونه نعمة من الله فهو العجب حقيقة وهو من المهلكات، قال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ[1] أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[المجادلة:١٨]، وفي الحديث: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[2]، وعلاج زواله إنما يكون بتأمل العاقبة في الأمر، وأن بلعام[3] كيف ختم له بالكفر مع عظم عبادته وتبحره في العلم، وأن إبليس كان منه ما كان في العبادة ثم ختم له بالشقاوة، فمن تأمل إمكان سوء الخاتمةلم يعجب بشيء من أعماله ولا من صفاته.

(والثقة بما يعجبك منها): يشير بذلك إلى ما ذكرناه من أنه إذا كان خائفاً على زواله فلا عجب.

فأما إذا وثق بدوامه وأنه لا يتغير فهو عجب لامحالة، ولهذا نهاه عن الثقة به واستمراره.

(١) في النسخ: وهم يحسبون.
(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١١٤/١٧، والموفق بالله في الاعتبار ص٢٨٧ برقم(٢٨٨) في باب كلمات النبي ﷺ لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص٤٣٠ برقم (٥٤٣) من حديث بسنده يبلغ به إلى علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث منجيات، قالوا: يا رسول الله، ما المنجيات؟ قال: خوف الله في السر والعلانية كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والعدل في الرضا والسخط، والقسط في الغنى والفقر، قالوا: يا رسول الله، فما المهلكات؟ قال: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه»، وأخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٢١٨/٢ بسنده يبلغ به إلى أنس.
(٣) هو بلعام بن باعوراء، كان من علماء بني إسرائيل، وقيل: من الكنعانيين، وهو الذي قال الله عزّ وجلّ فيه في سورة الأعراف: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآيتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾. (انظر تفسير الآيتين الكريمتين في الكشاف٢/١٦٧-١٦٨).

(وإياك وحب الإطراء): يعني المدح وهو: الذبح، وأن الله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً﴾[القصص:٨٣].

واعلم: أن النفس ترتاح للمدح وتهتز له وتطيب من أجله؛ لأن فيه شعوراً بالكمال، وتكره الذم؛ لأن فيه شعوراً بالنقصان، وتَوَلُّدُهُ يكون من حب الجاه والرئاسة وهما مذمومان، وفي الحديث: «إن حب الجاه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل»[1]، وشبَّه رسول الله حبَّ الجاه بذئبين ضاريين في زريبة غنم[2]، وعلاجه يكون بكسر النفس وهضمها وذكر الموت، وإشعار النفس بأنه لو سجد لك من فوق بسيطة الأرض لانقطع ذلك عن قريب، فالإطراء خطر كما ترى.

(فإن ذلك): يعني الإطراء.

(من أوثق فرص الشيطان): من أقوى علائقه وأمتن أسبابه ومداخله في إغواء الخلق.

(١) الحديث بلفظ: ((حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب، كما ينبت الماء البقل)) رواه القاضي العلامة محمد بن مطهر الغشم في رضا رب العباد ص٢٤١، وأورد قوله: ((حب الجاه والمال ينبت النفاق)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥١٩/٤ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٥٧٠/٧، ١٧٨/١٠.

(٢) وذلك أنه قال ﷺ: ((ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم، بأضر من حب الشرف والمال على المسلم في دينه)) رواه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (عليه السلام) في تكملة الأحكام ص١٠٩، والإمام الموفق بالله (عليه السلام) في الاعتبار وسلوة العارفين ص١١٩ برقم (٧٥) بلفظ: ((ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حب المال والشرف للرجل في دينه))، (وانظر تخريجه فيه).

(في نفسه): الضمير للشيطان أي بالإضافة إليه في نفسه، من قولهم: هذا الأمر أمكن في نفسي من غيره.

(ليمحق ما يكون من إحسان المحسن): المحق هو: الإبطال والإفساد، وأراد أن حب الإطراء والمدح اللذين[1] يكونان في مقابلة النعمة يبطلان ما يكون في مقابلتها من الثواب؛ لأن الإنعام في الحقيقة يصير كأنه ما كان لوجه الله تعالى، وإنما هو من أجل الثناء والمدح فيبطل من أجل ذلك.

(وإياك والمنَّ على رعيتك بإحسانك): اعلم أن المنَّ هو ذكر النعم وبيان موقعها في حق المُنْعَم عليه، وهو من الخلائق المذمومة، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ﴾[البقرة:٢٦٤].

ومنشأه الشغف بحب العلو والرفعة، وعلاجه ودفعه يكون بتحقير النعمة وتضعيفها، وأن الله عز سلطانه هو في الحقيقة المنعم بها؛ لأنها منه حصلت، وهو الباعث على أدائها والمخلف لعوضها في الدنيا وفي الآخرة، فإذا عرف ذلك هان عليه موقعها فلا يذكرها على جهة المنِّ بها.

(والتزيد[2] فيما كان من فعلك): يريد وإياك والتزيد يعني الكذب، وإنما سماه تزيداً؛ لأنه زيادة من جهة نفسه اختلقها ولم يكن لها حقيقة.

وفي الحديث: «من أراد أن يلعن نفسه فليكذب».

وفي حديث آخر: «ثلاث من علامات النفاق: إذا حدث كذب» وقد مضى تعديدها

(١) في (ب): اللذان.

(٢) في (ب) وشرح النهج: أو التزيد.

وفي حديث آخر: «الكذب مجانب للإيمان[1]».

(**أو أن تعدهم فتتبع موعودك[2] بخلفك**): الموعود إما الوعد، وإما الشيء الموعود على ما سلف تقريره في غير موضع، والخلف: الإبطال لما وعد به.

(**فإن المنّ يبطل الإحسان**): يشير إلى الوجه الذي ذكرناه.

(**والتزيد يذهب بنور الحق**): يعني الكذب، وإنما كان الأمر فيه كما قال؛ لأن الصدق ينوّرُ الحق ويزيده بهاءً وجمالاً، والكذب يُذْهِبُ ذلك ويُبْطِلُه لا محالة.

(**والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس**): لأن في الوعد إلزام نفسه فعل ذلك الموعود به، فإن أخلفه كان سبباً للمقتة من الناس ومن الله، ثم تلا هذه الآية: (﴿**كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾)[الصف:٣]:

وسبب نزولها: أن الله تعالى لما أخبر بثواب شهداء بدر قالوا: لئن لقينا قتالاً لنفرغنَّ فيه وسعنا، ففروا يوم أحد، ولم يفوا بما قالوه[3]، فنزلت عتاباً لهم، واقعاً في المبالغة في ذلك كل موقع.

---

(١) في (ب): الإيمان، والحديث أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٨/١ بسنده عن علي (عليه السلام)، ورواه القاضي علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار ٥٠٢/١ في الباب(٩٥)، عن علي (عليه السلام)، وعزاه إلى أمالي المرشد بالله (انظر تخريجه فيه)، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٣٩/٦، وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين ٥٣١/٩، والدر المنثور للسيوطي ٢٩٠/٣، والكامل لابن عدي ٤٣/١، وأمالي الشجري ١٨/١.

(٢) في شرح النهج: موعدك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٣) في (ب): قالوا، وانظر الرواية في الكشاف ٥٢٢/٤.

(**إياك[1] والعجلة في الأمور قبل أوانها**): حضور وقتها، يريد أن العجلة على الإطلاق مذمومة، وفي الحديث: «الأناة من الله، والعجلة من الشيطان»، ثم إن[2] طلبها قبل أوانها، نقض لها وتعرض لبطلانها؛ لأن طلب الشيء في غير وقته جهل في النفس وخَوَر[3] في الطبيعة.

(**والتساقط فيها عند إمكانها**): يعني التثبط والتراخي عن فعلها عند إحفاز[4] وقتها وحضوره، وإنما سمى خموله عن الحاجة عند إمكانها تساقطاً؛ لأن الساقط لاينتفع بنفسه كما أن من تثبط عن الحاجة لاينتفع بها أصلاً.

(**أو اللجاجة فيها إذا تنكرت**): التنكر: التعذر، وأراد تحذيره عن الإلحاح في طلب الحوائج عند ظن تعذرها وتعلقها وانقطاع أسبابها، فإن اللجاجة في ذلك لا تثمر إلا نقصاً ولوماً.

(**أو الوهن عنها إذا استوضحت**): الوهن: الضعف، والوضوح: الظهور، وأراد تحذيره عن الضعف عن الأمور عند ظهورها؛ لأن في ذلك تعرضاً لبطلانها.

(**فضع كل أمر موضعه**): الذي جعله الله له من غير مخالفة، وما أعجب هذه من كلمة وأجمعها للفوائد الجمة، كماقال تعالى: ﴿**قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾[الطلاق:٣]، لأن ذلك يدل على كمال العقل.

---

(١) في (ب) وشرح النهج: وإياك.

(٢) إن، زيادة في (ب).

(٣) الخَوَرُ بفتحتين: الضعف.

(٤) أي دنوه.

وقيل لزيد بن علي: صف لنا العاقل؟

فقال: هو الذي يضع الأشياء في[1] مواضعها.

فقالوا له: صف لنا الجاهل؟

قال: قد فعلت، يشير إلى أن الجاهل هو الذي يكون على خلاف ذلك، من وضع الأشياء في غير مواضعها.

(**وأوقع كل عمل موقعه**): أراد إما[2] من أعمالك في اللين والشدة والقبض والسماحة، واعرف قدر كل واحد من هذه الأشياء، وإما من أعمال غيرك فمن كان عمله خيراً فأنزله بمنزلته، ومن كان عمله على خلاف ذلك فأنزله منزلته.

(**وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة**): تحذير عن الاستبداد بما الناس فيه متساوون، كما يفعله أهل الجور والظلمة نحو منعهم الماء إلا ما يفضل عن حوائجهم، ومنعهم الكلأ، فإن الناس كلهم شركاء في هذه الأشياء.

وفي الحديث: «المؤمن أخو المؤمن يسعهما الماء والكلأ، ويتعاونان على الفتّان»[3] يعني الشيطان.

(**والتغابي عما تُعْنَى به**): يريد التغافل عما وجب عليك من جهة الله تعالى والعناية به والاهتمام بأمره والقيام بحقه من الأمور كلها.

---

(١) في، زيادة في (ب).

(٢) في (ب): أراد ما كان من أعمالك...إلخ.

(٣) الحديث في نهاية ابن الأثير ٣/٤١٠ بلفظ: ((المسلم أخو المسلم يتعاونان على الفتان)) وقال في شرحه: يروى بضم الفاء وفتحها، فبالضم جمع فاتن: أي يعاون أحدهما الآخر على الذين يضلون الناس عن الحق ويفتنونهم، وبالفتح هو: الشيطان؛ لأنه يفتن الناس عن الدين. وفتّان من أبنية المبالغة في الفتنة. انتهى.

(**مما قد وضح للعيون**): ظهر لها وجوب توجهه عليك بحيث لايخفى منه شيء.

(**فإنه مأخوذ منك لغيرك**): يريد أن الله تعالى مطالبك في النظر في مصالح غيرك لأجل ولايتك عليهم، وتدبيرك لأمورهم.

(**وعما قريب تنكشف عنك أغطية الأمور**): يريد بما يكون في الآخرة والقيامة، وحضور وقتها، فإن الأمور في الدنيا مستورة عن أهلها، وكشف الغطاء عنها يكون في القيامة.

(**وينتصف للمظلوم منك**[1]): يريد بما كان من ظلمك له وأخذك لحقه.

(**أملك عليك حمية أنفك**): يعني الأنفة، والحمية: الاحتماء، وأراد املكها كيلا تؤديك إلى التكبر والفخر، يقال: فلان أحمى أنفاً وأمنع ذماراً[2].

(**وسورة حدك**): سورة السلطان: سطوته، وسورة الأسد: وثبته، وأراد احذر سطوة حدّة نفسك وشِرّتها[3].

(**وسطوة يدك**): في غير حق وبغير وجه بسيف أو سوط.

(**وغَرْبَ لسانك**): أي حدته وطوله في الكلام فيما لا وجه له، وإيقاعه فيمن ليس أهلاً له.

---

(١) في نسخة: وينتصف منك للمظلوم (هامش في ب)، وهو كذا في شرح النهج.

(٢) الذِّمار بالكسر: ما يلزمك حفظه وحمايته. (القاموس المحيط ص٥٠٨).

(٣) الشِّرة بالكسر مصدر الشر. (مختار الصحاح).

(واحترس من كل ذلك): أي كف نفسك من جميع ذلك لما فيه من الهلاك للنفس عند الله تعالى في القيامة.

(بكفّ البادرة): ما تسرع النفس إليه[1] من الشر والسقطة في ذلك.

(وتأخير[2] السطوة): يعني إذا أخرتها ففي تأخيرها انكفاف عنها وإبطال لحدتها في أوائلها.

(ويسكن غضبك[3]): سكون الغضب وسكوته في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾[الأعراف:١٥٤]، عبارة عن ذهاب شدته وزوال فورته.

(فتملك الاختيار): في أمورك كلها، ومعرفة ما تأتي منها وما تذر.

(ولن تحكم ذلك من نفسك): يريد الاحتراس من جميع ما ذكره من شدة الغضب وكف البادرة.

(حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك): يعني أن ذلك لا يستحكم غاية الاستحكام إلا بذكر الموت والمعاد إلى الله تعالى، لأن ذلك كله يهون ما ذكره من مقاساة هذه الأشياء وصعوبتها.

(والواجب عليك): لله تعالى في سيرتك وفي جميع معاملاتك كلها وأحكامك وفتاويك.

---

(١) في (ب): ما تسرع إليه النفس.

(٢) في (أ): وتأخر.

(٣) في (ب) وشرح النهج: حتى يسكن غضبك.

(أن تذكر[1] ما مضى لمن تقدمك): من الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم في جميع أحكامهم كلها وفتاويهم، وما فعلوه فيما يرد عليهم ويصدر من الحوادث كلها.

(من حكومة عادلة): أمضى فيها الحكم على جهة العدل من غير حيف فيها.

(أو سنة فاصلة[2]): بين الحق والباطل.

وفي نسخة أخرى: **(فاضلة)**: بالضاد المنقوطة أي التي لها فضل على غيرها من السنن.

(أو أثر عن نبينا ﷺ): تعمل عليه فيما تناوله.

سؤال: الأثر والسُّنة هما كلاهما صادران عن الرسول (عليه السلام)، فكيف فرّق بينهما؟

وجوابه: هو أن السّنة ما كان الرسول مواظباً عليه في أكثر أوقاته كلها ومكرراً للعمل به، والأثر ما ورد عنه وليس متكرراً، ولهذا يقال: بأن ركعتي الظهر والفجر[3] سنة لما داوم على فعلهما كثيراً، وصلاة الضحى مأثورة لما لم يدوام على فعلها، ولم يكثر من جهته ذلك.

(أو فريضة في كتاب الله): أو أمر مفروض، دل على كونه مفروضاً كتاب الله.

---

(١) في (ب) وشرح النهج: أن تتذكر.

(٢) في شرح النهج: فاضلة.

(٣) في (ب): الفجر والظهر.

(**فتقتدي بما شاهدت مما عملنا**[١] **فيها**): يعني أن أصول الأدلة للأحكام هو ما ذكره من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وما كان من جهة الصحابة في ذلك فيكون لك قدوة عملهم من إثبات أو نسخ أو تخصيص أو غير ذلك، فإن العمدة هو على إجماعهم في ذلك، فما أجمعوا عليه وأصدروه عن آرائهم جميعاً[٢] فهو المعمول عليه، وإن كان مخالفاً لظاهر الكتاب أو مخالفاً لظاهر خبر من جهة السنة، فإنّا نعلم قطعاً أنهم لا يعرضون عن ظاهر ما في الكتاب والسنة تهاوناً بالله وبرسوله؛ لأن ذلك يكون كفراً، وقدرهم أعلا وأشرف من ذلك، وإنما يعرضون لأمور أخر تقتضي ذلك وإن لم يمكن نقلها، فلهذا وجب التعويل في ذلك على ما كان من جهتهم.

(**وتجتهد لنفسك**): من أجل صلاح[٣] نفسك وسلامتها.

(**في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا**): ما أمرتك فيه من الأوامر، ونهيتك عنه، وزجرتك بالمواعظ، وأدبتك فيه بمحاسن الآداب كلها.

(**واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك**): يريد وما ذكرت من العهود والمواثيق عليك، والحجج البالغة في امتثال ما قلته فيه.

(**لكيلا تكون لك علة عند تسرّع نفسك إلى هواها**): يشير إلى أني قد بالغت في الوعظ والنصيحة لقطع العلة مخافة إسراع نفسك إلى ما تهواه من مخالفة الحق وإبطاله.

(١) في (ب) وشرح النهج: مما عملناه به فيها.
(٢) جميعاً، زيادة في (ب).
(٣) في (ب): إصلاح.

(**وأنا أسأل الله بسعة رحمته**): الشاملة لكل الخلائق.

(**وعظيم قدرته**): باهرها وكمالها.

(**على إعطاء كل رغبة**): ما يُرْغَبُ إليه من جميع الأشياء.

(**أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه**): للطاعات المرضية عنده.

(**من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه**): من هذه لابتداء الغاية، وأراد حسن العذر في الخروج إلى الله في حقوقه الواجبة له، وحقوق العباد الواجبة لهم.

(**من حسن الثناء في العباد**): بحسن السيرة فيهم، أو لتأدية حقوقهم إليهم.

(**وجميل الأثر في البلاد**): إما لبسط العدل فيها[١]، وإما لإظهار الرفق بأهلها.

(**وتمام النعمة**): يريد في الدنيا بالسلامة عن العاهات وطروّ الآفات، أو بخاتمة الخير في الآخرة.

(**وتضعيف الكرامة**): بثواب الله في الآخرة، أو مضاعفة النعم في الدنيا[٢] والإكرام بها.

(**وأن يختم لي ولك بالسعادة**): الأخروية وهي خاتمة الخير والتوفيق لرضوان الله تعالى[٣].

(**والشهادة**): قتلة مرضية في سبيل الله.

(١) فيها، سقط من (ب).
(٢) في (ب): بالدنيا.
(٣) تعالى، زيادة في (ب).

(إنا إلى الله[1] راغبون): في جميع ذلك كله من كرمه وسعة رحمته.

(والسلام على رسول الله ﷺ[2]): رحمته ورضوانه.

وأقول: إن هذا العهد لكافٍ[3] لأئمة الدين في تدبير أمورهم، ولأهل الدول في سياسة دولهم؛ لما فيه من جميع الفوائد الجمة والنكت الغزيرة وآداب الدين والدنيا.

(١) في نسخة: إنا إليه (هامش في ب).

(٢) في شرح النهج: والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

(٣) في (ب): لكاف.

(٥٤) ومن كتاب له [عليه السلام][1] إلى طلحة والزبير[2]

ذكره أبو جعفر الإسكافي[3] في كتاب (المقامات) له.

وأبو جعفر الإسكافي هذا هو من جملة الثقات في النقل والمعتمد عليهم في الروايات، وله ثقة وأمانة فيما يرويه ومعرفة ودراية، وعليه تعويل الأكثر من أئمة النقل في الأخبار والتواريخ.

(أما بعد، فقد علمتما): علماً لاشك فيه، قطعياً لامرية به.

(وإن كتمتما): أخفيتما ذلك وأسررتماه.

(أني لم أرد الناس): على ما كان من أمر الإمامة والبيعة، ولا دعوتهم إلى ذلك.

(ولكن[4] أرادوني): طلبوني وحملوني على ذلك.

(١) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٢) في شرح النهج: ومن كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي، وذكر هذا الكتاب أبو جعفر الإسكافي في كتاب (المقامات).

(٣) هو محمد بن عبد الله الإسكافي، أبو جعفر المتوفى سنة٢٤٠هـ، عده قاضي القضاة في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة، وقال: كان أبو جعفر فاضلاً عالماً، وصنف سبعين كتاباً في علم الكلام. وهو الذي نقض كتاب (العثمانية) على أبي عثمان الجاحظ في حياته. وذكر ابن أبي الحديد أن أبا جعفر كان يقول بالتفضيل على قاعدة معتزلة بغداد. (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٧/١٣٢-١٣٣).

(٤) في شرح النهج: وفي نسخة: حتى أرادوني.

(ولم أبايعهم): أطلبها من جهتهم.

(حتى بايعوني): طلبوني.

(وإنكما ممن أرادني): للخلافة.

(وبايعني): عليها من جملة الناس كلهم، من غير إكراه مني على ذلك لأحد منكم.

(وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب غاصب): أراد أن انقيادهم لي في البيعة وطاعتهم لي فيها ما كان لمكان سلطان، وأمر نافذ عليهم، ولا أني غصبتهم على ذلك.

(ولا لغرض خاطر[1]): من أغراض الدنيا، وهذا أمر ظاهر أعني ما ذكره من عدم الغصب والقهر لهم، بل جاءوا مضطرين إلى إقامته[2]، وفزعوا وجلين إلى خلافته، لما خلا عقد أمر المسلمين[3] من غير رابط، ولا حافظ لهم هناك ولا حائط.

(فإن كنتما بايعتماني طائعين): من جهة الاختيار من أنفسكما.

(فارجعا): إلى الله تعالى[4] عن النكث والخروج عن الحق والفسق بالبغي عليّ.

(وتوبا إليه[5]): من هذه المعاصي الموبقة.

(١) في شرح النهج: ولا لحرص حاضر.
(٢) في نسخة: إمامته، (هامش في ب).
(٣) في (ب): لما خلى حبل المسلمين.
(٤) تعالى، زيادة في (ب).
(٥) في (ب) وشرح النهج: وتوبا إلى الله.

(من قريب): والذنوب قليلة والحال منجبر، أو من قريب قبل التمادي في الباطل والغي.

(وإن كنتما بايعتماني كارهين): من غير اختيار من جهة أنفسكما.

(فقد[1] جعلتما لي عليكما السبيل): يريد الحجة الواضحة عليكما بما كان من تلبيسكما.

(بإظهاركما الطاعة): لي والاتباع لأمري.

(وإسراركما المعصية): بما كان من المبايعة كرهاً، وفي ذلك عدم الانقياد لأمري والمخالفة لي.

(وما كنتما[2] بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن المهاجرين على كثرتهم وجموم أعدادهم بايعوني، لم يخافوا مني سطوة[3]، ولا هم في تقية من أمري، فكيف تخافان أنتما.

وثانيهما: أن يكون مراده أن المهاجرين ليس لأحدهم من الفضل وعلو الرتبة مثل مالكما، ومع ذلك فإنهم ليسوا في خوف ولا تقية فيما فعلوه من البيعة، فكيف يكون حالكما مخالفاً لحالهم، وأنتما أحق بعدم التقية لما لكما من الفضل والسابقة وعلو المحل.

(وإن دفعكما هذا الأمر): امتناعكما من البيعة وتأخركما عنه.

(١) في (أ): قد.
(٢) في شرح النهج: ولعمري ما كنتما...إلخ.
(٣) في (ب): من سطوة.

(من قبل أن تدخلا فيه): بما كان من إعطاء البيعة والانقياد للأمر[1].

(كان أوسع عليكما): مجالاً وأفسح مضطرباً.

(من خروجكما منه): من غير بصيرة لكما في ذلك.

(بعد إقراركما به): تصريحكما بصحته.

(وقد زعمتما أني قتلت عثمان): بما كان من تخلفي عن نصرته وخذلاني له، أو يكون غرضهما بأمري بذلك، فإن ظاهر كلامه فيما نقله عنهما[2] محتمل لذلك.

(فبيني وبينكما): متوسط وحاكم.

(من تخلف عني): وتخلفه عنه، إما عن البيعة فلم يبايع، مثل ما كان من عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقاص وغير هؤلاء، وإما عن الخوض في أمر عثمان فإن منهم من وقف في حاله عن خذلانه ونصرته، ولم يتكلم فيه.

(وعنكما): بترك المتابعة لكما في النكث لبيعتي وخروجكما عنها، وإما عن النصرة لعثمان كما هو رأيكما.

(من أهل المدينة): التي هي موضع الهجرة ومهبط الوحي ودار الإسلام والإيمان.

(ثم يُلْزَمُ كل امرئ بقدر ما احتمل): من ذلك من الجرم.

(١) في (ب): للإمام.

(٢) في (ب): فيما نقله ها هنا عنهما ...إلخ.

(فارجعا أيها الشيخان[1]): عما أنتما فيه من البغي والخروج عن الحق، وما عليه أهل الدين.

(عن رأيكما): الخطأ وعزمكما المخالف للحق.

(فإن الآن أعظم أمركما العار): يريد أن الذي ينقم عليكما من جهة الدين إنما هو العار بما ركبتما من مخالفة المؤمنين واتباع غير سبيلهم، وسلوك غير طريقهم.

(من قبل أن يجتمع العار والنار): فالعار ما يلحق به الذم من المخالفة بالبغي، والنار من جهة الله تعالى بالعقوبة على ذلك.

(١) في نسخة: الرجلان، (هامش في ب).

(٥٥) ومن كتاب له [عليه السلام][١] إلى معاوية

(أما بعد؛ فإن الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها): أراد إما طريقاً إلى الجنة، وإما جعل ما يكون في الآخرة جزاء لما يكون في الدنيا من الطاعة والمعصية بالثواب والعقاب، وإما أن يريد جعل الدنيا وصلة إلى رضوان الله والفوز بجواره.

(وابتلى فيها أهلها): أراد إما بالخير والشر، وإما أن يريد بأهلها بعضهم ببعض، أو أراد بما يكون من فتنة الشيطان والنفس والهوى وغير ذلك من أنواع البلايا والمصائب اللاحقة فيها.

(ليعلم أيهم أحسن عملاً): أكثر مطابقة لرضاه مع هذه البلايا وشدة هذه الفتن.

(ولسنا للدنيا خُلِقْنَا): إنما خُلِقْنَا من أجل العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، وأيضاً فالخلق إنما يكون لأمر دائم وهو الثواب المستحق على العبادة.

(ولا للسعي فيها[٢] أمِرْنَا): للاجتهاد والاضطراب وإحرازها كان أمر الله لنا.

(١) زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٢) في نسخة: ولا بالسعي لها، (هامش في ب).

(وإنما وُضِعْنَا فيها لنبتلى[١] بها): من أجل البلوى والامتحان والاختبار.

(وقد ابتلاني الله بك): بأن أحاربك على مخالفتك[٢] لي وبغيك عليَّ، وعصيانك لله، وطلبك الفساد في الأرض بغير الحق.

(وابتلاك بي): كما ابتلى إبليس بآدم، فجعل طاعتي واجبة عليك وأمري لازم لك فخالفت الأمر، وخرجت عن الطاعة.

(فجعل أحدنا حجة على الآخر): أنا حجة عليك في وجوب الاتباع والانقياد وترك المخالفة، وأنت حجة عليَّ في وجوب جهادك على مخالفة الله تعالى[٣] وتعدي حدوده.

(فغدوت على طلب الدنيا): أي تجاوزت الحد في إحراز الدنيا والتهالك في حبها.

(بتأويل القران): بأن تأولت القرآن على غير وجهه، فأوهمت أهل الشام أني قاتل لعثمان، وأنك طالب بدمه، محتجاً بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾[البقرة:١٧٨]، فطلبت الدنيا بتأويلك الفاسد.

(فطلبتني[٤] بما لم تجن يدي): من القتل.

(ولا لساني): ولا أمر به لساني.

(وعصبته أنت وأهل الشام): بما كان منكم من المخالفة.

(١) في نسخة: لنبلى (هامش في ب).
(٢) في (أ): على مخالفة، وهو تحريف.
(٣) تعالى، زيادة في (ب).
(٤) في شرح النهج: وطلبتني.

(بي): بسببي ومن أجلي.

(وألّب عالمكم جاهلكم): أي جمع عليَّ وحرض من كان عالماً بحالي وفضيلتي من كان جاهلاً بها بالحرب والمخالفة.

(وقائمكم قاعدكم): أي وحثَّ من كان قائماً بمعاداتي من كان قاعداً عنها، وساكتاً عن النطق بها.

(فاتق الله في نفسك): بالانقياد لأمره، وترك المخالفة له في أحوالك كلها.

(ونازع الشيطان قيادك): القياد: الحبل الذي يقاد به الحيوان، وأراد وأملكه على نفسك ولا تمكّن الشيطان منه فيقودك به.

(واصرف إلى الآخرة وجهك): يشير بهذا إلى إدباره عن الآخرة، وتهالكه في حب الدنيا، وطلب الرئاسة فيها، وأخذها من غير حلها، وعلى غير وجهها.

(فهي طريقنا وطريقك): إما إلى الآخرة وأهوالها، وإما إلى النار والجنة، وإما إلى الأعمال الصالحة وخلافها.

(واحذر أن يصيبك الله بعاجل قارعة): بلية شديدة لا يمكن وصف حالها.

(تمش[1] الأصل): أي تقلعه، وهو بالشين المنقوطة من أعلاها.

قال الأصمعي: المش: مسح اليد بالشيء الخشن بقلع الدسم منها.

(١) في شرح النهج: تمس، أي تقطع.

قال امرؤ القيس:

نمش بأعراف الجياد[1] أكفنا
إذا نحن قمنا عن شواء مضهّب[2]

(وتقطع الدابر): أي العقب؛ لأنه يدبر الإنسان ويخلفه بعده.

(فإني أولي لك بالله أليّة غير فاجرة): أي أحلف حلفاً صادقاً، واليمين الفاجرة: هي[3] المائلة عن سمت الحق وطريقه.

(لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار): ما سبق به علم الله ونفذ به قضاؤه من قتل من يقتل وأخذ من يؤخذ.

(لا أزال بساحتك[4]): أي بناحيتك وجهتك، ولا أقلع عن ذلك.

(حتى يحكم الله): بما أراد من حكمه إما علي وإما لي.

(وهو خير الحاكمين[5]): أعلمهم بما فيه مصلحة لي ولك وأحقهم بذلك.

(١) في (ب): الجبال.

(٢) أورده في لسان العرب ٤٨٨/٣ وقال في شرحه: المضهب: الذي لم يكمل نضجه، يريد أنهم أكلوا الشرائح التي شووها على النار قبل نضجها، ولم يدعوها إلى أن تنشف فأكلوها وفيها بقية من ماء.

(٣) في (ب): وهي.

(٤) في شرح النهج: بباحتك.

(٥) في شرح النهج: حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

(٥٦) ومن كلام له أوصى به شريح بن هانئ[1] لما جعله على مقدمته إلى الشام

(اتق الله في كل صباح ومساء): في جميع أوقاتك كلها، وخصَّ الصباح والمساء لشمولهما طرفي النهار، كما قال تعالى: **﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾**[طه: ١٣٠].

(وخف على نفسك الدنيا الغَرُور): أي كن خائفاً في أحوالك كلها لغرورها وخدعها ومكرها.

(ولا تأمنها على حال): فإن من كان من طبعه الخدع والمكر لا يؤمن في حالة من الحالات.

(واعلم أنك إن لم تردع نفسك): ردعه إذا كفه عما يريد[2].

(عن كثير مما تحب مخافة مكروهه): المعنى أنك إذا كففت نفسك[3] عن كثير من محبوباتها مخافة أن تقع في الأمور المكروهة.

(١) هو شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد المذحجي، كان أبوه هانئ يكنى في الجاهلية أبا الحكم، لأنه كان يحكم بينهم، فكناه رسول الله ﷺ بأبي شريح إذ وفد عليه، وابنه شريح هذا من جلة أصحاب علي (عليه السلام)، شهد معه المشاهد كلها، وعاش حتى قتل بسجستان في زمن الحجاج، وشريح جاهلي إسلامي، يكنى أبا المقدام. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/ ١٣٨).

(٢) في (ب): يريده.

(٣) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: إذا لم تكفف نفسك.

(سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر): علت بك إلى معظم الضرر وكثيره.

(فكن لنفسك مانعاً رادعاً): فالمنع عن الشرور، والردع عن هواها[1].

(ولنزوتك[2] عند الحفيظة): النزوة: الوثبة، والحفيظة: الغضب، ومن أمثالهم: الحفيظة تذهب الحقد؛ لأن الحقد شيء يسير يقع في القلب قليل، لا تأثير له، فإذا وقعت الحفيظة فهي أشد من الحقد وأقوى حكماً منه، ولا جرم كان الحقد لضعفه ذاهباً عندها، لما كانت أعظم حالاً منه، ولهذا فإن من كان في قلبه حقد على غيره ثم قتل ولده فإن القتل يذهب ما كان من الحقد بحصول ما هو أعظم منه جرماً، فهذا مرادهم بقولهم: الحفيظة تذهب الحقد.

(واقماً): الوقم: أشد الرد.

(قامعاً): قمعه إذا كفه بعنف وشدة، وأراد كن لها عند هذه أشد كافٍ وأعظم رادٍ.

(١) في (ب) ونسخة أخرى: هوائها.

(٢) في شرح النهج: ولنزواتك.

(٥٧) ومن كتاب له إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة

(أما بعد، فإني خرجت مخرجي هذا إما ظالماً وإما مظلوماً): إما هذه هي المكسورة المكررة التي تأتي للعطف، كقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾[محمد:٤] وهذه كلها ومابعدها أحوال منصوبة من التاء في خرجت.

(وإما باغياً أو مبغياً عليه[1]): وغرضه من هذا[2] إيجاب الحجة على من بلغه وسمعه، وأنه غير منفك من[3] هذه الأحوال.

(وأنا أذكّر الله من بلغه كتابي هذا): أراد إما أذكّره وعيده ووعده[4] على الطاعة والمعصية من ذاك، أو أراد أسأله بالله وأناشده به.

(لما نفر إليّ): لما إن كان مخففاً، فما ها هنا زائدة، واللام هذه جواب القسم داخلة على الفعل الماضي، وإما أن[5] تكون مثقلة بمعنى إلا، وهي في وجهها كهي في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[الطارق:٤]،

(١) في (ب): عليّ.
(٢) في (ب): هذه.
(٣) في (ب): عن.
(٤) في (ب): وعده ووعيده.
(٥) أن، زيادة في (ب).

على القرآتين جميعاً[1]، وأراد إلا أتى على عجلة نحوي.

(فإن كنت محسناً أعانني): على إحساني فله الأجر[2] مضاعفاً على ذلك.

(وإن كنت مسيئاً استعتبني): طلب عتابي عما أنا فيه وكفني عنه.

(١) أي لمَّا بالتشديد، وهي قراءة، ولَمَا بالتخفيف وهي قراءة أخرى.
(٢) في (ب): فله الأجر، فله الأجر مضاعفاً على ذلك.

(٥٨) ومن كتاب له إلى أهل الأمصار يقتص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين

(وكان بدء أمرنا أنّا التقينا والقوم من أهل الشام): وكان مبدأ الأمر وأوله أن المقادير جمعتنا، وقوله: (والقوم من أهل الشام): عطف على الضمير المرفوع من غير تأكيد له، ولا ما يقوم مقامه، كقولك: قمت وزيد، وإلى جوازه من غير تأكيد، ذهب علماء الكوفة.

(والظاهر): من حالنا وحالهم في ذلك.

(أن ربنا واحد، ونبينا واحد): لانعدل عن أحدهما لغيره[1].

(ودعوتنا في الإسلام واحدة): وهي كلمة التوحيد، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾[آل عمران:٦٤].

(لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله): أي لا نطلب منهم الزيادة على ما هم عليه من ذلك لتمكنهم فيه وانقطاعهم إليه.

(ولا يستزيدوننا): في الإقرار به والثبات عليه شيئاً.

(١) في (ب): بغيره.

(والأمر واحد): بيننا وبينهم في الدين والإسلام، لا مخالفة بيننا وبينهم في ذلك.

(إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان): الاستثناء هذا متصل، وهو منصوب على الإيجاب، أي وكل أمورنا مستوية إلا ما كان من الخلاف في قتل عثمان.

(ونحن منه بَرَاءٌ): البَراء بفتح الباء هو: المصدر، والبُراء بضم الباء هو: جمع بريء كنذير ونذراء.

(فقلنا لهم: تعالوا): أي فكان من قولنا لهم وخطابنا إياهم أن قلنا لهم: أقبلوا، وتعالوا اسم من أسماء الأفعال تقول فيه: تعال يا زيد، تعالي يا هند، تعالوا يارجال، تعالين يانساء بفتح اللام في هذا كله، قال الله تعالى: ﴿تَعَالَوْا﴾، وقال: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾[الأحزاب:٢٨]، وأراد أقبلوا.

(ندواي ما لا يُدْرَكُ اليوم): نصلح بالدواء ما لا يلحق اليوم لعظمه وتفاقمه، والإدراك: اللحوق.

(بإطفاء النائرة): الباء متعلقة بِيُدْرَك، والنائرة بالنون هي: الحرب.

(وتسكين العامة): عن الفشل والاضطراب.

(حتى يشتد الأمر): يقوى ويستفحل.

(ويستجمع): يكون مجتمعاً أمره.

(فنقوى[1] على وضع الحق في مواضعه): وأراد أخذ قتلة عثمان

(١) في (ب): فيقوى.

بجرمهم، وإنصاف الحق من جهتهم؛ لأنهم قد كانوا سألوه ذلك، وهو أن يمكّنهم من قتلة عثمان للقصاص وأخذ الحق، فقال لهم هذه المقالة، وحاصلها ترك الأمر حتى تقوى قواعده وتشتد أركانه، ويجري الشرع في ذلك مجراه، فهذا كان رأيه في أول أمره.

(**فقالوا: بل نداويه بالمكابرة**): أي بالتكبر والتعاظم علينا في ذلك، ومنه الكبرياء وهو: التعاظم.

(**فأبوا**): فكرهوا ما أشرنا إليهم[1] من المصلحة، فكان من أمرنا وأمرهم في الحرب ما كان، وانتهت حالنا وحالهم إلى ما عرف.

(**حتى جنحت الحرب**): أي مالت.

(**وركدت**): أي ثبتت، وذكر هاتين الحالتين لشمولهما لها؛ لأنها لاتزال بين ميلان على قوم وركود على آخرين، ومنه قولهم: الحرب سجال أي يوم لك ويوم عليك.

(**ووقدت نيرانها**): توقدت وعظمت، وهم يستعيرون للحرب صفات النار من التوقد والالتهاب لعظمها وصعوبة الأمر فيها.

(**وحمشت**): بالحاء المهملة والشين بثلاث من أعلاها أي التهبت غضباً.

(**فلما ضرّستنا وإياهم**): عضتنا بأضراسها، وهو كناية عن اشتدادها، يقال: ضرّسه الزمان إذا اشتد عليه.

(**ووضعت مخالبها فينا وفيهم**): مخالب الأسد هي: براثنه، وهي أظفاره، وأراد أنها أخذت منا ومنهم.

---

(١) في (ب): إليه.

(**أجابوا عند ذلك**): الإشارة إلى ما كان من الحرب من التأثير في الفريقين.

(**إلى الذي دعوناهم إليه أولاً**): وهو كف الحرب، وتسكين الدهماء، وحقن الأموال عن السحت[1] وصيانة الدماء، وهو يشير إلى التحكيم وندبهم إليه.

(**فأجبناهم إلى ما دعوا**): من ذلك وأسعدناهم إليه.

(**وسارعناهم إلى ما طلبوا**): أي كانوا سريعين[2] إلى ذلك، عجلين إليه، لكنا أسرع[3] منه[4] إليه طلباً منا للمناصحة في الدين وسعياً إلى إصلاح الأمر في ذلك.

(**حتى استبانت عليهم الحجة**): ظهر أنهم مغلوبون[5] بما أوضحنا عليهم من الحجج في ذلك وأفحمناهم فيه، يشير إلى طلبهم لدم عثمان.

(**وانقطعت فيهم المعذرة**): يعني العذر، وصار كأنه لا عذر لهم فيما طلبوه[6] من ذلك، إذ كان طلباً لاوقع له، وخصاماً لا فائدة ورائه، ولكنه تجني على من لا ذنب له، ولوم على من لا لوم عليه.

(**فمن تمّ على ذلك**): يريد المبغي[7]، واستمر عليه مع ظهور ما قد ظهر له من البصيرة في رجوعه عما كان عليه من البغي.

---

(١) أي الاستئصال، من أسحته ماله إذا استأصله.
(٢) في (ب): مسرعين.
(٣) في (ب) وفي نسخة أخرى: أسرعنا.
(٤) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: منهم.
(٥) في (ب): مغلولون.
(٦) في (ب): يطلبون.
(٧) كذا في (أ) و(ب)، وظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: يريد الرجوع عن البغي.

(منهم): من أهل الشام معاوية وأحزابه.

(فهو الذي انتقذه[1] الله من الهلكة): أي نجاه الله[2] منها، والهلكة هي: الهلاك، وانتقذه وأنقذه بمعنى واحد، وكلاهما قد روي، وسماعنا فيه: (انتقذه).

(ومن لجَّ): فلان لجَّ في العداوة إذا ولع بها وأكثر من فعلها.

(وتمادى): أي أكثر من مداها، ولم يقف على غاية من ذلك.

(فهو الراكس): الراجع في غيه، ومنه قولهم: ارتكس فلان إذا رجع في أمر قد كان نجا منه.

(الذي ران الله[3] على قلبه): أي غلب الله على قلبه بالخذلان والفساد، والرين: الطبع والدنس، وغرضه أن القلوب منهم قد رانت عليها الذنوب فسودتها وغلبت عليها بالتطخية[4] والقساوة.

(وصارت دائرة السوء على رأسه): المراد بالدائرة هي: البلية الدائرة عليهم، شبهت بالدائرة في الخط لاستيلائها عليهم وإحاطتها بهم من جميع الجهات والجوانب، كما قال الله تعالى: ﴿**عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ**﴾[التوبة:٩٨]، وقد حكينا من أمر التحكيم في أثناء الخطب المتقدمة ما فيه كفاية.

---

(١) في شرح النهج: أنقذه.

(٢) الله، زيادة في (ب).

(٣) في (ب): الذي قد ران الله...إلخ.

(٤) أي التغطية.

(٥٩) ومن كتاب له [عليه السلام][1] إلى الأسود بن قطبة صاحب حلوان[2]

(أما بعد، فإن الوالي إذا اختلف هواه): يريد باختلاف الهوى هو أنه تارة يكون مع هذا على غيره، وتارة يكون مع ذاك على من سواه، من غير التفات إلى النصفة، ولا مواظبة على تحري المعدلة بين الخلق، ومراعاة الإنصاف بينهم، فمن فعل هذا في رعيته ومن تحت يده.

(منعه ذلك كثيراً من العدل): لأن العدل هو مخالف للهوى ومضاد له، فإذا كانت عمدته الهوى منعه ذلك عن العدل في كل أحواله لما ذكرناه.

(فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء): من غير حيف ولا ميل اتباعاً للهوى؛ لأن الله جعلهم بالإضافة إلى الحق على سواء، ولا تفضيل لأحد على أحد فيه.

(فإنه ليس في الجور عوض عن العدل): يعني أن الجور لا يقوم مقام العدل في شيء من أحكامه؛ لأن عوض الشيء يكون سادًّا مسدَّه، وقائماً مقامه، والجور لايسدُّ مسدَّ العدل.

---

(١) زيادة في شرح النهج.

(٢) في شرح النهج: صاحب جند حلوان.

(**فاجتنب ما تُنكر أمثاله**): من غيرك وتكون راداً له[1] عليه من جهة نفسك، هذا على أن تنكر مبني لما سمي فاعله، فأما على من رواه مبنياً لما لم يسم فاعله، فالغرض فيه فاجتنب ما تنكر من غيرك أمثاله.

(**وابتذل نفسك فيما فرض[2] الله عليك**): التبذل بالذال بنقطة من أعلاها هو: الامتهان وخلاف التصون، وأراد امتهن نفسك واستخدمها في أداء ما فرض الله عليك من فروضه وأداء واجباته

(**راجياً ثوابه**): امتهان من يكون راجياً للثواب.

(**ومتخوفاً من عقابه**): أن يلحقك ويتصل بك.

(**واعلم أن الدنيا دار بلية**): أي فتن ومحن وشرور.

(**لم يفرغ صاحبها فيها[3] ساعة إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة**): يعني أنه لم يفرغ ساعة عن اكتساب الأعمال الصالحة إلا ندم عليها لا محالة، حيث لم يكن اغتنمها، وفعل فيها أفعال الخير.

(**وإنه لن يغنيك عن الحق شيء[4] أبداً**): يعني أن عملك على الحق واشتغالك بالحق لا يقوم مقامه شيء، ولا يعتاض عنه شيء[5].

(**ومن الحق حفظك[6] نفسك**): عن كل ما يهلك الدين، ويوقع النفس

(١) له، سقط من (ب).
(٢) في شرح النهج: افترض.
(٣) في (ب): منها، وفي شرح النهج: لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة ...إلخ.
(٤) في نسخة: غناء (هامش في ب).
(٥) في (ب): ولا تعتاض عنه بشيء.
(٦) في نسخة: حفظ، ذكره في هامش (ب)، وفي شرح النهج: ومن الحق عليك حفظ نفسك.

في غضب الله تعالى[1] وسخطه وعذابه.

(**والاحتساب على الرعية بجهدك**): الاحتساب هو: الأجر على العدل من جهة الله تعالى.

(**فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك**): يريد أن الذي يصل إليك من الثواب بسبب حفظك[2] نفسك، وجزاء على عدلك في الرعية أفضل لا محالة مما يصل بسبب عدلك إلى الرعية من[3] الأمن والرفاهية وطيب العيش وقرار النفوس؛ لأن ذلك منقطع حقير بالإضافة إلى أجر[4] الله وثوابه.

(١) تعالى، سقط من (أ).
(٢) في (ب): حفظ.
(٣) في (ب): في.
(٤) في (ب): جزاء.

(٦٠) ومن كتاب له عليه السلام إلى العمال الذين يطأ عملهم الجيش

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من مرَّ به الجيش): يخاطب بذلك أهل ولاياته، والذين يتصرفون عن أمره.

(من جباة الخراج): الذين[1] يأخذونه ممن وجب عليه، والأرض الخراجية هي سواد العراق[2] كما ذكرناه من قبل.

ويحكى أنها اثنان وثلاثون ألف ألف جريب، والجريب: ثلاثة آلاف ذراع وستمائة ذراع، ويؤخذ الخراج من كل جريب شعير[3] درهمان، ومن كل جريب حنطة أربعة دراهم، ومن كل[4] جريب القصب ستة دراهم، ومن كل جريب نخل عشرة دراهم، ومن كل جريب كرم ثمانية دراهم، ومن كل جريب زيتون اثني عشر درهماً.

(١) في (ب): الذي.

(٢) قال الإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) في الاعتصام ٢/٢٩٤ ما لفظه: وقال الغزالي في كتاب (فضائل المستظهرية وفضائح الباطنية) ما لفظه: ومذهب الشافعي وطوائف العلماء أن رض العراق وقف: من عَبَّادان إلى الموصل طولاً، ومن القادسية إلى حلوان عرضاً، وإنما وقفها على المسلمين عمر بن الخطاب ليكون خراجها منصباً إلى بيت المال ومصالح المسلمين. انتهى.

(٣) في (أ): شعيراً.

(٤) كل، زيادة في (ب).

ويحكى أن عمر رضي الله عنه جبا الأرض الخراجية في أيامه مائة ألف ألف درهم وسبعة وثلاثين ألف ألف درهم، ولا يُغيِّر عما فعله عمر فيها لإجماع الصحابة على فعله[1]، فلهذا كان حجة واجبة القبول.

(وعمال البلاد): جبات الصدقات، وما يأخذه الإمام، ويتصرف فيه.

(أما بعد، فإني قد سيَّرت جنوداً): للغزو والجهاد في سبيل الله تعالى[2].

(وهي مارَّة بكم إن شاء الله تعالى[3]): مجاوزة لكم.

(وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الأذى): من أنفسهم إلى سائر من يمرون به من سائر الضعفاء والمساكين، ومن لا قدرة له[4] عليهم.

(١) قال الإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) في الاعتصام ٢/٢٩٣-٢٩٤ في ذكر الخراج وكيفية وضعه ما لفظه: ... وكما فعله الصحابة كما روي أن الصحابة وضعوا الخراج باتفاق منهم وإجماع منظاهر، ولذلك أن عمر لما افتتح بلاد العجم قال له الناس: أقسم الأرض بيننا، فاستشار علياً (عليه السلام) وسواه من الصحابة بحضر منهم فقال علي (عليه السلام): (إن جرت فيها المواريث ثم حدث شيء فأخذت من أيديهم قالوا: ظلمنا، ولكن افرض خراجاً واجعل بيت مال، وافرض لهم عطاء يغنيهم) ففرض عمر على كل جريب بلغه الماء عمل أو لم يعمل درهماً وقفيزاً مما يسمى الآن حجاجياً حنطة، وعلى كل جريب من الكرم عشرة دراهم وعشرة مخاتم حنطة، وعلى كل جريب من القصابية خمسة دراهم وخمسة مخاتم حنطة، وعلى كل جريب أرض تصلح للزرع درهماً ومختوماً زرعت أم لم تزرع، والمختوم يومئذ صاع، وكان هذا باتفاق منهم من غير نكير أحد فصار إجماعاً. انتهى.
ثم ساق روايتين الأولى من مجموع الإمام زيد بن علي (عليه السلام) تحكي كيفية وضع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) للأرض الخراجية، والثانية عن الإمام الهادي تحكي أمر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لعامله في كيفية وضع الأرض الخراجية، وكلاهما تختلفان في الكمية المقدرة لكل جريب من أي نوع. (انظرهما في المصدر المذكور).
ثم قال الإمام القاسم بن محمد بعد سياق الروايتين المشار إليهما ما لفظه: قلت وبالله التوفيق: دل جميع ما تقدم على أن التصرف في الأرض المستفتحة إلى الإمام. انتهى.

(٢) تعالى، زيادة في (ب).

(٣) تعالى، زيادة في (ب).

(٤) في (ب): لهم.

(وصرف الشذى): بشين منقوطة من أعلاها وذال بنقطة من أعلاها أيضاً وهو: الشر.

قال ابن دريد:

لــدن إذا لوينــت ســهل معطفــي

ألــوي إذا خوشــنت مرهــوب الشــذى

(وأنا أبرأ إلى الله وإلى ذمتكم): برئ من الشيء إذا خلى عنه، وأراد أني بريء من الإثم إلى الله وإليكم.

(من معرة الجيش): المعرة: المساءة، قال الله تعالى: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الفتح ٢٥]، وأراد ضرهم ومساءتهم.

(إلا من جوعة المضطر الذي[١] لا يجد عنها مذهباً إلى شبعه): والمعنى في هذا أني أبرأ إلى الله من مضرة أو مساءة تلحقكم من جهة الجيش وسببه، إلا من جوعة يضطر إليها ولا يجد إلى سدّ جوعته طريقاً، وفي كلامه هذا دلالة على أنه إذا بلغ إلى هذه الحالة جاز له تناول ما يسدُّ به رمقه وينهض به حاله.

(فنكّلوا من تناول منهم ظلماً): اجعلوه نكالاً وعبرة من همَّ منهم بأخذ المال ظلماً، وأزيلوهم:

(عن ظلمهم): عما يظلمون به الخلق ويأخذونه غصباً.

(وكفوا أيدي سفهائكم): اقبضوها عن أن يصلوا إليهم شراً وزمُّوها[٢].

---

(١) في (ب): التي، والكلمة سقطت من شرح النهج.
(٢) في (ب): بشر أو زموها.

(عن مضادتهم): المضادة: المنافاة، وهو أن تريد فعلاً ويريد غيرك أن يفعل ما يناقضه ويخالفه، فيكون فعله هذا مضادة.

(والتعرض لهم فيما استثنيناه): يعني وإذا فعلوا ما ذكرنا في الاستثناء من سدهم الجوعة[١] على جهة الاضطرار، فلا يعترضون في ذلك.

(وأنا بين أظهر الجيش): يقال: هو بين أظهرهم وبين ظهرانيهم إذا كان حاصلاً بينهم ومعهم.

(فارفعوا إليَّ مظالمكم): الظلامة والظليمة[٢] والمظلمة: اسم لما يأخذه الظالم منك.

(وما عراكم): أي وما غشيكم من ذلك، يقال: فلان تعروه الضيوف أي تغشاه.

(مما يغلبكم من أمرهم): غلبه الأمر إذا قهره ولا يستطيع دفعه.

(ولا تستطيعون[٣] دفعه): إزالته عنكم.

(إلا بالله وبي): بمعونة الله وعنايتي.

(أغيّره بمعونة الله): بالإزالة والإماطة بلطف الله وإعانته لي في ذلك.

(إن شاء الله تعالى[٤]): يعني أن ذلك كله موقوف على مشيئة الله تعالى[٥] وإرادته ومعونته ولطفه.

---

(١) في (ب): الجوع.
(٢) في (ب): والظلمة.
(٣) في شرح النهج: ولا تطيقون، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٤) تعالى، زيادة في (ب).
(٥) في (أ): على مشيئته وإرادته ...إلخ.

(٦١) ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد[1] وهو عامله على هيت[2]

(أما بعد؛ فإن تضييع المرء ما ولّي): من هذه الولايات، واستؤمن عليه من هذه الأمانات من الرعاية للنفوس والأموال.

(وتكلفه لما كفي): وتعاطيه المشقة في رعاية ما قد كفى من ذلك.

(لعجز حاضر): غير منتظر.

(ورأي متبر): أي مهلك.

(وإن تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا[3]): فلان يتعاطى الشجاعة أي يأخذها من جهة نفسه، وليس أهلاً لها، وأراد ها هنا أنه تعاطاها ولم يكن رأياً صواباً.

(١) هو كميل بن زياد بن نهيك بن الهيثم النخعي الصهباني الكوفي، المتوفى سنة٨٢هـ، أحد أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وأحد العبّاد والزهاد، شهد مع الإمام علي صفين، وكان شريفاً مطاعاً في قومه، وقتله الحجاج، روى عن أمير المؤمنين، وابن مسعود، وعثمان، وعمر، وأبي هريرة، وعنه عبد الرحمن بن جندب الفزاري، وأبو إسحاق السبيعي، والأعمش وغيرهم، وهو من ثقات محدثي الشيعة. (انظر معجم رجال الاعتبار ص٣٥٣ ترجمة رقم (٦٩٨).

(٢) هيت: بلدة بالعراق.

(٣) في (أ): قرقيسا، وقرقيسيا: قرية على الفرات.

(وتعطيلك مسالحك): المراقب التي يُخَافُ منها دخول العدو، وهي التي تكون في مفاتح الطرقات.

(التي وليناك): إصلاحها والنظر في أمرها.

(ليس لها من يمنعها): عن العدو بعدك.

(ولا يرد[1] الجيش عنها): إذا قصدها وهمَّ بها بعد صدورك عنها.

(لرأي شعاع): أي متفرق، يقال: ذهبوا شعاعاً أي متفرقين في البلاد.

(فقد صرت): بعد انتقالك عن مواضعك، وبعدك عن ولاياتك للغزو في غيرها.

(جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك): الجسر بفتح الفاء وكسرها هو: الذي يعبر عليه، وأراد أنك لما أخليت مواضعك صرت كالآلة، وكالجسر الذي يكون[2] طريقاً للمضي والعبور إلى قضاء الحوائج لأعدائك على من يكون من خاصتك وأوليائك.

(غير شديد المَنْكِب): المَنْكِب من الإنسان هو: مجتمع[3] الكتفين، وهو الكاهل أيضاً، وهو كناية ها هنا عن ضعف الأمر وهون الحالة.

(ولا مهيب الجانب): أي ولا يهاب جانبك، والهيبة[4]: الخوف.

(ولا ساد ثُغْرَة): الثُغْر: المكان الذي يخاف من جهته العدو.

(١) في (ب): فلا يرد.

(٢) في (أ): التي تكون.

(٣) في (ب): مجمع.

(٤) في (ب): والجانب: الخوف، وما في (أ) هو الصحيح.

(ولا كاسر لعدو شوكة): الشوكة: الحد، وغرضه أنه غير مجتهد في نكاية عدو وإزالة حدته.

(ولا مغنٍ عن أهل مصره): بإصلاح أحوالهم، وذبِّ العدو عن حوزتهم.

(ولا مجزٍ عن أميره): ولا كافٍ عن أميره فيما ولاَّه أمره، ولا مصلح[1] حاله، وظاهر كلامه ها هنا إنكار له على تخليته للمصر وأعماله المقصودة بالولاية والحفظ، وأنه لا ينبغي فعل ذلك وأمثاله إلا بإذن من جهة إمامه، فلهذا أنكر عليه صنعه في ذلك.

---

(١) في (ب): ولا يصلح.

(٦٢) ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر[1] [رحمه الله] لما ولاَّه إمارتها

(أما بعد، فإن الله سبحانه[2] بعث محمداً [صلى الله عليه وآله][3] نذيراً للعالمين): ما بين أيديهم من العقاب العظيم والألم البالغ الشديد، كما قال تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾[المدثر:٢].

(ومهيمناً على المرسلين): المهيمن أصله مأ أمن[4] بهمزتين فاستثقل اجتماعهما فقلبت الأولى هاء كما في نحو: أرقت الماء هرقت الماء، ولينوا الثانية ثم قلبوها ياءً فصار مهيمن أي شاهداً ورقيباً عليهم.

(فلما مضى [صلى الله عليه وآله][5]): إلى الله بعد إبلاغ الرسالة وتأدية الأمانة.

(تنازع المسلمون الأمر بعده): يعني الولاية في الأمة والقيام بأمرهم بعده.

(فوالله ما كان يلقى في رُوْعي): الرُوع بالضم هو: القلب.

---

(١) في (ب): مالك بن الأشتر، وما بين المعقوفين زيادة في شرح النهج.

(٢) سبحانه، زيادة في (ب)، وشرح النهج.

(٣) زيادة في شرح النهج.

(٤) في القاموس المحيط ص١٦٠٠: مؤأمن.

(٥) زيادة في شرح النهج.

(ولا يخطر ببالي[١]**)**: ولا يعرض بخاطري.

(أن العرب تزعج هذا الأمر[٢]**)**: أي تزيله وتعدِّيه.

(عن أهل بيته): أقاربه وأهله.

(ولا أنهم ينحونه غيري[٣]**)**: أي يعطونه سواي، والمنحة: العطية.

(من بعده): ومصداق ما قاله (عليه السلام) أمران:

أما أولاً: فلأن أقارب الرجل وأهل بيته[٤] أحق برئاسته، وإحراز مرتبته من غيرهم من الأجانب، وهذا ظاهر في عرف الخلق لا ينكره أحد.

وأما ثانياً: فبما كان قد علم من الأخبار بما يقضي له بالولاية والإمامة ويصرِّح بذلك، فلهذا قال: ما كان يخطر له ببال[٥] ما فعلوه من ذلك لما تقضي به[٦] القرائن وتشهد به الأحوال.

(فما راعني إلا انثيال الناس): أي فما هالني من ذلك إلا انصباب الناس وإجماعهم.

(على فلان): يعني أبا بكر.

(يبايعونه): يعقدون له الخلافة.

---

(١) في نسخة: على بالي (هامش في ب).

(٢) في شرح النهج: أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله ...إلخ.

(٣) في (ب): أن، وفي شرح النهج: ولا أنهم مُنَحُّوه عني.

(٤) في (ب): ملته.

(٥) في (أ): ببالي.

(٦) به، سقط من (ب).

(فأمسكت يدي): عن البيعة له، وقد مرَّ ذكر الخلاف في المدة التي تأخر عن البيعة فيها فلا وجه لتكريره، وهذا كله يشير به إلى ما كان من أمر السقيفة، وما وقع فيها من الخبط والخلاف.

(حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام): يعني أهل الردة[١]، وهم بنو حنيفة رهط مسيلمة.

(يدعون إلى محق دين محمد (صلى الله عليه وآله)**)**: إلى تغييره وزواله.

(فخشيت أني إن لم أنصر الإسلام وأهله): أقوم معه، وأشد أركانه، وأقوي أنصاره من أهله.

(أن أرى فيه ثلماً): نقص ينقصه.

(أوهدماً): في أركانه وقواعده وأساساته.

(تكون المصيبة[٢] **عليَّ أعظم من فوت ولايتكم)**: من بطلانها عني وفواتها عن[٣] يدي.

(التي هي متاع أيام قلائل): ثم تزول بالموت، وتنقطع آثارها وتمحى رسومها.

---

(١) عن الردة وفرق المرتدين وأحكامهم انظر المجموع المنصوري رقم (٢) ص٤١-٥٢ وغيرها، وذلك في الرسالة الهادية بالأدلة البادية في تبيين أحكام أهل الردة للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان (عليه السلام).

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: تكون المصيبة به عليَّ...إلخ.

(٣) في (ب): من.

(يــزول منهــا مــا كــان، كمــا يــزول الســراب): مـن الأمكنـة التي يكون فيها، والسراب هو: ما يكون في الأمكنة الخالية المتسعة، شيء يشبه الماء، وعن قريب يبطل كأنه ما كان، فلهذا شبه زوال الولاية به.

(وينقشع[1] كما ينقشع السحاب): أي يزول ويتفرق.

(فمضيت[2] في تلك الأحداث): مضى في حاجته إذا قصدها غير ملتفت على غيرها، وأراد أنه سار مع أبي بكر إلى قتالهم، وكان من جملة الناصرين للدين في قتالهم، فقطع الله دابرهم، واستأصل شأفتهم[3].

(حتى زاح الباطل): أي بعد وذهب عن مستقره وموضعه.

(وزهق): أي اضمحل وزال وتلاشى أمره.

(واطمأن الدين): سكن واستقر.

(وتنهنه): أي كفَّ، من قولهم: نهنهته فتنهنه أي كففته فكفَّ.

ثم إنه التفت إلى ذكر أهل الشام بقوله:

(إني والله لو لقيتهم واحداً): منفرداً لا أحد معي.

(وهم طلاع الأرض[4]): أي ملؤها فوق ظهرها.

---

(١) في (ب): أو ينقشع، و في شرح النهج: وكما يتقشع السحاب.
(٢) في شرح النهج: فنهضت.
(٣) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٧/١٥٣-١٥٤.
(٤) في شرح النهج: وهم طلاع الأرض كلها.

(ما باليت ولا استوحشت[1]): ما وجدت في نفسي خيفة ولا وحشة من القتل ومن لقائهم.

(وإني من ضلالهم الذي هم فيه): ميلهم عن الحق الذي هم متلبسون به وساكتون عليه.

(والهدى الذي أنا عليه): والنور الواضح والبصيرة النافذة.

(لعلى بصيرة من نفسي): لا أشك فيها ولا أستريب من أجلها.

(ويقين من ربي): قطع فيما أنا عليه.

(وإني إلى لقاء الله لمشتاق): فلهذا لم أبال بالقتل ولا ألتفت عليه.

(ولحسن ثوابه لمنتظر راج): لما أعد لأوليائه من كرامته وجزيل عطائه.

(ولكني أسى): الأسى هو: الحزن، وأراد إنه[2] ليحزنني:

(أن يلي هذه الأمة سفهاؤها): خلاف ذوي الأحلام منها.

(وفجارها): الخارجين عن الدين والمائلين عن طريقه، يشير بذلك إلى معاوية وبني أمية.

(فيتخذوا مال الله دولاً): الدُولة بالضم في المال، يقال: صار الفيء دولة بينهم أي يتداولونه مرة لهذا ومرة لذاك[3].

وقوله: فيتخذوا منصوب بإضمار أن أي فأن يتخذوا إذ لم يسبق قبله

---

(١) قوله: ولا استوحشت، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٢) أنه، سقط من (ب).
(٣) في (ب): لذلك.

ما يكون موجباً لنصبه من الأمور الثمانية[1]، ولهذا[2] كان نصبه بإضمارها، وربما جرى كثيراً.

(وعباده خولاً): أي خدماً، وكلامه هذا يشير به إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ويحكى أن عثمان أمر معاوية بإشخاص أبي ذر من الشام على أغلظ المراكب وأوعرها، فحمله معاوية على جمل بغير وطأ، وبعث معه دليلاً عنيفاً يعنف به في السير، فلما قدم المدينة دخل على عثمان فقال له: لا أنعم الله بك عيناً ياجنيدب.

فقال له أبو ذر: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، وعبيده خولاً، ودين الله دخلاً، ثم يريح الله العباد منهم»[3].

---

(١) الأمور الثمانية التي أشار إليها المؤلف (رحمه الله) والتي تسبق فاء السببية الداخلة على الفعل المضارع فيكون منصوباً وجوباً بإضمار أن بعد الفاء، هي الأمور الدالة على طلب وتشمل:
١- النفي، مثل: ما تأتيني فأكرمك ٢- الأمر مثل: أطع الله فيدخلك الجنة
٣- النهي مثل: لا تهمل مذاكرة دروسك فترسبَ. ٤- الدعاء، مثل: اللهم، تب عليَّ فأتوبَ.
٥- الاستفهام، مثل: متى تسير فأرافقك؟ ٦- العرض، مثل: ألا تأتينا فتحدثنا.
٧- التحضيض، مثل: هلا اتقيت الله تعالى فيغفرَ لك.
٨- التمني، كقول الله تعالى: ﴿يا ليتني كنت معهم فأفوزَ فوزاً عظيماً﴾.
وقد جمعها بعضهم في بيت من الشعر فقال:

مر، وادعُ، وانـه، وسـلْ، واعـرض، تمن، وارج، كذاك النفي قد كملا

(٢) في (ب): فلهذا.

(٣) انظر تنبيه الغافلين للحاكم الجشمي ص١٥٩، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج٣/٥٦، ٨/٢٥٨، واللفظ في أوله فيه: ((إذا بلغ بنو أبي العاص ...))إلخ، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١/٢٧٣ بلفظ: ((إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله)) وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل ٣/٨٠، ومجمع الزوائد للهيثمي ٥/٢٤١، ودلائل النبوة للبيهقي ٦/٥٠٧، وبلفظ: ((إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين كان دين الله دخلا)) =

فقال عثمان لمن بحضرته: أسمعتم هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقالوا: ما سمعناه.

فقال عثمان: ادعوا علي بن أبي طالب، فدعي، فلما جلس قال عثمان لأبي ذر: اقصص حديثك في بني العاص.

فأعاد أبو ذر الحديث.

فقال عثمان: يا أبا الحسن، هل سمعت هذا من رسول الله؟

فقال أمير المؤمنين: **(لم أسمعه، ولكن قد صدق أبو ذر)**.

فقال عثمان: وبماذا صدقته؟

فقال: لحديث الرسول (عليه السلام) فيه: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»[1].

فقال جميع من حضر من الصحابة: صدق أبو ذر[2].

وعزاه إلى المستدرك للحاكم النيسابوري ٤/٤٨٠، ٤٧٩، والمطالب العالية لابن حجر (٤٥٣١)، ومجمع الزوائد٥/٢٤١، وكنز العمال برقم (٣٠٨٤٦)، (٣١٠٥٥)، (٣١٠٥٦)، (٣١٠٥٧).

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣/٥٦، ٨/٢٥٩، ورواه الإمام القاسم بن محمد(عليه السلام) في الاعتصام ١/٥٣-٥٤ وعزاه إلى الكامل المنير، والترمذي عن عمرو بن العاص مع اختلاف يسير في بعض لفظه، وعزاه أيضاً إلى الجامع الصغير للسيوطي عن ابن عمر، وقال: أخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجة، والحاكم، وعزاه أيضاً إلى شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني عن أبي ذر، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٩/٤٠-٤١ إلى مصادر كثيرة انظرها هناك.

(٢) أعلام نهج البلاغة -خ-، وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/٥٥-٥٦، ٦/٢٥٨-٢٥٩.

(والصالحين حرباً): أي عدواً يحاربونه.

(والفاسقين حزباً): الحزب: الجماعة، وأراد[1] يجتمعون إليهم، والتحزُّبُ: التجمُّع.

(فإن فيهم من[2] شرب فيكم الحرام): يريد المغيرة بن شعبة فإنه شرب الخمر في عهد عمر، وكان والياً من قِبَلِه فصلى بالناس سكران، وزاد في الركعات وقآء الخمر، فشهدوا عليه وضرب الحد[3]، وقيل: هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط، كان والياً على الكوفة من قِبَلِ عثمان، فخرج إلى صلاة الفجر وهو سكران فصلاها أربعاً، ثم أقبل على الناس، وقال: هل أزيدكم؟ فقال غيلان[4] بن غيلان الثقفي: لا بارك الله لك أي شيء تزيد، ما نرى هذا إلا من أمير المؤمنين - يعني عثمان- إذ يؤمر علينا مثل هذا المفسد، وأنهي ذلك إلى عثمان فعزله، وأراد الناس أن يقيموا الحد على الوليد، وكان عثمان لا يأذن، فبعث علي الحسن عليهما السلام حتى دخل المجلس وأقام الحد عليه[5].

(وجلد حداً في الإسلام): يشير إلى المغيرة بن شعبة أو الوليد كما ذكرناه من قبل.

---

(١) في (ب): أراد بغير الواو.

(٢) في (ب): الذي، وفي شرح النهج: فإن منهم الذي ...إلخ.

(٣) أعلام نهج البلاغة -خ-.

(٤) في نسخة: عبيدان بن غيلان (هامش في ب).

(٥) انظر أعلام نهج البلاغة -خ- وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠-١٧/٣، وعن أخبار الوليد بن عقبة وصلاته بالناس وهو سكران وغير ذلك انظر المرجع المذكور١٧/٢٢٧-٢٤٥.

فأما المغيرة بن شعبة فقد كان شهد عليه بالزنا في أيام عمر، فلم يزل يتلطف بالشهود، ويحتال في إسقاط حد المحصن عنه حتى سقط، وقد كانت الشهادة كاملة، لولا ما كان من تردد أبي بُكْرة في ذلك[1].

(وإن منهم لمن[2] لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ): يشير بذلك إلى عمرو بن العاص إذ كان من المؤلفة[3]، والرضيخة: شيء قليل يرمى به على جهة الرشوة لأمر يُدْخَلُ فيه.

(فلولا ذلك): يشير إلى ما كان من بني أمية من الأحداث العظيمة في الدين.

(ما أكثرت تأليبكم): تجميعكم للحرب.

(وتأنيبكم): أي لومكم على ترك الجهاد.

(وجمعكم وتحريضكم): وضمكم وحثكم على القتال، والتحريض: الحث والزجر، قال الله تعالى[4]: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾[الأنفال:٦٥].

(وترككم[5] إذ أبيتم): وإهمالكم[6] إذ كرهتم ما أدعوكم إليه.

---

(١) انظر المصدر المذكور ١٢/٢٢٩ وما بعدها.

(٢) في (ب) وشرح النهج: من.

(٣) ومن المؤلفة قلوبهم أيضاً: معاوية بن أبي سفيان وأخوه يزيد، وأبوهما أبو سفيان، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام بن المغيرة، وحويطب بن عبد العزى، والأخنس بن شريق، وصفوان بن أمية، وعمير بن وهب الجمحي، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وعباس بن مرداس وغيرهم، وكان إسلام هؤلاء للطمع والأغراض الدنيوية، ولم يكن عن أصل ولا عن يقين وعلم. (انظر المرجع المذكور ١٧/٢٢٦).

(٤) تعالى، زيادة في (ب).

(٥) في (ب) وشرح النهج: ولتركتكم.

(٦) في (ب): وأهملتكم.

(وونيتم): ضعفتم عن ملاقاة عدوكم.

(ألا ترون إلى أطرافكم): يريد أقاصي البلاد.

(قد أخذت[1]): بالاستيلاء عليها.

(وإلى أمصاركم قد فتحت): استفتحها اعداؤكم وأخذوها قهراً عليكم من غير مبالاة.

(وإلى ممالككم تُزوى): الممالك هي: الأموال والنفائس، تُزوى: أي تُجمع وتُقبض.

(وإلى بلادكم تغزى): تقصد بالغزو وتشنُّ الغارات عليها من الأمكنة المختلفة، والأقطار المتباعدة، لايخافون منكم خوفاً.

(انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم): والنفر: الخروج من المساكن والأوطان لغرض من الأغراض، كما قال تعالى: ﴿**انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً**﴾[التوبة:٤١].

(ولا تثاقلوا إلى الأرض): كنى بهذا عن القعود عن الجهاد والتبطئ عنه، كما قال تعالى: ﴿**اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ**﴾[التوبة:٣٨].

(فتنفروا بالخسف): يروى **(فتنفروا)**: وأراد أنكم إذا تثاقلتم عن الجهاد نفرتم بعد ذلك بالذل والمشقة، ويروى: **(فتقرّوا)**: من الإقرار أي فتقبلوا الخسف؛ لأن من أقرَّ بالشيء فقد قَبِلَهُ.

(وتبوؤوا بالذل): أي تستحقوه، من قولهم: باء بكذا إذا كان مستحقاً له.

(١) في شرح النهج: انتقصت.

(ويكون نصيبكم الأخس): أي الأنقص الدني، يقال: فعل[1] فلان خسيس إذا كان دنياً.

(إن[2] أخا الحرب الأرق): الأرق: السهر، وأراد هاهنا أن من كان مدارياً للحروب مداوساً[3] لها فإنه لاينام ويسهر عند ملاقاتها.

(ومن نام لم يُنَمْ عنه): يعني أنكم وإن ضعفتم وجبنتم عن ملاقاة أعدائكم، فليسوا بالموهنين للأمور وإنما هم مجدُّون فيها.

(١) فعل، سقط من (ب).

(٢) في (ب) وشرح النهج: وإن.

(٣) أي ماهراً.

(٦٣) ومن كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه[1] لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس):

يروى أنه لما كتب أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة يستنفرهم إلى حرب أهل الجمل طلحة والزبير وعائشة بالبصرة، أخذ في تخذيل الناس، وتثبيطهم عن اللحاق به، لأغراض مفهومة ومقاصد معلومة، لم يغب حالها على[2] أمير المؤمنين، فكتب إليه:

(أما بعد، فقد بلغني عنك قول): خاطبت به أهل الكوفة.

(هو لك): أي قلته من أجل نفسك، وليس للدين فيه ورد ولا صدر، ولا قصدت به وجه الله تعالى[3].

(وعليك): مضرته في الآخرة لما فيه من التخذيل عن نصرة الله والجهاد في سبيله.

(فإذا قدم عليك رسولي): بكتابي هذا.

(١) إليه، زيادة في شرح النهج.

(٢) في (ب): عن.

(٣) تعالى، زيادة في (ب).

(فارفع ذيلك): ما استحب من ثيابك، وفي الحديث: إن النساء كنَّ يجررن ذيولهنَّ على الأرض، فقلن: يا رسول الله، كم نُرخي؟

فقال: «شبر» فقلن: إذاً ننكشف، فقال: «ذراع»[1].

(واشدد[2] منزرك): إزارك، وهذا كله كناية عن العجلة وخفة السير والاستعجال فيه.

(واخرج من جحرك): أي من بيتك، وفي الحديث: «لو كان المؤمن في جحر فارة، لقيض الله له فيها[3] من يؤذيه»[4].

(واندب من معك): من أصحابك وخاصتك وأهل بلدك على الجهاد في سبيل الله والحث عليه.

(فإن خففت): في السير واستعجلت فيه.

(١) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢٨٣/٥ إلى سنن النسائي (المجتبى) ٢٠٩/٨، ومسند أحمد بن حنبل ٧٥/٦، ٢٩٦/٦، والسنن الكبرى للبيهقي ٢٣٣/٢.
قلت: وله شاهد رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) في الأحكام ٤١٦/٢، في باب القول في إسبال الإزار، فقال ما لفظه: وفي ذلك ما بلغنا عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ لما ذكر الإزار: فالمرأة يا رسول الله، فقال: «ترخي شبراً» قالت: إذاً ينكشف عنها. قال: «فذراعاً لا تزيد عليه».

(٢) في نسخة: وشدد، وفي نسخة أخرى: وشمر، (هامش في ب).

(٣) في (ب): لقيض الله فيه من يؤذيه.

(٤) رواه في مسند شمس الأخبار ٢٢٩/٢ الباب (١٥٥)، وعزاه إلى مسند الشهاب، وعزاه محقق الاعتبار وسلوة العارفين ص١٣٠ إلى كنز العمال، وقال: عزاه إلى الديلمي عن أنس، وأورد له شاهداً بلفظ: ((لو كان المؤمن في جحر ضب لقبض الله له فيه من يؤذيه)) وعزاه إلى كنز العمال برقم (٧١٧، ٧٨١) وقال: وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وإلى البيهقي في شعب الإيمان، عن أنس.

(فانفذ): إلينا على العجلة، يقال: خف القوم إذا استقلوا ونهضوا، هذا على من رواه بفائين، فأما من رواه بقافين فوجهه أنه يقال: حققت الأمر أي تحققته وتيقنته.

(وإن تفشلت[1]): جبنت.

(فابعد): أراد إما فابعد[2] عنّا، والبعد: خلاف القرب، أو أراد فأهلك من بَعِدَ بالكسر يَبْعَدُ بالفتح إذا هلك.

(وايم الله لتؤتينَّ حيث أنت): أراد ليوصلنَّ إليك حيث كنت من الجهات لا يمنعك منها مانع.

(ولا تترك حتى تخلط زبدك بخاثرك): الزبد: ما صفا وطلع، والخاثر: ما ركد في أسفل الإناء.

(وذائبك بجامدك): وهذا كله كناية عن الإحاطة بمعرفة مقاصده ومراداته.

(وحتى تعجل عن قعدتك): القعدة بالفتح: واحدة القعدات، وبكسر القاف: الحالة من القعود، يقال: فلان حسن القعدة، وأراد تعجل عن توطنك[3] وراحتك.

(وتحذر من أمامك، كحذرك من خلفك): أي ويأتيك ما تكرهه من أمامك كما يأتيك من خلفك، وغرضه من هذا كله تنبيهه على عظم ما هو لاق من شدائد الأمر وعظائمه.

---

(١) في نسخة: وإن فشلت، (هامش في ب).
(٢) في (ب): ابعد.
(٣) في (ب): توطنك.

(وما هي بالهوينا): أي وما القصة أو الحالة بالهينة، يريد حرب الجمل، وفيه تعريض بحاله حيث لم يخف عند وصول كتابه إليه، ويستعجل أمره في اللحاق به، والهوينا: تصغير الهونا، تأنيث الأهون.

(التي ترجو): تقع في ظنك وتتحقق في نفسك.

(ولكنها الداهية الكبرى): المصيبة العظيمة والفتنة الشديدة، التي لا غاية في الشدة إلا وهي بالغة لها وزائدة عليها.

(يركب جملها): ركوب الجمل جعله هاهنا كناية عن تفاقم الأمر وصعوبته؛ لأن الجمل إذا كان مركوباً عليه كان ذلك أشد ما يلاقي من التعب ومقاساة البلاء، لأنه يلحقه من ذلك الغم بترك الراحة والأكل والوقوف.

(ويذل صعبها): ما يصعب من أمورها العظيمة.

(ويسهّل جبلها): ويوطئ ما كان وعراً لا يمكن وطئه.

سؤال؛ قد فسرت قوله: ويركب جملها بشدة الأمر وصعوبته، لكن قوله: ويذل صعبها ويسهل جبلها يمنع من ذلك، فكيف يمكن الملاءمة بينهما؟

وجوابه؛ هو أن غرضه في هذا كله من ركوب الجمل وذلة الصعب منها، وسهولة جبلها، أن هذه الفتن في أوائل أمرها ومبادئ أحوالها يركب جملها لسهولتها، ويُذَلُّ ما كان منها صعباً، ويسهل ما كان منها وعراً، فإذا كان في عواقب أمرها انقلبت هذه الأحوال كلها، وبدت نقائضها من الصعوبة والوعورة فيما رُكِبَ منها من الأهوال، ويُوطئ من الأمكنة

الوعرة الجرزة، وعن هذا قال أمير المؤمنين في كلام سيأتي شرحه: (الفتن إذا أقبلت شبَّهت، وإذا أدبرت نبَّهت).

(فاعقل عقلك): أي احبس عقلك بالعقال واحفظه عما يغيِّره، ويكون سبباً في تخبطه.

(واملك أمرك): عن أن تذهب به الرجال عن يمين وشمال.

(وخذ نصيبك وحظك): من الدنيا، وأقبل على ما يهمك من أمر الآخرة.

(فإن كرهت): ما أقول لك من هذه الآداب، وأعلمك من هذه الحكم للدين والدنيا والنافعة في الآخرة والأولى.

(فتنحَّ): أي ابعد عني.

(إلى غير رحب): سعة في أمرك.

(ولا في نجاة): عن الشرور والعواقب السيئة.

(فبالحريَّ لتكفينَّ وأنت نائم): يقال: فلان حري بكذا إذا كان حقيقاً به، وفيه استعمالان:

أحدهما: بفتح الراء أي هو حري أن يفعل، وعلى هذا لا يثنى ولا يجمع.

وثانيهما: بكسرها وعلى هذا يثنى ويجمع، فيقال: هو حر[1] بكذا وهما حريان وهم حريون، وهن حريات وحرايا، وفيه معنى القسم كأنه قال: فبالحري والله، ولهذا جاء باللام والنون المؤكدة جواباً له.

وقوله: وأنت نائم في موضع نصب على الحال، ويسد غيرك مسدك.

(١) في (ب): حري.

(حتى لايقال: أين فلان!): أراد أنه لايبقى موضع لذكرك أصلاً؛ لأن الرجل إنما يذكر عند الشدائد، إذا كان لايغني عنه أحد فيها[1]، ولايقوم مقامه، فأما إذا كان هناك من يقوم مقامه فلا وجه لذكره.

(وإنه لحق[2]): أي إن الذي ذكرته في شأنك وأمرك لحق سيأتيك نبأه وتفصيله.

(مع مُحِقٍّ): آخذ بالحق، فاعل له، وأراد به نفسه.

(ولايبالي ما صنع الملحدون): ما أبالي كذا أي لا أكترث به، ولا ألتفت إليه، أي لا يحتفل بما صنعه أهل الإلحاد في الدين والميل عنه، وفي هذا تعريض بحال أبي موسى لا يخفى على من له أدنى فطنة وكياسة.

(١) فيها، سقط من (ب).

(٢) في شرح النهج: والله إنه لحق، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٦٤) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً[1]

(**أما بعد، فإنا كنا نحن وأنتم[2] على ما ذكرت من الألفة والجماعة**): يعني بني هاشم وبني أمية؛ لأن معاوية ذكر ذلك في كتابه من أن بني هاشم وبني أمية كانوا مؤتلفين مجتمعين، فأجابه أمير المؤمنين بقوله: إن ما قلته حق من الألفة والاجتماع.

(**ففرق بيننا وبينكم أمس**): يريد من الأفعال بالأمس، وكنى بقوله: أمس عن جميع الحوادث المتقدمة، وهي كناية لطيفة عجيبة، يتفطن لحالها أهل البصائر النافذة والقرائح المتقدة.

(**أنّا آمنا وكفرتم**): يعني صدقنا بالرسول وكذبتموه.

(**واليوم أنّا استقمنا وفتنتم**): يعني وفرق بيننا ما كان من الحوادث الآن، وهو أنّا استقمنا على الدين، وعلى[3] ما جاء به الرسول (عليه السلام)، وفتنتم بإعراضكم عنه واختياركم البغي والفسق والمخالفة، والخروج عما عليه السلف الصالح من الأمة.

(**وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً**): يشير إلى أبيه أبي سفيان بن حرب،

(١) في شرح النهج: جواباً عن كتابه، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٢) في (ب): وإياكم.
(٣) على، سقط من (ب).

وقد ذكرنا من قبل سبب إسلامه، وما كان من حديثه والعباس يوم الفتح، وأن إسلامه ما كان إلا عن ضرورة وكرهاً وخيفة من القتل، ولهذا فإن العباس لما أدخله على الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم][1] قال له: «ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله»، فقال: بأبي وأمي، ما أوصلك وأكرمك وأحلمك، والله لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى، فقال: «ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله»؟ فقال: بأبي وأمي أنت، أما هذه ففي النفس منها شيء، فقال له العباس: ويلك! تشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك فتشهّد، وظاهر هذه القصة[2] أن إسلامه كان لامحالة عن كره، وأي إكراه أعظم من ضرب العنق.

(**وبعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حزباً**[3]): الحزب: الجمع، وأراد بأنف الإسلام اجتماع المهاجرين والأنصار معه، وكانوا تحت ركابه وهم عشرة آلاف، وهذا أيضاً دليل آخر على إكراه أبي سفيان؛ لأنه رأى ما هاله من هذه العدة مع الرسول[4] صلى الله عليه وآله، لا يخالفون أمره.

(١) زيادة في (ب).
(٢) انظر الرواية في السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرين ٢/٤٠٢-٤٠٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٢٦٨-٢٧٢، وأعلام نهج البلاغة -خ-.
(٣) في شرح النهج: حربا، بالراء المهملة، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٧/٢٥٣ ما لفظه: (وبعد أن كان أنف الإسلام محارباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) أي في أول الإسلام، يقال: كان ذلك في أنف دولة بني فلان، أي في أولها، وأنف كل شيء أوله وطرفه، وكان أبو سفيان وأهله من بني عبد شمس أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله في أول الهجرة إلى أن فتح مكة. انتهى.
(٤) في (ب): مع رسول الله صلى الله عليه.

(وذكرت أني قتلت طلحة والزبير): أما طلحة فلا شك في قتله يوم الجمل، وقد ذكرناه من قبل، وذكرنا حديث قتله، وما كان فيه من[1] ندمه وتوبته.

وأما الزبير فلم يقتل[2] في ذلك اليوم ولكنه ولّى هارباً، وذكرنا إنشاده لما أنشد من الشعر[3] دلالة على ندامته، وذكرنا ملقى عمار بن ياسر له.

(وشردت عائشة[4]): التشريد: الطرد والإبعاد.

(ونزلت المصرين): يعني البصرة والكوفة.

(وذلك أمر غبت عنه): يعني لم تشاهده.

(فلا عيب عليك فيه[5]): هل تكون فيه كاذباً أو غير كاذب؛ لأنك لو أخبرت عن المشاهدة أو كنت حاضراً له لأمكن تطرق التكذيب إليك فيه، ولكن أنت غائب عنه.

---

(١) في (ب): في.

(٢) فلم يقتل، سقط من (ب).

(٣) وهو قوله:

نادى علي بأمر لست أنكره ... وكان عمر أبيك الخير مذ حين

فقلت حسبك من عذل أبا حسن ... بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

ترك الأمور التي تخشى عواقبها ... لله أسلم في الدنيا وفي الدين

فاخترت عاراً على نار مؤججة ... أنى يقوم لها خلق من الطين

(الروضة الندية ص٦٨).

(٤) في شرح النهج: بعائشة، وكذا في نسخة (هامش في ب).

(٥) فيه، سقط من (ب).

(ولا العذر فيه إليك)، فنوجه الاعتذار إليك، إذا كان فيه وجه من وجوه القبح.

(وذكرت أنك زائري في المهاجرين والأنصار): يعني بالمهاجرين من كان من أهل مكة وانتقل إلى المدينة، وبالأنصار من كان من أهل المدينة الأوس والخزرج، والزيارة هاهنا القصد للحرب والانتقام.

(وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك): يشير إلى قوله (عليه السلام): «لا هجرة بعد الفتح»[1]؛ لأن أخا معاوية يزيد بن أبي سفيان أسر بعد الفتح، أسره خالد بن الوليد حتى[2] تجمع معه الأحابيش في أسفل مكة[3]، وكان إسلام معاوية أيضاً بعد الفتح بستة أشهر[4].

سؤال؛ قوله: وقد انقطعت الهجرة بعد قوله: وذكرت أني زائرك في المهاجرين والأنصار، كلام متنافر، فما وجه الملاءمة بينهما؟

وجوابه؛ هو أنه لما حكى قول معاوية: إنه زائر له في المهاجرين والأنصار، أجابه بكلام مشتمل على فائدتين:

الأولى منهما: تكذيبه بأن في حزبه المهاجرين وهم أنصاره وأعوانه على حربه، فقال: منكراً؛ لأن يكون معه المهاجرون أن الهجرة قد انقطعت

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٧/٢٥٦، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٧/٢٩٢ إلى المعجم الكبير للطبراني ٣/٣٠٩، ومجمع الزوائد للهيثمي٥/٢٥٠، والتمهيد لابن عبد البر٢/٢١٨ ،وإلى مصادر كثيرة انظرها هناك.

(٢) كذا في النسخ، ولعلها: حين.

(٣) أعلام نهج البلاغة -خ-، وانظر شرح ابن أبي الحديد ١٧/٢٥٦-٢٥٧.

(٤) أعلام نهج البلاغة -خ-، ولفظ الرواية فيه: وأن معاوية أظهر الإسلام بعد الفتح بستة أشهر أو أكثر.

يوم أسر[١] أخوك، فلا تذكر الهجرة ولا من هاجر، وهذا بمثابة من يقول لك: إني أريد أن[٢] ألقاك في بني تميم، فتقول له: إن بني تميم قد قطعت دابرهم، وفرقت شملهم، يوم قتلت أباك وأخاك.

الثانية: أنه أراد أن يعرض بأن إيمانه كان متأخراً بعد الناس، وأن الناس قد سبقوه إلى الله تعالى، وأنه كان مع قتل أخيه، وكلاهما بعد الفتح.

(فإن كان فيك عجل فاسترفه): الرفاهية: الإرواد، وأراد إن كانت[٣] تستحثك العجلة، فاطلب الرفاهية، فإنه ليس فائتاً عليك شيء.

(فإني إن أزرك فذلك جدير): الإشارة إلى المصدر، أي فذلك الزور حقيق وأهل، وأن وما بعدها في موضع نصب على نزع الجار أي حقيق بأن يكون، والمعنى في هذا فيحق على الله ذلك.

(أن يكون الله إنما بعثني للنقمة منك): أنشأني[٤] للانتقام منك، وإيصال العقوبة إليك، والبعث هو: الإرسال، وهو هاهنا من قولهم: بعثه من منامه أي أنشأته.

(وإن تزرني فكما قال أخو بني أسد): وأنشد:

(مستقبلين رياح الصيف تضربهم
بحاصب بين أغوار وجلمود)

(١) في (أ): قتل.
(٢) أن، سقط من (ب).
(٣) في (ب): كنت.
(٤) في (ب): أي للانتقام منك.

ولنذكر إعرابه وموضع الشاهد منه:

أما إعرابه فهو ظاهر، فقوله: مستقبلين حال مما قبله من القصيدة.

تضربهم: أي تصيبهم، من قوله: ضربه الله بالبلاء أي أصابه به.

والحاصب: هو الريح الشديدة التي تثير الحصباء.

والجلمود: الصخر.

والأغوار: جمع غور، وهو عبارة عما انخفض من الأرض.

وأما موضع الشاهد منه فإنما أورده متمثلاً به، وهو أنه شبه حال معاوية بتوجهه إليه بحال قوم مسافرين وقعوا في أرض منخفضة ذات حجارة تستقبلهم رياح الصيف، وخصها لما فيها من شدة الهبوب والحركة، فتقذف عليهم تلك الأحجار وتصيبهم بها، ولا حال أعظم من ناس يرمون إلى أسفل بالأحجار والصخر رمياً شديداً، فهكذا يكون حاله إذا زاره.

(وعندي السيف الذي أعضضته): أعضضت السيف إذا جعلته عاضاً، والعضُّ بمقدم الأسنان، شبه ضرب السيف ولصوقه بالمضروب بمنزلة العضِّ بطرف الأسنان.

(بجدك): يريد عتبة.

(وخالك): الوليد بن عتبة.

(وأخيك): حنظلة بن أبي سفيان.

(في مقام واحد): موطن يوم بدر وفي وقعة واحدة.

(وإنك[1] والله ما علمت الأغلف القلب): ما في قوله: ما علمت يحتمل أن تكون موصولة أي الذي عرفته وتحققته، ويحتمل أن تكون مصدرية أي في علمي ومعرفتي، والأول هو الأشبه؛ لأنه كأنه[2] جعله من قبل ما لا يعلم، ولهذا أتى بما لما كانت موضوعة لما لا يعلم، والأغلف هو: الذي يكون في غلاف وغطاء فلا يعي شيئاً، كما قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ**﴾[البقرة:٨٨].

(المقارب العقل): يريد أنه ضيق الفؤاد، غير متسع للأمور[3] ولا منشرح القلب، وشيء مقارب إذا كان بين الجيد والردي، وإنما أضاف ما فيه الألف واللام إلى مثله؛ لأنه من باب الحسن الوجه، والكريم الحسب.

(والأولى أن يقال لك): والأحق أن يقال لك من الأقوال كلها هو:

(إنك رقيت سلماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك): شبه حاله فيما أتى من هذه الأمور الصعبة، ودخوله في هذه الأشياء الضنكة من فسقه وتمرده، وخروجه عن الحق ومخالفته بنصب المحاربة والمقاتلة له، بحال من رقى سلماً فأطلعه على أمور يكرهها، ولا يحب الاطلاع عليها، فكانت كلها وبالاً عليه، وليس له من فوائدها شيء.

(لأنك نشدت غير ضالتك): التي ضيعتها وأهملتها.

(ورعيت غير سائمتك): وتصرفت بالرعي فيما لا تملكه من السوائم.

---

(١) في شرح النهج: فإنك.
(٢) في (ب): كأن.
(٣) في (ب): الأمور.

(وطلبت أمراً لست من أهله): أراد إما طلبه بدم عثمان وليس أهلاً له، وإما أن يريد طلب المحاربة وليس صالحاً لها والبغي والمخالفة في ذلك.

(ولا في معدنه): معدن الشيء: مكانه وموضعه، ومنه معدن الذهب أي مكانه.

(فما أبعد قولك من فعلك!): يريد أنك تقول: إني مسلم بلسانك وتصرح بذلك، وأفعالك[1] ليس من أفعال المسلمين.

(وقريب ما أشبهت من أعمام): أي والمشابهة بينك وبين الأعمام قريبة، فالأعمام هم الأخوة لأبي سفيان.

(وأخوال): الوليد بن عتبة، فهذان قتلا يوم بدر.

(حملتهم الشقاوة): الكفر والطغيان.

(وتمني الباطل): تسويفه، وهو رد الحق والمكابرة على مخالفته.

(على الجحود بمحمد صلى الله عليه وآله): تكذيبه ورد ما جاء به من المعجزات الباهرة.

(فصرعوا مصارعهم حيث علمت): شاهدت ورأيت، وبلغك منها مالا يمكن رده.

(لم يدفعوا عظيماً): مما أصابهم من ذلك.

(ولم يمنعوا حريماً): من مال ولا نفس؛ لأنهما محترمان، بل أبيحت الدماء وأخذت الأموال من غير مانع لها، ولا دافع عنها.

---

(١) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: وفعلك.

(**بوقع سيوف ما خلا منها الوغى**): من أجل مواقع نصال سيوف حاصلة في الوغى، يعني الحرب، وسميت الحرب وَغى لما تشتمل عليه من الجلبة والأصوات، والوغى: كثرة الأصوات.

قال الهذلي:

كأنَّ وَغى الخَمُوش بجانبيه ... مَآتِمُ يَلْتَدِمْنَ على قتيل[1]

والخَمُوش: ذباب البعوض.

(**ولم تماشها الهُوَينى**): أراد هاهنا السكينة والوقار، يمدح السيوف بأنها في غاية الخفة والعجلة عند الضرب لم تصاحبها السكينة، وفي أحاديث بدر أنه لما أمر المشركون من يحرزهم ويدري بعددهم، فرجع وقال[2]: والله لقد رأيت ناساً ما لهم عهدة[3] إلا قوائم السيوف، وأنه لا طاقة لكم بهم فارجعوا[4] عمَّا أنتم فيه[5].

(١) لسان العرب ٩٥٧/٣ ونسبه للمتنخل الهذلي وروايته فيه:

كأن وغى الخموش بجانبيه ... وغى ركب أميم ذوي هياط

قال: وهذا البيت أورده الجوهري:

كأن وغى الخموش بجانبيه ... مآتم يلتدمن على قتيل

قال ابن بري: البيت على غير هذا الإنشاد، وأنشده كما في اللسان. قال: وقبله:

وماء قد وردت أميم طام ... على أرجائه زجل الغطاط

(٢) في (ب): فقال.

(٣) في (ب): عُمْد.

(٤) في (ب): ارجعوا، بغير الفاء.

(٥) انظر الخبر بالتفصيل في السيرة النبوية لابن هشام ٦٢٢/٢، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (ط٢) سنة١٣٧٥هـ/١٩٥٩م طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

(**وقد أكثرت في قتلة عثمان**): من ذكرهم والخوض في أمرهم.

(**فادخل فيما دخل الناس فيه**): أراد إما في الإمامة والبيعة، وهذا هو الظاهر من كلامه، وإما أن يريد اطلب الشيء من وجهه، واقصد ما يحق لك أن تطلبه من ذاك.

(**ثم حاكم القوم إليَّ**): فيما تطلبه من ذلك، وإنما قال: إليَّ؛ لأن المحاكمة إنما هي في أمر الدم والقصاص فيه، ولابد فيه من حكم الإمام وأمره.

(**أحملك وإياهم على كتاب الله**): على حكم كتاب الله وأمره في ذلك، من غير مداهنة لك ولا لهم في ذلك ولا مصانعة.

(**فأما[1] تلك التي تريد**): يعني الخصلة التي تطلب وترمز إليها، وتشير في أحوالك كلها، وكان قد[2] طلب منه أن يتركه والياً على الشام كما ولاه عثمان ومن قبله ثم يبايعه، فقال له (عليه السلام):

(**إنها[3] خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصال**): يريد أنها خدعة منك لي ومكر، كما تخدع الصبي أمه إذا فطمته عن رضاع ثديها، وتعلله بشيء يأكله ويلعب به فيلهو عن رضاعها، وقد مر في أثناء الخطب المتقدمة منعه لمعاوية التولية، وقال له (عليه السلام) في ذلك: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾[الكهف:٥١].

سؤال؛ كيف ولّى زياداً ولم يولِّ معاوية، وليس حال أحدهما إلا قريباً من حال الآخر؟

(١) في شرح النهج، وفي نسخة ذكرها في هامش (ب): وأما.

(٢) في (ب): وقد كان.

(٣) في (ب) وشرح النهج: فإنها.

وجوابه؛ هو أن الأمر في ذلك مفوَّض إلى رأيه وموكول إليه، ولا يتهم في حال، فلعله رأى مصلحة في تولية ذاك[1] ومنع هذا لمصلحة لانعلمها، وهو أعرف بها، ولا يمتنع أن يكون معاوية أدخل في الخدع والمكر وقلة المبالاة والجسرة من زياد.

ومن العجب أنه يحكى أنه كان كاتباً للوحي، وهذه رواية لم يرد صاحبها بها وجه الله تعالى، فإن كتّاب الوحي: أمير المؤمنين كرم الله وجهه، وعثمان بن عفان، فإن غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت، ومتى كان معاوية أميناً على التافه اليسير من أمور الدين فضلاً عن[2] أن يكون أميناً على أجلّها حالاً وأعلاها مرتبة، وهو وحي الله النازل من السماء، على يد الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين!

---

(١) في (ب): ذلك.

(٢) عن، زيادة في (ب).

(٦٥) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً

(**أما بعد؛ فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور**): آن الشيء إذا حضر وقته، واللمح الباصر هو: النظر بتحديق شديد نحو المرئي، والباصر بمعنى ذو البصر، وكان معاوية كثيراً ما يقول لأمير المؤمنين: لك العراق ولي الشام، فأجابه بما ذكر، وعيان الأمور: معاينتها وإدراكها.

(**فقد سلكت مدارج أسلافك**): مذاهب من مضى من عشيرتك وأهلك الماضين.

(**بادعائك الأباطيل**): الأمور الباطلة وهو قوله: لي[1] العراق كما كان من أسلافك من التكذيب للرسول، ورده وإنكار ما جاء به من الحق.

(**واقتحامك غرور المَيْن**): وإدخالك لنفسك في مخادع الكذب.

(**والأكاذيب**): والأحاديث المكذوبة.

(**وانتحالك[2] ما قد علا عنك**): وادعائك ما ليس لك ولا أنت بالغه في حالة من الحالات.

---

(١) كتب فوق الباء في (ب) كافاً أي: لك.

(٢) في (ب) وشرح النهج: من انتحالك.

(وابتزازك لما قد[1] اختزن عنك): واستلابك مال[2] الله الذي قد خزن عنك، وصرت ممنوعاً منه[3] فلا تناله.

(فراراً من الحق): أي فعلت ذلك من أجل الفرار عن الحق والنكوص عنه، وانتصابه على المفعول له.

(وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك): وهو القول بإمامتي، والتزام وجوب ما أمرت به، وإنما قال: ألزم لك من لحمك ودمك مبالغة في ذلك؛ لأن وجوب المبايعة لازم كما أن اللحم والدم لزومهما[4] لا يخفى.

(مما قد وعاه سمعك): وهو ما كان من الأدلة الظاهرة من جهة الرسول على وجوب إمامتي، مثل حديث الغدير[5]، وغيره من الأحاديث.

---

(١) قد، زيادة في (ب)، وفي شرح النهج: لما قد اختزن دونك.

(٢) في (ب): لمال.

(٣) في (ب): عنه.

(٤) في (ب): لزومها.

(٥) حديث الغدير هو قول النبي ﷺ في حجة الوداع بغدير خم وهو آخذ بيد أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ((ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟)) قالوا: بلى يا رسول الله، فأخذ بيد علي وقال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعادِ من عاداه))، وهو من الأحاديث المتواترة، رواه الجم الغفير من المحدثين، فممن رواه الإمام أبو طالب في أماليه ص٨٣-٨٤ برقم (٤١) بسنده عن علي (عليه السلام)، والمرشد بالله في الأمالي الخميسية ١/١٤٥ بسنده عن البراء بن عازب، واللفظ في آخره: ((هذا مولى من أنا مولاه، اللهم وال من واليت، وعاد من عاديت))، فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة، ورواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في مجموع رسائله ص١٩٤ في كتاب أصول الدين، بزيادة في آخره هي: ((واخذل من خذله، وانصر من نصره))، وأخرجه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في المناقب ص٢٩-٣٦ من الرقم (٢٣) إلى (٣٩) بسنده عن زيد بن أرقم، وأبي سعيد الخدري، وعلي (عليه السلام)، وأبي هريرة، وبريدة، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وابن أبي أوفى، وجابر بن عبد الله، =

وقال في ص٣٦ ما لفظه: قال أبو القاسم الفضل بن محمد: هذا حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، وقد روى حديث غدير خم عن رسول الله ﷺ نحو من مائة نفس منهم العشرة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علة، تفرد علي (عليه السلام) بهذه الفضيلة، ليس يشركه فيها أحد. انتهى.

وأخرجه الإمام الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٢/٣٦٥-٤٥٥ بطرق جمة، ورواة عدة (انظرها كاملة فيه)، ورواه الحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين ص١٠٢-١٠٨ وقال ما لفظه: وحديث الموالاة وغدير خم قد رواه جماعة من الصحابة وتواتر النقل به حتى دخل في حيز التواتر، رواه زيد بن أرقم، وأبو سعيد الخدري، وأبو أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، واختلفت ألفاظهم، وزاد بعضهم ونقص بعض. انتهى. ثم أورد الحديث باختلاف رواياته وألفاظه انظرها فيه.

وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨/٥٣٠-٥٣١ وعزاه إلى مصادر كثيرة منها سنن الترمذي، ومسند أحمد بن حنبل، والمستدرك للحاكم النيسابوري، وسنن ابن ماجة، والمعجم الكبير للطبراني، ومجمع الزوائد للهيثمي، وفتح الباري لابن حجر، وغيرها كثير (انظرها هناك).

هذا وقال المولى العلامة المجتهد الكبير مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي رضي الله عنه في لوامع الأنوار ١/٣٨ في تواتر حديث الغدير ما لفظه: وخبر الموالاة معلوم من ضرورة الدين، متواتر عند علماء المسلمين، فمنكره من الجاحدين، أما آل محمد صلوات الله عليهم فلا كلام في إجماعهم عليه، قال الإمام الحجة المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليهما السلام في (الشافي): هذا حديث الغدير ظهر ظهور الشمس، واشتهر اشتهار الصلوات الخمس. ومن كلامه (عليه السلام) ورفع الحديث مفرعاً إلى مائة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم العشرة، ومتن الحديث فيها واحد، ومعناه واحد، وفيه زيادات نافعة في أول الحديث وآخره، وسلك فيه اثنتي عشرة طريقاً يعني بهذا صاحب المناقب، قال الإمام (عليه السلام): بعضها يؤدي إلى غير ما أدى إليه صاحبه، من أسماء الرجال المتصلين بالنبي ﷺ، وقد ذكر محمد بن جرير صاحب التأريخ خبر يوم الغدير وطرقه من خمس وسبعين طريقاً وأفرد له كتاباً سماه كتاب (الولاية)، وذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن عقدة خبر يوم الغدير وأفرد له كتاباً، وطرقه من مائة وخمس طرق، ولا شك في بلوغه حد التواتر، ولم نعلم خلافاً ممن يعتد به من الأمة إلى آخر كلامه (عليه السلام). وكلام أئمة آل محمد صلوات الله عليهم في هذا المقام الشريف وغيره معلوم في جميع مؤلفاتهم في هذا الشأن، وقد رواه السيد الإمام الحسين بن الإمام عليهما السلام في (الهداية) عن ثمانية وثلاثين صحابياً بأسمائهم غير الجملة كلها من غير طرق أهل البيت (عليهم السلام).

وقال السيد الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير: إن خبر الغدير يروى بمائة وثلاث وخمسين طريقاً. انتهى. وأما غيرهم فقد أجمع على تواتره حفاظ جميع الطوائف وقامت به وبأمثاله حجة الله على كل موالف ومخالف، وقد قال الذهبي: بهرتني طرقه فقطعت بوقوعه. انتهى، =

(**وملئ به صدرك**): شحن به صدرك حتى امتلأ، كقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وغير ذلك.

(**فما**[1] **بعد الحق إلا الضلال**): أي ما بعد الشيء في الثبوت إلا نقيضه، فإذا كان الحق ثابتاً فليس بعده إلا نقيضه من الضلال.

(**وبعد البيان إلا اللبس**!): وإذا كان البيان ثابتاً فليس بعده إلا نقيضه وهو الالتباس، كما قال: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**﴾[يونس:٣٢]، فأراد أنه لا واسطة بينهما، فإذا لم يكن ما قلته حقاً فهو منك ضلال.

(**فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها**): أي دع الشبهة وما هي مشتملة عليه من الالتباس، واللبسة بالفتح: واحدة اللبسات، وبالكسر: الحالة من الالتباس، وأراد اترك الأمور المشتبهة واشتمالها على أحوالها الملتبسة وأمورها المختلطة.

وعده السيوطي في الأحاديث المتواترة، وقال الغزالي في كتابه (سر العالمين): لكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهير على خطبة يوم الغدير وذكر الحديث، واعترف ابن حجر أنه رواه ثلاثون صحابياً، وذكره ابن حجر العسقلاني في تخريجه أحاديث الكشاف عن سبعة وعشرين صحابياً. إلى أن قال: وقال المقبلي فيه في أبحاثه: فإن كان هذا معلوماً وإلا فما في الدنيا معلوم. انتهى.

ولو استوفيت من صرح من العلماء بتواتره لطال المقام، وعلى الجملة إن خبر الغدير ومقدماته وما ورد على نهجه مما يفيد الولاية في ذلك المقام وغيره لا تحيط به الأسفار ولا تستوعبه المؤلفات الكبار. انتهى ما أردت نقله من لوامع الأنوار.

(وانظر الحديث وأسانيده وطرقه ورواته ومصادره فيه ١/٣٩ وما بعدها).

(١) في شرح النهج: فماذا، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(**فإن الفتنة طالما أغدفت**[1] **جلابيبها**): الجلباب: نوع من أنواع اللباس، وأغدف[2] الثوب إذا استرخى، جعله هاهنا كناية عن اشتداد أمرها.

(**وأعشت الأبصار ظلمتها**): العشا: ضعف البصر، وناقة عشواء إذا كانت لا تبصر، وهو استعارة إما عن تغطيتها[3] على الأبصار، فلا تنظر مواقع الصواب، وإما عن تغطيتها على العقول فلا تهتدي لذلك أيضاً، فإن الإبصار صالح لهما جميعاً.

(**وقد أتاني منك كتاب ذو أفانين**): الأفانين: جمع أفنان، أي أساليب مختلفة، قال الله تعالى: ﴿**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**﴾[الرحمن:٤٨]، وأراد أنه ليس مشتملاً على أسلوب واحد.

(**ضعفت قواها عن السِّلم**): أي أنها متقاصرة عن إصلاح الحال غير بالغة له، والسِّلم: الصلح.

(**وأساطير**): جمع أسطورة وهي: الخرافات والأباطيل.

(**لم يحكها منك علم**): الحوك: النسيج، وأراد أنك[4] لم تنسجها عن علم ومعرفة ودراية.

(**ولا حكم**[5]): أي ولا أحكمتها برأي صائب من جهتك.

---

(١) في النسخ: أغدقت، ولعله تصحيف، وما أثبته من شرح النهج.
(٢) هكذا في النسخ: أغدق، ولعل الصواب: أغدف، كما أثبته.
(٣) في (ب): تغطيها.
(٤) في (ب): أن.
(٥) في شرح النهج: لم يحكها عنك علم ولا حلم.

(**أصبحت فيها**[١] **كالخائض في الدهاس**): وهو المكان السهل اللين، الذي لا يبلغ أن يكون رملاً ولا تراباً، والخائض هو: المقتحم للشيء، يقال: خاض الغمرات إذا اقتحمها، وإنما قال: الخائض في الدهاس لصعوبة المشي فيها لرخاوته.

(**والخابط في الدّيماس**): وهو المكان الخالي نحو القبر والسرب[٢]، والخابط هو: الذي يضرب بيده على الأرض إذا مشى، وأراد أن الخابط في الديماس ليس على حقيقة ومعرفة بحال ما يفعله من ذلك.

(**وترقيت مرقبة**[٣]): المرقبة: الموضع المشرف، يعلوها من يرقب شيئاً ويراعيه.

(**بعيدة المرام**): مطالبها بعيدة لا يمكن نيلها.

(**نازحة الأعلام**): النازح هو: البعيد، وأراد أن أعلامها منتزحة عن الحق بعيدة عن طرقه.

(**تقصر دونها الأنوق**): وهو طائر يقال له: الرخم، يكون وَكْرُهُ فوق الأماكن الصعبة من رؤوس الجبال الشامخة.

(**ويحاذى به العَيُّوق**): المحاذاة: المساواة والمماثلة، والعَيُّوق: كوكب أحمر مضيء يتلو في مكانه الثريا لا يتقدمها، ومن طرف العرب وتحفها أنهم قالوا: إنما سمي العيُّوق عيوقاً لأنه عاق سهيلاً عن نكاح الثريا،

(١) في (ب) وشرح النهج: منها.
(٢) في (ب): والشرب، وهو تصحيف.
(٣) في شرح النهج: وترقيت إلى مرقبة.

ولهذا قال شاعرهم:

أيها المنكح الثريا سهيلاً
عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت
وسهيل إذا استقل يماني[١]

(**وحاش لله أن تلي للمسلمين**[٢] **بعدي صدراً أو ورداً**): حاش حرف جر على رأي سيبويه، واللام مقحمة فيه، وهو على رأي المبرد فعل وينصب به، ومعناه على كلا المذهبين براءةً لله عن[٣] أن تكون والياً على شيء من أمور الدين، والصدر هو: الصدور عن الماء، والورد: هو الورود لأخذه، وهما يستعملان كناية لأكثر حالات الشيء، يقال: ليس فلان من أمرك في ورد ولا صدر.

(**أو أجري على أحد منهم لك عقداً**[٤]): في إعطاء شيء من المال وقبض العمالات كلها.

(**أو عهداً!**): في الطاعة والانقياد لأمره.

(**فمن الآن فتدارك نفسك**): الآن هو: الوقت الذي أنت فيه،

(١) هذان البيتان هما لعمرو بن أبي ربيعة، وقبلهما:
أيها الطائر الذي قد عناني — بعد أن نام سائر الركبان
سار من نازح بغير دليل — يتخطى إليَّ حتى أتاني
(٢) في (ب): المسلمين.
(٣) عن، سقط من (ب).
(٤) في (ب) وشرح النهج: أو أجري لك على أحد منهم عقداً.

والغرض فمن هذا الوقت فالحق نفسك وتلافها عن الهلاك بالإقبال على الأعمال المرضية، وسلوك الطريقة الحسنة في الاحتكام، وترك البغي والمخالفة.

(**وانظر لها**): نظر ناصح مشفق عليها عن أن تهلك.

(**فإنك إن فرطت حتى ينهد إليك عباد الله**): توانيت في الأمر حتى تنهض إليك جنود الله من المسلمين وأهل الدين، ومنه نهود ثدي الجارية أي نهوضته[1].

(**أرتجت عليك الأمور**): باب مرتج إذا كان مغلقاً، والإرتاج هو: الإغلاق، وأراد اتغلقت عليك الآراء الصائبة، وأقفلت عنك الآراء المحمودة.

(**ومُنعت أمراً**): يعني الاعتذار والتوبة والإقبال.

(**هو منك اليوم مقبول**): يشير إلى أنه لو أقبل بالتوبة والإنابة قُبِلَ منه الآن، قبل الوصول إلى ساحته بالجنود والعساكر، فأما إذا أظلتهم السيوف، وصاروا تحت حكمها فربما لا تقبل منه التوبة، وهذه منه إشارة إلى أنه في تلك الحال لا يقبل منه ما يكون من جهته في حال الرفاهية.

(١) في (ب): نهوضه.

(٦٦) ومن كتاب له [عليه السلام][1] إلى عبد الله بن العباس رضي الله عنه

وقد تقدم بخلاف هذه الرواية: وإنما أعاده هاهنا، لأن فيه أمراً لم يتقدم ذكره، وأكثره قد فسرناه وشرحنا معانيه من قبل، فلا وجه لتكريرها.

(**أما بعد؛ فإن المرء ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته**): يريد أن من بلوى الدنيا وفتنها وما فيها من المحن، هو أن الأمر المحتوم وصوله إلى ابن آدم يفرح به ويصيب قلبه منه سرور من أجل استيلائه عليه.

(**ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه**): ويصيبه الأسف والحزن على ما كان المعلوم من حاله أنه لا يصل إليه أصلاً، وكان من حكم العقل وإيثار المصلحة ألا يكون فارحاً بما وصل؛ لأنه لابد منه، وألاَّ يحزن على ما تعذر وصوله لأنه يستحيل وصوله، وهو في كلامه هذا يشير إلى هلع النفس وشؤمها، وأن هواها مخالف لحكم العقل وأصله.

(**فلا يكن أفضل ما نلت من دنياك في نفسك بلوغ لذة**): يعني[2] لا يكن

(١) زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٢) في (ب): أي.

همك في الدنيا هو المواظبة على حصول اللذات والانهماك فيها، فإن في هذه الحالة تشبهاً بالبهائم.

(**أو شفاء غيظ**): من عدو لك، وأخذ الثأر منه.

(**ولكن إطفاء باطل**): إزالته، استعارة له من إطفاء النار، وهو إزالة تلهبها.

(**وإحياء حق**[1]): إشادة ذكره وإعلاء أمره عن أن يكون ميتاً خاملاً ذكره.

(١) بعده في شرح النهج: وليكن سرورك بما قدمت، وأسفك على ما خلفت، وهمك فيما بعد الموت.

(٦٧) ومن كتاب له [عليه السلام][1] إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة

(**أما بعد، فأقم للناس الحج**): الأمر بإقامته هو بيان فروضه وسنن[2] مناسكه وتتبعه[3] الناس فيها وبتعليمها[4] من لا يعلمها، وإشادة أمر الله بإظهار شعائره وإعلاء مناره.

(**وذكرهم بأيام الله**): أراد أيام عقوباته في الأمم الماضية، وما أصاب من خالف أمره من ذلك، أو ذكرهم أيام طاعاته[5] وهي أيام الحج، وما ينبغي فيها من المناسك وأنواع القرب.

(**واجلس لهم العصرين**): العصران هما: الغداة والعشي؛ لأن الحر في الحجاز عظيم فلا يكاد ينتفع فيه بقضاء الحوائج إلا فيهما.

(**فأفت المستفتي**): في أمر دينه، وبصِّره جهله، وعلّمه ما جهل من أمره.

(**وعلم الجاهل**): ما غبي عليه.

(١) زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٢) في (ب): وتبيين مناسكه.
(٣) في (أ): ويتبعه.
(٤) في (أ): ويتعلمها.
(٥) في (ب): طاعته.

(وذكر العالم): ما نسيه من ذلك.

(ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك): السفير هو: الذي يختلف لقضاء الحوائج، وغرضه من هذا مباشرة الناس لقضاء[1] حوائجهم بنفسه من غير واسطة إلا لسانك، فلم يستثن من الوسائط[2] إلا إياه مبالغة في التحذير عن ذلك.

(ولا حاجب إلا وجهك): مبالغة في الظهور للناس والتكشف لقضاء حوائجهم، كما يقال: لا تكنْ لأحد منهم عقوبة إلا عفوك ولا سوط إلا رضاك.

(ولا تحجبنّ ذا حاجة عن لقائك بها[3]): أراد فإذا كان لأحد من أهل ولايتك حاجة إليك، فلا تحجبن نفسك عن أن تكون ملاقياً له بها.

(فإنها إن ذيدت): صرفت الحوائج ومنعت.

(عن أبوابك في أول وردها[4]): ورودها إليك ووصولها إلى ناحيتك.

(لم تحمد فيما بعد على قضائها): لم يكن لك فضل على إتمامها من بعد؛ لأن الحمد والشكر في قضائها إنما يكون بإكماله وتحصيله على أحسن وجه، وبعد الرد قد[5] نقص حالها لما يقع في نفس صاحبها من الانكسار والحقارة والذل بالرد.

---

(١) في (ب): بقضاء.

(٢) من الوسائط، سقط من (ب).

(٣) في (ب): لها.

(٤) في (ب): ورودها.

(٥) في (ب): فقد.

(وانظر إلى ما اجتمع معك[1] من مال الله): الذي أمرناك بقبضه وجعلنا لك ولاية على أخذه.

(فاصرفه إلى من قِبَلك): يليك ويكون مختصاً بك وساكناً معك.

(من ذي العيال): صاحب العولة والأولاد.

(والمجاعة): وذي المجاعة، يعني الجوع من الفقراء وأهل الفاقة.

(مصيباً): متوخياً بالإصابة[2].

(مواضع المفاقر[3]): أي الفقر، يقال: سد الله مفاقره أي أغناه.

(والحاجات): وذوي الحاجات من الفقراء أيضاً.

(وما فضل): من ذلك أي بقي من قولهم: فضل الماء في الإناء يفضل.

(عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قِبَلَنا): من المسلمين وأهل الفقر والحاجة أيضاً.

(ومر أهل مكة ألا يأخذوا من ساكن أجراً): يعني في الدور والبيوت المعمورة، والخانكات والربط، وسائر المنازل التي ينتفع بها للوقوف والسكون، فلا يأخذوا في مقابلة منافعه عوضاً عيناً ولا منفعة أصلاً.

(فإن الله تعالى يقول:﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾)[الحج:٢٥]: أي سواء المقيم فيه من أهله وأهل البادية من غير أهله فإنهم مستوون فيه،

---

(١) في شرح النهج: عندك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) في (ب): للإصابة.

(٣) في (ب) وشرح النهج: مواضع المفاقر والخلات.

ثم اختلف رأي العلماء في ذلك، فأما أبو حنيفة فمنع من بيع الدور وكرائها[1] محتجاً بالآية، وجوَّز ذلك الشافعي[2]، ولم يحضرني مذهب لأصحابنا فأنقله في هذه المسألة، والظاهر من مذهبهم هي[3] مقالة أمير المؤمنين في ذلك، ثم فسر العاكف والباد بقوله:

(**فالعاكف: المقيم، والبادي: الذي يحج إليه[4] من غير أهله**): ويحكى عن عمر أنه اشترى في مكة داراً للسجن.

(**وفقنا الله وإياكم[5] لمحابه**): للأعمال التي يحبها ويريدها ويرضاها.

(١) في (ب): وكراها.

(٢) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٨/ ٣٢-٣٣.

(٣) هي، سقط من (ب).

(٤) إليه، زيادة في (ب)، وشرح النهج.

(٥) في (ب): وإياك.

(٦٨) ومن كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته

(**أما بعد؛ فإن[1] مثل الدنيا مثل الحية، لين مسها، قاتل سمها**): يعني أنها معجبة لنظارتها وحسنها، فهي لينة إذا مسها أحد، وهي مهلكة لمن انخدع بها، واللين والمس والقتل بالسم من الاستعارات الرشيقة لما هي عليه من الخدع، ولما فيها من الغرور.

(**فأعرض عمَّا يعجبك منها**): يروقك، ويليق بخاطرك ونفسك من زخارفها ونفائسها.

(**لقلة ما يصحبك منها**): أي يصاحبك ويكون معك عند فراقها.

(**وضع عنك همومها[2]**): ما يُهَمُّ منها ويلصق بالخاطر من تعبها وعنائها.

(**لما أيقنت به[3] من انقطاعها**): لليقين الحاصل لك بكونها منقطعة فانية.

(**وكن أنس ما تكون بها[4]، أحذر ما تكون منها**): أراد المبالغة في الأمر

(١) في شرح النهج: فإنما.

(٢) في (ب): همومك.

(٣) به، زيادة في (ب). والعبارة في شرح النهج: لما أيقنت به من فراقها وتصرف حالاتها.

(٤) في (ب): منها.

في التحذير[1] منها، وأبعد ما يكون الحذر عند الأنس بها، فإذا جعل الحذر هو الأنس بها نفسه، فقد بلغت مبلغاً عظيماً لا يمكن وصفه.

(**وإن[2] صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور**): سكنت نفسه واستقر خاطره إلى شيء من سرورها.

(**أشخصته[3] إلى محذور**): أظهرته إلى مكروه من مكروهاته[4] يحذره وتنفر عنه نفسه.

وقد مضى في كلامه في ذم الدنيا ما هو أبلغ من هذا.

(١) في (ب): بالتحذير.

(٢) في (ب) وشرح النهج: فإن.

(٣) في (ب): أشخصته عنه...إلخ، وفي نسخة: استشخصته، وبعد العبارة في شرح النهج: أو إلى إيناس أزالته عنه إلى إيحاش، والسلام.

(٤) في نسخة: مكروهاتها، (هامش في ب).

(٦٩) ومن كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني[1]

همدان أكثر أهل اليمن من حاشدها وبكيلها، وهو بالدال بنقطة من أسفلها.

فأما همذان بالذال بنقطة من أعلاها فهم نوع من العجم.

(**أما بعد، فتمسك بحبل القرآن وانتصحه**): مضى تفسيره غير مرة.

ويحكى أن أعرابياً دخل على رسول الله ﷺ، فقال: التبس عليَّ معنى آية من القرآن ففسرها لي، وتلا قوله تعالى[2]: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً**﴾[آل عمران:١٠٣]، فقال: وما الحبل الذي أمر الله بالاعتصام به؟ وكان أمير المؤمنين إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله، فوضع النبي (عليه السلام) يده على كتف أمير المؤمنين، وقال: ((هذا حبل الله فاعتصموا به))[3].

(١) هو الحارث بن عبد الله بن جابر الهمداني الأعور، أبو زهير، المتوفى سنة٦٥هـ، من أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، قال أبو بكر بن أبي داود: كان الحارث الأعور أفقه الناس، وأفرض الناس، وأحسب الناس، تعلم الفرائض من علي. (معجم رجال الاعتبار ص٩٥-٩٦ ت(١٦٤)، ونسبه في شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨/٤٢ كما يلي: الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن نخلة بن حرث بن سبع بن صعب بن معاوية الهمداني.

(٢) تعالى، سقط من (ب).

(٣) رواه الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ-، وأخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١/١٣٠ برقم (١٧٧) بسنده عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أحب أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين، فليوال علياً وليأتم بالهداة من ولده))، =

(**وأحل حلاله، وحرم حرامه**): يريد امتثال أوامره فيما تناوله من الانكفاف عما حرم الله[1] فيه، والتحليل لما كان متناولاً له ومبيحاً له.

(**وصدق بما سلف من الحق**): أراد إما نبوة الأنبياء كلهم والكتب السالفة [المنزلة عليهم، أو يريد نبوة الرسول وما جاء به من العلوم الغيبية السالفة][2]، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾[البقرة:٣].

(**واعتبر بما مضى من الدنيا ما**[3] **بقي منها**): يريد اتعظ بذلك، فإن ما يأتي منها[4] في الزوال والتقضي والنفاد مثل ما مضى من غير تفرقة.

(**فإن بعضها يشبه بعضاً**): في التغير والانقطاع.

(**وآخرها لاحق بأولها**): في الذهاب وسرعة التقضي.

(**وكلها حائل**): أي جميع ما فيها زائل لا محالة.

(**مفارق**): لمن هو في يده ومباين له.

(**وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق**): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أنه لا ينبغي ذكر القسم بالله تعالى وصفاته

وذكر تحت الرقم (١٧٨) بسنده عن جعفر بن محمد قال: نحن حبل الله الذي قال الله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً...﴾الآية، فالمستمسك بولاية علي بن أبي طالب المستمسك بالبر [كذا] فمن تمسك به كان مؤمناً، ومن تركه كان خارجاً من الإيمان. انتهى.

(١) الله، زيادة في (ب).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) في (ب) وشرح النهج: لما.

(٤) في (ب): فيها.

إلا على حق لك أو عليك، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ**﴾[البقرة:٢٢٤]، أي تعرضونه وتذكرون اسمه في الأمور الحقيرة النازلة.

وثانيهما: أن يكون مراده المنع من ذكر اسم الله تعالى[1] على جهة الحلف والإقسام في الأمور المباحة كأكل الطعام، فلا ينبغي أن يقسم ولا يسأل بالله.

وعن الحسن أنه قال: العيش أهون من أن يحلف عليه.

(**وأكثر ذكر الموت**): فإنه يُهوِن حال الدنيا، ويكسر النفس عن الهمة بأمور كثيرة.

(**وما بعد الموت**): من الأهوال العظيمة والأخطار الجسيمة.

(**ولا تتمنَّ الموت إلا بشرط وثيق**): إلا أن تكون واثقاً بشيء من أعمالك الصالحة بما[2] يكون سبباً في نجاتك وحسن عاقبتك، وفي الحديث: «لا يتمنين أحدكم الموت، فإن كان لابد فليقل: اللَّهُمَّ، أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وأمتني ما كانت الوفاة خيراً لي»[3].

(**واحذر**[4] **كل عمل يعمل به في السر، ويستحيى منه في العلانية**):

(١) تعالى، زيادة في (ب).

(٢) في (ب): لما.

(٣) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص٣٣٩ برقم (٣٥٩) بسنده يبلغ به إلى أنس بن مالك بلفظ: ((لا يتمنينَّ أحدكم الموت لضر نزل به، ولكن ليقل: اللهم، أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وأمتني إذا كانت الوفاة خيراً لي)) وهو فيه برقم (٣٥٨) عن أنس أيضاً مع اختلاف يسير في لفظ أوله، وأخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١٨٨/٢ بسنده عن أبي هريرة.

(٤) قبل هذه العبارة في شرح النهج: واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه، ويكرهه لعامة المسلمين. انتهى، وهو في هامش (ب)، وقال في آخره: صح نهج.

أراد أنك لا تعمل شيئاً من الأعمال سراً إلا ما تقدر ظهوره ولا يضرك شيء منه، فما هذا حاله فهو خير الأعمال.

(**واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره**): لأنه لا ينكره إلا من أجل اشتماله على القبح والشناعة، فمن أجل هذا يزيله عن نفسه ويدفعه عنها.

(**واعتذر منه**): ووجِّه العذر نحوه.

(**ولا تجعل عرضك غرضاً لنبال القول**[1]): الغرض: ما يرمى، وأراد أنك لا تفعل ما تلام عليه فتكون متعرضاً بذلك للطعن بالألسنة من جهة الخلق.

(**ولا تحدث الناس بكل ما سمعت، فكفى بذلك كذباً**): يعني ما غلب على ظنك صدق قائله فانقله على جهة الحكاية عنه، وما لم يكن الأمر فيه كذلك فلا تحدث به ولا تنقله، فإنه ليس كل ما يقال صدقاً وحقاً، وإذا كان القول بعضه صدق وبعضه يكون كذباً فنقله كله يكون كذباً لامحالة، والمخبر بالكذب يكون كاذباً فيما أخبر به منه.

(**ولا تَرُدَّ على الناس في كل ما حدثوك به**[2]): يعني لا يكن كلما قيل لك بشيء من الأقوال رددته وأنكرته.

(**فكفى بذلك جهلاً**): لأن ردك له وإنكارك لحاله كله أمارة الجهل والغباوة بأمره وحاله.

---

(١) في شرح النهج: لنبال القوم.

(٢) به، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(**واكظم الغيظ**): أي كلما عرض لك جانب من الغيظ فكف عن إنفاذه، وصبِّر عليه نفسك، ولا تظهره فإن عواقبه محمودة، والأجر عليه عظيم.

(**واحلم عند الغضب**): أي كف عن العقوبة، وتصبَّر على ذلك.

(**وتجاوز عند القدرة**[1]): يريد وإذا قدرت على الانتقام فالتجاوز والصفح هو أفضل.

(**واصفح عن الزلة**[2] **تكن لك العاقبة**): يريد إذا زل إنسان في حقك فاصفح عنه فإن ذلك أقرب للظفر به بعد ذلك.

(**واستصلح كل نعمة أنعم الله بها عليك**[3]): اطلب إصلاحها، والإصلاح لها من جهتك، أعظم من تأدية شكرها، والاعتراف بموقعها وحالها.

(**ولا تُضَيِّعنَّ نعمة من نعم الله عندك**): وإضاعتها إغفالها عما يتوجه لها من الشكر وكفرها، ولا إضاعة لها أبلغ من ذاك.

(**ولْيُرَ عليك أثر ما أنعم الله به عليك**): يريد لا تكثر التباؤس، وإظهار الفقر، وتكتم النعمة، بل إذا كانت عندك نعمة الله تعالى فأظهرها في حالك، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى:١١]، وإذا أظهرت فحسن الحال خبر عنها وحديث بها.

---

(١) في شرح النهج: المقدرة.

(٢) في شرح النهج: واصفح مع الدولة ...إلخ.

(٣) في شرح النهج: أنعمها الله عليك، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(واعلم أن أفضل المؤمنين): أعظمهم في الفضل وأعلاهم درجة عند الله تعالى.

(أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله): بإنفاق النفس بالجهاد في إعزاز دين الله وإعلاء كلمته، وإنفاق المال لوجهه وتقديمه أمامك، وهكذا الحال في الأهل بإكرامهم وإسداء المعروف إليهم، والصبر على ما فرط من الأذى منهم.

(وإنك ما تقدّم من خير): من الأعمال الصالحة في جميع وجوهها.

(يبق لك ذخره): عاقبته وأمره، والذخر: ما يذخر ويخبأ.

(وما تؤخّر يكن لغيرك خيره): يعني وما تؤخّره من أموالك بعد موتك يأخذه الوارث بعدك[1]، فيكون له ثوابه بالصدقة والتقرب إلى الله به.

(واحذر صَحَابَةَ مَن يفيل رأيه): الصحابة مصدر صحبه صحابة، ويفيل رأيه أي يضعف.

(وينكر عمله): أي ويكون عمله منكراً.

(فإن الصاحب معتبر بصاحبه): يشير إلى من صاحب الأشرار فهو منهم، ومن صاحب الأخيار فهو منهم، وفي الحديث: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[2].

---

(١) بعدك، سقط من (ب).

(٢) عزاه في موسوعة أطراف الحديث ٨/٦٦٤ إلى سنن الترمذي (٢٣٧٨) ومسند أحمد بن حنبل ٢/٣٠٣، ٣٣٤، والمستدرك للحاكم ٤/١٧١، وإتحاف السادة المتقين ٦/١٩٨، ٢٣٤، وتفسير القرطبي ٤/١٧٩، وإلى غيرها من المصادر انظرها هناك.
قلت: ورواه القاضي العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في شمس الأخبار ٢/١٤ في الباب (١٠٢) عن أبي هريرة، وعزاه إلى مسند الشهاب للقضاعي، (وانظر تخريجه فيه).

(واسكن الأمصار العظام): البلدان العظيمة والمدن الكبيرة.

(فإنها جماع المسلمين): الجِماع بالكسر: ما يجمع عدداً، ومنه قوله (عليه السلام): «الخمر جماع الآثام[1]».

(واحذر منازل الغفلة): عن الله وعن أمر الآخرة.

(والجفاء): ومواضع الجفاء والقسوة والبلادة، يعني القرى المنفردة عن أهل الخير والصلاح، والدعاء إلى الله والتذكير به.

(وقلة الأعوان على طاعة الله): من الإخوان المحبين للخير والفاعلين له.

(واقصر رأيك على ما يعنيك): أراد أنك لا تشتغل بأمر لا يهمك حاله، واقصر نفسك على أمرها من غير زيادة، ففيه شغل لك عن غيره.

(وإياك ومقاعد الأسواق): والقعود فيها.

(فإنها محاضر الشيطان): يعني أنه يحضرها في أكثر حالاته؛ لما يحصل فيها من مراداته ودعائه لأهلها إلى الانقياد لأمره.

(ومعاريض الفتن): يعني أنه كثير ما يسنح فيها المقاتلة والشجار الطويل، والخصومات العظيمة، وهذه الأمور كلها أعظم وُصَل إبليس، وأقوى حبائله.

(وأكثر أن تنظر إلى من فضلت عليه): يريد إذا تفكرت في نعم الله تعالى وفضائله عليك، فتعمد في ذلك بأن تنظر إلى من أنت فوقه في النعمة، وأعظم منه حالة فيها.

---

(١) في (ب): الإثم.

(**فإن ذلك من أبواب الشكر**): يريد إذا فعلت ذلك، فإنه يدعوك لا محالة إلى شكر النعمة التي أنت فيها، ويعظم قدرها عندك، وقد ورد مثل ما ذكره عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «انظر إلى من هو دونك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر ألا تزدري نعمة الله عليك»[1].

(**ولا تسافر في يوم جمعة**): يريد لاتتعمد[2] بالسفر في يوم الجمعة؛ لأنه يوم عيد للمسلمين واستقرار ورفاهية على الأنفس، وإذا[3] كان ولابد من ذلك فلا تسافر فيه:

(**حتى تشهد الصلاة**): لأن شهودها أفضل لامحالة مما تخرج له من طلب الأرزاق وإصلاح أحوال المعيشة.

(**إلا فاضلاً[4] في سبيل الله**): مهاجراً في سبيل الله، وهو بالضاد المنقوطة[5].

(**أو في أمر تعذر به**): يكون عذراً لك في الخروج من غير صلاة الجمعة، نحو خوف عند التخلف عن الرفقة، أو غير ذلك من الأعذار في ذلك.

---

(١) أخرجه من حديث طويل المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١/٧٣ بسنده يبلغ به إلى أبي ذر، والقاضي علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار٢/٢٤٤ عن أبي ذر الغفاري، وعزاه إلى المجالس برواية السمان، وعزاه العلامة محمد بن حسين الجلال في كشف الأستار عن أحاديث شمس الأخبار إلى عبد بن حميد، والطبراني في الكبير عن أبي ذر.

(٢) في (ب): يريد ولا تتعمد السفر.

(٣) في (ب): فإذا.

(٤) في شرح النهج: فاصلاً، بالصاد المهملة.

(٥) العبارة من أولها في (ب): وهو بالضاد المنقوطة، أي مهاجراً في سبيل الله.

وفي الحديث: إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لما جهز أهل مؤتة [إلى غزاة مؤتة][1]، ومن جملتهم عبد الله بن رواحه، فخرج الناس وتخلف عبد الله، فلما رآه الرسول قال له: «ما خلفك»؟

فقال: أحببت صلاة الجمعة معك يا رسول الله، فأنكر عليه وقال: «لغدوة في سبيل الله[2] أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[3].

فكلام أمير المؤمنين يشير إلى هذا.

(**وأطع[4] الله في جمل أمورك**): يريد أن المواظبة على طاعة الله تعالى[5] أمر عسير صعب، فإذا كان كذلك، فليكن ذلك في جمل الأمور، فلعل الله أن يصلحها بذلك.

(**فإن طاعة الله تعالى فاضلة على غيرها[6]**): يريد أنها أفضل الأعمال.

(**وخادع نفسك في العبادة**): يعني اخدعها عن اتباع الشهوات واشغلها بعبادة الله بترغيبها في حسن عاقبتها وطيب عيشها في الآخرة، ونعيمها في الجنة.

---

(١) سقط من (ب) ما بين المعقوفين.

(٢) الله، زيادة في (ب).

(٣) وروى الموفق بالله في الاعتبار ص٥٣٩ برقم (٤٧٢) بسنده عن سهل بن سعد الساعدي قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ((غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها)) وأخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص٣٩٥ برقم(٤٨٢) بسنده عن علي (عليه السلام)، وفيه: ((الروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها)).

(٤) في نسخة: فأطع الله، (هامش في ب).

(٥) تعالى، سقط من (ب).

(٦) في شرح النهج: على ما سواها، وكذا في نسخة، (هامش في ب).

(وارفق بها): من الرفق، وهو: السهولة.

(ولا تقهرها): بتكليفها للأعمال الشاقة القاهرة.

(وخذ عفوها): أي ما تيسر من حالها من غير ملالة لها ولا سآمة عليها.

(ونشاطها): أي وخذ منها ما تكون ناشطة إليه، فإن ذلك أقرب إلى المداومة وأعظم في الاستمرار على الطاعة.

(إلا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة): من هذه الفرائض الواجبة، والفروض اللازمة لك.

(فإنه لا بد من قضائه): سواء كان ذلك[1] بسهولة أو عسرة في ذلك؛ لأن المصلحة هو في أدائها مطلقاً، ولهذا فرضت.

(وتعاهدها): الضمير للفرائض المكتوبة من هذه الصلوات.

(عند محلها): أوقاتها التي تؤدى فيها، وتأهب لها وواظب عليها.

(وإياك أن ينزل بك الموت): يرد عليك ويأتيك فجأة.

(وأنت آبق من ربك): استعارة من إباق العبد وهو[2]: هربه من سيده من غير رضاه.

(في طلب الدنيا): طالباً للدنيا ومنهمكاً في طلب لذاتها وتحصليها، فالظرف هاهنا في موضع الحال كما قررته.

(وإياك ومصاحبة الفساق): الخارجين عن الدين باقتحام الكبائر،

(١) ذلك، سقط من (ب).

(٢) وهو، سقط من (ب).

والورود في العظائم، فإنهم لا محالة شر، وهم أهل الشر، فلا شر أعظم مما هم فيه، ولا مما وُعِدُوا به من العقاب العظيم.

(فإن الشر بالشر مُلْحَقٌ): يشير إلى أنهم شر ومصاحبتهم أشر، ومن صاحبهم فهو لاحق بهم في الشر.

(ووقّر الله): التوقير: التعظيم والترزين[1]، وأراد إما عظم الله تعالى بفعل ما يجب له من الطاعة والانكفاف عن المعصية، وإما عظم الله تعالى بتعظيم أوليائه، كما يقال: أحب الله أي أحبه بمحبتك لأوليائه.

(وأحب[2] أحباءه): أي[3] الذين يحبهم، فإن محبتك إياهم محبة له.

(واحذر الغضب، فإنه جند عظيم من جنود إبليس): يتقوى به ويتسلط، كما يكون الجند للسلطان تنفذ بهم أوامره، ويتسلط بهم على الخلق.

(١) الرزانة: الوقار، وفي (ب): والتعزيز.

(٢) في شرح النهج: وأحبب، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٣) أي، سقط من (ب).

(٧٠) ومن كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حُنيف الأنصاري[1] عامله على المدينة[2]

(**أما بعد، فقد بلغني أن رجالاً ممن قِبَلَك**): من أصحابك وممن يختص بك.

(**يتسللون إلى معاوية**): يذهبون إليه في خفية منك وسراراً من أنفسهم.

(**فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم**): أي تحزن على بطلان ما فات عنك من الانتصار بهم، والاعتضاد في أعظم أمورك باجتماعهم.

(**ويذهب عنك من مددهم**): المدد هو: الإمداد، وأراد ما يزول عنك من إمدادهم لك في النصرة.

(**فكفى لهم عناء[3]**): أي تعباً بالعين المهملة، وانتصابه على التمييز بعد الفاعل.

(**ولك منهم شافياً**): ما يشفي غيظك.

(١) هو سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي، المتوفى سنة٣٨هـ، أبو ثابت، والد أبي أمامة، بدري، شهد المشاهد كلها، وكان ممن بايع على الموت، وثبت يوم أحد، ثم صحب علياً (عليه السلام) من حين بويع له، واستخلفه على المدينة حين سار إلى البصرة، وشهد معه صفين، وولاه فارس، ثم مات بالكوفة، وصلى عليه علي (عليه السلام)، وكبّر عليه ستاً فقال: إنه كان بدرياً. (انظر لوامع الأنوار ٣/٩٦).

(٢) في شرح النهج: وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية.

(٣) في شرح النهج: غيًّا، أي ضلالاً. والمعنى مقارب.

(**فرارهم من الهدى والحق**): هذا أعني فرارهم فاعل لكفى، وأراد هربهم من الحق الذي يريده الله والهدى الذي رضيه.

(**وإيضاعهم إلى العمى والجهل**): الإيضاع: ضرب من السير، وغرضه وإسراعهم إلى الأمور المعمية عن الحق والجهالات الصارفة عنه.

(**وإنما هم أهل دنيا يتقلبون[1] عليها**): يريد وما حملهم على ذلك إلا أنهم أهل دنيا يتصرفون فيها.

(**ومهطعون لها[2]**): أي مسرعون إلى ما يحصل من أطماعها باللحاق بمعاوية، فكان ذلك سبباً للخروج إليه.

(**قد عرفوا العدل ورأوه**): تحققوه بأفئدتهم ورأوه بأبصارهم.

(**وسمعوه**): بآذانهم.

(**ووعوه**): بقلوبهم.

(**وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة**): لافضل لأحد منهم[3] على الآخر، ولا زيادة لأحد على غيره في الحق، والأسوة: القدوة.

(**فهربوا إلى الأثرة**): وهي الاسم من الاستئثار.

(**فبعداً**): من قولهم: بعد يبعد بعداً.

(**لهم وسحقاً!**): وهما مصدران من المصادر التي تضمر أفعالها ولا تظهر، وقد مر بيانه.

(١) في شرح النهج: مقبلون.

(٢) في شرح النهج: إليها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٣) في (ب): لا فضل لأحدهم على الآخر.

(إنهم والله لم[1] ينفروا من جور): ما كان هربهم من جور لحقهم مني.

(ولم يلحقوا بعدل): من جهة معاوية، وإنما طمعوا في الدنيا ونظارتها وزهرتها وغضارتها، ونفروا من مرارة العدل وكون الناس مستويين فيه.

(وإنا لنطمع في هذا الأمر): يعني الخلافة.

(أن يذلل الله[2] لنا صعبه): ما يصعب فيه فيكون ذليلاً.

(ويسهل لنا حزنه): الحزن: المكان الجرز[3].

(والسلام عليك[4]): منّا.

(١) في نسخة: لن، (هامش في ب).
(٢) الله، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٣) أرض جُرُز وجُرْز كعُسُر وعُسْر لا نبات بها. (مختار الصحاح ص٩٩).
(٤) في شرح النهج: والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

(٧١) ومن كتاب[1] له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي[2]، منسوب إلى بني عبد الله أو بني عبد[3]، وقد خان في بعض ولاياته من أعماله

(أما بعد؛ فإن صلاح أبيك[4] غرّني منك): يريد أن أباك لما كان صالحاً سالكاً لطريق السلامة والخير، وربما[5] غلب على[6] الظن سلوك الولد طريق والده في الصلاح.

(١) في شرح النهج: ومن كتاب له (عليه السلام) إلى المنذر بن الجارود العبدي، وقد كان استعمله على بعض النواحي، فخان الأمانة في بعض ما ولاه من أعماله.
(٢) هو المنذر بن الجارود (واسمه بشر) بن عمرو بن خنيس العبدي، المتوفى سنة٦١هـ، أمير، كان شريفاً، وشهد الجمل مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وولاه الإمام على إمرة اصطخر فخان في ولايته، والمنذر غير معدود في الصحابة، ولا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان تائهاً معجباً. (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨/٥٥،٥٧، والأعلام٧/٢٩٢).
(٣) وهم بنو عبد القيس بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، والمنذر بن الجارود العبدي هو منهم.
(٤) هو بشر بن عمرو بن خنيس بن المعلى العبدي، المتوفى سنة٢٠هـ، سيد عبد القيس (وهم بطن من أسد ربيعة) كان شريفاً في الجاهلية، وأدرك الإسلام، فوفد على النبي ﷺ ومعه جماعة من قومه وكانوا نصارى فأسلم، وفرح النبي ﷺ بإسلامه وأكرمه، وعاش إلى زمن الردة، واستشهد يوم سهرك في عقبة الطين (موضع بفارس). (الأعلام ٢/٥٥).
(٥) في (ب): ربما.
(٦) على، زيادة في (ب).

(وظننت أنك تتبع هديه): الهدي هو: السمت الحسن.

(وتسلك سبيله): تأتي على طريقته[1].

(فإذا أنت فيما رقّي إليّ عنك[2]): ارتفع إليَّ من أخبارك واطلعت عليه من ذلك، ومنه قولهم: رقى السُلّم إذا طلعه، قال الله[3] تعالى: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾[الإسراء:٩٣].

(لا تدع لهواك انقياداً): إلا سلكته وأخذت في طريقه.

(ولا تبقي لآخرتك عتاداً): أي شيئاً تُعِدُّه لها، وتهيّئه من أجلها، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[النساء:٣٧]، أي هيأنا ذلك لهم.

(تعمر دنياك بخراب آخرتك): أراد أنك تنعم في الدنيا بأكل الطيبات، وخضمها وقضمها، وهذا هو عمارة الدنيا، وخراب[4] الآخرة بإبطال العمل لها، والإعراض عنها في كل حالة.

(وتصل عشيرتك): بأموال الله المتروكة على يدك.

(بقطيعة دينك): إبطاله وهدمه، وإنفاق[5] أموال الله تعالى في غير وجهها، وصرفها في غير أهلها.

(ولئن كان ما بلغني عنك حقاً): من الخيانة في أموال الله، وإعطائها من لا يستحقها.

(١) في (ب): طريقه.
(٢) في (ب): منك، وأشار في هامشها إلى أنه في نسخة: عنك.
(٣) الله، زيادة في (ب).
(٤) في (ب): وإخراب.
(٥) في نسخة: بإنفاق، (هامش في ب).

(لجَمَلُ أهلك): جعل هذا كناية عن ذله واستحقاره، لأن جمل الأهل هو الجمل الذي يكون ميراثاً بينهم[1] من أبيهم، يستعمله كل واحد منهم، ويمتهنه كل منهم في حاجته من غير صيانة.

(وشِسْعَ نعلك): الشسع: واحد الشسوع للنعل، وهو سيره[2] الذي يشدُّ به إلى السير الجامع لها في ظهر الكف.

(خير منك ومن[3] كان بصفتك): في قلة الأمانة، وعدم الثقة فيما هو بصدده، وفيما هو مولى عليه من ذلك.

(فليس بأهل أن يُسَدَّ به ثغر[4]): الثغر مرَّ تفسيره، وأنه أبداً لا يؤهل لأمور الحرب.

(أو يُنْفَذَ به أمر[5]): من الأمور الدينية.

(أو يعلى له قدر): ترفعه على غيره.

(أو يشرك في أمانة): يستحفظ وديعة، أو يكون شريكاً في حفظها.

(أو يؤمن على جباية): على ما يجبى من الأموال، ويكون حفيظاً عليها.

(فأقبل إليَّ حين يصلك[6] كتابي هذا إن شاء الله): وهذه أمارة عزله

(١) في (ب): الذي يكون بينهم ميراثاً من أبيهم.
(٢) السير: الذي يقطع من الجلد.
(٣) في (ب) وشرح النهج: ومن.
(٤) في (أ): أن نسّد به ثغراً.
(٥) في (أ): أو تنفّذ به أمراً.
(٦) في شرح النهج: يصل إليك كتابي ...إلخ، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

عن الولاية ؛ لأن ما تقدم من الكلام يدل عليه ويرشد إليه ، والمنذر هذا هو الذي قال[1] فيه أمير المؤمنين :

(**إنه لنظَّار في عِطفَيه**) : عطفا الرجل : جانباه من لدن رأسه إلى وَرِكه[2] ، ويقال : فلان ثنى عطفه عني إذا أعرض عنك.

(**مختال في بُرْدَيه**) : اختال الرجل في مشيه من الخيلاء.

(**تفَّال في شراكَيه**) : يعني إذا ركب شراكه[3] غبار تفل فيه فأزاله ، والتفال هو : البزاق ، وأراد في هذا كله بيان رعونته وحمقه ، وتخايله وتكسره واسترخائه عند سيره.

---

(١) في نسخة : يقول ، (هامش في ب).

(٢) الوَرِك : ما فوق الفخذ ، وهي مؤنثة ، وقد تخفف مثل فَخِذ ، وفَخْذ. (مختار الصحاح ص٧١٧).

(٣) الشراك : السير الذي يكون في النعل على ظهر القدم.

(٧٢) ومن كتاب له [عليه السلام][1] إلى عبد الله بن العباس رضي الله عنه

(**أما بعد؛ فإنك لست بسابق أجلك**) : يعني أنك لا تتقدم عنه ولا تتأخر ، تصديقاً لقوله تعالى : ﴿**لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[الأعراف:٣٤].

(**ولا مرزوق ما ليس لك**) : يعني ولا ترزق ما لم يكن رزقاً لك عند الله تعالى.

(**واعلم بأن الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك**) : يريد أن الدهر لاينفك عن ذلك ، وأن حكمه جار على هذه الحالة ، واليوم الذي يكون عليه هو ما يلحقه فيه من الضر والبؤس ، واليوم الذي له هو ما يلحقه فيه من النعماء والخير.

(**وأن الدنيا دُوَل**) : أحوال متداولة بين الخلق ، وأمور[2] متعاقبة.

(**فما كان منها لك أتاك على ضعفك**) : يريد ما كان مقدَّراً لك وصوله أتاك وإن ضعفت عن نيله.

---

(١) زيادة في نسخة أخرى ، وشرح النهج.

(٢) وأمور ، سقط من (ب).

(**وما كان منها عليك**): تكرهه وتحذر من[1] وصوله.

(**لم تدفعه بقوتك**[2]): يعني من المصائب والبلاوي، وقد مر هذا الكلام في غير هذا الموضع.

(١) من، سقط من (ب).

(٢) في (ب): لم تدفعه قوتك.

(٧٣) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية

(**أما بعد؛ فإني على التردد في جوابك**): أقلب رأيي ظهراً لبطن.

(**والاستماع إلى كتابك**): أرجعه مرة بعد مرة.

(**لموهّن رأيي**): الوهن: الضعف.

(**ومخطّئ فراستي**): ثاقب نظري ونافذ فكرتي وصدق ظني وحسنه، وأراد من هذا كله[1] استضعاف رأيه في الإجابة لمعاوية، إذ لم يجعل جوابه السكوت والإعراض عنه والاستحقار بحاله، كما قال تعالى: **﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾**[الفرقان:٦٣].

(**وإنك إذ تحاولني الأمور، وتراجعني السطور**): يعني وإنك فيما تحاول من الأمور، وتطلبها مني، وتريد مني المساعدة لك فيها، وتراجعني بكتبك طالباً لأغراضك فيها:

(**كالمستثقل النائم**): الثقيل: المسترخي لكثرة نومه وتهالكه فيه.

(**تكذبه أحلامه**): يرى في نومه أحلاماً كاذبة.

(**والمتحير**[2] **القائم يبهظه**[3] **مقامه**): والمتردد في حال قيامه لا يدري

(١) في (ب): من هذا الكلام استضعاف ...إلخ.

(٢) في (ب): أو المتحير.

(٣) في النسخ: يبهضه بالضاد المعجمة، وما أثبته من شرح النهج.

ما يفعل من أموره، يثقّله مكانه الذي هو فيه فلا يستقر فيه، والمعنى في هذا هو أنه شبه حال معاوية بما يطلب من الأمور ويراجع بالكتب بمن استثقل في نومه، وغلبه النوم، فهو يرى أحلاماً كاذبة لا حقيقة لها، ولا[1] يصدق منها شيء بحال، فأنت فيما أنت فيه مشبه بحال من:

(**لا يدري أله ما يأتي**): من الأمور.

(**أم عليه**): وهذا منه (عليه السلام) استجهال آخر بحال معاوية، فإن من لايدري ما يأتي من الأمور وما يذر فهو في غاية الجهالة، وركوب أعظم ما يكون من الضلالة.

(**ولست به**): يعني[2] أنك لست نائماً.

(**غير أنه بك شبيه**): يعني أنما قلت ليس على جهة الحقيقة، وإنما هو على جهة التشبيه.

سؤال؛ أراه قال ها هنا: ولست به غير أنه بك شبيه، وكأن قياسه غير أنك به شبيه؛ لأن حال معاوية مشبه بالنائم كما قال؟

وجوابه؛ هو أن غرضه في جميع ما ذكره المبالغة في جهل معاوية والتهالك في وصفه بالغباوة، فشبهه أولاً بالنائم المستثقل، ثم قال: ولست به يعني حقيقة، ثم استأنف المبالغة في حاله بقوله: إنك شبيه به، كأنه هو النائم على جهة الحقيقة، وما ذكره مشبه بحال معاوية[3]،

(١) في (ب): فلا.
(٢) في (ب): أي.
(٣) في (أ): مشبه بمعاوية.

ومن قرع سمعه التشبيهات للشعراء وإغراقهم فيها، ودخولهم في معانيها كل مدخل عرف صدق مقالة أمير المؤمنين، وعرف مراده من ذلك.

(**وأقسم بالله لولا بعض الاستبقاء**): أراد إما طلب البقاء[1] لأحواله رجاء أن يعود عن غيِّه، ويرجع عن فسقه، وإما أن يريد المباقاة تحلماً عنه وتكرماً عن سرعة الانتقام منه.

(**لوصلت مني إليك نوازع**[2]): النوازع هي: الخصومات في الحق، يقال: كان بينهم نوازع أي خصومات ومشاجرة عظيمة، أو يكون مراده قوالع من انتزع الشيء عن أصله إذا قلعه.

(**تقرع العظم**): أي تقطع ما فوقه من اللحم [حتى تبلغه][3] فتكسره، والمراد بقرعه كسره.

(**وتلهس**[4] **اللحم**): أي تذهبه، ولهسه المرض إذا أذهب قواه.

(**واعلم أن الشيطان قد ثبطك عن أن تراجع أحسن أمورك**): أبطأ بك عن الوقوف على أحسن الآراء، وأحمدها عاقبة وأرضاها لله تعالى[5].

(**وتأذن لمقال نصيحك**): وتسمع لمن يناطقك بالنصح ويشافهك به.

(١) في (ب): الإبقاء.
(٢) في شرح النهج: قوارع، والعبارة في (ب): لوصلت إليك مني قوارع.
(٣) سقط من (ب).
(٤) في شرح النهج: وتنهس.
(٥) تعالى، زيادة في (ب).

(٧٤) ومن حِلفٍ [له عليه السلام][1] كتبه بين اليمن وربيعة

نقل من خط هشام بن الكلبي[2]، يريد قبائل اليمن من همدان وقحطان وقبائل نزار، وهما ربيعتان[3]: ربيعة الكبرى وهي ربيعة بن مالك بن زيد مناة، وربيعة الصغرى ربيعة بن عامر بن صعصعة، وفي عُقَيْلٍ أيضاً ربيعتان: ربيعة بن عُقَيْلٍ، وربيعة بن عامر، والله أعلم بمراده من ذلك[4].

---

(١) زيادة في شرح النهج.

(٢) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي، المتوفى سنة ٢٠٤هـ، أبو المنذر، نسابة، إخباري، محدث، أديب، مؤرخ كأبيه، روى عن أبيه، ومجاهد بن سعيد وغيرهما، وهو شيعي من أهل الكوفة ووفاته بها، وله تصانيف تزيد على مائة وخمسين كتاباً ورسالة منها: جمهرة الأنساب، والجمل، والنهروان، ومقتل أمير المؤمنين، ومقتل حجر بن عدي، ومقتل الحسين (عليه السلام)، وقيام الحسن (عليه السلام)، وأخبار محمد بن الحنفية وغيرها. (انظر معجم ورجال الاعتبار ص٤٥٦ ترجمة رقم (٩٠٢)).

(٣) في (ب): ربيعيان.

(٤) وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٨/٦٦ ما لفظه: واليمن كل من ولده قحطان نحو حمير وعك وجذام وكندة والأزد وغيرهم، وربيعة هو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهم بكر وتغلب وعبد القيس، وذكر في القاموس المحيط ص٩٢٨ ربيعة الفرس هو ابن نزار بن معد بن عدنان، أبو قبيلة، قال: وفي عُقَيْل ربيعتان ربيعة بن عقيل أبو الخلعاء، وربيعة بن عامر بن عقيل أبو الأبرص وقحافة وعرعرة وقرة، وفي تميم ربيعتان الكبرى وهي ربيعة بن مالك وتدعى ربيعة الجوع، والصغرى وهي ربيعة بن حنظلة بن مالك، وربيعة أبو حي من هوازن وهو ربيعة بن عامر بن صعصعة وهم بنو مجد، ومجد أمهم. انتهى.

(هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها): يعني بأجمعهم من يسكن منهم القرى ومن يكون في البداوة.

(وربيعة حاضرها وباديها): بأجمعهم أيضاً بدوهم وقرارهم.

(أنهم على كتاب الله): يريد مجتمعة آرائهم على حكم كتاب[1] الله تعالى، يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويوردون ويصدرون عن أمره، لا يخالفونه في أمر من الأمور.

(يدعون إليه): أي إلى إحياء أحكامه من بلغه وسمعه.

(ويأمرون به): أي يأمرون بما تضمن من الأحكام، أو أراد لا يصدرون أوامرهم إلا على وفقه ونحوه.

(ويجيبون من دعا إليه وأمر به): أراد وإذا دعاهم داعٍ إلى كتاب الله تعالى[2] أجابوه ونصروه وأعانوه على أمره كله، وهكذا حال من أمر به يعضدونه على ذلك.

(ولا يشترون به ثمناً[3]): أي ولا يبيعونه بأبخس الأثمان وأهونها، ولا يخالفونه بشيء من حقير الدنيا وحطامها.

(ولا يرضون به بدلاً): ولا يتبدلون به[4] غيره من سائر الكلامات وسائر الكتب المنزلة، مع غيرهم كاليهود والنصارى.

---

(١) كتاب، سقط من (ب).

(٢) تعالى، سقط من (ب).

(٣) في شرح النهج: لا يشترون به ثمناً قليلا.

(٤) به، زيادة في (ب).

(**وأنهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه**): يعني أنهم مجتمعون على حرب من خالف ذلك وأهمله، لايفترقون عن تغييره وهدمه.

(**أنصار بعضهم لبعض**[1]): هذا ينصر ذاك، وذاك ينصر هذا على دين الله وكتابه، ولا يحرف ولايبدل.

(**دعوة**[2] **واحدة**): أي دعوتهم على ذلك دعوة واحدة، لا اختلاف فيها، ولا تفريق.

(**لا ينقضون عهدهم**): ما تعاهدوا عليه من ذلك.

(**لمعتبة عاتب**): لرضاء من يسترضي.

(**ولا لغضب غاضب**): ولا يخالفونه لمكان غضب من يغضب منهم.

(**ولا لاستذلال قوم قوماً**): ولا من أجل أن قوماً يستذلون قوماً ويستضعفونهم فيقهرونهم.

(**ولا لمشية**[3] **قوم قوماً**): ولا لأن قوماً يريدون قوماً بالمكروه[4]، فلا يخالفون كتاب الله من أجل هذه العوارض، ولا يكون ذلك سبباً لتغيير أحكامه وإبطال أعلامه.

---

(١) في (أ): أنصار لبعضهم بعض، وأثبته من (ب)، وفي شرح النهج: وأنهم أنصار بعضهم لبعض.

(٢) في شرح النهج: دعوتهم، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(٣) في شرح النهج: ولا لمسبّة.

(٤) في (ب): بمكروه.

(**على ذلك شاهدهم وغائبهم**[1]): أي أقرَّ على ذلك من شهد منهم[2] ومن غاب.

(**وحليمهم وجاهلهم**): ومن كان منهم كبيراً يوصف بالحلم والعقل، ومن كان صغيراً يوصف بالجهل.

(**ثم إن عليهم بذلك عهد الله وميثاقه**): في الوفاء به والاستمرار عليه، وعهود الله: تأكيداته وتوثيقاته على الوفاء بما عقدت عليه، ثم تلا هذه الآية:

(﴿**إِنَّ الْعَهْدَ**[3] **كَانَ مَسْئُولاً**﴾)[الإسراء:٣٤]: أي مسؤلاً[4] عنه يوم القيامة في الوفاء به، وفي حفظه على ما عقد عليه، ثم إن آخر العهد مكتوب: (**وكتب علي بن أبي طالب**): شهادة على ذلك، وتوكيداً لأمره، وتوثيقاً لحاله.

---

(١) بعده في شرح النهج: وسفيههم وعالمهم.

(٢) في (أ): فيهم.

(٣) في (أ): إن عهد الله، وصواب الآية كما أثبته من (ب) ومن المصحف الكريم.

(٤) أي مسئولاً، سقط من (ب).

(٧٥) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية في أول خلافته، ذكره الواقدي[١] في كتاب (الجمل)

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان): وهذا الكتاب إنما كان في أول خلافته، وقبل حدوث الحوادث من معاوية، فلهذا لاطفه فيه، وأجمل فيه عتابه.

(أما بعد؛ فقد عرفت[٢] إعذاري فيكم): بلوغ الغاية في نصيحتي لكم وقبول المعذرة منكم.

(وإعراضي عنكم): عن المكافأة لكم، واستلحاقكم في كل ما فعلتموه من الأفاعيل المكروهة.

(حتى كان ما لا بد منه): أي ما علم الله وقوعه، وما سبق في علمه.

(ولا دفع له[٣]): من الحروب والوقائع.

---

(١) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي، المدني، الواقدي [١٣٠-٢٠٧هـ] أبو عبد الله، مؤرخ، حافظ، قاضي، ولد بالمدينة، واتصل بهارون العباسي والبرامكة فأعطوه وقربوه، وولي قضاء شرق بغداد، وأكرمه المأمون كذلك، له مؤلفات كثيرة منها: تأريخ الفقهاء وغيره. (انظر معجم رجال الاعتبار ص٣٩٧-٣٩٨ ترجمة رقم (٧٨٢)).

(٢) في شرح النهج: علمت.

(٣) بعده في شرح النهج: والحديث طويل، والكلام كثير.

(وقد أدبر ما أدبر): مما كان ووقع وحدث.

(وأقبل ما أقبل): مما نريد استقباله من الأمور كلها.

(فبايع من قِبَلك): من سائر المسلمين الموافقين لأمري والمتابعين لي.

(وأقبل إليّ في وفد من أصحابك): الوفد: الجماعة من الناس.

(٧٦) ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن عباس عند استخلافه إياه على البصرة

(سع الناس بوجهك): جعل هذا كناية عن سعة الأخلاق ولين الجانب والعريكة.

(ومجلسك[١]): أي لاترد أحداً من بابك وموضعك الذي أنت فيه.

(وإياك والغضب): احذره وجانبه أشد المجانبة.

(فإنما هو طَيْرَة[٢] من الشيطان): يقال: فلان طَيْرة وطَيْرُورة أي ذو طيش وفشل، قال الكميت:

وحلمك عزٌّ إذا ما حلمت
وطيرتك الصاب والحنظل[٣]

(واعلم أن ما قربك من الله يباعدك عن النار): من أعمال البر والتقوى وإصلاح الحال.

(١) بعده في شرح النهج: وحكمك.
(٢) في شرح النهج: فإنه طيرة ...إلخ.
(٣) أورد البيت ابن أبي الحديد في شرح النهج ٧٠/١٨، ونسبه إلى الكميت أيضاً، والصاب: شجر مرّ. والبيت أيضاً في لسان العرب ٦٣٦/٢.

(وما باعدك من الله يقربك من النار): من الأعمال القبيحة، واتباع الهوى، والانقياد للشيطان واتباعه.

ثم قال له للاحتجاج على الخوارج:

(لا تخاصمهم[١] بالقرآن): اعلم أن الخوراج لما نقموا عليه ما نقموا بعث عبد الله بن العباس يقرر عليه ما التبس عليهم ويوضحه لهم، ويفحمهم بالحجج والبينات، فنهاه أولاً عن المخاصمة بالقرآن.

(فإن القرآن حمَّال ذو وجوه): محتمل[٢] للتأويلات الكثيرة، يمكن أن يفسره كل واحد بوجه له من التأويل يخص مذهبه.

(تقول): أنت بقول[٣] من جهة القرآن.

(ويقولون): بقول آخر يخالفه ويعارضه.

(ولكن حاججهم[٤] بالسنة): بنصوص الرسول صلى الله عليه وآله فإنها أقطع للاحتمالات وأصرح بالمقصود، وأشفى للغرض.

(فإنهم لايجدون عنها محيصاً): أي معدلاً يعدلون إليه ويستمدون منه.

سؤال؛ كيف قال: لاتخاصمهم بالقرآن، والقرآن كلام الله، وهو أبهر الحجج وأعظمها حالاً، فكيف منعه من ذلك، وأمر بالمخاصمة بالسنة وهي أضعف حالاً من القرآن؟

(١) في (ب): لا تحاكمهم.
(٢) في (ب): متحمل.
(٣) في (ب): تقول.
(٤) في شرح النهج: حاججهم.

وجوابه: هو أن الكتاب والسنة حجتان من حجج الله تعالى على خلقه، وعليهما التعويل في جميع اقتباس الأحكام من التحليل والتحريم، وغير ذلك من الأحكام الشرعية، خلا أن القرآن لما كان المقصود منه الإعجاز والإفحام لمن تحدي به[1] من سائر الفصحاء، وكان لا محالة لاشتماله على البلاغة والفصاحة، اللفظة الواحدة محتملة لمعاني كثيرة، وتحمل على أوجه متعددة، ومن أجل هذا قد بلغ في الفصاحة والبلاغة كل مبلغ، والسنة ليس المقصود منها الإعجاز والإفحام، وإنما المقصود منها البيان والإيضاح للمقاصد، فلا جرم لم يكن احتمالها كاحتمال القرآن، فلا جرم أمره بما ذكرناه، لما كانت تصريحاتها أكثر في ذلك.

(١) به. سقط من (ب).

(٧٧) ومن كتاب له عليه السلام في أمر الحكمين جواباً لأبي موسى الأشعري

ذكره سعيد بن يحيى الأموي في (المغازي)[1]:

(**فإن الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من خطهم**[2]): يعني أن كثيراً من الخلق قد غيَّروا كثيراً من طرائقهم المحمودة التي كانوا عليها.

(**فمالوا مع الدنيا**): إلى أطماعها وزهرتها.

(**ونطقوا بالهوى**): من جهة أنفسهم وآرائهم، وليس نطقهم بالحق ولا على موافقته، وإنما [كان ذلك][3] لما تابعوا الدنيا نطقوا وتكلموا بما يهوونه من أنفسهم.

(**وإني نزلت من هذا الأمر منزلاً معجباً**): يريد أن إمامتي وخلافتي أمر يستطرف منه ويعجب كل أحد، لما فيه من اتباع الحق وترك الانقياد للأهواء.

(**اجتمع به أقوام**): قالوا به ودخلوا فيه.

(١) في شرح النهج: ومن كتاب له (عليه السلام) أجاب به أبا موسى الأشعري عن كتاب كتبه إليه من المكان الذي اتعدوا فيه للحكومة، وذكر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي.
(٢) في (ب) وشرح النهج: حظهم.
(٣) زيادة في (ب).

(أعجبتهم أنفسهم): أعجبوا بآرائهم، واستهواهم الإعجاب بأنفسهم، يشير بذلك إلى أبي موسى، فإنه من جملة أصحابه وأعوانه، ولكنه أعجب برأيه.

(فإني[1] أداوي منه[2] قرحاً): أي جرحاً عظيماً، قال الله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾[آل عمران: ١٤٠].

(أخاف أن يكون علقاً): أي[3] لازماً، والعلق بالفتح: ما لزم، يقال: أصاب ثوبي علق وهو ما يمسكه ويكون لازماً له.

(وليس رجل أحرص على[4] جماعة أمة محمد ﷺ): على اجتماعهم وكونهم مؤتلفين.

(وألفتها): أن تكون قلوبهم واحدة على الحق.

(مني): فإني أعظمهم محبة لذلك، وأقواهم شهوة له.

(أبتغي بذلك حسن الثواب): الدرجات العالية عند الله.

(وكرم المآب): وعظم المنزلة الرفيعة عند الله تعالى.

(وسأفي بالذي وأيت من[5] نفسي): أوفي لله تعالى بما وعدته من ذلك، والوأي: الوعد.

---

(١) في (ب) وشرح النهج: فأنا.
(٢) في شرح النهج: منهم.
(٣) أي، سقط من (ب).
(٤) في (ب): وليس رجل -أعلم- أحرص على ...إلخ، وفي شرح النهج: وليس رجل -فاعلم- أحرص على ...إلخ.
(٥) في (ب) وشرح النهج: على.

(وروّأت): يقال: روّأت في الأمر إذا نظرت فيه وتفكرت في أحواله، وأراد أنه وافٍ بما وعد، وبما نظر فيه وتفكر في عاقبته من أمور الأمة.

(وإن تغيّرت عن صالح ما فارقتني عليه): يشير إلى أبي موسى، وظاهر كلامه أنه كان يوم[1] فارقه على الطريقة الحسنى، ولازم للخصلة المثلى.

(فإن الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة): أراد أن أعظم الشقاوة في الإنسان أن يؤتيه الله تعالى عقلاً وافراً وتجربة في الأمور عظيمة[2]، ثم يحرم نفع ذلك، ولا يلحقه خيره.

(وإني لأعْبَدُ): لآنف وأحتمي.

(أن يقول قائل بباطل): أن في موضع نصب على نزع الجار، أي عن أن يقول أحد[3] من الأمة بباطل مخالف للحق.

(وأن أفسد أمراً قد أصلحه الله): وأن يكون ساعياً بفساد أمر قد أذن الله بصلاحه واستمراره.

(فدع ما لاتعرف): من الأمور، فإن خوض الإنسان فيما لا يعرفه جهالة لأمره وخبط في حاله.

(فإن شرار الناس طائرون إليك بأقاويل السوء): شبه حالهم بما يسعون به من النميمة، والإغراء بالباطل، والسعي بالفساد في الإسراع والخفة والعجلة بسرعة الطيران.

---

(١) في (ب): كان في يوم فارقه ...إلخ.
(٢) عظيمة، سقط من (ب).
(٣) في (ب): واحد.

(٧٨) ومن كتاب له عليه السلام إلى أمراء الأجناد لما استخلف

(**أما بعد، فإنما هلك من كان قبلكم**): يريد من الأمم والقرون الماضية.

(**أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه**): يعني من جهة أخذ الحق وتناوله، فاشتروه منهم بدفع الأعواض النفيسة ليصلوا إليه.

(**وأخذوهم بالباطل فافتدوه**[1]): يعني وقهروهم فأخذوا منهم الباطل فافتدوه، والضمير في قوله: فافتدوا[2] للباطل أي فافتدوا الباطل عن أن يكون مأخوذاً منهم.

وبتمامه يتمُّ الكلام في الكتب والوصايا وهو آخر القطب الثاني، ونشرع الآن في شرح القطب الثالث [إنشاء الله][3].

(١) في شرح النهج: فاقتدوه، وقال في شرحه: أي حملوهم على الباطل فجاء الخلف من بعد السلف، فاقتدوا بآبائهم وأسلافهم في ارتكاب ذلك الباطل ظناً أنه حق لما قد ألفوه ونشئوا وربّوا عليه. انتهى.

(٢) في (ب): واقتدوه.

(٣) زيادة في (ب).

فهرس الموضوعات

